

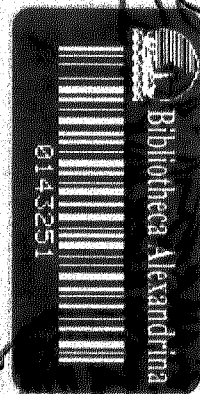
الحياة النبوية

بعد ظهور الإسلام

تأليف
د. محمد عبد المنيم خفاجي

دار الحديث

بيروت



الحياة الروبية

بعد ظهور الإسلام

Printed in Lebanon

تأليف
د. محمد عبد المنعم خفاجي
الأستاذ والعيد بجامعة الأزهر

دار الجيّد

بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجليل

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكلمة الأولى

اللهم إنا نحمدك ونستعينك ونستهديك ونشكرك ونسألك
التوفيق والرعاية والتوجيه وبعد .

فهذا سفر جديد في تاريخ الأدب العربي بعد ظهور الإسلام يشتمل
على تصوير واسع للحياة الأدبية . في عصر صدر الإسلام وعصر
بنى أمية وصدر العصر العباسي .

وقد توخيت فيه الدقة والتحليل والدراسة لشتى ألوان الأدب
ومظاهر نهضته في هذه المصور البعيدة ؛ مع الإشارة إلى شتى المصادر
والمراجع ؛ ومع تنظيم البحوث والاستقصاء فيها .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

محمد عبد المنعم غفاجي

الاستاذ بكلية اللغة العربية

منهج الدراسة بكلية اللغة العربية

تاريخ الأدب

تاريخ الأدب في صدر الإسلام : آثار الإسلام في لغة العرب وحياتها الاجتماعية . القرآن الكريم : نزوله وأسلوبه وإيجازه وجمعه وروايته وأثره في اللغة والأدب . النثر وبمبذاته في أغراضه وألفاظه وأساليبه ومعانيه . أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثرها في اللغة والأدب . الخطابة وأشهر الخطباء . الكتابة وأشهر الكتاب . الشعر وما طرأ عليه في أغراضه وألفاظه وأساليبه وأشهر الشعراء المخضرمين .

تاريخ الأدب في عهد بني أمية : انتشار اللغة وقيامها بمقتضيات الملك والسياسة طوره اللحن ووضع النحو والنقط والشكل . بدء تدوين العلوم ، العناية الخلفاء والأمراء باللغة والأدب ، أشهر مجامع العلم والأدب .

النثر : الخطابة والخطباء ، الكتابة وأشهر الكتاب ، الأجوبة والمحاورات الشعر : مبذاته وما طرأ عليه من أغراضه وألفاظه وأساليبه ومعانيه وأخيلته ، صيرورته حرفة للتكسب ، طبقات الشعراء وطوائفهم كالعشاق والسياسيين والمجانين ، لحول الشعراء . النقد الكلامي وأمثلة منه ، الموازنة الأدبية وأمثلة منها . الرواية والرواة . الأغاني وأثرها في الشعر وأشهر المغنيين .

دراسة تاريخ واحد من كل من طائفة من الطوائف الأربعة الآتية: دراسة استيعاب يعمد فيها إلى الوقوف على ما يستطاع من تفاصيل حياتهم الأدبية وكل ما له أثر فيها مسع استنباط خصائص كل في أقواله : معانيه ومبانيه وأسلوبه وأخيلته وتشبيهاته ومبتكراته ونقد ما هو خليق بالنقد من ذلك مع الموازنة بينه وبين نظيره له إن أمكن ومسح الإبانة عن أثر كل في فنون الأدب ومنزله من رجاله ، وهذه الطوائف :

- ا - عمر بن الخطاب ، علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .
ب - حسان ، الخطيئة ، الخنساء .
ج - الحجاج ، زياد ، عبد الحميد الكاتب ، أبو حمزة ، قطرة بن الفجاءة ،
عبد الله بن الزبير ، قتيبة بن مسلم .
د - جرير ، الفرزدق ، الأخطل ، عمر بن أبي ربيعة ، جميل ،
ذو الرمة ، السكيت .
علي ألا يتكرر واحد في سنتين متتابعتين .

النصوص

١ - دراسة نصوص من القرآن الكريم

٢ - دراسة طائفة من جيد المنثور يختارها المدرس من الأحاديث النبوية ومن الخطب والرسائل والمحاورات في صدر الإسلام وعهد بني أمية دراسة فهم ونقد وموازنة لما يستحق الموازنة بغيره منها وذلك بما دون في مثل صحيح البخارى ونهج البلاغة والعقد الفريد وأمالى القالى وكامل المبرد والبيان والتبيين على ألا يقل المقروه عن نحو ٦٠ صفحة وعلى أن يحفظ الطلبة من ذلك نحو ٢٠٠ سطر مع التعريف بكتاب من هذه الكتب وبيان منزلته في موضوعه ومنهج مؤلفه .

٣ - دراسة قصائد ومقطعات يختارها المدرس من شعر صدر الإسلام وعهد بني أمية قراءة وفهما ونقدا وموازنة لما يستحق الموازنة بغيره منها وذلك بما دون في مجموعات الشعر ودواوين مثل: حسان، الخنساء، الحطيئة، جرير، الفرزدق الأخطل، عمر بن أبي ربيعة، وفي مثل أمالى القالى على ألا يقل المقروه عن نحو ٤٠٠ بيت وعلى أن يحفظ الطلبة منه نحو ٢٠٠ بيت .

الحياة الادبية

في عصر صدر الاسلام

من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قيام دولة بني أمية

١٢٠١ - ١٠٤١

عصر صدر الاسلام

يفتح العصر الثاني من عصور الأدب العربي وهو عصر صدر الاسلام، ببعثة محمد صلوات الله عليه، ودعوته وهو بمكة قريشاً والعرب والناس كافة إلى الاسلام عام ٦١٠ م؛ وينتظم ما بعد ذلك بما امتد من عهد الرسول بمكة والمدينة^(١) وعهد أبي بكر^(٢) وعمر^(٣) وعثمان^(٤) وعلي^(٥) والحسن بن علي^(٦) وينتهي بانتهاء عصر الخلفاء الراشدين وقيام دولة بني أمية على يد معاوية بن أبي سفيان عام ٤١ هـ، ومدته ثلاثة وخمسون عاماً هجرياً .

وهو من أعظم العصور في التاريخ الاسلامي أثراً، وأكثرها في حياة العرب والمسلمين والعالم والانسانية خطراً؛ ففيه بدأت ونمت وازدهرت وانتشرت دعوة الاسلام دين البشرية الخالد، ومنقذها الكريم من ضلال الجهل والسفه والاستعباد والظلم والرق الفكري والبشرى والاجتماعى، وهاديها الامين إلى شاطئ الأمن والاسلام والنور والحرية والمساواة، وقائدها البر إلى حياة المدنية والعلم والثقافة وحرية الانسان من العبودية والخوف والفقر والجور .

وناهيك به بعد ذلك عصرأ ازدهرت فيه اللغة، ونبه فيه شأن الأدب، وصار فيه للسان العربي والشعب العربي السيادة والفوز والغلبة في شتى الارحاء والأمصار،

(١) أى من عام ١٢ ق ٨ إلى عام ١١ هـ [٦١٠ - ٦٣٢ م] .

(٢) أى من ١١ - ١٣ هـ [٦٣٢ - ٦٣٤ م] .

(٣) ١٣ - ٢٣ هـ [٦٣٤ - ٦٤٤ م] .

(٤) ٢٤ - ٣٥ هـ [٦٤٤ - ٦٥٥ م] .

(٥) ٣٥ - ٤٠ هـ [٦٥٥ - ٦٦٠ م] .

(٦) ٤٠ - ٤١ هـ [٦٦٠ - ٦٦١ م] .

وكيف لا وقد افتتح بأروع جهاد عرفته الإنسانية ، وبأعظم دعوة وصلت إلى الأرض من السماء ، وبثورة لم يعرف التاريخ قط لها نظيراً ، ثورة على الجمود البشري واضطهاد الإنسان لأخيه الإنسان وعبودية الطوائف والشعوب للكثيرين عدداً وعدداً ؛ ثورة فتحت صفحة جديدة في حياة الإنسانية ، وأحالت ظلام الحياة ضياءً ونوراً وظلمها عدلاً وأمناً وسلاماً وحرية ، بما شهد به أفاضل المفكرين والمؤرخين ودعاة الإصلاح .

ومن أولى من محمد بن عبدالله صلوات الله عليه بأن يرفع في العالم منارة السلام ورواية المدنية ، وأن يصل الأرض بالسماء ، ويسعى بالإنسان ليلبغ ما ينتظره من حضارة باهرة ، وحرية نادرة ، وحياة زاهرة ، فيها الأمن والأمل والرجاء ؛

صلى الله عليه ، ورفعته إلى أعلى عليين ، وأكرمه في أمته كما أكرم أمته به ، إنه على ما يشاء قدير .

هذا وعصر صدر الإسلام مستقل عن العصر الأموي ، لاختلاف المؤثرات التي أثرت في الأدب العربي في هذا العصر ؛ منها في عصر بني أمية . وعلى ذلك سار كثير من الباحثين ومؤرخي الأدب ؛ وهو ما سرنا نحن عليه في هذا الكتاب . ولكن بعض الباحثين يجعل العصرين عصراً واحداً يتبدى بانثاق فجر الدعوة النبوية وينتهي بانتهاء عهد الدولة الأموية عام ١٣٢هـ ، ومدته على ذلك ١٤٤ عاماً وعلى ذلك سار أصحاب الوسيط^(١) والزيات في كتابه^(٢) ، تاريخ الأدب العربي . وسواهما من الباحثين .

(١) ٩٤ الوسيط ط ١٩٢٥

(٢) ٧٨ المرجع ط ١٩٣٥

الجاهليون والمخضرمون والاسلاميون

والذين شهدوا هذا العصر العظيم من الشعراء^(١) يسمون المخضرمين ، يقول ابن رشيقي :

« طبقات^(٢) الشعراء أربعة : جاهلي ، ومخضرم وهو الذي أدرك الجاهلية والاسلام ، وإسلامي ، ومحدث . ثم صار المحدثون طبقات : أولى وثانية على التدرج وهكذا في الهبوط إلى وقتنا الحاضر ،

أما الجاهليون فأمرهم مشهور ذائع ، وهم الذين نشأوا في جزيرة العرب قبل الاسلام من الشعراء والخطباء والبلغاء وأرباب الفصاحة واللسن والبيان ، وهذه الكلمة جمع لكلمة جاهلي من الجاهلية المأخوذة من الجهل ضد العلم ، لما كان عليه العرب قبل الاسلام من أمية ظاهرة ، أو من الجهل ضد الحلم بمعنى السفه والبطيش وسرعة الغضب لما كانوا عليه من الاسراع إلى الانتقام والاخذ بالثأر وشن الحرب لأنفه الأسباب

وأما المخضرمون^(٣) فاذا تركنا حديث الاشتقاق اللغوي فان الغالب على من

(١) وقل أن يطلق ذلك الاسم على البلغاء والادباء والخطباء مع أن مثل هذه الفنون الأدبية أخت الشعر وشبيهة به في كثير من خصائص الفن

(٢) ١/٧٢ العمدة لابن رشيقي طبع عام ١٩٢٥

(٣) من المخضرمة يقال أذن مخضرم أي مقطوعة فكأن الشاعر انقطع عن الجاهلية إلى الاسلام ، وقيل : أسلم قوم في الجاهلية على إبل قطعوا آذانها فسمى كل من أدرك الجاهلية والاسلام مخضرمًا ؛ وزعم هذا القائل أنه لا يكون مخضرمًا حتى يكون إسلامه بعد وفاة النبي وقد أدركه كبيرًا ولم يسلم ، قال ابن رشيقي : وهذا عندي خطأ لأن النابغة الجعدي وليدا قد وقع عليهما هذا الاسم [١/٧٢ العمدة في ١٩٢٥ ، ٣٠٤ و ٢/٣٠٥ الزهر طبع صبيح] . وقال أبو الحسن الأخفش هو من قولهم ماء خضرم إذا تنهى في الكثرة والسعة فنه سمى الرجل الذي شهد الجاهلية والاسلام مخضرمًا كأنه استوفى الأمرين [٢/٣٠٤ الزهر ، =

عاش في هذا العصر أن يكون محضراً إذ يغلب أن يكون قد أدرك الجاهلية والاسلام ، أما الذين نشأوا في الاسلام وتأدبوا بأدابه وقالوا الشعر متأثرين بالعوامل الجديدة التي نشأت مع الحياة الاسلامية فهؤلاء اسلاميون يغلب عليهم أن يكونوا قد عاشوا في دولة بنى أمية واستظلوا بظلمها ، إذ من الثابت أن كثيراً من الشعراء الذين تأثروا بالاسلام ومبادئه قد بهرتهم بلاغة القرآن وفصاحته فانقطعوا عن قول الشعر وعممت ألسنتهم وبلاغاتهم عن إنشاده ولم يستمر على صلة بينا بيعة الثرة إلا هؤلاء الذين بعدوا عن روح الاسلام ولم يتأثروا به وعاشوا في عزلتهم في البادية ، فلما سكنت عنهم هذه الروعة قليلاً بالفهم لهذه البلاغة المعجزة وبخضوعهم لآثار بيتهم وحياتهم الجديدة بدأوا في نظم الشعر ، ولم يعودوا إليه إلا وقد انتهى هذا العصر وبدأ عصر جديد هو العصر الأموي الخافل فكلمة « الاسلاميون » ، إذا تطلق على الشعراء الأمويين لأنهم عاشوا في ظلال الاسلام وتأثروا بمبادئه وصاغوا حياتهم وفق مبادئه الخالدة إلى حد كبير .

وهي جمع لكلمة إسلامي من « الاسلام » ، الذي اختير عليها لهذه العقيدة الجديدة بما تطوى عليه من أمن وعدل وحق وخضوع مطلق له وتعاون ومسألة للناس ، وهي كلمة تشير إلى جميع خصائص الدعوة النبوية الجليلة التي عم أثرها الناس والحياة والبشرية

== ١/١٧٢ العمدة] . وحكي كراعة علي بن الحسن : شاعر محضرم بالحاء مأخوذ من الحضرمة وهي الخلطة لأنه خلط الجاهلية والاسلام [٢/٢٠٥ الزهر ، [١/٧٣ العمدة]

الإسلام

وأثره في حياة العرب الاجتماعية

جاء الإسلام والعرب قبائل موزعة ، وأحياء متخاصمة ، لا يجمعهم دين ، ولا يقرب بينهم نظام حكم واحد ، ولا يخضعون لرياسة موحدة ، ولا يركنون إلى شريعة اجتماعية منظمة .

فأبدلهم من ذلك كله نظاماً موحداً ، وحياة كريمة مهذبة في الاجتماع والسياسة والدين والدنيا ؛ ويظهر أثر الإسلام في حياتهم الاجتماعية فيما يلي :

١ - اعترف الإسلام للإنسان بحريته واستقلاله الفكري والاجتماعي والمالي ، وجعله حراً طليقاً من كل قيد إلا من الخضوع لدين الله وللحاكم الأعلى الذي يحكم بما أمر الله ويسهر على حفظ الأمن والنظام بين الناس ، ورفع من كرامة الإنسان وجعله خليفة له في الأرض يعمرها ويمحو الظلام والجهل والفوضى والجنود منها بما وهبه الله من عقل وماحت عليه من العلم والتفكير والعمران التي هي أسباب وثيقة للدنية والحضارة .

٢ - نظم الأسرة على أسس اجتماعية سليمة ، فشرع الزواج ، وجعله رباطاً مقدساً بين المرأة والرجل ، وأباح للرجل في حالات خاصة حرية الجمع بين عدة أزواج لا يتجاوز في ذلك أربع زوجات مهما كان ، وأبطل كثيراً من العلاقات الأثيمة وحرم البغاء والزنا ، فحفظ الانساب ورفع من شأن المرأة وجعلها شريكة الرجل في الحياة تقوم بشئون البيت وتربية الأولاد ، ويقوم هو بالسعى في الأرض في سبيل الرزق وكسب العيش له ولزوجه وأولاده ، وأباح للأرامل المتوفى عنهن أزواجهن الزواج بعد أن كان ولي المتوفى يعضلن عن الزواج ، وجعل للمرأة استقلالها المالي وجعل لها حظاً كبيراً من الميراث ، وفرض نفقتها هي وأولادها على الزوج ، وحتم عليها حسن التعهد للأبناء والقيام بتربيتهم

وتهذيبهم والسهر على تعليمهم حتى يبلغوا مبلغ الشباب إلى سوى ذلك من مظاهر
تشريع الاسلام للاسرة .

٣ - ودعا الاسلام إلى أن يكون الناس والمجتمع إخوة متعا بين متعاونين
في الحياة ، وساوى بين الناس في الحقوق والواجبات ؛ وهدم ما كانوا عليه من
نظام الجماعة الفاسد ، وحرم دعوة العصبية الجامحة واستبدل بها دعوة الدين ؛
والطاعة للحاكم واحد يلزم شريعة الله ، وشرع كثيراً من الشرائع الاجتماعية التي
تزيد في وحدة المجتمع كالزكاة والاحسان وصلاة الجماعة ، والحج ، وألقى عبه
حفظ النظام والسهر على الأمن على كاهل الحاكم الاكبر .

وحرم الاعتداء على أموال الناس وأعراضهم ودماهم وحررياتهم ، وأباح
الطيبات من الرزق ومن سهل المعيشة الشريفة ؛ التي تتفق وروح الاسلام .

وحارب الرذائل الاجتماعية والعادات الفاسدة والخرافات الكاذبة ، وأزال
الفوارق الاجتماعية بين الناس والشعوب ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى .

أثره في الحياة العقلية للامة العربية

١ - أول شيء للاسلام الكريم في هذا الميدان ، أنه حارب الأديان الفاسدة
والعقائد الضارة ، ووجه الناس كافة إلى الله وحده لا شريك له ، فرفع من كرامة
الانسان وشخصيته في الحياة ، وحارب التقليد ، ودعا إلى استقلال الانسان
بالتفكير ، ونبه من شأن العقل وحكمه في كل شيء ، وبذلك حارب الاسلام الجحود
والخمول والهوان وبعث العقل البشري قديماً بفتيا يبحث في أسرار الوجود والحياة .

٢ - وحارب الاسلام الأوهام الفاسدة التي تصنف من شأن العقل وتدعوه
إلى السكسل والخوف وتبعث فيه روح الأيمان الأعشى والتسامم المطاق ، وساب
الناس ما كانوا يزعمون من القدرة على تسخير ما في الوجود من غيب ، وجعل
كل ذلك مرده إلى الله يعلم الغيب وما هو أخفى ، فزال عن العقل ظلمات كشيقة
كانت تحول بينه وبين الفهم والأدراك .

٣ - ودعا إلى العلم الصحيح والتفكير المستقل ؛ وبعث في الناس حب المعرفة والثقافة ، وفرض على العالم إرشاد الجاهل وتهذيبه إلى غير ذلك من مقومات الحياة الصحيحة .

٤ - وبتشجيع الاسلام للمعرفة نشأت العلوم الاسلامية والفكرية وعكف العلماء على البحث والتنقيب مما كان أساس المدنية الاسلامية الباهرة الى غير ذلك من مظاهر الرقي العقلي والفكري البعيد

أثره في حياة العرب السياسية

وأثر الاسلام في حياة العرب السياسية واضح لا يحتاج الى بيان أو برهان ١ - فقد صار العرب يخضعون لحاكم واحد هو رسول الله وخلفاؤه من بعده فتجمعت الأهواء المنفرقة ، وتآلفت القلوب المتنافرة ، وتوحدت الاظام المتباينة في جزيرة العرب ، وأصبحت لهم وحدة سياسية واجتماعية كاملة فوق وحدتهم في الدم والعنصر واللسان والدين

٢ - وفتح المسلمون كثيرا من البلاد والشعوب وسكوها فتبرن المسلمون على فنون الحكم وصار منهم الولاة والأمراء والقضاة والقواد ورجال الشرطة ، وقد سجل الكثير منهم مجدا يفخر به الدهر وترويه الأيام ، وأحسنوا معاملة أهل الأديان الأخرى والشعوب المحكومة ؛ شعارهم الحق والعدل و الأخاء والمساواة بين بنى الانسان كافة

٣ - وكسب الاسلام للعرب وحدتهم السياسية الكاملة فاستقامت بلاد العرب استقلالاً كاملاً ، بعد أن كانت البحرين والخيبر تخضع لنفوذ الفرس ، واليمن لنفوذ الحبشة والفرس ، وعرب غسان لنفوذ الروم

الإسلام

وأثره في الحياة الأدبية

وقد أثر الإسلام في الحياة الأدبية تأثيرا كبيرا سواء في ألفاظ اللغة أم في أسلوبها أم في فنون الأدب المختلفة من شعر ونثر وخطابة وكتابة أم في أغراض كل فن منها ؛ مما سنبحثه باستقصاء في الفصول الآتية :

ولقد جاء الإسلام والبلاغة العربية كثيرة متعددة النواحي رائعة التأدير دقيقة الأداء والتصوير ؛ يجرى الشعر على ألسنة العرب شعورا وطبعًا وملسكًا ، وتحفل نواديهم الأدبية بالبليغ المأثور من جيد النثر خطابة ومحاوره ووصايا ونصائح وسواها ؛ والعرب يهزم البيان ، ويملكهم بلاغة القول ، ولا يرون العبقرية إلا في شعر يروى أو كلام بليغ يؤثر .

ومع ذلك فقد غير الإسلام من مجرى الحياة الأدبية تغييرا كبيرا واسعا . وليس يرجع ذلك إلى ما اقتبسناه المسلمون من البلاد المفتوحة من ثقافة وعلم وأدب وفن ؛ ولا إلى آثار مدنية وحضارة ، لأن العرب كانوا ما يزالون يؤثرون البداوة والحشونة ، ولم يسكنوا قد فرغوا بعد من قراع أعداء الدعوة ونضال خصوم الإسلام ؛ وإنما يرجع ذلك كله إلى المصدر الأول لثقافة المسلمين الدينية والعقلية والاجتماعية والأدبية ، وهو القرآن الكريم والكتاب المعجز ؛ الذي أحال خشونة الطباع عنذوبة وسلاسة وقوة ، وبدل حوشية الألسنة سهولة ووضوحا وبلاغة ، وأورث العرب وضوحا في التفكير ودقة في التعبير والتصوير وروعة في الحجمة ورقة في الأسلوب .

بما سيأتي تفصيله ، وإنما نكتفي الآن بشرح أثر الإسلام في اللغة العربية .

الاسلام

وأثره في اللغة العربية

وحسنة اللغة وذيوها :

أثر الاسلام في اللغة جد خطير ؛ لا يمكن تفصيل القول فيه تفصيلا ، وإنما نكتفي بهذا الأجمال :

١ - جاء الاسلام والعرب لهجات مختلفة ، ولهجة قريش لها المنزلة الأولى بين هذه اللهجات بتأثير الاسواق ومواسم الحج ولنفوذ قريش الروحي والاقتصادي بين العرب وما كانوا عليه من ثقافة وخبرة وتجربة ، ونزل القرآن الكريم بلغة قريش فأيدت هذه اللغة وأصبحت لها السيادة والغلبة ، وكان من قريش ومن السلالات المضربة أبناء عموماتهم رجالات الدعوة وزعماء الدولة وأمروها وقوادها وقضاتها وحكامها وعمالها ، فكان لذلك أثر كبير في انتحال العرب لغة قريش بعد قليل ، أما ماتو ورث من لغة حمير ، فلم يكن متميزا عن اللغة القرشية كثيرا سواء في التصريف ام الاعراب أم الاسلوب ، بل كان أكثره ظاهرا في اختلاف بعض الالفاظ عن بعض في الدلالة على المعاني المتحددة فالكثيرون في اللغة الحميرية هو الذئب في لغة قريش وأنطى في لهجة حمير بمعنى أعطى عند قريش والشناتر في كلام الحميرين هي الاصابح في لسان قريش وسامدون لغة حميرية وهي في لهجة قريش الغناء ؛ وهكذا (١) الى غير ذلك مما له نظير في لهجات المضربين أنفسهم كالمسدة فهي الظلة عند تميم والضوء عند قيس :

ولغلة الخلاف بين الحميرية والقرشية فقد اندمجت لغة حمير كأخواتها في لغة قريش التي أصبحت لها السيادة والغلبة على جميع اللغات واللهجات

(١) فالأرائك لغة حمير ، وكذلك : المعاذير ، والوزر ، والخور ، واللهم

(وهو عندهم المرأة) ، الى غير ذلك مما تجد بعضه في الإتيان [ص ٢٢٨ وما بعدها

ج ١ ط ١٩٤١]

٢ - وهذه الفتوحات الاسلامية الباهرة أدت إلى انتشار العرب في شتى البلاد المفتوحة وإلى ذبوع اللغة العربية في أكثر هذه الأقطار ، وصارت هي اللغة الرسمية فيها ، وأصبح يلبج بها بعد قليل سكان سوريا ومصر وفلسطين وأفريقيا الشمالية وصارت لغة الدين والسياسة والثقافة في هذه البلاد وسواها

أغراض اللغة

وزادت أغراض اللغة بتأثير الدين الجديد وما نشأ عنه من نظام ومدنية وعمران وثقافة :

فقد استعملت في شرح العقيدة الاسلامية والدعوة إليها وحجاج خصومها وتبيين مرامها واستنباط أحكامها كما استعملت في حفظ نظام الملك ونشر الأمن والعدل بين الناس وفيما استدعته حياة الحضرة الجديدة وشئون الثقافة والمعرفة

وفي إرشاد الناس إلى أحكام دينهم ، وتذكيرهم بأوامره ونواهيه إلى ما سوى ذلك من شتى الأغراض الجديدة التي تناولتها اللغة في هذا العصر زيادة عما كانت عليه في عصر ما قبل الاسلام . وبعد أن كانت اللغة في الجاهلية تعبر عن عقول محدودة صارت تنطق عن عقول استضاءت بهدى القرآن وتأديت بأدب الاسلام

معانيها وأسلوبها

وظهر في معاني اللغة الدقة والتفكير والفهم والعمق بما أفاده المسلمون من ثقافة القرآن والدين ومن خبرة وتجربة وإدراك صحيح للحياة ؛ كما اتسعت مادة المعاني بالتساع المشاهدات والمنساطر والمعقولات والمعنويات ؛ وتعددت صور الخيال في روعة وجمال تعبير بتجدد وتعدد صور المشاهدات التي انتزع منها ، والتي كانت مادة له

أما أسلوب اللغة فقد شاعت فيه العذوبة والسلاسة في جزالة ، وأخذت بأطرافه القوة والجمال والوضوح وبروعة التأثير وقوة الحجج وتأجيج العاطفة والتأهب الشعور

ودقة الاحساس الادبي ، وذلك لتأثرهم بالقرآن وبلاغته ، مما رقق من نفوسهم القاسية فسلسط طباعهم وألسنتهم وملكاتهم فلم تقبل إلا السمع المهنذب من الاساليب .

وبتأثير الاسلام بطل سجع السكمان وأضرابهم ممن يستنبشون الحصى ويزجرون الطير ، وبطل الفجر في الاسلوب فصار عفاكراً ، ما سمحا ينطق عن عاطفة دينية قوية ويصور حياة روحية واسعة ، ويتم عن تأدب بأدب الاسلام وتأثر ببلاغة القرآن ولقد غلب عليهم الأيجاز باديء ذي بدء لعدم فراغهم من أعباء الدعوة والملك والفتوحات

ألفاظ الغنسة

وبتأثير الاسلام وبلاغة كتابه الحكيم جانبا المتكلمون حوشية الألفاظ والغريب من المفردات ولم يستعملوا منها إلا ما وامم الذوق وقبله الطبع فلم نعد نرى مثل مستشزر وسجنجل ومسرهذ وماشاهها ، إنما تجدا لألفاظ العذبة الرشيقة اللطيفة التي تتم عن استحكام الطبع وقوة الذوق وغلبته وكذلك دخلت بعض الألفاظ الأعجمية في اللغة العربية وفي القرآن الكريم الكثير منها (١)

وهناك ألفاظ أخرى حور الاسلام في معانيها ، فأخرجها من معناها إلى معنى جديد يذنه وبين الارل مناسبة كالصلاة والاسلام والصيام والزكاة والمؤمن

(١) وقد عقد السيوط في كتاب الاتقان فصلا عما وقع في القرآن الكريم من

ألفاظ أعجمية [٢٢١ وما بعدها ج ١ الاتقان]

ومن ذلك . الابريق ، والديباج والدينار عن الفارسية ، والريون والاسفار عن البيرانية وهواه ، عن الحبشية وكذلك الطاغوت ودرى ، ودر الحواريون ، عن البطية ، والرقيم وفردوس والقسط عن الرومية إلى ماسوى ذلك من هذه الألفاظ .

والكافر والفاسق والمنافق وسوى ذلك ، مما لا يبعد عنك معانيها في اللغة ونقلها
الإسلام إلى معان جديدة .

وبعض الألفاظ منيع الإسلام استعمال مدلولاتها أو أعضائها غيرها فماتت
فن الأول مثلا :

المرباع والنشيطه والفضول (١) ؛ ومن الثاني : ثم صباحا وعم مساء
و « أبيت اللعن ، الخ .

وقد أحدثت الإسلام بعض الألفاظ الجديدة التي سميت « ألقاظا اسلامية » ،
ومنها : المصحف وقد أطلق على القرآن الكريم وأول من استعمل هذه اللفظة كما
يقولون هو أبو بكر الصديق بعد أن جمعت آيات الذكر الكريم وسوره في
الأوراق على عهد ؛ ومنها لفظ الجاهلية ، وقد ورد في القرآن الكريم وأحدثه
الإسلام للفترة التي كانت قبل بعثته محمد صلوات الله عليه .

(١) قال عبد الله بن عنة يخاطب بسطام بن قيس :

لك المرباع منا والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول
المرباع : ما كان يأخذ الرئيس من ربيع الغنيمه ، والفضول ما كان يأخذه
بما نضل من القسمة ولا يكن قسمته على الغزاة . والصفايا : ما كان يصطفيه
لنفسه من الغنيمه . والنشيطه : ما كانوا يغمونه عفرا في طريقهم إلى الغارة

القرآن الكريم

تمهيد

القرآن كتاب الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد .

آيات وسور اشتملت على أمور الدين والدنيا ، وانتظمت سعادة الأولى
والآخرة ، ونزلت هدى ونورا للبشر كافة ، وقضت على هذه الاوهام الباطلة
والأساطير الكاذبة والعبادات الضلالة والأديان المنحرفة ؛ وأحالت الظلام ضياء
والشقاء سعادة واليأس أملا والضللال هدى والهمجية مدنية والجهل علما ومعرفة
وفسا وأدبا وثقافة ينبع من معينها الزاخر كل من رغب في الخير وطمع إلى
السلام والنور ؛ ونقلت الانسانية من عصر تسوده الفوضى وتذيع فيه مبادئ
الطغيان والعبودية وسفك الدماء ونهب الأموال والأعراض إلى خياة فيها رضى
وأمن ، وطمأنينة وسلام ، وحرية وعدل وإخاء ، ومعرفة وعمران وحضارة ،
وحدود محدودة وضعت لسعادة الناس والجماعات والشعوب والانسانية قاطبة

قبس من الهدى والنور نزل به جبريل من السماء إلى الأرض على سيد الخلق
وأكرم الرسل وأشرف من في الوجود محمد صلوات الله عليه ، فبلغه الناس ،
ويشر بدعوته العرب والبشر كافة ، وأذاع مبادئه في كل مكان ، لحملت إلى العالم
السلام والعدل والحرية ، وفتحت صفحة جديدة في تاريخ الانسانية ، وأنقذت
الناس من ضلال الجاهلية الأولى فبارك الله رب العالمين .

د ألقاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة ، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة
الآخرة . ومعان بينهاى عنوبة ترويك من ماء البيان ، ورقة تستروح منها نسيم
الجنان ، إذا هي بعد ذلك لإطباق السحاب . توهموا السحر ماتوهموه فلما أنزل الله
كتابه قالوا هو السحر المبين (١) ، . وتصوروا الشعر ماتصوروه فلما سمعوا آياته

البيئة ، وبلاغته المتدفقة ورأوا هدايته النادرة وفصاحته الباهرة ، وما فيه من روعة التصوير ودقة التعبير وشدة التأثير ؛ قالوا : إى والله إنه لشعر شاعر وسحر ساحر إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ، كلا والقبر ، والليل إذا أدبر ، والصبح إذا أسفر ، إنها لاحدى الكبر ، وما هو بقول بشر ، إن هو إلا وحى يوحى ؛ ومعجزة تتحدى ، وبلاغة تتلى وتروى ، أشرفت بنوره السماء والارض واهتدت بهديه الملائكة والبشر أجمعون

نزول القرآن

وبينما كان الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه يتهد في غار حراء من يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان السنة الحادية والأربعين من ميلاده الكريم وسنه أربعون سنة وستة أشهر وثمانية أيام ، أى فى السادس من شهر أغسطس عام ٦١٠ م^(١) . إذ نزل عليه جبريل بالرسالة الالهية العظمى التى اصطفاه الله من بين الخلق لادائها للبشر كافة هدى ونورا وشفاء لما فى الصدور
قال جبريل : يا محمد اقرأ

قال : ما أنا بقارىء

قال : اقرأ

قال : ما أنا بقارىء

قال : ه اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ،
فكانت أول سورة نزلت من القرآن الكريم^(٢)

(١) سار على ذلك كثير من الباحثين ومنهم المرحوم الخضرى بك فى الجزء الاول من تاريخ الامم الاسلامية وإن كان الرافعى يقول أن ابتداء الوحي كان بمكة عام ٦١١ م [٣٤] [عجاز القرآن]

(٢) يروى السيوطى آراء أخرى لبعض العلماء ، فبعض يزعم أن دن ، كانت أيضا أول ما نزل من القرآن ، وآخرون يقولون المدثر ، ، وآخرون يقولون إنها القائمة الخ [راجع ٢٩ وما بعدها ج ١ من الاتقان ط ١٩٤١]

وأول سورة أعلنها الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة هي « والنجم إذا هوى »
وأول سورة نزلت بالمدينة بعد الهجرة هي « ويل للطففين »
استمر نزول القرآن بعد البعثة في مكة قبل هجرة الرسول صلوات الله عليه ،
ثم بعد الهجرة والرسول الأكرم بالمدينة حتى توفي إلى رحمة الله عام ٥١١ - ٦٣٢ م
كان القرآن الكريم ينزل منجما مفرقا وفق الوقائع ومسايرة للجواريح
وتدرجا في التكليف وتنقلا بالتشريع حسب الطباع ومدى استعداد النفوس ؛
وكانت آخر آية نزلت من القرآن الحكيم قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » (١) حيث نزلت في حجة الوداع
ونزل قبلها بقليل سورة براءة .

وتم نزول القرآن الكريم قبل وفاة الرسول صلوات الله عليه في ثلاثة وعشرين
عاما ما بين بعثته إلى وفاته ، كان في ثلاث عشرة سنة منها يقيم بمكة ، وطنه الذي
ولد وربى ونشأ فيه ، وفي عشر السنين الأخرى يقيم بالمدينة بعد هجرته صلى الله
عليه وسلم من مكة حيث نشر الدعوة وحماها وأيدها

وبمجموع سور القرآن الكريم أربع عشرة ومائة سورة، منها الطويل والقصير،
ومنها ما نزل في الموعظة والهداية وما نزل في التوحيد ومحاربة الشرك والأهواء ،
وما نزل في التشريع ونظم العبادات والمعاملات وقوانين الأسرة والجماعة
والحكومة الإسلامية ، وما نزل في أمور الآخرة والغيب وشرح تطور الإنسانية
وقصص الأمم الماضية وبغيها ومصيرها المحتوم ، أو نزل في شرح أسرار الوجود

(١) وفي الاتقان خلاف كثير حول آخر ما نزل من القرآن ، فقيل آخر
آية نزلت « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله » وآخر سورة نزلت « سورة
براءة » ، وقيل آخر آية نزلت آية الربا ؛ وقيل « واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ،
وكان بين نزولها وبين موت الرسول أحد وثمانون يوما وقيل تسع ليال ، وقيل
آخر براءة الخ [١/٤٤] الاتقان وما بعدها]

ومظاهر الغيب وأمور الآخرة ؛ وقد تشمل السور على كثير من هذه الأغراض الموحدة

والسور قسما : مكى ومدنى

فالمدنى منها على أرجح الآراء هو ما نزل قبل الهجرة ؛ والمدنى ما نزل بعدها^(١) والسور المدنية اثنتان وعشرون سورة تبلغ نحو ثلث القرآن الكريم وهي : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والنور والأحزاب والقتال والفتح والحجرات والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتين والطلاق والتحريم والعصر وما عدا هذه السور وهي اثنتان وتسعون سورة فهو مكى

موضوعات السور المسكية والمدنية

أما لسور المسكية فأظهر موضوعاتها هي :

- ١ - الدعوة إلى توحيد الله ومحاربة الشرك والأوثان
- ٢ - تأييد رسالة محمد صلوات الله عليه وتحدى العرب بهذه المعجزة الخارقة ألا وهي القرآن الكريم
- ٣ - إثبات البعث والحساب والنشور واليوم الآخر والرد على من ينكر ذلك في إفاضة وقوة حجة وتأثير
- ٤ - قص قصص الأمم القديمة وعنادها وحججها مع الرسل والأنبياء وإصرارها على الضلال وما حل بها من المثلثات تبصرة وذكرى لقوم يؤمنون
- ٥ - محاربة التقليد ودعوة العقل البشرى إلى الاستقلال بالتفكير واتباع الحق من العقائد والطاعات ونبد الأوهام والأساطير والخرافات والتفكير في نواميس الله في الكون

(١) راجع ١/١٣ الاتقان للسيوطي ، وقيل المسكى ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدنى ما نزل بالمدينة ، وقيل المسكى ما كان خطابا لأهل مكة والمدنى ما كان خطابا لأهل المدينة [١٣ و ١/١٤ الاتقان] . هذا وتسمى السورة مكية إذا كان أغلبها مكيا وتسمى مدنية إذا كان أكثرها مدنيا

وأما أهم موضوعات السور المدنية فهي مايلي :

١ - تشريع النظم والقوانين للفرد والأسرة والجماعة والأمة لتسير الانسانية الى حياة كريمة مهذبة تليق بكرامة الانسان خليفة الله في الارض ، الى الفضيلة والخير والعدل والحق والامن والسلم والبهمان والحضارة

٢ - الدعوة الى الفضائل ومحاربة الرذائل بكل سلاح وكل وسيلة

٣ - تقرير وحدة الانسانية والاخوة البشرية العامة وتعزيز الصلات الاجتماعية بين الانسان والانسان ، وإلغاء الفروق بين الطبقات والجماعات والشعوب ، ورفع كرامة الانسان الادبية في الحياة ، وتعزيز شخصية الانسان وإيضاح رسالته ورسم الاهداف الكريمة التي يجب أن يسير إليها ويعمل لها في الحياة

٤ - وضع شرائع الحرب والسلام التي تسير مع الانسانية العالمية وتوافق مصالح البشر في الحياة الدنيا على اختلاف الزمان والمكان

وعلى العموم فالسور المدنية احتوت على أكثر التشريع الاسلامي وأودعت أعظم الآداب الاجتماعية والسياسية التي تؤلف القلوب وتمحوط الملك وتصون الشعوب (١).

وقصارى الكلام أن القرآن كتاب هداية ونور ودين ودنيا وخير عام وهو دستور الانسانية المهذبة ووثيقة الحرية والمساواة والأخاء التي نالها الانسان على طول الأيام والاحقاب

أسلوب القرآن

وأسلوب القرآن نمط فريد من البلاغة والروعة وجلالة الروح وإشراق البيان وجمال الديباجة وقوة المنطق وعبقورية التصوير والتعبير

أسلوب جمع بين الجزالة والسلاسة والقوة والعذوبة وحرارة الايمان وتدفق البلاغة ؛ فهو السحر الساحر ، والنور الباهر ، والحق الساطع ، والصدق المبين

(١) ١٧ الأدب العربي في صدر الاسلام اعبد الله عفيفي بك

زلزل الذم الحكيم في أسلوب لا يضارعه أسلوب فلا هو شعر ولا هو سجع
 ولا هو مزاجية ولا هو اثر مرسل ولا خطابة ، إنما هو نظم رائع وألفاظ عذبة
 ومعان سامية حسيمة ، وجلال وروعة ؛ جمع بلاغة جميع أساليب البيان .
 وفصاحة شتى خصائص النظم ، واستوفى كل عناصر الإعجاز
 تحدى الله به العرب فجزوا فتحدهم بسورة منه فبهروا ، فتحدهم بأقصر
 سورة ثم بعدة آيات فغرسوا ؛ ولما سمعه فصحاؤهم وبلغاؤهم وأرباب البيان فيهم
 سجدوا لمخاشعين ؛ وما لإيمان عمر حين سمع « طه » ، وما فروع عتبة بن ربيعة
 وقوله : « والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر »^(١) ، حين سمع « فصلت » ، وما
 تردد بلغاء العرب على الأماكن التي يعبد فيها محمد ليلا ليسمعوا هذه البلاغة
 الباهرة خفية ، وما عجزهم بعد التحدى ، ما كل ذلك إلا دليل الإعجاز وعظمة
 البيان وجلال الأسلوب .

ويقول أبو بكر الباقلاني المتوفى عام ٤٠٥ هـ في كتابه « إعجاز القرآن » ، في
 فصاحة الذكر الحكيم :

إن نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المألوف
 من نظام كلام العرب ومباين للألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص
 به ، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المتباد . وليس للعرب كلام مشتمل
 على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع والمعاني اللطيفة والفوائد الغزيرة ،
 والحكم الكثيرة ، والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة ، على هذا الطول وعلى
 هذا القدر . وإنما تنسب إلى حكميمهم كلمات معدودة ، وألفاظ قليلة ، وإلى شاعرهم
 قصائد محصورة يقع فيها أحيانا الاختلال والاختلاف والتعمل والتكلف ،
 والتجوز والتعسف . وقد جاء القرآن ، على كثرتة وطوله ، متناسبا في الفصاحة
 على ما وصفه الله تعالى به فقال : « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها متانى
 تشدهر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » .
 « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً .

ذلك إلى أن عجيب نظمه ، وبديع تأليفه ، لا يتفاوت ولا يتباين ، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف إليها من ذكر قصص ومواظ ، واحتجاج وحكم وأحكام ، وإعذار وإنذار ، ووعد ووعيد ، وتبشير وتخويف ، وأوصاف وتعليم أخلاق كريمة وشيم رفيعة وسير مأثورة ، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها ؛ ونجد كلام البليغ الكامل والشاعر المفلح والخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور ؛ فن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو ، ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح ، ومنهم من يسبق في التقريظ ؛ دون التأيين ومنهم من يجود في التأيين دون التقريظ ومنهم من يغرب في وصف الإبل أو الخيل أو سير الليل ؛ أو وصف الحرب ؛ أو وصف الروض ؛ أو وصف الخمر ، أو الغزل ؛ أو غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتداوله الكلام . ولذلك ضرب المثل بامرئ القيس إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ؛ وزهير إذا رغب ؛ وهم لا خلاف في تقدمهم في صناعة الشعر ؛ ولا شك في تبريرهم في مذهب النظم .

ومنى تأملت شعر الشعراء البليغ رأيت التفاوت في شعره على حسب الأحوال التي يتصرف فيها ، فيأتى بالغاية في البراعة في معنى ، فإذا جاء إلى غيره قصر عنه ووقف دونه ، وبان الاختلاف في شعره ، ثم نجد في الناس من يجود في الكلام المرسل ، فإذا أتى بالموزون قصر ونقص نقصانا عجيبا ؛ ومنهم من يوجد بضد ذلك . وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي ذكرناها على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والرصف ، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا ، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا . وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة فرأينا الإعجاز في جميعها على حد واحد لا يختلف

وهناك شيء آخر وهو ورود تلك المعاني التي يتضمنها في أصل الشريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين ، والرد على الملحدين ، بهذه الأساليب البديعة ، وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة ؛ مما يتعذر على البشر ، وقد علم أن تخير الإلفاظ للمعاني المتداولة المألوفة ، والأسباب الدائرة بين الناس ، أسهل

وأقرب من تخيير الألفاظ اللسان مبهترة ، وأسباب مؤسسة مستحدثة ، وبراعة اللفظ في المعنى البارع أعجب من براعته في المعنى المتداول المتكرر .

وللقرآن مزية أخرى غير ما تقدم ، وهي أنه من المقرر المعروف أن الكلام يبين فضله ورجحان فصاحته بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام ، أو تقذف ما بين شعر ، فتأخذ الأسماع ، وتتشوف إليه النفوس ، ويرى وجه رونقه بأديا غامرا سائر ما يقرن به ، كالدرة التي ترى في سلك من خرز ، وكالباقوتة وسط العقد ، وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كشير فاذا هي غرة جميعه ، وواسطة عقده ، والمنادى على نفسه بتميزه ، وتخصه برونقه وجماله وبعد فانك تجد في كتاب الله الحكمة وفصل الخطاب مجلوة عليك في منظر بهيج ومعرض رشيق ، ونظم أنيق غير متعاص على الأسماع ، ولا ملو على الأفهام . ولا مستبكره في اللفظ ؛ يمر كما يمر السهم ، ويضئ كما يضئ الفجر ؛ ويزخر كما يزخر البحر ؛ طموح العباب ؛ جموح على الطارق المنتاب ؛ كالروح في البدن ، والنور المسبطر في الأفق ؛ والغيث الشامل ؛ والضياء الباهر . ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

جمع القرآن

١ - كان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن - ابتداء أو بأمر الرسول صلوات الله عليه - على ما يتفق لهم من العصب والألواح والرقاع واللخاف (١) وقطع الأديم وعظام الأكتاف والأضلاع وكل ما صلح للكتابة كان كل يكتب ما تيسر له كتابته ، وكان منهم بعض قليل كتبوا القرآن كله والإجماع على : على بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وعبدالله بن مسعود وزيد بن

(١) العصب : جمع عسيب وهو جريد النخل وكانوا يكتبون الخوص عنه ويكتبون في الطرف العريض . واللخاف جمع لخرة بفتح فسكون وهي صفائح الحجارة .

ثابت (١) ؛ وقيل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم عرض زيد القرآن عرضه على رسول الله صلوات الله عليه ، ففي عمده صلوات الله عليه كان القرآن مرتب السور والآيات ولكنه غير مجموع في كتاب واحد

وكان يحفظ القرآن كله أو بعضه كثير من الصحابة في عمده عليه الصلاة والسلام وتوفي الرسول صلى الله عليه والقرآن محفوظ في صدر الصحابة. وفي الرقاع التي كانوا يكتبون آياته وسوره فيها .

٢ - وتقلد أبو بكر خلافة المسلمين ونهض بعبء الدعوة النبوية وأخذ يحارب أهل الردة في مغازك كثيرة كان منها غزوة أهل اليمامة التي مات فيها كثير من الصحابة والقراء رضوان الله عليهم ، ويقال إن عدد من قتل فيها سبعون قارئاً من الصحابة ، وخيف أن يسكثر موتهم في الغزوات والحروب .

ففرغ أبو بكر وعمر عليهما رحمة الله من ذلك ، ورأى عمر جمع القرآن من صدور الصحابة ومن الألواح والعصب والأكتاف ، ويروى أنه دخل على أبي بكر فقال له : يا خليفة رسول الله إن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم باليمامة يتهافتون تهافت الفراش في النار وإني أخشى أن لا يشهدوا موطننا إلا فعلوا ذلك حتى يقتلوا وهم حملة القرآن فيضيع القرآن وينسى ، فلو جمعته وكتبته (٢)

ف فكر أبو بكر في الأمر واستشار فيه الصحابة وكان يفرح من أن يضع شيئاً لم يأمر به الرسول الاعظم صلوات الله عليه ؛ ولذلك قال أبو بكر لعمر : أفعلم ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم !!

وأرسل أبو بكر إلى زيد بن يزيد يستشيريه في الأمر ففكره ذلك فقال عمر

(١) يروى أن زيد بن ثابت تعلم الفارسية من رسول كسرى والرومية من حاجب النبي والحبشية من خادم النبي والقبطية من خادمه أيضاً [ص ٦٣٣٠٣٠ المقد] وكان كتاب الوحي حول رسول الله نحو الأربعين منهم جملة الصحابة رضوان الله عليهم .

(٢) راجع في ذلك الأتقان ١/٩٨ وما بعدها .

لهما : وما عليكما لو فعلنا ذلك حتى ألهمهما الله به فأمر أبو بكر زيد بن ثابت
بجمع القرآن كله من الرقاع وصدور الرجال ونسخه في قطع الأديم والاكتاف
والعسب وسمى أبو بكر هذه الألواح المكتوبة التي جمع فيها جميع القرآن
الكريم مصحفا وحفظت هذه الصحف عند أبي بكر حتى توفي ثم عند عمر
طول حياته ثم حفصة بنت عمر صدرا من ولاية عثمان .

وهذا الجمع الأول ؛ وقد حدث في عهد أبي بكر علي يد زيد بن ثابت (١)
وبإشراف الخليفة وعمر وكبار الصحابة وكان الغرض منه جمع نص القرآن
الكريم في مجموعة واحدة حتى لا يضيع شيء منه بموت الصحابة والقراء في
الغزوات والحروب .

وفي عهد عثمان تفرق الصحابة والقراء في الأمصار فكان ابن مسعود في
الكوفة وأبو موسى الأشعري في البصرة والمقداد بن الأسود في دمشق وأخذ
عنهم أهل تلك البلاد وجوه القراء والترتيل ؛ مما أدى إلى تعدد القراءات
واختلاف المسلمين في قراءة القرآن اختلافا كثيرا حتى كان الواحد منهم يقول
للآخر ؛ قرأتني خير من قرأتك والآخر يقول ؛ بل قرأتني ؛ واستمر الأمر
على ذلك إلى أن شهد حذيفة بن اليمان وهو صحابي جليل غزوة أذربيجان
وغزوة إرمينية وشاهد هذا الاختلاف الكثير فلما عاد أئذ عثمان بعاقبة
هذا الاختلاف الوبيل وحذره من سوء المصير إذا استمر هذا الاختلاف :

فأرسل عثمان إلى حفصة يستأذنها في أخذ الصحف التي جمع فيها أبو بكر
القرآن فأذنت له ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث
ابن هشام وسعيد بن العاص بأن ينسخوها في المصاحف ، وأمرهم بأن يرجعوا فيما
اختلفوا فيه إلى زيد بن ثابت ، وما اختلفوا فيه جميعا أن يكتبوه بلسان قريش
فإن القرآن نزل بلسانهم ؛ فكتبوا مصحفا عرضوه على صحف حفصة فلم يختلف
في شيء فرد عثمان صحف حفصة إليها ، وفرح بما عمل فرحا شديدا ، وأمر الناس

(١) وكان يعاونه بعض كتاب الوحي وفيهم سالم مولي أبي حذيفة كما يروي

أن يكتبوا مصاحف ثم لما ماتت حفصة أرسل إلى عبد الله بن عمرو فأخذ منه
المصحف فغسلت غسلًا

وكانت عدد المصاحف التي كتبها عثمان خمسة وقيل ستة وقيل سبعة ، وبعث
عثمان إلى كل قطر مصحفًا ، فأرسل منها إلى السكوفة والبصرة ومكة والشام واليمن
والبحرين وأبقي واحدا بالمدينة وهو مصحفه الذي سمي « الإمام » ،

ويسمى عمل عثمان ذلك « جمعا ثانيا » للقرآن ، وقد قام به أربعة من جملة
حفظه الذكر الحكيم وكتابه ، وكان الغرض من هذا الجمع القضاء على اختلاف
المسلمين في قراءات القرآن ولهجاته حتى لا يتطرق إلى المصحف تصحيف أو تغيير
وصدق الله العظيم حيث يقول : « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون » ،

فجمع أبي بكر لما كان كما يقول السيوطي في الاتفاق : « خشية أن يذهب
من القرآن شيء بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد فجمعه في صحائف
مرتباً آيات سورة على ما وقفهم عليه رسول الله وجمع عثمان لما كثرت
الاختلاف في وجوه القراءات حين قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك
إلى تحطئه بعض فخشى من تقادم الأمر في ذلك فنسخ تلك المصحف في مصحف
واحد مرتباً سورة واقترن من سائر اللغات على لغة قریش محتجاً بأنه نزل
بلغتهم (١) » والله أعلم .

(١) والخلاصة أن القرآن :

- ١ - كان سورة مرتبة الآيات في عهد رسول الله صلى الله عليه
- ٢ - أما ترتيب سورة فلم يكن في عهد رسول الله بدليل أن مصحف
عثمان يخالف الترتيب المعروف اليوم لسور القرآن ، وما الخلاف بين مصحف
ابن مسعود ومصحف أبي بن كعب ومصحف عثمان إلا خلاف في ترتيب
سور القرآن
- ٣ - كان الجمع الأول للقرآن في عهد أبي بكر عام ١١ هـ ، وكان الجمع الثاني
في عهد عثمان عام ٢٥ هـ .
- ٤ - كان تقسيم المصحف ثلاثين جزءاً زمن الحجاج

رواية القرآن أو قراءاته .

١ - عن النجاشي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (ص) قال : « أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف » (١) .

المراد من الأحرف السبعة المذكورة غير القراءات السبع .

٢ - والمراد من الأحرف السبعة ورود بعض آياته على وجوه كثيرة :

ففي القاموس : « نزل القرآن على سبعة أحرف : سبعة لغات من لغات العرب وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه وإن جاء على سبعة أو عشرة أو أكثر ، وفي اللسان « أراد بالحرف اللغة ، وهذه اللغات متفرقة في القرآن فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة أهل اليمن وبعضه بلغة هوازن أو هذيل ، والأرجح أن الأحرف في اللغات والقراءات هي اللهجات وقد سعى من اللغات ست وبقيت لغة قريش وهو الحرف الذي اختلفت القراءة فيه .

ومثال ذلك الاختلاف مارواه الفناري في حواشيه على « المواقف ، عن

الامام ابن قتيبة الهمداني :

١ - ما يتغير فيه المعنى بسبب الزيادة : « وأنذر عشيرتكم الأقربين ، ورهطك

منهم المخلصين ، فهذه الجملة الأخيرة لم توجد في القراءات المذكورة ، ولكنها نقلت في حديث ابن عباس ، ولا يخفى أن لها معنى زائدا على قوله تعالى : « وأنذر عشيرتكم الأقربين ، .

ومثال ما لا يتغير فيه المعنى قوله تعالى : « وما عملته أيديهم ، وفي قراءة « وما

عملت أيديهم ، والمعنى واحد فيهما ، لأن حذف الضمير العائد إلى الموصوف جازم ، فهو كأنه مذكور . فهذان وجهان من الأوجه السبعة : ما لا يتغير فيه المعنى وما يتغير بسبب زيادة أو نقص .

(١) وورد أيضا « نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف ،

٢ . وقد يكون تغير المعنى بسبب تغير نفس الكلمة بدون زيادة عليها أو نقص ، وتحت هذا ثلاث صور :

١ - إحداها : أن تتغير الكلمتان بتغير الشكل مع بقاء مادة الكلمة على حالها مثل « الذين يدخلون ويأمرون الناس بالبخل » و « البخل » بفتح الباء والخاء في الكلمة الثانية ، فإن احرف البخل والبخل واحد ، ومعناها واحد ، ولم يتغير سوى الشكل .

ب - ثانيها : أن تتغير الكلمتان بتغير مادتهما مع اتحاد معناهما كما « لصوف المنفوش » في موضع « العن المنفوش فان لفظهما مختلف ومعناها واحد . وقد قرأ كالصوف المنفوش ابن مسعود وسعيد بن جبير . ومن ذلك ما إذا تغيرت الكلمتان بتغير حرف واحد منهما « كقوله تعالى : « ثم ننشرها لحما » في قراءة . وفي أخرى « ثم ننشرها » بالزاي . وكذلك قوله : « حتى حين » وفي قراءة « حتى حين » في لغة هذيل .

ج - ثالثها : أن تتغير الكلمتان في الشكل والمعنى مع اتحاد مادتهما ، كقوله تعالى : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها ، بضم الهمزة ، بمعنى أكتنمها ، وأخفيها بفتح الهزة بمعنى أظهرها . ومن ذلك تغير الفعل من أمر إلى ماض مع اختلاف المعنى ، كقوله تعالى : « فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا » و « بعد بين أسفارنا » في قراءة ، فالاول فعل أمر ، والثاني فعل ماضى ، ومعناه على الاول ظاهر . فقد كان بينهم وبين الشام قرى ظاهرة مفارقة فطلبوا بعدها لتكون تجارتهم عزيزة غالية الثمن . أما قراءة بعد ففيها إخبار منهم بغير الواقع جحوداً لنعمة الله . فهذه ثلاثة أوجه تضم إلى الوجهتين السابقتين ، فيكون المجموع خمسة ، ووجهان آخران :

٣ - وذلك بأن يكون التغير راجعاً إلى أمر عارض للفظ ، وتحت هذا صورتان :

١ - الصورة الاولى . أن يكون بسبب التقديم والتأخير ، كقوله تعالى . « وجاءت سكرة الحق بالموت ، بدل « وجاءت سكرة الموت بالحق » .

ثانيتها . أن يكون بسبب الاعراب ، كقوله تعالى : « إن ترن أنا أقل منك ،
وفي رواية « أنا أقل » بالضم ، وقوله تعالى : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، وفي
قراءة « ولا يضار كاتب ولا شهيد » بفتح الراء وضمها .

فبان أن التغيير إما أن يكون راجعا الى زيادة كلمة أو نقص كلمة ، وإما
أن يكون راجعا الى نفس الكلمة في الشكل ، أو في إبدالها بمرادفها ، أو إبدال
فعل ماض بمضارع ؛ وإما أن يكون راجعا الى وصف الكلمة من تقديم
وتأخير وإعراب .

وسبب نزول القرآن على هذه الأوجه السبعة : أن العربي مجبول على لغته ،
فلو كلف بالقراءة على وجه واحد فانه يعسر عليه التحول ، وقد جاء النبي صلى الله
عليه وسلم للناس بشريعة سمحة ليس فيها على الناس من حرج ، قال تعالى : « وما جعل
عليكم في الدين من حرج » ، فلو نزل القرآن على حرف واحد لعسر على باقي
القبائل التحول عن لغتهم الى القراءة به . وليس المزايد أن كل كلمة من القرآن تقرأ
على هذه الأوجه ، بل المراد أن بعض القرآن نزل بلغة قریش وهو معظمه ، وبعضه
بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوزان ، وبعضه بلغة اليمن الخ . فن سماجة الدين أن
يسر الله حفظ القرآن وتلاوته على العرب في أول أمرهم ، فأنزله على الأوجه التي
ينطقون بها ، ولم يكلفهم التحول عن لغتهم لما يعمله في طباعهم من الخيبة والتعصب
للغاتهم . فلو كلفهم من أول الأمر النطق بلغة غير لغتهم لنفروا من تلاوة القرآن
وشق عليهم حفظه ، وذلك كان شأن التشريع الاسلامي في جميع أطواره ، فانه مبني
على مصالح الناس الصحيحة التي يترتب عليها سعادتهم في الدنيا والآخرة ، ودفع
المضار التي تؤذيهم أديبا وماديا .

ومما ينبغي الالتفات اليه في هذا المقام أن القرآن الكريم قد أنزله الله تعالى
على هذه الأوجه التي ينطق بها العرب يومئذ بدون أن يتغير شيء من معناه
الحكيم ، أو ينقص شيء من بلاغته وفصاحته التي تحدى بها جميع معارضيه من
فحول البلاغة وأساطين البيان ، بل كان اختلافه في التعبير آية أخرى من آيات
إعجازة ، إذ لو نزل على وجه واحد ولغة واحدة لسهل على الآخرين أن يحتجوا

على مجزوم عن معارضته بنزوله على غير لغتهم ، فقطع الله على جميع العرب هذه الحجة المحتملة من أول الأمر . وأما ما روى عن عمر من أنه أنكر على ابن مسعود قراءته وحتى ، : دعني ، بلغة هذيل وقال له : إن القرآن نزل بلغة قريش ، فقد اجابوا عنه بأن عمر قد راعى في ذلك نزوله في أول الأمر قبل أن يطلب النبي صلى الله عليه وسلم من ربه التخفيف عن الناس

وقد يكون عمر طلب من ابن مسعود أن يقرأ بلغة قريش ، لأن معظم القرآن قد نزل بلغة قريش ، وقد طال عهد الناس يومئذ بالاسلام ، فمن الحسن أن يهد عمر لحلمهم على قراءة القرآن بلغة واحدة ، ويمرنهم على ذلك ، دفعا لما عساه أن يحدث من الاختلاف في كتاب الله تعالى . وأما قوله : فانه نزل بلغة قريش ؛ فانه يريد أن معظمه نزل بلغتهم . والحديث الذي معنا يدل على ذلك دلالة واضحة ، فان القرآن نزل أولا على وجه واحد ، فطلب النبي صلى الله عليه وسلم من ربه أن يزداد على ذلك الوجه ، ولم يزل يزداد له حتى انتهى الى هذه السبعة . وفي رواية مسلم أنه عليه الصلاة والسلام قال : إن أمتي لا تطيق ذلك . ومعنى هذا أنه لو نزل بلغة قريش خاصة لانصرف الآخرون عن تلاوته والنظر فيه . وهم حديثون عهد بالاسلام ، لم تذهب من صدورهم نزعة الجاهلية الأولى ، ولم يفارقهم التعصب الشديد للغتهم ؛ فعفا الله عنهم واستجاب لنيه دعاهم في شأنهم . وأنزل عليه القرآن على حسب لغاتهم ولغات قبائلهم المشهورة .

وليس الغرض أن كل كلمة قد اجتمعت فيها اللغات السبع ، بل اللغات السبع مفرقة فيه كما ستعرفه . على أن معظمه نزل بلغة قريش كما ذكرنا آنفا . ولا يرد أن لغات العرب أكثر من سبعة . لأن المراد أشهرها وأفضحها ،

أما علاقة هذه الأحرف السبعة بالقراءات السبع المعروفة . فهي أن القراءات السبع وغيرها بعض هذه الأحرف المذكورة في الحديث . بمعنى أن ما نقله أئمة القراء متواترا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بعض الأحرف التي نزل بها القرآن . لما بيناه من أن الأحرف السبعة المذكورة في الحديث تشمل لغة معظم القبائل العربية . فالقراءات السبع المتواترة وغيرها لا تخرج عن لغات

العرب الفصيحية - حسنا ، ولذا كان من المتعذر نقل مفردات الأحرف السبعة المذكورة في الحديث كلها بطريق التواتر .
على أن عناية المسلمين الشديدة بكتاب الله تعالى . وحرصهم على تدوين كل ما يتعلق به ، حمل بعض جهابذة العلماء على جمع الروايات المختلفة ، سواء كانت متواترة أو غير متواترة ، في كتاب ضخم .

وبما لاختفاء فيه أن التواتر لم يتقف عند القراءات السبع المعروفة ، بل قد تواتر غيرها أيضا . وقد وضع بعض المحققين ضابطا للقراءات المقبولة ، سواء كانت من السبع أو من غيرها وهو : « كل ما صح سنده واستقام وجهه في العربية ووافق لفظه خط المصحف الامام ، فهو من القراءات المقبولة ، سواء كانت سبعة أو أكثر من ذلك . »

والحاصل : أن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب ، وهي مختلفة في كثير من نواحي التكلم ، فاقتضت الحكمة أن ينزل القرآن على نبيه مشتملا على كل لغات العرب المشهورة ، كي لا تقوم لهم حجة على عجزهم عن محادثته والإتيان بمثله ، وكان المسلمون يومئذ قد غلبت عليهم الأمية ، فكانوا يحرصون على حفظ كل ما ينقلونه عن رسول الله صلى الله عليه ، فنقلوا إلينا ما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواترا على الضبط المتواتر من القراءات .

وقد يقال ؛ هل الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم كتبت في زمن النبي ؟ فنقول إن القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب الوقائع والأحوال فلم يكن نزوله مرتبا على الحالة التي هو عليها الآن ومن البدهي أن ترتيبه على هذه الحالة بأمر الله عز وجل كما استعرفه ، فكانت تنزل الآية أو الآيات فيأمر النبي كتبه الوحي الذين كانوا يعرفون الكتابة يومئذ فيكتبون ما يوحى إليه بنصه وشكله ، ويبلغه للناس فيحفظه القراء المشهورون بالحفظ كما أنزل بحسب لغاتهم المختلفة ، وهكذا ، حتى تم نزوله وترتيبه ، فعرض النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كما هو على جبريل ، وبلغه للحفاظ مرتبا لحفظوه على حالته التي تواتر بها إلينا .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يباشر تحفيظ كبار الصحابة بنفسه زيادة على تعليم كسبة الوحي الذين كانوا على جانب عظيم من الذكاء والفطنة والأمانة. ومن الذين علمهم الرسول مباشرة عبد الله بن مسعود ، فقد روى عنه البخارى أنه قال : « والله لقد أخذت من في رسول الله بضعا وسبعين سورة ، وفي رواية لابن أبي داود أن ابن مسعود قال : « أخذت من في رسول الله سبعين سورة ، وإن زيد بن ثابت لصبي من الصبيان » . فهذا صريح في أن ابن مسعود تلقى هذه السور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عبد الله بن عمر : كانت تنزل السورة فتحفظها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتعلم حلالها وحرامها الخ . فهذا صريح في أنهم كانوا يحفظونه سورا كاملة مرتبة على هذه الحالة التي تواترت إلينا .

وبما هو واضح أن العرب يومئذ كانت لهم مقدرة شديدة على الحفظ ، حتى كان بعضهم يحفظ كل ما يسمعه من أول مرة . وقد سمع ابن عباس قصيدة عمر بن أبي ربيعة وهي تبلغ سبعين بيتا تقريبا مرة واحدة لحفظها حفظا جيدا وقرأها . فلم يعقبهم الحفظ متفرقا عن الحفظ جملة واحدة كما قد يتوهم

وبالجملة : إن الحفاظ الذين كانوا يتلقون القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا على جانب عظيم من الضبط والذكاء والفطنة ، ومنهم أبو بكر وعمر وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب وغيرهم من خول الأذكى وأساطين الحفاظ ، فهؤلاء هم الذين حفظوا القرآن مرتبا على ما هو عليه بعد أن تم نزوله ، ونقله عنهم غيرهم من القبائل ، بحيث نقلت كل قبيلة ما يوافق لغتها التي نزل بها .

ومن هنا تعلم أنه لم تكن هناك حاجة إلى كتابة القرآن مرتبا ، لأن الحفظ كان كافيا ، ولكنه كتب متفرقا ، وكانت الكتابة يومئذ على الجلود والأحجار اللساء ونحو ذلك ، فلما توفي الرسول صلوات الله عليه قتل كثير من القراء ، فتنبه عمر لذلك وقال لأبي بكر : أخشى أن يذهب القرآن بموت القراء فمن الصواب أن نجمع الآيات المتفرقة التي كتبت في عهد الرسول مرتبة طبقا للحفظ لنا ، فوافق أبو بكر بعد تردد لأنه كان يحب الوقوف عند الحد الذي

تركهم عليه الرسول ، لجمعت آيات القرآن المتفرقة ورتبت وفقا للبحفوظ بدون تغيير في الرسم الذي كانت عليه ، لأنها كانت مشتملة على كثير من لغات العرب التي نزل بها القرآن ، فكل ما فعله أبو بكر رضى الله عنه أنه جعل كل آية بجوار صاحبها حتى كملت كل سورة على حدة ، ولكنه لم يرتب السور ، ولم يحدف شيئاً من اللغات المدونة فيه .

فلما شاع القرآن بين العرب وانتشر الاسلام في الامصار والاصقاع ، وقرأت كل قبيلة بلغتها ، دب الخلف بين الناس ، وأخذ بعضهم يكفر صاحبه ويقول له : أنت تقرأ القرآن على غير ما أنزل ، لأن كل واحد كان يجمل ما نزل به القرآن من لغة الآخر فاستشار عثمان كبار الصحابة في أن يجمع الناس على قراءة واحدة كي لا تحدث بين المسلمين فرقة ، فوافقوه على رأيه . فجمع القراء المشهورين ، ومنهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الله بن عباس وغيرهم ، فكتبوا له المصحف باللغة قریش ، لأن معظم القرآن نزل بها ، وأقرهم على فعلهم سائر الصحابة يومئذ ، فبعث به الى الجهات المتفرقة ، وأمر بحرق ما عداه .
فعمل عثمان رضى الله عنه كان مشتملا على أمرين لم يعملهما أبو بكر .

أحدهما : أنه جعل الكتابة مقصورة على لغة واحدة بعد أن كانت بلغات متفرقة .

ثانيهما : أنه رتب سورة القرآن فجعل كل سورة عقب الأخرى على حسب الترتيب الذي تلقاه الحفاظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العالمين ، وقد أحسن عثمان رضى الله عنه ومن وافقه من أئمة الدين بذلك العمل الجليل كل الاحسان ؛ فقد سد على الذين في قلوبهم مرض باب الاختلاق على كتاب الله المبين ، وحسم مادة التفرقة في أصل الدين ومنبعه المعين . وذلك بتوفيق الله الذي قال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . فقد صدق وعده الذي وعد به ، فألهم عثمان وباقى أصحاب رسول الله الاعلام وسيلة حفظه ، ولولا ذلك لكان اختلاف لهجات

العرب الكثرية المتشعبة من أكبر العوائل التي أتاحت لأعداء الدين الفرص
لتحريف ذلك الكتاب الكريم وتبديل عباراته كما بدل غيره من الكتب .

وقصارى القول أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن كانت مفرقة فيه ،
فبعضه نزل بلغة قريش ، وهو معظمه ، وما نزل بهذه اللغة كتب بها أيضا ،
وبعضه نزل بلغة هذيل ، وبعضه نزل بلغة اليمن فكتب بلغتهما ، وهكذا . ولا يخفى
أن القبائل التي نزل بعضه بلغتها يجوز لها أن تقرأ جميعه بهذه اللغة لأن في نزول
بعضه بلغتها ترخيصا لها في قراءته جميعه بهذه اللغة . فالذي حصل في زمن أبي بكر
رضي الله عنه هو أنه جمع الآيات المتفرقة سورا لجعل كل آية بجوار صاحبها طبقا
للحفوظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدون زيادة ولا نقص ، لجعل كل
سورة على حدة ولم يرتبه اكتفاء بترتيبه في صدور الحفاظ ، على أنه لم يغير شيئا
من المكتوب بل أبقاه على حاله ، وأما عثمان رضي الله عنه فقد كتب مصحفا
بلغة قريش خاصة ورتبه طبق المحفوظ

وإن هذا تعلم أن الأحرف السبعة كان بعض القرآن مكتوبا بها في عهد النبي
صلى الله عليه وسلم ، كما أنها كانت محفوظة يتداولها الحفاظ في القبائل ، وأنها لم
يوجد منها شيء في مصحف عثمان ، لأنه كان مقصورا على لغة قريش .

أما السبب في اختلاف القراءات السبع بعد أن جمع عثمان الناس على قراءة
واحدة ؟ فقد أجاب عنه بعضهم بأن القرآن قد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم
بلغات العرب على الوجه الذي تقدم ونقله القراء من الصحابة إلى الجهات المختلفة
على هذه الحالة ، فتواتر نقله بلغات متعددة ، فلما كتب المصحف العثماني وبعث به
إلى تلك الجهات التي كان بها بعض القراء من الصحابة ، عملوا بما يمكنهم العمل به
من ذلك المصحف . فكل ما تلقوه متواترا عن الصحابة مما لا تدل عليه كتابة المصحف
ثبتوا عليه وتركوا ما يخالف المصحف . وإليك نص عبارة الحفاظ ابن حجر في
ذلك : إن السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها أن الجهات التي وجهت إليها

المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة . وكان من المصاحف غالية من النقط والشكل ، قال : فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعا من الصحابة بشرط موافقة الخط . وتركوا ما يخالف الخط امثالاً لأمر عثمان الذي وافقه عليه الصحابة لما رأوا في ذلك من الاحتياط للقرآن ، فنشأ الاختلاف بين قراء الأمصار

وقد يكون عثمان رضي الله عنه لم يحرم قراءة القرآن باللغات التي تواترت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا لما عساه أن يترتب على ذلك من فرقة بين المسلمين ، فكتب مصحفه ليكون مرجعاً إليه الناس عند الاختلاف ، فإذا قرأت قبيلة بلغتها المتواترة وأنكرت عابها الأخرى أمكنهم الرجوع إلى الأصل . وظاهر أن غرض عثمان ومن وافقه حفظ أصل القرآن وصور عباراته من التبديل والتحريف ، وذلك يحصل حتماً بالاجتماع على التمسك بنص ما كتب في مصحفه ، أما غيره من المد والتسهيل والادغام والظهار ونحو ذلك مما لا يترتب عليه تغيير في نص القرآن فذلك مما لا ضرر فيه البتة ، وإلى ذلك يشير قوله صلى الله عليه وسلم لعمر : ، يا عمر : القرآن كله صواب ما لم يجعل رحمة عذاباً أو عذاباً رحمة .

وأخيراً نسوق إليك هذا الحديث الشريف ، وهو : روى أن عمر سمع هشام ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان فإذا هو على حروف لم يتلقها عمر من رسول الله قال . فسكنت أساوره في الصلاة وتصبرت حتى سلم فلبثته بردائه ، وانطلقت به أقوده إلى رسول الله ، فسمع مني وسمع منه وقال لكل ما . كذلك أنزلت : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منه .

٣ - وبعد فقبائل العرب التي نزل القرآن بلجاتها هي .

قريش - سعد - ثقيف - خزاعة - هذيل - كنانة - أسد - ضبة - قيس وأحلافها . ثم ارتفعت هذه اللغات وبقيت لغة قريش وأصبح القرآن يقرأ بلغة قريش .

والقراء السبعة الذين روى القراءات السبع هم .

نافع بن أبي نعيم م ١٦٩ هـ

عبد الله بن كثير م ١٢٠ هـ

أبو عمرو بن العلاء م ١٥٤ هـ .

عبد الله بن عاصم اليحصبي م ١١٨ هـ

عاصم بن بهدلة الاسدي م ١٢٨ هـ

حمزة بن حبيب الزيات م ١٥٦ هـ

علي بن حمزة الكسائي م ١٨٩ هـ

وهناك سبع روايات تم عليها الاجماع ، وثلاث قوية السند ولم تصل إلى الاجماع وأربع أخرى بين القوة والضعف لجملة ذلك كله أربع عشرة قراءة .

القرآن وأثره في اللغة والادب

القرآن كتاب العربية وناموس شريعة محمد صلوات الله .
تعبد به المسلمون منذ بدأ الاسلام حتى اليوم وحفظوه ورددوه وقرأوه بلغات
قريش التي نزل بها .

وكان له أثر عظيم في اللغة العربية وآدابها مما يمكن تصويره فيما يلي :

١ - أثره في اللغة :

١ - وحدة اللغة واللهجات العربية في لغة قريش وهي أفصح لهجات العرب
لفظا وأبلغها أسلوبا وأعذبها نظما ، وكان ذلك من أسباب وحدة المسلمين
كافة إذ اتخذوا هذه اللغة القرشية لغتهم فزادتهم وحدة في اللغة فوق وحدتهم في الدين

٢ - حفظ القرآن الكريم العربية من العفاء والانقراض كما انقرضت من
قبل لغات كثيرة أصبحت في عداد اللغات الاثرية .

فأصبحت العربية لغة القرآن الذي كفل الله بقاءه إلى يوم الدين .

٣ - القرآن أول عامل في ذبوع اللغة العربية وانتشارها في شتى البلاد

والأصقاع ، وأصبحت هي لغة الدين والسياسة والأدب والثقافة والقراءة والكتابة في شتى بلاد العالم الإسلامى الواسعة ، وكثير من البلاد التى فتحتها المسلمون هجر أهلها لغتهم الأصلية وتعلوا العربية واتخذوها لهم لسانا ليفهموا بها القرآن قانون الدين الخالد ، ولتفاهموا بها مع الحاكمين ومن يعاشرونهم ويخالطونهم من العرب .

٤ - رفع القرآن من شأن النثر بعد أن كان المقام الأول للشعر وحده من بين سائر فنون الأدب

٥ . وقد ساعد القرآن على تهذيب ألفاظ اللغة وأساليبها فهجر المسلمون الكثير من الحوشى والغريب والمتنافر واختاروا العذوبة والسلاسة والسهولة والرقة في اللفظ والنظم

٦ - وسع القرآن الكريم نطاق اللغة باستحداث الألفاظ الإسلامية التى نقلت من معانيها إلى معان جديدة أتى بها القرآن الكريم كلفظ المؤمن والمنافق والإسلام والصلاة والصوم الخ

٧ . والقرآن هو الذى دفع المسلمين إلى العناية بشتى العلوم الدينية والعربية ووضعها بما كانت هي أساس صرح المدنية الإسلامية الباهرة

أثره في الأدب العربى

وللقرآن أثر كبير في الأدب العربى :

١ - فقد تأثر به المسلمون في بلاغته وفصاحته وعذوبته ، فلانت أساليبهم وعذبت ألفاظهم ورقت طباعهم ، واقتبسوا منه في شعرهم ونثرهم ، والحق أنه هو الذى خرج أعلام البلاغة وفنن البيان والأدب من قديم

٢ - أحيا القرآن الكريم فنونا أدبية جديدة ، كالفصص وأدب الزهد وأدب التاريخ وأبطل سجع السكمان والهجاء السكاذب والفنخ بغير العمل الصالح والخلق الكريم إلى غير ذلك من شتى الفنون الأدبية المرذولة .

٣ - بتأثير القرآن عكف الأدباء والرواة على جمع اللغة وآدابها وأشعارها وحواسنها وبلاغتها وأمثالها ووصاياتها وخطبتها بما كان مادة الثقافة الأدبية العربية على مر الأيام

٤ - وبسببه وضعت علوم النقد والبلاغة لمعرفة وجه إعجاز الذكر الحكيم وكيف تحدى الله به العرب والناس كافة فملكهم الأعياء والمعجز والقصور ولا غرو فالقرآن الكريم أول كتاب كتب باللغة العربية وهو مصدر آداب العرب جميعها

ولقد عنى به الأوروبيون عناية كبيرة ، فطبع أول طبعة في أوروبا في فينيسيا عام ١٥٣٠ والثانية في غنبرغ عام ١٦٢٤ ثم في بادده عام ١٦٩٨ وفي بطرسبرج ١٨٨٧ وفي قازان عام ١٨٠٣ . كما ترجم إلى اللغات الأوروبية الحية وظهرت أول ترجمة له ليلياندر باللغة اللاتينية عام ١٥٤٣ م

خصائص القرآن

١ - وخصائص القرآن البيانية وما اشتمل عليه من رائع الحكم والأمثال وبلغ المجاز ودقيق التشبيه وجيد الاستعارة والسكناية وساحر الطباق والجناس . ومحكم الإيجاز والإطناب المفيد ، كل ذلك كثير جدا . إلى حد يصعب بيان مداه إلا في مؤلفات ضخمة . وقد تناول بعض هذه الخصائص السيوطي في الاتقان والرافعي في إعجاز القرآن . وعلى ضوء السيوطي كتب ملخصا صغيرا لها الأستاذ محمود مصطفى في كتابه في الأدب الإسلامي

وسنترك نحن الحديث عن ذلك في هذا المجال

٢ أما خصائص القرآن في :

١ - أغراضه ومقاصده . فان القرآن قد جال في كل غرض . وهو في كل موضوع يطرقة في الاجتماع والسياسة والدين والتشريع والحكمة والقصص والزهد والتوجيه والأدب والتعليم والإرشاد والوعد والوعيد ، كتاب الله الحكيم المعجز الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

ب - وأما أسلوب القرآن : فقد سبق أن فصلنا الكلام فيه وراجع ما كتبه الرافعي عن أسلوب القرآن في ص ٢٤٧ وما بعدها من كتابه « إيجاز القرآن »
ج - وأما معانيه فحسبك ما أشتمل عليه من صدق وحق ووضوح وجلال ، وهي من غير معين العرب الذي ينهلون منه . لقرب تناولها ووضوح صدقها واطمئنان النفوس إليها ولما تنتظمه من الحججة الباهرة والأدلة الساطعة والأحكام الصائبة والتشبيهات الرائعة ؛ وبحق إنه معجزة البيان وآية النبوة المحمدية

د - وأما ألفاظه فحسبك جزائنها وقوتها مع السلاسة والعدوية ومع البعد عن الوحشي والغريب النافر والسوقي المبتذل والبعيد المعقد . وما فيها من سحر وجمال ورشاقة وخفة وما تنطوي عليه من أسرار الفصاحة وخصائص البيان والاعجاز
٣ - وأما بلاغة القرآن فهي حديث الدنيا ، والأمر الذي سلمته به فحول البلغاء وأساطين البيان على مر الأحقاب

أرأيت العرب وهم أفصح الفصحاء ومصانع الخطباء كيف تحدثهم القرآن الكريم على أن يأتوا بمثله ثم بعشر سور منه ثم بسور ولو من أقصر سورهم ثم بآيتين أو آيات في مثل بلاغته فمجزوا وقالوا شعر أو سحر أو كهانة أو أساطير الأولين.

كلا وربني إن هو إلا الضوء السافر ، والهدى الباهر ، والوحي الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

ثم أرأيت ما يقول الوليد بن المغيرة في القرآن وقد تردد على محمد خفية وخيفة وسمع منه : والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيدته ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي تقول شيئاً من هذا والله إن لقوله الذي يقول حلالة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وأنه ليعلو ولا يعلى عليه

ثم اسمعت حديث أسلام عمر بعد أن سمع أخته وزوجها وهما يقرآن طه ، وحديث هذا الاعرابي الذي سمع قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر فسجد » ، وقال : سجدت لفصاحته

لا وربك إنه السحر المبين ، والاعجاز البالغ والبلاغة النادرة ، وما هو بقول
البشر إن هو إلا وحى يوحى ، وكتاب نزل من السماء إلى الارض نورا وهدى
وخيرا وطمأنينة للقلوب والنفوس

إعجاز القرآن

وتحسب لنا تناول الاعجاز من شتى جوانبه ونواحيه ؛ وإنما نوجز لك القول
بإيجاز ، وتترك لذوقك ونفسك ، حتى تعرف أسرار الاعجاز ، وتقف
على خصائصه .

- (١) جعل عبد الله عفيفي وجوه الاعجاز في :
 - ١ - اشتغال القرآن على الأسلوب المنطقي والأسلوب العلمى
 - ٢ - وما يشتمل عليه من قوة روحية خارقة .
 - ٣ - وما أفاض فيه مما يجهلون من أحداث التاريخ .
- [راجع كتابه تاريخ الأدب العربى فى أصدر الاسلام وبنى أميه]
وجعل المرحوم الأستاذ محمود مصطفى وجوه الاعجاز في :
 - ١ - ما انطوى عليه القرآن من الاخبار بالمغيبات .
 - ٢ - وما نبأ به من أخبار الأمم الماضية .
 - ٣ - وما اشتمل عليه من حسن تأليف والتثام كالمختيار الفاظ وحسن
مقاطع ومطابقة هذا النظام لمقتضيات الأحوال مضموماً إلى ذلك جلال الغرض
وسمو المعاني وصفاء الحكم وانطباق المثل .
- ونفى أن يكون مرجع الاعجاز إلى ما ذهب إليه البعض من صرفه وأن الرب
كانوا قادرين على معارضة القرآن لولا أن صرفهم الله عن ذلك كما نفى أن يكون
الاعجاز لما أخبر به القرآن من قصص التاريخ الماضية أو لما اشتمل على من
معان سامية ، كعلمو حكمته ودقة تشريعه وظهور الفكرة فيه .
- وذهب الأستاذ محمد عبد الحلیم أبو زيد فى مقال له بمجلة الأزهر إلى خطأ =

ولعلك قد قرأت تحليل عبد القاهر وعلماء البلاغة للآية الكريمة : رب إنى
وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ، أو شرحهم للآية الحكيمية : وقال اركبوا
فيها باسم الله بحريها ومرسها ان ربى لغفور رحيم ، وهى تجرى بهم فى موج
كالجبال ونادى نوح ابنه كان فى معزل يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين
قال سأوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم
وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ، وقيل يا أرض ابلعى ماءك وباسماء اقلعى
وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين ،
ولعلك على ذكر من هذه الوجوه البلاغية التى يذكرونها فى الموازنة بين قوله

== من يذهب إلى أن أعجاز القرآن فى أسلوبه وبلاغته تحسب لافى مادته الفكرية
وما ينطوى عليه من مبادئ وقوانين ، لأن هناك جوانب للأعجاز تناول سائر
النشاط الانسانى . الاجتماعى منه والاقتصادى والسياسى والنفسى والعلمى إلى غير
ذلك من وجوه الرقى البشرى .

وكتب زميلنا الاستاذ أحمد الشرباصى بحثاً فى أسرار القرآن الكريم نشره
بمجلة الأزهر ، عدد منها : أنه كتاب عربى مبين — واستعماله الكلمة الحاوية
الكثير من المعانى ، والايجاز ، وأن الله تعالى لم يجعله أبواباً مستقلة وأنه يعرض
قصص الانبياء والمرسلين فى صور مختلفة .

وكتب الاستاذ الجليل « السيد القاياتى » فى مجلة الأزهر ينفى أن يكون لامية
الرسول شأن فى صدق النبوة وقيام الأعجاز وأن يكون العرب قد وقعت منهم
معارضة للقرآن .

وراجع الآراء القديمة فى إعجاز القرآن فى الاتقان ١٩٧ - ١١٢ ج ٢ ط ١٩٤١
وقد ألف كثير منهم فى الأعجاز ومن أشهرهم عبد القاهر والباقلانى ولكنهم
حاموا حول الأعجاز ولم يكتبوا فيه .

وراجع الكلام على الأعجاز فى إعجاز القرآن للرافعى ص ١٨٢ وما بعدها

تعالى « ولحكم في القصاص حياة » وقول اكثم بن صيفي : القتل أنفي للقتل .
ولملك قرأت ما كتبه الزمخشري في بلاغة كثير من الآيات القرآنية الحكيمة أو
ما كتبه في قوله تعالى : « وما قدر الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون » الى قوله تعالى : « واشرقت
الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق
وهم لا يظلمون » . أو ما دونه علماء البلاغة في بلاغة الأية الكريمة « خذ العفر
وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »

فكل ذلك لا يضيرك على أى حال في فهم أسرار بلاغة القرآن وإعجازه وهو
من جهة أخرى وسيلة لتربية ذوقك وملككتك في النقد والبيان .

ولكننا نعود بك إلى فطرتك الأدبية وحدها فنطلبها بالفهم والنقد والحكم
في قضية الإعجاز ، وأنت تعلم أن الأمة العربية أمة تحب البلاغة وتعشقها وتجيدها
ويهزها البيان الجيد والفصاحة الرائعة ، وفيها مقال البلاغة وهصاقع الخطباء
وأعلام الشعراء ، لا ترى لأحد عليها نظرا ، ولا تحسب روعة البيان وسحر الكلام
إلاها ؛ وكانت كما يقول الجاحظ . أكثر ما كانت شاعرا وخطيبا وأحكم ما كانت
لغة فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته وهو في ذلك يحتج
عليهم بالقرآن ويدعوهم صباح مساء إلى أن يعارضوه إن كان كاذبا بسورة
واحدة أو بآيات يسيرة ، فكلما ازداد تحديا لهم بها وتقريرا لعجزهم عنها تكشف
عن نقصهم ما كانوا مستورا وظهور منه ما كان خفيا ، حين لم يجدوا حيلة ولا حجة
قالوا له أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك يمكثك ما لا يمكننا ،
قال . فهاتوا مفتريات ، فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا طمع فيه
أحد يتكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجده ويحامي عليه ويكابر فيه
ويزعم أنه قد عارض وقابل وناقض ؛ فدل ذلك على عجز القوم مع كثرة كلامهم
وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجم منهم وعارض شعراء
وأصحابه وخطباء أمته ؛ والعرب لهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب
الطوال البليغة والنمصار الموجه ، ولهم الأسجاع والمزدوج واللفظ المنثور ، ثم

يتجدى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدناهم ، وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم
مفاخرة والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا إليه والحاجة تبعث على الحيلة في
الامر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة .

وبعد فأى أثر أدب أعجبك : « كقفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل ، لامرىء
القيس ، وكثرية ابن الرومي لولده :

بكاؤكا يشقى وإن كان لا يجدى لجودا فقد أودى نظيركا عندى

وكوصف البحتري لأيوان كسرى :

صنت نفسى عما يدنس نفسى وترفعت عن جدا كل جبس (١)
وكثرية المعري للفقير الخنفي :

غير مجسد فى ملنى واعتقادى نوح باك ولا ترنم شاد
وكقصيدة ابن زيدون :

أضحى التثنائى بدلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا
وكقصيدة المتنبي فى سيف الدولة :

أتوك يجزون الجديد كأنما سروا بجياد ما لهم قوائم
وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلنى هزيمة ووجهك وضاح ونفرك باسم
أو قصيدته فى كافور :

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لامر فىك تجديد
أو قصيدة أبى تمام فى المعتصم وفتح عمورية :

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب
أليس سر هذا الاعجاب هو خصائص هذا الأثر البيانية والأدبية ، وأليس
مرجهه إلى صدق الشعور وحرارة العاطفة وروعة التصوير وجمال النظم
وإحكام البيان ؟

(١) الجدا : العطاء . الجبس : الجبان التميمي

فاذا إما وقفت أمام نهج البلاغة للأمام بن أبي طالب، أو كليلة ودمنة لابن المقفع، أو أمام البؤساء ترجمة حافظ بك ابراهيم أو حيال «ماجدولين»، السنفلوطي أو مجنون ليلى لشوقي بك أو الأيام لطفه حسين، أو «على هامش السيرة»، له أو «عقرية عمر»، للعقاد. فأعجبك وراعك، وسحرك ماتجد في هذه الآثار الأدبية الكاملة من حذق وبراعة ولطف حيلة وبلاغة تصوير، أفليس مرجع ذلك كله إلى خصائص هذا الأثر الأدبية وشخصية مؤلفة الأديب أو الشاعر أو الخطيب أو الكاتب واكتمال فنه الأدبي، في أثره المعجب؛ وألست تجد من ذلك الكثير من الآثار والنصوص

فاذا ماترقى بك ذوقك في الحكم الأدبي، فقلت: إن لا أستجيد من الآثار الأدبية إلا الآثار الخالدة على مر الأيام؛ والتي تمرؤها وتعيد قراتها فتجد نفسك كما بدأت متلهفة مهيجة مأخوذة بجلال هذا البيان وعظمته وعبقريته صاحبه، وتجد هذا الأثر الأدبي أمام ذوقك وطبعك عضنا ناضرا باهرا كما ما كتبه صاحبه لساعتك التي أنت فيها، وتجد ما فيه من حديث عن النفس الإنسانية، وعن الحياة وعبرها وعظمتها واحداثها، وعن البشر وأخلاقهم ومطامعهم وألوان تفكيرهم في الحياة، وعن الأهداف المثلى للإنسانية كافة والمبادئ الشريفة التي يجب أن تكون دستور الأمم والجماعات والأفراد. تجد ما فيه من ذلك كله جديدا كأنه كتب لهذا العصر ووصف الحياة التي يحياها الناس وتحياها أنت معهم. فقل بربك هل تجد أثرا ترفعه في نفسك إلى هذه المنزلة وتراه مستوفيا لهذا الخصائص وتطمئن نفسك حين تقول هذا هو ضالتي المنشودة وطلبتى المأمولة وبغيتى المرتجاة؛ وهل تجد أثرا سلم له ذلك كله وسلم من القصور والعييب والمؤاخذة وسقطت الطبع والأسلوب والنظم والفكرة، وهل تجده له ذلك كله مع طوله وإحكامه وروعته وجسديته ونبل دعوته وأهدافه وجلال غايته ورسائله، وبعد مرماه وعمق منزعه وأنه يتناول الإنسانية كافة والعصور قاطبة ويصلح لكل مكان وزمان، ولا يلبى مهما توارت الأيام والعصور.

إلى ورني إن هذا هو الغاية البعيدة، والأمل الخال، والسر الدفين في ضمير

الأيام ، والسكنز المنجوه في جوف صحراء عرضها السماء والأرض .
ولن تجده مهما حاولت أن تجده إلا في كتاب واحد وأثر أدبي خالد ، وفي
هذا البيان ذى المجد الطريف والتالد ؛ إى وربى إنك لن تجده إلا في القرآن
الكريم والذكر الحكيم والكتاب المعجز والأثر الخالد ، وفي هذا البيان الكامل
والبلاغة الساحرة والفصاحة النادرة والآيات البيّنات الباهرة .

إى وربى ، وهل تجد أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، أو هل ترى نظماً
أحسن تأليفاً وأشد تشامكلاً وروعة من نظمه العجيب وأسلوبه الغريب
المخالف لأساليب كلام العرب في نظمها ونثرها ، أو هل تجد هذه الروعة التي
تجدها له في قلوب السامعين وأسماعهم سواء المصدق منهم والجاحد ، وتلك الجودة
التي تراها له على مر الأيام ونوالى العصور ؟ .

وإذا لم تصعد إلى هذه المرتبة البعيدة إلا بكتاب واحد هو القرآن الكريم ،
فم حاولت الموازنة بينه كله أو بعضه أو القليل الأقل منه وبين ما سواه من
الآثار الأدبية فلم تجد مجالاً للموازنة ولا موضعاً للشماهة بعد ما بين الأثرين كبعد
ما بين السماء والأرض ؛ فهل ذلك إلا لأنه كتاب معجز وأنه آية الآيات والناطق
بصدق إعجازه وعظمة بلاغته .

وقد يقول معاند أو مكابر : أين أنت وآداب اللغات وأين أنت وما فيها من
آثار أدبية خالدة ، فلتشكسبير وجوته وهوجو وغيرهم من أفذاذ الغرب الكثير
من الآثار الخالدة ، بل أين أنت من الكتب السماوية المقدسة ، وأين أنت من
مزمارة داود ، وحده ؛ أفلا يشبه أثر من هذه الآثار كلها القرآن الكريم في
مكانته وبلاغته وإعجازه . وأنا أقول لك أيها القارئ الكريم ، لعلك قد قرأت
بعض الآثار الأدبية لهؤلاء الاعلام الخالدين في الأدب ، ألسنت تجد شكسبير مثلاً
في أية قصة من قصصه وفي جميع آثاره مترجماً عن عواطف النفس الإنسانية
مهيماً عن آمالها وآلامها بجهدا الحديث عنها ولكن هل تجد له هذا السمو

والرفعة ونبل الدعوة وجلال الغاية ، وعظمة الهدف والرسالة ودقة التحليل عن العواطف والمشاعر والنفوس الانسانية كافة ، وهل تجد له هذا التوجيه الجديد للبشرية جميعا ، وهذا الدعم القوي لمبادئ العدالة والحق والحرية والآخاء والمساواة في الحياة ؛ كلا وربك وإن تجدد لأعظم من شكسبير شيئا من ذلك قليلا أو كثيرا ، فضلا عن خصائص الفن الادبي الرائع الكامل التي لن تجد ما يشبهها في غير القرآن الكريم .

وهاك أروع ما في الكتب السماوية المقدسة وهو مزامير داود نخذ أى قطعة منها وليكن المزمور الأول ، وهو بنصه كما في الكتاب المقدس :

« طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ، وفى طريق الخطاة لم يقف وفى مجلس المستترئين لم يجلس ؛ ولكن فى ناموس الرب مشورته ، وفى ناموسه يلمح نهارا وليلا ، فيكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه ، التي تعطى ثمرها فى أوانه ، وورقها لا يذبل : وكل ما يصنعه ينجح

ليس كذلك الأشرار ، لكنهم كالعصافاة التي تذرهما الريح ، لذلك لا تقوم الأشرار فى الدين ، ولا الخطاة فى جماعة الأبرار ؛ لأن الرب يعلم طريق الأبرار ، أما طريق الأشرار فتهلك ،

ونحن مع تقديرنا لهذا النص الدينى ومع علمنا بأنه مترجم نعود بك إلى ناحية أخرى فى الموازنة وهى أنه شتان ما بين هذه الروح وروح القرآن الكريم ومن المحال الموازنة بين ذلك وبين مثل قوله تعالى : « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ، » أو مثل قوله تعالى : « ولا تمش فى الأرض مرسحا إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ، » أو مثل قوله تعالى : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلمون والذين هم لفرؤسهم حافظون ، إلى غير ذلك من روائع بلاغات القرآن الكريم

وبعد فان القرآن كله معجز ، وهو نمط فريد رائع ومستوى رفيع شريف

من البلاغة والفصاحة والبيان والروعة والسحر والأخذ بجامع القلوب ومشاعر النفوس فشكله منموج واحد في النظم ودرجة واحدة في الفصاحة وقل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (١) .

وأخيرا نقول لك إنك أيها الناقد الحصيف حين تحلل أثرا أدبيا ما ، تكشف عن كل ما يتصل به - هذا الأثر من عوامل البيئة والعصر ومن شخصية صاحبه ، وتوازن بينه وبين ما يشبهه من الآثار ، وتبين خصائص فنه الأدبي وما يوجه إليه من أهداف وما يدعو إليه من آراء وأفكار ثم تضعه بهد ذلك في منزله الصحيحة من البيان والأدب والتفكير الإنساني .

وهذا هو ما نكافئك به حين تبحث عن قضية الإعجاز :

١ - فإليك أن تبحث عن البيئة الأدبية التي نزل فيها القرآن الكريم ، وأن توضح أنه كلام الله لا كلام بشر وأن تثبت ذلك بالحجج الدامغة

٢ - ثم عليك أن تحلل خصائصه الأدبية والفنية تحليلا كاملا وتوازن بينه وبين شتى الآثار الأدبية الخالدة

٣ - ثم عليك أن تحلل معانيه وأفكاره وأهدافه ودعوته .

٤ - وبعد ذلك تنقد وتحكم وتناقش .

ولضيق مجال النقد والبحث نقول لك أيها القارئ الكريم إن أظهر أسرار إعجاز القرآن الكريم تتجلى فيما يلي :

١ - بلاغة القرآن النادرة التي لا يحيط بها وصف ولا يستطيع أن يكشف خصائصها باحث ، وبكفيك ان عاوم البلاغة والنقد والأعجاز قد وضعت

(١) وذهب بعض علماء البلاغة الى أن بلاغة القرآن تتفاوت مع الأعجاز

[راجع تفصيل ذلك في كتب البلاغة وفي الاتقان للسيوطي ص ٢١٠ - ٢٠]

للكشف عن مظاهر هذه البلاغة وأسرارها ثم هي الآن وبعد مضي أكثر من عشرة قرون من الزمان لاتزال في أول الغاية (١)

٢ — روعة القرآني وجدته وأخذه بالافتدة والاسماع والمشاعر
والعواطف والنفوس

٣ — عظمة تصويره للحياة الانسانية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها وللنفس البشرية في سلمها وحررها ولهوها وجدها وأملها وألمها وكفرها وإيمانها وللشغل العليا في الحياة المهدبة الكريمة التي يعمل لها الانسان وتسير لشاغلها
الامين الانسانية

٤ — سمو الروح في القرآن الكريم ، فهو ليس كتاب قصص أو تسلية أو أدب أو حكمة أو فلسفة أو تاريخ أو اجتماع وإنما هو خلاصة لكل ما في الحياة من ثقافة وحقائق ويزيد على ذلك بأنه منج كامل للحياة الروحية والاجتماعية والبشرية الكاملة الصحيحة السليمة ، وما أجدرنا بأن نقول إنه هو كتاب
الانسانية كافة

٥ — جلال أثره الأدبي في لغة العرب وأدهم وفي حياتهم بل وفي حياة
المسلمين والعالم

٦ — خلوده على مر الايام والامكنة والعصور مع أنه تمحدي ولا يزال
يتحدى الناس كافة ، ومع ما يشتمل عليه تاريخ العالم من أفاذا المفسرين
والادباء والبلغاء

٧ — بساطة أسلوب القرآن الكريم ووضوحه وجماله وقوته وجزالته
وعذوبته .

(١) وبلاغة القرآن أوسع مدى من البحث عن استعاراته وكنائياته وتشبيهاته وأمثاله وحكمته وإيجازه ومجازه فهي تشمل كل خصائص الفن الأدبي والبياني في القرآن الكريم

٨ - شرف معانيه ، وسمو حكمه ، وجلال دعوته ، وصدق حجته ، وخلق منزهه ، وعلو تصويره .

٩ - والدليل الآخر على الإعجاز هو عظمة أغراضه ومقاصده ورفعته مراميه ومناحيه ، وعبقريه غاياته ورسالته ، وتوجيهه البشرية كافة إلى حياة جديدة فيها الأمل والنعيم والسعادة ، وفيها الخير المطلق والأمن والسلام ، وفيها الرضاء والبشر والأخاء والحق والعدالة والحرية والمساواة بين الناس .

وصدق الله العظيم : تبارك الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ،

أحاديث رسول الله

وأثرها في اللغة والأدب

البلاغة النبوية:

كان صلى الله عليه وسلم أبلغ العرب لسانا وأفصحهم بيانا وأعذبهم أسلوبا وأروعهم حكمة وأصدقهم قولاً وأوضحهم عبارة وأطبعهم على البلاغة والفصاحة والبيان

وبلاغته النبوية تلي في منزلتها الأدبية الذكر الحكيم وهي هذه البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفيكار لآياتها وحسرت العقول دون غايتها لم تصنع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة ولم يتكاف لها وهي على السهولة بعيدة عنوعة ، إن خرجت في الموعظة قلت أنين من فؤاد مقروح وإن راعت بالحكمة قلت صورة بشرية من الروح ، في منزع يلين فينفر بالدموع ويشتد فينزو بالدماء وإذا أراك القرآن أنه خطاب السماء للأرض أراك هذا أنه كلام الأرض بعد السماء (١)

وانقد أخذ البلغاء والأدباء والمصاقق بهذه البلاغة الباهرة حتى لقد قال له أبو بكر: لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت الذي هو أفصح منك فن أدبك؟ وحتى قال له صلى الله عليه وسلم سمعته يخاطب وقد بنى نهد: يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره فقال عليه الصلاة والسلام: أدنى ربي فأحسن تأدي، ويقول الجاهل في بلاغته صلى الله عليه وسلم:

كلامه صلى الله عليه وسلم هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثير عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل

(١) ٣٦٤ إيجاز القرآن للرافعي

يا محمد : وما أنا من المتكفين ، فكيف وقد عاب التشديقي ، وجانب أصحاب
التقوير ، واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقتضور في موضع القصر ، وهجر
الغريب الوحشي ، ورغب عن الطعنين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ،
ولم يتكلم إلا بكلام قد حُف بالعصمة ، وشيد بالأيد ، ويسر بالثوفيق ، وألقى
الله عليه المحبة ، وعشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن
الإفهام وقلة عدد الكلام ، ومع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى
معاودته ، لم تسقط له كتابة ، ولا زلت به قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له
خصم ، ولا أئمه خطيب : بل يند الخلق بالكلية القسري ، ولا يلتمس
إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ؛ ولا يحتاج إلا بالصدق ، ولا يطلب الفالج إلا
بالحق ، ولا يستعين بالخلافة ، ولا يستعمل المواردية ، ولا يهجر ولا يلدز ، ولا يبطئ
ولا يهزل ، ولا يسهب ولا يحصر : وما سمع كلام قط أعم نفعا ولا أصدق لفظا ،
ولا أعدل وزنا ، ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ، ولا أحسن موقعا ،
ولا أسهل مخرجا ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين في فخراه ، من كلامه صلى الله
عليه وسلم ،

وهل تجد أبلغ أو أروع أو أعظم من بلاغته صلى الله عليه وسلم . فأنت حين
تسمع خطبته النبوية الأولى في أهله وعشيرته لما أنزل الله تعالى قوله الكريم
« وأنذر عشيرتلك الأقربين » :

« إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس ما كذبتكم ، ولو غررت
الناس ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم حقا وإلى الناس
كافة والله لغوثن كما تنامون ، ولتبعن كما تستيقظون ولتجزون بالاحسان إحسانا ،
وبالشر شرا ، وإنها للجنة أبدا ، أو النار أبدا ، وإنكم لأول من أنذر بين يدي
عذاب شديد ،

لا نجد إلا بلاغة وسمرا وجلالا وصدقا وحقا وروعة وكيف لا وقد أيد الله
نبيه الكريم بمعجزة البيان فاختره من قريش أبلغ العرب لسانا واصطفاه من
أعلى بيوتها حيث البلاغة والفصاحة والبيان واللسن والحجة والمنطق ومقارعة

البلغاء ومعاورة الفصحاء . ثم أنشأه في بني سعد الذين خصوا من بين قبائل العرب بالفصاحة وحسن البيان ولذلك قال صلى الله عليه وسلم . « أنا أفصح العرب بيد أئى من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر » . ثم علمه لغات جميع قبائل العرب وأقدره على مخاطبة كل قبيلة بلهجتها .

فلا جرم أن يسكون المسأثور عنه من الحديث صفوة اللغة وحلية البيان بعد القرآن يقتبس الأديب من لفظه ، وينتفع البليغ بصوغه ، ويستمد مفسر القرآن من أثره ، ويستكمل الفقيه الأحكام الشرعية من نصه ، ويشيد اللغوى صرحا للغة من كلمه ، ويستظهر الحكيم بحكمته ؛ إذ كان صلوات الله عليه لا ينطق بلفو ، ولا يقصد إلى غير توضيح قرءان ، أو تقرير شرع ، أو هداية إلى حق ، أو تفسير من شر ، أو حكمة ينتفع بها الناس في أمور دينهم ودينام .

وإن شئت فانظر إلى هذا الكلام البليغ الشريف الذى ينبع من منبع الحق والنبوة فستجد وربك بلاغة ليس فوقها بلاغة .

لما أعطى رسول الله ما أعطى من منافع حنين في قريش وقبائل العرب ولم يسكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم حتى كثرت منهم القالة ، وحتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله قومه ! فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله . إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم لما صنعت فى هذا النى الذى أصبت : قسمت فى قومك ، وأعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب . ولم يسكن فى هذا الحى من الأنصار شيء . قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومي . قال : فأجمع لى قومك فى الحظيرة (١) فخرج سعد فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة . فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردم ، فلما اجتمعوا إليه أتاه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار . فأناهم رسول الله صلى الله عليه

(١) الحظيرة : أرض يضرب عليها سياج . وكانت حظيرة الأنصار إلى

جانب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لحمد الله وأتى عليه بالذى هو له أهل ، ثم قال : يامعشر الأنصار ما قاله (١) قد بلغتني عنكم ، وموجسدة وجدتموها في أنفسكم ألم آتكم ضلالا فهذا كم الله ؟ وعالة (٢) فأغناكم الله ؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا بلى لله ورسوله المن والفضل . فقال ألا تبيحوني يامعشر الأنصار اقلوا وبأذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المن والفضل . قال : أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم . ولصدقتم (٣) أتيتمنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك وطريدا فأوينناك . وعائلا فأسينناك وجدتم في أنفسكم يامعشر الأنصار في لعاعة (٤) من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلوا وولكلتكم إلى إسلامكم أفضلا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت أمراً من الأنصار . ولو سلك الناس شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار (٥) اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار . قال فبكى القوم حتى أخضلوا الحاهم (٦) وقالوا : رضينا برسول الله قسبا وحظا .

ذلك مثل صغير من أمثلة بلاغته اتى يجمع بين السمو الروحى الأعظم والجمال الفنى النادر وإن شئت فقف عند قوله صلى الله عليه وسلم : إن قوما ركبوا في سفينة فاقنسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس فقالوا له : ما تصنع ؟ قال : هو مكانى أصنع فيه ماشئت فان أخذوا على يده نجسا ونجوا وإن تركوه هلك وهلكوا .

-
- (١) القالة : أحدوثه الشر ونقيضها القول (٢) عالة جمع عائل الكثير العيال مع قلة المال (٣) أدخلت اللام على صدقتم الثانية دون الأولى ، لأن الصدق أيسر (٤) اللعاعة : البقية اليسيرة ، يقال لم يبق إلا لعاعة أى بقية يسيرة (٥) الشعب بالكسر - ما انفرج بين جبلين ، أو الطريق فى الجبل ، وجمعة شعاب (٦) أخضل لحيته . بلها .

فستأخذك الرونة والأعجاب . وحسبك أن كلامه صلى الله عليه وسلم كله دين وتقوى وهداية ونور وروحية وحياة وقوة وجمال ، وكأنه هو ما يعنيه الرسول بقوله : إن من البيان لسحرا ،

جوامع كلامه صلى الله عليه :

١ - قال صلى الله عليه وسلم في دعائه ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يشبع ، وعين لا تدمع ؛ ونفس لا تشبع

ومن دعائه : اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتتم بها ثقتي ، وتصاح بها رغائبي وترفع بها شاهدي وتركي بها عملي ، وتلممني بها رشدي ، وترد بها ألقتي ، وتعصمني من كل سوء .

وكان رسول الله في جنازة ، فسبى النساء فأنهرهن عمر ، فقال عليه الصلاة والسلام : دعمن يا عمر ، فإن النفس مضاية والعين دامة والعهد قريب

ومن جوامع كلامه قوله . لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . وقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . وقوله . اليد العليا خير من اليد السفلى . وقوله . الصبر عند الصدقة الأولى . وقوله : ترك الشر صدقة

وقال صلى الله عليه وسلم . إذا أعطاك الله خيرا فليبن عليك (١) وأبدأ بن تعول وارترضخ من الفضل (٢) ولا تدم على الكفاف . ولا تهجز عن نفسك (٣)

(١) فليبن عليك أى فليظهر عليك بالصدقة والمعروف وحسن الحال . فأبدأ بن يلزمك أمرهم ، ومفهوم قوله . فأبدأ بن تعول لاتجعلهم في المطأ . (٢) وارترضخ من الفضل أى اعط ما فضل من مالك شيئا فشيئا كما تفعل مرضخه . الزوى حين تررضخه . أى تسكره شيئا فشيئا .

(٣) لاتعجز عن نفسك . أى لاتجمع لغيرك وتبخل على نفسك .

وأتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل قد شحب وجهه ، وهزل جسمه ، وغارت عيناه لفرط صيامه وقيامه ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن هذا الدين متين (١) فأوغل فيه برفق فانت المنبت (٢) . لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن (٣) قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في منبت السوء .

وقال صلى الله عليه وسلم . إن روح القدس نفث في روعي (٤) أن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها ، ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب .

وقال صلى الله عليه وسلم : لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنا والزكاة مغرما ومن رائع بلاغته صلوات الله عليه قوله : لا خير في صحبة من لا يرى لك ما يرى لنفسه . وقوله : الناس كلهم سواء كاسبان المشط . وقوله : المرء كمشير باخوانه . وقوله للأنصار : إنكم لتقانون عند الطمع وتكثرون عند الفزع . وقوله : ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه . وقوله : الناس بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم . وقوله : لا تمنن بما شمالك . وقوله : عاق سوطك حيث يراه أهلك ومن يبلغ حكمه صلى الله عليه وسلم قوله : لا يلدغ المؤمن من جحر من مرتين (٥)

(١) إن هذا الدين متين : أى قوى رصين ؛ ومن قوة الدين أن يروض النفس ولا يعتنها .

(٢) المنبت المنقطع فى طريقه : سمي بذلك لانبتات ظهر ما يجله . أى انقطاعه

(٣) الدمن جمع دمنة ، وهى الفضلات المتلبدة ، وقد ينبت عليها النبات أخضر زاهيا ، وهو مر ونخيم ،

(٤) الروع بضم الراء : القلب

(٥) قاله صلى الله عليه وسلم لأبي عزة الشاعر وكان كثيرا ما يستنفر المشركين ويحرض قريشا على قتال النبي فأسر يوم بدر وحجى به إلى النبي فشكا

وقوله : هدنة على دخن . والدخن دخان النار يريد أن الصالح لم يذهب بالاحقاد كما أن النار يبقى شيء منها تحت الرماد فيستدل عليه بما يتصاعد عنه من دخان . وقوله : إن من البيان لسحرا . وقوله لأبي تميمه الجهمي : إياك والخيلة . فقال يارسول الله نحن قوم عرب فما الخيلة ؟ فقال عليه السلام سبل الأزار . وقوله : إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس إتقاء شره . وقوله : المؤمن للؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . وقوله : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليسكرم ضيفه .

ومن حكمه قوله صلى الله عليه وسلم لآنجشة حادى إبله وفى هوادجها النساء : رفقا بالقواوير ، وهى كناية عن النساء . وقال صلى الله عليه وسلم . بعثت فى نفس الساعة . ومنها قوله : يا خيل الله اركبى ، وقوله : الآن حى الوطيس (١) وقوله من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، وقوله : الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، وقوله : اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، وقوله : الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله . وقوله : من لا يرحم لا يرحم ، وقوله . من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان

== [إليه الفقر والعيال فرق له وخلق سبيله بعد أن عاهدته ألا يعين عليه بشعره فأمسك عنه مدة ثم عاد إلى حاله الأول فأسر يوم أحد فطأطب النبي بئثر خطابه الأول فقال النبي : لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت بحم — دا مرتين ثم قتله صبورا وقال لا يلسع المؤمن من حجر مرتين] ٣٤ ج ١ العمدة لابن رشيى ط ١٩٢٥

(١) الوطيس . التنور ويجمع النيران استعماره الرسول صلى الله عليه وسلم لأهوال الحرب .

خصائص البلاغة النبوية :

أما أسلوب الرسول صلوات الله وسلم عليه فهو سهل الممتنع والبلاغة القريبة البعيدة ، والفصاحة المعجزة الرائعة . والنمط الغريب والطريقة المحكمة والنظم العجيب

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجز غالباً ولذلك كانت كلماته حكم وجواباً مع وقال : « إنا معشر الأنبياء بكاء » ؛ وكان يكره الفضول والتشديق وخلابة القول وإلباس الباطل ثوب الحق ؛ وربما أطال صلوات الله عليه في كلامه للإرشاد والوعظ وتبليغ الرسالة ، وإن كان الغالب أن يقلل كلامه ويخرج قصداً في ألفاظه محيطاً بمعانيه

هذا إلى إحكام الأسلوب في غير تعقيد ولا تسكاف مع الوضوح والسلاسة ومع التخير والرونيق ومع الهدوية والجلالة ومع الأفراغ الجيد والسبك المحكم ومع الجزالة والقوة والأشراق وجودة التصوير والتأثير ، وحسن الأفهام والمهابة والحلاوة والروعة والقبول ، ومع تجنب سجع السكبان ومن شابههم

أما ألفاظه صلى الله عليه فقد نفي منها الوحشى والغريب والمبتذل والساقط والمستكره ونزهت عن الخطأ واللحن والقصور ، واختيرت اختيار الطبع المتمكن والفطرة السليمة فهي رشيقه جليلة قوية بليغة مشرقة عذبة تنطق عن سلامة الملكة وقوتها

وأما معانيه صلوات الله عليه فهي الحكمة الصادقة والأدب الرفيع والحق المنزه عن الريب والهدى والنور والرأى الناضج والبصيرة النافذة والألهام الذى وهب الله أياه

وأما موضوع حديثه وكلام صلوات الله عليه فهو :

١ - تبليغ الدعوة وتأييد الرسالة والدعوة إلى الدين الحق الخالد الذى لا ريب فيه

٢ - شرح القرآن والإرشاد إلى أحكامه وعبره وعظاته

٣ - تشريع النظم الاجتماعية والسياسية والعبادات الدينية لخير الفرد والمجتمع
والأمة والانسانية

٤ - الذمى على المشركين وتقبیح ما هم فيه من عناد وضلال وهتان وتوجيه
عقولهم وأربابهم بأبلغ بيان وأقوم حجة إلى الدين الحق والمحجة الواضحة

٥ - تقرير الايمان بالانبياء والمرسلين والملائكة واليوم الآخر
إلى غير ذلك من شتى الموضوعات النبيلة والأغراض السامية التي دعا إليها
الرسول الكريم ، والتي هي من خصائصه ، بلاغته ، صلى الله عليه وسلم
ولا بدع في كل ذلك ، فميلاده صلى الله عليه في بلاد العرب ونشأته في مكة ؛
وانحداره من قريش أبلغ العرب وأفصحهم ؛ وتربيته في بني سعد ، وغذالته
للرب في مواسم الحج ورحلات التجارة ؛

وتمكن البلاغة والطبع والملسكة من نفسه ؛ والمواقف الفذة الخالدة التي شهدها
الرسول صلى الله عليه وسلم من الحرب ومشاهد الدعوة والغزوات والخطابة في
في الوفود وفي أنصار الرسالة والمسامه باغات العرب وطهجاتهم إلى غير ذلك ،
كله من بواعث البلاغة واسباب الفصاحة في نفسه وحياته صلوات الله عليه
منزلة الحديث النبوى في البلاغة

وحديث رسول الله أفصح كلام العرب وأبلغ بيانهم وهو بلى في المنزلة
الأدبية كتاب الله الحكيم

وسمو الروح وجلال الغاية وعظمة النفس واكتمال الشخصية وحرارة العقيدة وقوة
العاطفة وتأجيج الشعور وكهولة الرأى والتفكير والتجربة والفهم والادراك الصحيح
كل ذلك بعض أسباب هذه المنزلة الرفيعة السامية التي وضع فيها الحديث النبوى
الشريف ، والذي أصبح ميراثنا خالدا في البيان العربى بصنعتة المحكمة وطبعه
القوى وحسنة البديع ولفظه الموثق وحكمته الناصعة ، بما بهر العرب ، فمعجزوا
عن الاتيان بمثل بلاغته صلوات الله عليه .

أثر الحديث في اللغة والأدب :

أما أثر الحديث النبوى في اللغة فيتلخص فيما يأتي

١ - أدخل الرسول صلى الله عليه كـثـيـرا من التراكيب البيانية الجديدة في اللغة العربية مما سبق ذكره

٢ - وزاد فيها ألفاظا جديدة ، كـتـسـمـيته ، صفرا الأول ، محرما ، وكلفظ الزمارة للزانية ، التي وردت في حديث أبي هريرة ، إن النبي نهى عن كسب الزمارة ، وككلمة الصير بمعنى الشق في قوله صلى الله عليه وسلم ، « من اطلع من صير باب فقد دمر »

وللحديث الشريف أثر في توسيع معاني بعض الألفاظ واشتقاق أخرى ، مما لا داعي للأفاضة فيه

٣ - وساعد على توحيد لهجات العربية وعلى ذيوها وخلودها فهو متمم للقرآن الكريم في هذا السبيل .

٤ - وكان محورا لعلوم دينية وعربية كثيرة وضعت لدراسة الحديث النبوي الشريف .

أما أثر الحديث في الأدب فيمكننا إيجازه فيما يلي :

١ - ساعد الحديث الشريف على تهذيب الألسنة ، وتنقيف الطباع ، والقضاء على عهد الحوشية والغربة والمعاظلة والتعقيد في البيان ؛ وأحل محل ذلك السلاسة والسهولة والرواق والوضوح وسلامة الأسلوب والبيان

٢ - قضى على جميع الكهانة ، ورفع منزلة النثر ، وهذب أغراض الأدب وفنونه

٣ - وقد خلد الحديث على مر الأيام والأجيال وأصبح موردا عذبا من الثقافة الأدبية على توالي العصور (١)

(١) راجع : أو ابد رسول الله وبلاغته في البيان والتبيين ص ٢٧ > ٢ وفي مصادر كتب الأدب والحديث ، وراجع أمثال رسول الله في العقد ص ٥٧ > ٢

وراجع مقالة الزبير بن عبد المطلب في وصف ابن أخيه محمد صلوات الله في

الرسول والشعر

١ - كان صلى الله عليه وسلم يعرف منزلة الشعر ومكانته عند العرب ويقدره فقرب إليه الشعراء وكافأهم وسمع لهم واستنشدهم ، بل اتخذ له شعراء يؤيدون الدعوة ويهجون خصومها وأمرهم بقول الشعر ودعاهم بتأييد الله . وذلك واضح مشهور

٢ - وكان صلى الله عليه وسلم عليهما بالشعر وروايته ونقده ، ومن أولى منه بذلك وهو أفصح للعرب وأصحهم ملكة وفطرة ؟

٣ - ولا نغنى بهذا أنه كان يقول الشعر فإن الله عز وجل نزهه عن قوله ونفى عنه أن يسكون قد علمه إياه

٤ - والروايات كثيرة في إعجاب الرسول بالشعر وفهمه له واستنشاده إياه

وسماعة من الشعراء ومكافأته لهم ، وكان عصر الرسول صلى الله حافلا بالشعراء والبلغاء والخطباء والفصحاء

يقول أنس بن مالك : قدم علينا الرسول المدينة وما في الأنصار بيت إلا وهو يقول الشعر (١) . وكان شعراؤه (ص) : حسانا وكعبا وابن أبي رواحة (١) وقال المفضل . ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله إلا وقد قال الشعر وتمثل به (٢)

ويقول الجاحظ : وكان لرسول الله شعراء يناخون عنه وعن أصحابه بأمره وكان ثابت بن قيس خطيب رسول الله (٣)

(١) ٣ / ٣٨٨ العقد

(٢) ١٩ جمهرة أشعار العرب

(٣) ١ / ١٤٧ البيان

وقال صلى الله عليه وسلم . إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا (١).
وقال . الشعر كلام جزل تنسكلم به العرب في نواديها وتسسل به الضغائن
بينها (٢)

وهو قف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعر والأعجاب به ومكافأة الشعراء
وحمدهم وتوجيههم كثير (٣)

وهو قف الرسول صلوات الله عليه من حسان ودعاؤه له . هروف (٤)
وأنشده كعب بن زهير أمامه مدحته وغزله (٥) وكافأه الرسول حيث كساه
بردا (٦)

ومدحه عباس بن مرداس فسكساه الرسول حلة (٧)
واقرا قصة وفود النابتة الجمعدى على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨)
ففيها تصوير لمدى إعجاب الرسول بالشعر وتقديره للشعراء
وأذن الرسول لحسان بهجاه قريش (٩) وسمع شعر عمرو بن سالم الخزاعى يمدح
فيه رسول الله ويستنصره على قريش الذين اعتدوا على خزاعة - حلفاء الرسول
بعد الهدنة بين قريش ورسول الله (١٠)

- (١) ١٤ الجهرة في أشعار العرب ط ١٩٢٦
- (٢) ١٤ الجهرة ، ١٠ - ١١ الممددة ط ١٩٢٥
- (٣) راجع ٣٨٢ - ٣٨٧ / ٣ المقصد الفريد ، والجزء الأول من العمدة
لابن رشيق ، ١٢ وما بعدها من دلائل الأعجاز
- (٤) راجع ٤/٩٠ العقد ، ٣/٣٨٤ أيضا ١٤ الجهرة
- (٥) ٣/٣٩١ العقد (٦) ٣/٣٩٣ العقد ، ١٥ و ١٦ الجهرة
- (٧) ٣/٤٠١ و ٣٩٢ العقد
- (٨) ١٨٦ - ١٨٧ المقصد ، ١٦ الجهرة
- (٩) ٧/٣٩٥ العقد ، ٤/٩٠ أيضا ، و ١٤ جهرة أشعار العرب
- (١٠) ١٦ الجهرة

ووفد قرّة العامري على رسول الله وأسلم خبابه وكساه بردين وحمله على فرس
واستعمله على قومه فذكر ذلك قرّة في قصيدة طويلة (١)
ووفد عليه صلى الله عليه قيس بن عاصم التميمي (٢)
واستنشد رسول الله (ص) الشريد من شعر أمية مائة قافية وهو يقول :
هيه ، استحسنانا لها (٣)

وأنشد الرسول بيت طرفة ، وستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ، فقال .
هذا من كلام النبوة (٤)

وأنشدت عائشه أمام الرسول شعرا لزبير بن جناب فيه حكمة ، فقال لها (ص)
صدق (٥)

وأنشدت عائشه أمامه شعرا فيه حكمة (٦)

ولما سمع صلى الله عليه وسلم شعر قتيلة أخت النصر بن الحارث بن كعدة لما قتله
في غزوة بدر قال . لو سمعت هذا قيل أن أقتله ما قتلت (٧)
ويذكر عبد القاهر في دلائل الإعجاز كثيرا من الرويات التي تدل على رعاية
الرسول صلى الله عليه للشعر وإعجابه به ومكافأته عليه
ولمهد القاهر في هذا المجال كلام كبير خلاصته :

- ١ - أن الرسول إذا كان قد روى عنه بعض الآثار في التنفير من الشعر فأنما
كان يعني بذلك الشعر الذي يخاصم الدعوة وينهج نهجا هو خلاف مبادئها العالیه
- ٢ - أن الرسول له مواقف كثيرة في استحسان الشعر والارتياح لسماعه
واستنشاده والأمر به

(١) ١٧ : البهرة (٢) ١٧ و ١٨ البهرة

(٣) ٩٠ ج ٤ المقدم الفريد لابن عبد ربه

(٤) ٣٨٠ / ٣ المرجع

(٥) ٣٨٢ و ٣٨٣ / ٣ المرجع

(٦) ١٤١ ج ١ المقدم

(٧) ٩ و ١٠ / ١ الأغاني طبع

٣ — وكان عليه السلام ذا علم بالشعر وروايته، الى آخر ما كتبه عبد القاهر في هذا الباب

ولا يفيض من الشعر أن الله عز وجل يقول في نبيه ﷺ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، لأن حكمة ذلك واضحة وهي .

١ — دفع الشبه عن القرآن وتنزيهه عن الشعر

٢ — أن الرسول كان في شغل بدعائم الأمور وهداية الانسانية وبث كلمة الاسلام والسلام في الارض

٣ — أنه لم يخلق شاعرا وإنما خلق مفكرا ومصالحا وزعيما روحيا للبشرية كافة

٤ — أن الشعر على ما كان عليه في عصر النبوة ووفق منهج الجاهلين فيه من الفجور والكذب والمبالغة والنفاق لا يليق بالنبى ولا ينبغي له

وهذا كله على أى حال لا يضيع من منزلة الشعر وليس محتاه أن الرسول صلى الله عليه وسلم ينهى عن قوله

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهجونهم ويهفون موقفه حيال الشعر والأدلة على ذلك كثيرة

ويقول ابن رشيقي : وليس من بنى المطلب رجلا ونساء من لم يقل الشعر حاشا النبي ^(١) : ويقول في العباس بن عبد المطلب : ه وكان شاعرا مقلقا حسن التهدي ^(٢)

وتقول عائشة : علموا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم ^(٣) . ويقول المقداد بن الأسود : ما كنت أعلم أحدا من أصحاب رسول الله أعلم بشعر ولا فريضة من عائشة ^(٣) وكانت تروى ألف بيت للبيد وهل أقل ما تروى لغيره ^(٣)

(١) ١ / ١٥ العمدة ط ١٩٢٥

(٢) ٩٠ / العقد

(٣) ٣ / ٢٨٢ المرجع

وكان أبو بكر ذاحق بالشعر ونقده روى عنه أنه قدم النابتة وقال : هو
أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا وأبغدهم قعرا (١)
وكان على ناقدنا ، روى عنه أنه فضل أمراً القيس وقال فيه :
رأيتهم أحسنهم نادرة وأسبغهم بادرة وأنه لم يقل لرغبة ولا لرغبة (٢)
وعمر بن الخطاب وعلمه بالشعر ونقده له وبصره به وحكومتته بين الشعراء ؛
كل ذلك مشهور وسيأتي

(١) ٢ / ٢٩٧ المزهر

(٢) ٢ / ٢٩٧ المزهر

النثر الفني في عصر صدر الاسلام تمازج له .

١ روى عن عبدالله بن عباس رضوان الله عليهم! قال: وفد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبيرقان^(١) بن بدر بن عمرو بن (١) الاهتم فقال الزرقان: يا رسول الله أنا سيد تمسيم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقهم وأمنعهم من الظلم وهذا بعلم ذلك: (يعنى عمرا) فقال عمرو: أجل يا رسول الله. إنه مانع لحوزته (٣) مطاع في عشيتيه شديد المعارضة (٤) فيهم. فقال الزبيرقان: أما إنه والله قد علم أكثر مما قال، ولكنه حسدى شرفى. فقال عمرو: أما لئن قال ما قال فوالله ما علمته إلا ضيق العطن^(٥) زمن (٦) المرومة أحق الأب لئيم الخصال حديث الغنى، فرأى الكراهة في وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال: يا رسول رضىيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما علمت وما كذبت فى الأولى ولقد صدقت فى الثانية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة.

(١) الزبيرقان هو حصين بن بدر التميمى ولاء رسول الله صدقات قومه وأقره أبو بكر وعمر على ذلك وقد وهم صاحب لسان العرب فنسبه الى فزارة.

(٢) عمرو بن الاهتم: سيد من سادات تمسيم وهو القائل:

ذرىي فأن البيخل يأأم مالك لصالح أخلاق الرجال سروق

لمعرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

(٣) الحوزة: الناحية. وفلان مانع لحوزته. أى يحمى حماه.

(٤) رجل شديد المعارضة. ذو جلد وصرامة.

(٥) العطن: مبرك الإبل حول الحوض. ورجل رحب العطن. كثير المال

واسع القدرة وضيق العطن عكسه

(٦) الزمن: المصاب بعاية لا يرجى زوالها، ورواية المسداني زمر المرومة

والزمر القليل المرومة

ورواه أبو القاسم الزجاجي : وإن من الشعر لحكماً . قال : ووجه عندي أن من الشعر ما يلزم المقول فيه كإلزام الحكم للمحكوم عليه إصابة للمعنى وقصدا للصواب .

٢ - قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما أديب به أمته وحضها عليه من مكارم الأخلاق وجميل المعاشرة وإصلاح ذات البين وصلة الأرحام : أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها : أوصاني بالإخلاص (١) في السر والعلانية والعدل في الرضا والفضب والقصد (٢) في الغنى والفقر وأن أعفو عن ظلمي وأعطي من حرمي وأصيل من قطعني وأن يكون صمتي فكراً (٣) ونظمي ذكراً (٤) ونظري عبداً (٥)

٣ - ومن حكمه صلى الله عليه وسلم نهيتكم عن قيل وقال (٦) وإضاعة المال وكثرة السؤال . وقال : اليد العليا خير من اليد السفلى (٧) . المرء كثير بأخيه (٨) استمعينوا على حوائجكم بالكتمان (٩) أفضل الأصحاب من إذا ذكرت أعانك وإذا نسيت ذكرتك ١٠ . لو تكاشفتهم ما تدافعتهم وما هلك امرؤ عرف قدره (١١) . رحم الله عبداً قال خيراً فغتم أو سكت فسلم . حصنوا أموالكم بالزكاة (١٢) . العلماء ورثة الأنبياء (١٣) الخمر مفتاح كل شر . اتقوا دعوة المظلوم فأنها لينة الحجاب ١٤ .

-
- (١) أن يكون باطنك كظاهرك (٢) الاقتصاد
 (٣) لا أداع التفكير عند السكوت (٤) أتكلم بالحكمة والاعتبار
 (٥) أعتبر بما أراه (٦) ما لا طائل تحنه من الكلام
 (٧) المعطي خير من الآخذ (٨) الصحة قوة
 (٩) لا تفش أمرك فيقضى (١٠) يعني يعينك على كل حال
 (١١) لو علم بعضكم سريرة بعض لمسا كان هناك داع إلى التكاثر ومن عرف قدره جانبه الهلاك
 (١٢) الزكاة صون للأموال
 (١٣) لأنهم يرشدون الناس ويهدونهم الصراط المستقيم
 (١٤) تبلغ إلى الله تعالى

جبلت القلوب على حب من أحسن إياها وبغض من أساء إليها . احذروا من لا يرجي خيره ولا يؤمن شره ^(١) . زرغبا تزدد حبا . ما عال من اقتصد ^(٢) . خير الأمور أوسطها . إياك وما يعتذر منه . كل ميسر لما خلق له . الوحدة خير . من جلس السوء . المستشير معان والمشار مؤتمن ^(٣) . أنزلوا الناس منازلهم . إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه

٤ - تأبين أبي بكر الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم

دخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى (٤) بثوب فكشف عنه الثوب وقال : بأني أنت وأمي ا طببت حيا وطبت ميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة ، فمظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصعت حتى صرت مائلة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا ان موتك كان اختيارا منك لجدنا لموتك بالنفوس . ولولا أنك نهيت عن البكاء لانفذنا عليك ماء الشون ^(٥) فأما ما لا نستطيع نفيه عنا ^(٦) فكمد وإذناف يتحالمان ولا يبرحان اللهم فأبلغه عنا السلام اذكرنا يا محمد عند ربك ولنسكن من بالك فالولا ما خلفت من السكينة لم نقم لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا

٥ - تأبين السيدة عائشة لآيها

لما توفي أبو بكر رضى الله عنه وقفت السيدة عائشة على قبره وقالت . نضر

(١) فان ضرره متوقع على كل حال ولا خير فيه

(٢) من استعمل الاقتصاد لا يفتقر

(٣) الشورى يتقوى بها المستشار والمستشار لا ينبغي أن يغش

(٤) سجي الميت : غطاء .

(٥) الشون . جمع شأن وهو مجرى الدمع الى العين :

(٦) السكد . الحزن الشديد ، والاذناف : ثقل المرض

الله وجهك يا أبت وشكرك صالح سميعك؛ فلقد كنت للدينا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا بأقبالك عليها ، واثن كان أجل الحوادث بهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزوك وأعظم المصائب بعدهما فقدك ، ان كتاب الله ليعد بحسن الصبر عنك حسن الدواض عنك . وأنا أستعجز موعود الله تعالى بالصبر فيك واستغفرك بالاستغفار لك .

٦ - الأحنف بين يدي عمر :

وقدم الأحنف بن قيس التيمي على عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أهل البصرة وأهل الكوفة . فتكلموا عنده في أنفسهم وما ينوب كل واحد منهم وتكلم الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين إن مفاتيح الخير بيد الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق ، وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأمم الخسالية والملوك الجبابرة ومنازل كسرى وقيصر وبني الأصفر (١) ؛ فهم من الميساء العذبة والجنان المختلفة في مثل حواء السلى (٢) وحدقة (٣) البعير تأتيمهم ثمأهم غضة لم تخصر (٤) وإنا نزلنا أرضا طرف في فلاة وطرف في ملح أجاج ، جانب منها منابت القصب وجانب سبخة نشاشة (٥) لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها . يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب المساء من فرسخين وتخرج المرأة بمنزل ذلك ترثق (٦) ولولدها ترثيق العنز تخاف عليه العدو والسبع فألا ترفع خسيستنا وتنهش (٧) ركبنا

(١) بنو الأصفر عند العرب : هم الروم .

(٢) السلى : غلاف رقيق يكون فيه المولود . والحولاء . جلدة خضراء مملوءة ماء . يخرج مع الولد ، وهذا يكون به عن الخصب وكثرة الماء والخضرة

(٣) قال في اللسان . وفي حديث الأحنف نزلوا في مثل حدقة البعير أى نزلوا في خصب وشبهه بحدقة البعير لانهاريا من الماء .

(٤) خصر : برد

(٥) أرض سبخة نشاشة . لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها

(٦) رثق الماء : صفاء

(٧) نهشه ، رفعه كأنه شهه ، والركيسة . الضميمة

ومجبر فافتنا وتزد في عيالاً عيالاً وفي رجالنا رجالاً تصغر درهمنا وتأمر لنا بحفر
بئر نستعذب به الماء هلكتنا ، فقال عمر : هذا والله السيد

٧ - اسلام أبي ذر *

قال أبو ذر (١) : كنت رجلاً من غفار ، فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة
يزعم أنه نبي ، فقلت لأخى : انطلق إلى هذا الرجل وكلمه . وأتى بخبره ، فانطلق
فلقية ، ثم رجعت ، فقلت : ما عندك ؟ فقال : والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير ،
ويمنى عن الشر ، فقلت له : لم تشفى من الخبر !
فأخذت جراباً وعصاً ، ثم أقبلت إلى مكة ، فجعلت لا أعرفه ، وأكره أن
أسأل عنه ، وأشرب من ماء زمزم ، وأككون في المسجد ، فربى على ، فقال :
كأن الرجل غريب ؟ قلت : نعم ، فانطلق إلى المنزل وانطقت معه لا يسألني عن
شيء ولا أخبره .

فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه ، وليس أحد يخبرني عنه بشيء ،
فربى على ، فقال : أما أن للرجل أن يعرف منزله بعد ؟ قلت : لا ، قال . انطلق
معي ، ثم قال : ما أمرك ؟ وما أقدمك هذه البلدة ؟ فقلت له : إن كنت على
أخبرتكم قال . فاني أفعل ، قلت له : بلغنا أنه قد خرج هاهنا رجل يزعم أنه
نبي ، فأرسلت أخى ليكلمه ، فرجعت ولم يشفى من الخبر ، فأردت أن ألقاه ،
فقال : أما إنك قد رشدت ، هذا وجهي إليه فاتبعني ، ادخل حيث أدخل ، فاني
إن رأيت أحداً أخافه عليك فمت إلى الحائط كأنى أصلح نعلي ، وامض أنت
فرضي ومضيت معه حتى دخل ، ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم ،
فقلت له : اعرض على الإسلام ، فعرضه ، فأسلت مكانى ، فقال لى . يا أباذر ،

* الزبيدي ص ٥٤ ج ٢ ، وقصص العرب

(١) هو من غفار ، وهي قبيلة من كنانة ، وأسلم أبو ذر بمكة ولم يشهد بدرأ
ولا أحداً ولا الخندق ، لأنه حين أسلم رجعت إلى بلاد قومه ، حتى مضت هذه
المشاهد ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات بالربذة سنة ٣٢ هـ

اكنتم هذا الامر ، وارجع إلى بلدك ، فاذا بلغك ظهورنا فأقبل ، فقلت : والذي بعثك بالحق لأصرخن به بين أظهرهم .

فجاء إلى المسجد ، وقريش فيه ، فقال ، يا معشر قريش ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابي (١) فقاموا فضربت لأموت ، فأدركني العباس ، فأكب على ، ثم أقبل عليهم ، فقال ، وبسكم تقتلون رجلا من غفار ومتجر كم وبمركم على غفار فأقلعوا عنى فلما أن أصبحت في الغد رجعت فقلت مثل ما قلت بالأمس ، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابي ، فصنع بي مثل ما صنع بالأمس وأدركني العباس ، فأكب على ، وقال مثل مقالته بالأمس ا

٨ وفاة النبي (٢).

قال أبو ذؤيب (٣) الهذلي . بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ، فأرجس أهل الحى خيفة عليه ، فبت بليلة ثابتة النجوم ، طويلة الأناة ، لا ينجاب ديجورها (٤) ، ولا يطلع نورها ا حتى إذا قرب السحر ، غفوت ، فتفتت لى هاتف يقول .

خطب أجل أناخ بالإسلام بين النخيل ومعقد الآطام (٥)
قبض النبي محمد فعيوننا ندرى الدموع عليه بالتسجام (٦)
فوثبت من نومي فزعا ، فنظرت إلى السماء ، فلم أر إلا سعد الذابح ، فتفاملت

(١) صبأ ، خرج من دين إلى دين ،

(٢) بلوغ الأرب ص ٣١٥ ج ٣ ، نهاية الأدب ص ١٤٢ ج ٣ ، معاهد

التنصيب ص ١٩٣ ج ١

(٣) أبو ذؤيب الهذلي شاعر مقدم من شعراء هذيل ، كان في جند عبد الله

بن سعد حينما فتح إفريقيا وعاد إلى مصر ومات بها .

(٤) الديجور : الظلام .

(٥) الأطم : القصر وكل حصن مبني بحجارة وكل بيت مربع السطح جمه أطم

(٦) سجم الدمع : قطر وسال قليلا أو كثيرا

به ذبحاً يتمع في العرب ، وعلبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات ، أو هويت
عن علته .

فركبت ناقتي وسرت حتى أصبت فطلبت شيئاً أزجره ، فعن لي شيهم^(١) قد
أرم^(٢) على صل^(٣) ، وهو يتلوى ، والشيهيم يقضمه حتى أكله ، فرجرت ذلك
شيئاً مهماً ، فقلت : تلوى الصل : انفثال^(٤) الناس عن الحق على القائم بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أولت أكل الشيهيم إياه : غلبة القائم على الأمر

فجئت ناقتي حتى إذا كنت بالعلية^(٥) رجرت الطير فأخبرني بوفاته ونعب^(٦)
غراب سانحاً بمثل ذلك : فتعوذت من شر ما عن لي في طريق ، ثم قدمت المدينة ،
ولأهلها ضجيج كضجيج الحجيج ، أهلوا جميعاً بالإحرام ، فقلت : مه ! قالوا :
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئت المسجد فأصبت خالياً ، فأتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبت بابه مرتجماً^(٧) ، وقد خلا به أهله ، فقلت : أين
الناس ؟ فقيل : في سقيفة بني ساعدة . صاروا إلى الأنصار .

فجئت السقيفة فوجدت أبا بكر ، وعمر رضى الله عنهما ، وأبا عبيدة وسالمًا
وجماعة من قريش ، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عباد ومعه شعراؤهم ،
وأمامهم حسان بن ثابت ، وكعب ؛ في ملائمتهم ، فأويت إلى الأنصار ، فتكلموا
فأكثروا ، وتكلم أبو بكر ، فله من رجل لا يطيل الكلام ، ويعلم
مواضع الفصل .

- (١) الشيهيم : ذكر القنفاذ
(٢) أرم عليه ؛ عض
(٣) الصل ، الحية
(٤) انفثال عن الشيء ، انصرف
(٥) عليه القوم : حلتهم

- (٦) نعب الغراب : صاح . والسائح : ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر
أو غير ذلك . والعرب تختلف في العياقة ، فمنهم من يتيمن بالسائح ويتشامم
بالبارح ومنهم من يخالف ذلك
(٧) أرتج الباب : أغلقه .

والله لقد تكلم بكلام لم يسمعه سامع إلا انقاد له ، ومال إليه . وتكلم
بعده عمر رضى الله عنه بكلام دون كلامه ، ومد يده فيايمه ، ورجع أبو بكر
رضى الله عنه ، ورجعت معه ، فشهدت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وشهدت دفنه !

٩ - وصف عمر :

قال معاوية بن أبي سفيان لصعصعة بن صوحان : صف لي عمر بن الخطاب فقال
كان عالما برعيته ، عادلا في قضيته ، عاريا من الكبر ، قولا للعذر ،
سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحريرا للوراب ، رفيقا بالضعيف ، غدير محاب
للغريب ، راجاف للغريب

١٠ - وصف علي :

قال معاوية لضرار الصدائي : يا ضرار صف لي عليا ، قال : أعفني يا أمير
المؤمنين قال : لتصفنه قال : اما اذا لا بد من وصفه فكان والله بعيد المسدي (١)
شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتطلق الحكمة
من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان
والله غزير العبارة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه ، يهجه من اللباس
ما قصر ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كأحد دنا ينجبنا اذا سألناه وينبنا اذا
استبأناه ونحن مع تقريبه ايانا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ولا نبتدئه
لعظمته ، يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى في باطله ولا يبتس
الضعيف من عدله . وأشهد لقد رأيت في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله (٢)
وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتملبل السليم (٣) ويبكي
بكاء الحزين ويقول : يا دنيا اليك عنى ، غرى غبرى . ألى تعرضت أم الى تشوقت ؟

(١) المدى ، الغاية (٢) السدول جمع سدل وهو الستر

(٣) السليم : الملسوع وانما سمي كذلك نفاؤلا له بالسلافة كما سميت اليباء

مفازة مع أنها مهلكة

هيات هيات اقد باينتاك ثلاثا لا رجعة فيها فدمرك قصير ، وخطرك (١) حقير ؛
وخطبك (٢) يسير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق
فبكي معاوية حتى أخنبتك (٣) دموعه لحيتته وقال : رحم الله أبا الحسن فلقد كان
كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح واحدها في حججها

١١ — وطلح حسن بن علي رضى الله عنهما المتوفى سنة ٤٩ هـ

أيها الناس نانسوا في المكارم وسارها في المغامم ولا تحسبوا بمعروف لم
تعملوه (٤) ولا تكسبو بالمطل ذما (٥) واعلموا أن جوامع الناس من نعم الله
عليكم فلا تماروا النعم فتحول نقما، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وإن
أعفى الناس من عفا عن قدرة ومن أحسن أحسن الله إليه والله يحب المحسنين

١٢ — وقال :

لا تتكلف ما لا تطيق ولا تتعرض لما لا تدرك ولا تعتمد بما لا تقدر عليه
ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت ولا تفرح
إلا بما نلت من طاعة الله تعالى ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك أهلا له

١٣ — وللإمام علي كرم الله وجهه المتوفى سنة ٤٠ هـ

أيها الناس احفظوا عني خمسا فلو شددتم إليها المطايا حتى تنضوها (٧) لم تظفروا
بمثلها ألا لا يرجون أحدكم إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحي أحدكم إذا
لم يعلم أن يتعلم وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ألا وإن الخامسة الصبر فإن
الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، من لا صبر له لا ايمان له، ومن
لا رأس له لا جسد له ولا خير في قراءة إلا بتدبر ولا في عبادة إلا بتفكير ولا

(١) الخطر، القدر والمنزلة (٢) الخطب ، الشأن

(٣) أخضله ، به

(٤) أي لا تعلموا بمعروف صنعتموه متأخرا

(٥) أي لا تباطلوا فتذموا

(٦) أعظمهم عفوا ٧٥، تمكروها

في حلم إلا يعلم، ألا أنبئكم بالعالم كل العالم من لم يزين لعباد الله معاصي الله ولم يؤمنهم مسكره ولم يرئسهم من روحه (١)

١٤ - وله :

البشاشة جبل الوداد^(٢) والاحتمال قبر العيوب^(٣) احذروا صولة^(٤) الكريم
إذا جاع و صولة التميم إذا شبع ، من نصب نفسه إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل
تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بالسانه

١٥ - وله كرم الله وجهه إلى الحسن

يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ما تحب لنفسك
واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن
إليك واستجب من نفسك ما تستجبه من غيرك وارض من الناس ما ترضاه لهم
من نفسك ولا تغل ما لا تعلم وكل ما تعلم ولا تغل ما لا تحب أن يقال لك ولا
تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً واعلم أن حفظ ما في يدك أحب إلى من
طلب ما في يد غيرك ولا تأكل من طعام ليس لك فيه حتى فيئس الطعام الحرام
وجهد في تحصيل معاشك وإيالك والاتكال على المني فانها بضائع النوكى^(٥)

١٦ - وله كرم الله وجهه في الحكم :

البخل عار والجبين منقصة والفقر يخرس الفطن عن حجته (٦) والمقل (٧)
غريب في بلدته والعجزة آفة والصبر شجاعة والزهد ثروة والورع جنة ٨٠ نعم القرين
الرضا والعلم ورائة كريمة والآداب حلال مجددة ٩٠ والسفر مرآة صافية ١٠٠

(١) يقطع بأهلهم من رحمته

(٢) طلاقة الوجه تجذب المحبة

(٣) من احتمل المسكاره من غيره فقد دفن معايه (٤) بطشه

(٥) الحق (٦) أى بمعجزه عن اقامتها

(٧) المسموم (٨) وقاية (٩) حلال لا تبلى

(١٠) يرى به الانسان عواقب الامور والقصد التفسر في الاشياء قبل مباشرتها

إذا أقيمت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه (١) ما أضمر أحد شيئا إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه إن ملاك العقل ومكاديم الاخلاق صون العرض وأداء الفرض والوفاء بالعهد والانبجاز للوعد

١٧ - وله كرم الله وجهه ينصح عامله بالبصرة
دع الاسراف مقتصدًا واذكر في اليوم غدا وامسك من المال بقسده
ضرورتك (٢) وقدم الفضل ليوم حاجتك أترجوا أن يعطيك الله أجر المتواضعين
وأنت عنده من المتكبرين وتطمع وأنت متمرغ في النعم تمنعه الضعيف والأرملة (٣)
أن يوجب الله لك ثواب المتصدقين وإنما المرء مجزي بما أسلف وقادم على
ما قدم والسلام

١٨ - ومن حكم الرسول :

رحم الله عبدا قال خيرا فغتم أو سكت فسلم . التمسوا الرزق في خبايا (٤)
الأرض . ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو تصدقت
فأبقيت . الخلق كلهم عيال الله فأحبهم اليه أنفهم لهياله . جمال الرجل فصاحة
لسانه . الجبان محروم . العالم والمتعلم شريكان في الخير .

ومن حكم سيد أبي بكر الصديق

صنائع المعروف تقي مصارع السوء . ليست مع العزاء مصيبة
ولا مع الجزع فائدة . ثلاث من كن فيه كن عليه : البغي والنسك والمكر .

(١) المقصود أن الانسان بعمله لا ينسبه

(٢) بمعنى احفظ لنفسك من مالك ما تصرفه في حاجات معيشتك وتصدق بالباقي

ينفعك في المسأب يوم تحتاج فيه إلى ما يريد في حسناتك لتمحى سيأتك

(٣) المحتاجة المسكينة (٤) وذلك انما يكون بحرثها وتقليبها للزراعة

كثير القول ينسى بعضه وإيما لك ما وعى عنك .

ومن حكم سيدنا عمر بن الخطاب

من كتم سره كان الخيسار في يده . أشق الولاية من شقبت به رعيته .
لا يمكن حبك كلنا (١) ولا بغضك تلفا من يعرف الشركان أجدر أن يقع
فيه . أعقل الناس أضرهم للناس ؛ لا تؤخر عمل يومك الى غـدك أبت
الدرهم إلا أن تخرج أعناقها من يأس من شيء استغنى عنه
ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن (٢) أنتم الى إمام فعال
أحوج منكم الى إمام قوال يكفيك من الحاسد أنه يغم وقت سرورك

ومن حكم سيدنا علي

رأى الشيخ خير من مشهد الغلام ، الناس أعداء ما جهلوا ، الناس من خوف
الذل في الذل ، الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو ، اذا قدرت على عدوك فاجعل
العفو عنه شكرا للقدرة عليه ، قيمة كل أمر ما يحسن ، المرء مخبوء تحت لسانه ،
استغن عن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره ، وأحسن الى من
شئت تكن أميره ، خير أموالك ما كفاك وخير أخوانك من واساك ، الناس بزمانهم
أشبه منهم بآبائهم ، ما هلك أمرؤ عرف قدره ، من عذب لسانه كثر أخوانه ، بشر
مال البخيل بحادث أو وارث . بالبر يستعبد الحر . إعادة الاعتذار تذكير الذنب .
إذا تم العقل نقص الكلام . كثرة الوفاق نفاق ، وكثرة الخلاف شقاق . من
أكثر فكره في العواقب لم يشجع . الشرف بالعقل والآداب ، لا بالأصل والنسب

(١) الكلف : فرط المحبة ،

(٢) يقول : ان الذين يردعون عن الشرور بواسطة القهر والحكم أكثر ممن
يردعون بواسطة الدين لأن الناس كما قيل عبيد العصا ، وإن الذين يؤثر فيهم
الوزاع الديني قليل جدا

أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطلع . قلب الأحمق وراء لسانه ولسان العاقل وراء قلبه . يعيش البخيل في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء . الولايات متنامية (١) الرجال . الناس أبناء الدنيا ولا يلام الرجل على حسب أمه . من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه . الحرمان خير من الامتنان .

١٩ - استمناع أعرابي لسيدنا علي :

يروى أن أعرابيا وقف على علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال . إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك وإن أنت لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك . فقال له علي : خط (٢) حاجتك في الأرض فاني أرى النمر تلدك . فكتب الأعرابي على الأرض : . إنى فقير . فقال علي : يا قنبر (٣) ادفع إليه حلتي الفلانية . فلما أخذها مثل بين يديه فقال .

كسوتى حلة نبلى محاسنها فدوف أكسوك من حسن الثنا حاللا
إن الثناء ليحيى ذكر صاحبك كالغيث يحيى نداء السهل والجبال
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به فكل عبد سيجزى بالذى فعلا
فقال علي . يا قنبر أعطك خمسين ديناراً ، أما الحلة فلدسانك وأما
الدنانير فلا تدبك .

(١) المتنامية . جمع مضمار وهو الوقت أو الموضع الذى تضمير فيه الخيل لأجل السباق .

(٢) إما دعاه إلى كتابة حاجته رفقا به وصيانة لماء وجهه وتلك كانت عادته ، فقد ذكر صاحب المقدم أنه رضى الله عنه . كما يقول لأصحابه من كانت له إلى منكم حاجة فليرفعها في كتاب لأصون وجوهكم عن المسألة .

(٣) قنبر كجهمفر : مولى نبلى وخادمه .

٢٠ - وهذه كلبه أدبية موزونة الى أبي بكر وعمر بعثا بها الى علي :

روى عن أبي عبيدة انه قال :

لما استقامت الخلافة لأبي بكر بين المهاجرين والانصار ولحظ بعين الهيبة والوقار وان كان لم يزل كذلك بعد هنته كاده الشيطان بها فدفع الله عز وجل شرها ورحض عرها ويسر خيرها وازاح ضيرها ورد كيدها وقسم ظهر النفاق والفسوق من اهلها بلغ ابابكر الصديق رضى الله عنه عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه تلكه وشماس وتمهمهم ونفاس وكره ان يتماذى الحال وتبدو السداوة وتفترج ذات البين ويصير ذلك دربة لجاهل مغرور او عاقل ذى دهاء او صاحب سلامة ضيف القلب خوار العنان دعاني لخصرته وعنده عمر بن الخطاب وحده وكان يدمل ارضه بالسرجين وكان عمر قبساً له ظهيراً معه يستضيء برأيه ويستعمل على لسانه ، فقال لى يا أبا عبيدة : ما امين ناصيتك وامين الخير بين عينيك وعارضيك واتقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسكان المحوط والمحل المغبوط ، ولقد قال فيك فى يوم مشهود : ابو عبيده امين هذه الامة وطل ما اعز الله بك الاسلام واصلم فساده على يدك ولم تنزل للدين ملجأ وللمؤمنين دوحاً ولا هلك ركناً ولاخوانك رداً قد اردت لك لاسر له ما بعده خطره مخوف وصلاحه معروف واثن لم يندمل جرحه بمسبك ولم تستجب بحيته لرقيتك فقد وقع اليأس وأعضل البأس واحتيج بعد ذلك الى ما هو امر من ذلك واعلق واعسر منه واغلق والله اسأل تمامه بك ونظامه على يدك فتأن له يا أبا عبيدة وتلطف فيه وانصح لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا العصاة غير آل جهماً ولا قال جداً والله كالتك وناصرك وهاديك ومبصرك وبه الحول والتوفيق ، امض الى علي واخذ فض جناحك له واغضض من صوتك عنده واعلم انه سلالة ابي طالب ومكانه بمن قد فقدناه بالامس صلى الله عليه وسلم مكانه ، وقل له :

د البحر مغرقة والبر مفرقة والجو اكلف والليل اغاف والسياء جلاواء والارض صلحاء والصعود متعذر والهبوط متعسر والحق رؤف عطوف والباطل شحوف عنوف والمعجب قادح الشرار والضغن رائد البوار والتعريض شجار الفتنة والقعة

ثموب العداوة وهذا الشيطان متكى، على شماله متجبل بيمينه نافج حوضيه لاهله
ينظر الشتات والفرقة ويدب بين الامة بالشحناء والعداوة عناداً لله ولرسوله
صلى الله عليه وسلم ولدنيته ثالبا يرسوس بالفجور ويدلى بالغرور ويمنى اهل
الشرور ويوحى الى اوليائه بالباطل والزور دأب له مذ كان على عهد ايينا آدم صلى
الله عليه وسلم وعاده منه منذ أهانه الله عز وجل في سالف الدهر لاينجى منه
الا بعض النواجذ على الحق وعض الطرف عن الباطل ووطء هامة عدو الله وعدو
الدين بالاشد فالاشد والاحد فالاحد واسلام النفس لله عز وجل فيها حاز رضاه
وجنب سخطه ولا بد الآن من قول ينفع اذا ضر السكوت وخيف غيبسه ، ولقد
اودك من أفاء ضالتك وصافاك من احيا مودته لك بعتابك وأراد الخير بك من
آثر الإبقاء معك ما هذا الذى تسول لك نفسك ويدوى به قلبك ويلتوى به عليك
رأبك ويتخاوص دونه طرفك ويسرى فيه ظعنك وبتراء معه نفسك وتكسر معه
صعداؤك ولا يفيض به لسانك أنجمة بمد إفصاح أتليس بعد ايضاح أدين غير
دين الله عز وجل أخلق غير خلق القرآن أهدى غير النبي صلى الله عليه وسلم أمثلى
يدب له الضراء او يمشى اليه الخمر أم مثلك يتقبض عليه القضاء او يكسف في عينه
القمر ماهذه القمعة بالشنان وماهذه الوعرة باللسان انك جد عارف باستجابتنا
الله عز وجل ولرسوله عليه السلام وخروجنا عن أوطاننا واموالنا واولادنا
واحبتنا هجرة الى الله تعالى عز ذكره وانصرة نبيه صلى الله عليه وسلم في زمان انت
فيه في كن الصبي وخدر الغرارة غافل عما يشيب ويريب لاتعى ما يراد ويشاد
ولا تحصل ما يساق ويقاد سوى ما انت جار عليه الى غابتك التى اليها عدى بك
وعندها حقه رحلك غير مجهول القدر ولا مجهود الفضل ونحن في اثناء ذلك نعاني
احوالا تزيل الرواى ونفاسى اهوالات شيب النواصى خائضين غمارها راكبين
تيارها تتجرع صابها ونشرح عباها ونسوغ عباها ومحمكم اساسها ونبرم امراسها
والعيون تحسج بالحسد ، الانوف تهطس بالكبر والصدور تستنرق بالغيظ
والاعناق تتطارل بالفجر والشفاق تشحن بالمسكرو الارض تميد بالخوف ولا تنتظر
عند المساء صباحا ولا عند الصباح مساء ولا تدفع في نحر امرنا الا بهسد ان

نحسو الموت دونه ولا نبليخ الى شئ الا بعد جرع الغصص معه ولا تقوم منأدأ
الا بعد الياس من الحياة عنده فادين في كل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بالاب والام والخال والعم والنشب والسبد واللبسد والهللة والبللة بطيب نفس
وقرورعين ورحب اعطان وثبات عزائم وصحة عقول وطلافة أوجه وذلافة السن
هذا الى خفيات اسرار ومكنونات اخبار كنت عنها غافلا ولولا حدائثة سنك لم
تكن عنها نا كلا كيف وفؤادك مشهوم وعودك مهجوم وغيبك مخبور والقول
فيك كثير والآن قد بلغ الله بك وارحص الخير لك وجعل مرادك بين يديك
وعن علم أقول ما تسمع فارقب زمانك وقلص اليه أردانك ودع التجسس
والتعسس لمن لا يضلع اليك اذا خطا ولا يترحزح عنك اذا عطا فالامرغض والنفوس
فيها مض وانك اديم هذه الامة فلا تحلم لجاجا وسيفها العضب فلا تنب اعوجاجا
وماؤها العذب فلا تحلم اجاجا والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
هذا الامر فقال لي يا ابا بكر هـ ولمن يرغب عنه لا لمن يرغب
فيه ويجا حش عليه ولمن تضامل له لا لمن ينتفخ اليه ولمن
يقول هو لك لا لمن يقول هو لي والله لقد شاورني رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الصهر فذكر نفيانا من قريش فقلت أين أنت من علي فقال إني لأكره
لفاطمة ميمة شباها وحدائثة سنه فقلت له متى كنفته يدك ورعته عينك حفت بهما
البركة وسبغت عليهما النعمة مع كلام كثير خطبت به عاك ورغبته فيك وما كنت
عرفت منك في ذلك حوجاء ولا لوجاء فقلت ما قلت وأنا أرى مكان غيرك واجد
رائحة سواك وكنت لك إذا ذاك خيراً منك الآن لي واثن كان عرض بك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كنى عن غيرك وان كان قال فيك فما سكت
عن سواك وان يخلج في نفسك شئ فسلم فالحك مرضي والصواب مسهوع
والحق مطاع ولقد نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما عند الله عز وجل
وهو عن هذه العصابة راض وعليها حذب يسره ما يسرها ويكيدها ما كادها
ويرضيه ما أرضاها ويسخطه ما أسخطها ألم تعلم أنه لم يدع احدأ من أصحابه
وخطائته واقاربه وشجراته الا أبانه بفضيلة وخصه بمكرمة وافرده بخلافة لير

اضفقت الامة عليه لكان عنده ابالتها وكبرتها وكرامتها وغزارتها أنظن أنه صلى الله عليه وسلم ترك الامة نشر اسدى بددا عدى عباهل مباهل طلاحاً مفتونة بالباطل مغبونة عن الحق لا ذائد ولا حائظ ولا ساقى ولا واقى ولا هادى ولا حادى كلا والله ما اشتاق إلى ربه تعالى ولا سأله المصير إلى رضوانه حتى ضرب الصوى واوضح الهدى وامن الممالك والمطامح وسهل المبارك والمهايع وشدخ يافوخ الشرك باذن الله عز وجل وشرم وجه النفاق لوجه الله تعالى جده وجدع انف الفتنة في ذات الله تبارك اسمه وتقل في وجه الشيطان بعون الله جل ذكره وصدع بملء فيه ويده بأمر الله عز وجل وبعد فهؤلاء المهاجرون والأنصار عندك ومعك في دار واحدة وبقعة جامعة إن استقالوني لك وأشاروا عندي بك فانا واضع يدي في يدك وصائر إلى رأيهم فيك وإن تكن الأخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون وكن العون على مصالحهم والقائح لمغالقتهم والمرشد لضايقهم والرادع لغاويهم فقد أمر الله عز وجل بالتعاون على البر وأهاب إلى التناصر على الحق ودعنا نقضى هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغل ونلقى الله عز وجل بقلوب سليمة من الضغن (وبعد) فالناس ثمانية فارقهم واحن عليهم ولن لهم ولا تشق نفسك بنا خاصة فيهم واترك ناجم الحقد حصيداً وطائر الشر واقعاً وباب الفتنة غلقاً فلا قال ولا قيل ولا لوم ولا تبيع والله عز وجل على ما نقول وكيل وبما نحن عليه بصير .

قال أبو عبيدة : فلما تهيأت للنهوض قال لي عمر كن لدى الباب هنية فلي نصيب من القول فوقففت ولا أدري ما كان بعسدى إلا أنه لحقنى ووجهه يندى تهللا وقال قل لعلى :

و الرقاد محله والهجاج ملحمة والهوى مفحمة وامنا أحد إلا وله مقام معلوم وحق مشاع أو مقسوم ونبا ظاهر أو مكتوم وان الكيس الكيسى من منح الشارد تألفاً وقارب البعيد تالفاً ووزن كل أمرى بميزانه ولم يخلط خبره بعيانه ولم يجعل فتره مكان شبره ولا خيره مكان شره ولا خير في معرفة مشوبة بنكرة ولا في علم معتمل في جهل ولسنا كجلدة رفغ البعير بين العجائب وبين الذنب

وكل صال فبناره وكل سميل فالى قراره وما كان سكبوت هذه العصابة إلى هذه الغاية لى وشى وكلامها أليوم لفتق اوراق قد جدع الله بمحمد صلى الله عليه وسلم انف كل ذى كسبر وقصف ظهر كل جبار وقطع اسنان كل كذوب فاذا بعد الحق الا الضلال ما هذه الخبزوانة التى فى فراش رأك وما هذا الشجرا المعترض فى مدارج انفاسك وما هذه الوحرة التى اكلت شر اسيفك والقذاة التى اعثت ناظرک وما هذا الدخس والدس اللذان يدلان على ضيق البساع وخور الطباع وما هذا الذى لبست بسببه جلدة النر واشتمات عليه بالشحناء والنكر لشد ما استسمعت اليها وسريت سبى ابن انقد اليها ان العوان لا تعلم الخزى وان الحصان لا تكلم خبيرة وما احوج الفرعاء الى فال وما افقر الصلعاء الى حال لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر محبس ليس لاحد فيه ملس . . ولم يسير فيك قولاً ولم يستنزل فيك قرآناً ولم يعزم فى شأنك حكماً ولستنا فى كسروية كسرى ولا فى قيصرية قيصر انما ذلك لأخذان فارس وابناء الاصفر قوم جهلم جزراً لسيفنا وخزراً لراحنا ومرى لطعاننا وتبعنا لسلطاننا بل نحن فى نور نبوة وضياء رسالة وثمره حكمة وأثرة رحمة وعوان نعمة وظل عصمة بين امة مهديّة بالحق والصدق مآهونة على الفتق والرتق لها من الله عز وجل قلب ابى وساعد قوى ويد ناصرة وعين باصرة أنظن ان أبا بكر الصديق وثب على هذا الامر مقتاناً على هذه الامة خادعاً لها متسلطاً عليها أنراه امتلخ احلامها وأزاع ابصارها وحل عقدها واحال عقولها واستل من صدورنا حيتها وانتزع من اكبادها عصبيتها ونسكت رشائها وأنضب مآها واضلها عن هداها وساقها الى رداها وجعل نهارها ليلاً ووزنها كيلاً وبقظها رقاداً وصلاحتها فساداً إن كان هكذا ان سحره لمبين وان كيدته لمتين كلا والله باى خيل ورجل وبأى سنان وانصل وبأى قوة ومنة وبأى ايد وشدة وبأى عشيرة واسرة وبأى تدرع وبسطة لقد اصبح عندك بما رسمته منبع العقبة رفيع العتبة لا والله ولكن سلا عنها فوطت اليه واطمان لها فلصقت به ومال عنها فالت اليه واشتمل دونها فاشتمات عليه حبة حياه الله بها وعاقبة بلغه الله اياها ونعمة سر به الله جمالها وبد أوجب عليه شكرها وامة نظر الله

به لها ولطال ما حلقت فوقه في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت
لفتها ولا يرتصد وقتها والله اعلم بخلقه وأرأف بعباده يختار ما كان لهم الخيرة
وانك بحيث لا يحفل موضعك من بيت النبوة ومعدن الرسالة وكهف الحكمة
ولا يجد حقلك فيما آتاك ربك ولكن لك من يراحمك بمنكب اضخم من منكبك
وقرب امس من قربك وسن اعلى من سنك وشيبة اروع من شيبتك وسيادة لها
رقى من الجاهلية وفرع في الاسلام والشريعة وواقف ليس لك فيها من جهل ولا
ناقة ولا تذكر منها في مقدمة ولا ساقطة ولا تضرب فيها بذراع ولا اصبع ولا
تخرج ببازل ولا هبع ان عذرت نفسك فيما تهدر به شقة شقتك من صاغيتك فاعذرنا
فيما تسمع منا في اين وسكون بما لا تبعده منه ولا تاضله عليه ولئن حدثت بهذا
نفسك ليتنخشن عليك ما ينسيك الاولى ويليبك عن الاخرى ولو علم من
عرضنا به بما في انفسنا له وعليه ولما سكنت ولا تخذت انت وليجة الى بعض الارب.
فاما ابو بكر الصديق فلم يزل حبة سويداء قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلاقة
همه وعيبة سره ومثوى حزنه ومفزع رأيه ومشورته وراحة كفه ومرمق طرفه وذلك
كله بحضرة الصادر والوارد من المهاجرين والانصار شهرته مغنية عن الدلالة عليه
ولعمري انك اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة لكنه اقرب قرابة
والقرابة لحم ودم والقربة روح ونفس وهذا فرق قد عرفه المؤمنون وكذلك
صاروا اجمعين وهمما شككت فيه فلا تشك ان يد الله مع الجماعة ورضوانه لاهل
الطاعة فادخل فيما هو خير لك اليوم وأنفع لك غدا والفظ من فيك ما تعلق
بلماتك وانفك سخيمة صدرك عن نفائك فان يكن في الامد طول وفي الاجل
فسحة فستأكله مريا او غير مري وستشربه هنيا او غير هني حين لا راد لقبولك
الا من كان منك ولا نابح لك الا من كان طامعا فيك بمض إهابك وبفري قدامتك
ويزرى على هديك هناك تفرع السن من ندم وتجرع المساء بزوجا بدم وحينئذ
تأسى على ما مضى من عمرك ودرج من قومك فتود ان لو سقيت بالكساس التي
ابيتها ورددت للحال التي استبريتها والله تعالى فينا وفيك امر هو بالغه وغيب هو
شاهده وعاقبة هو المجور لضرائها وسراؤها وهو الولي الحميد الغفور الودود

قال ابو عبيدة رضى الله عنه : فشميت متزماً أتوجى كما بما اخطو على أم رأسى
فرقاً من الفرقة وشفقاً على الامة حتى وصات الى على في خلاء فأبنته بى كله
وبرئت اليه منه ورفقت به فلما سمعها ووعاها وسرت في اوصاله حياها قال حلت
معلوطة وولت مخروطة حل لاحت التمس أدنى لها من ان اقول لها

احدى لياليك فهيسى هيسى لانعمى الليلة بالنعريس

نعم يا ابا عبيدة أكل هذا في انفس القوم يحتبون عليه ويضطبعون به قال ابو عبيدة
فقلت لاجواب لك عندي ايماً أنا قاض حق الدين ورائق فتح الاسلام للمسلمين
وساد ثلثة الامة يعلم الله ذلك من جلجلان قلبي وقرارة نفسى قال على رضى الله
عنه والله ما كان قعودى في كسر هذا البنت قصداً للخلاف ولا انكاراً للمعروف
ولا زراية على مسلم بل لما وقفتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراقه
واودعنى من الحزن بفقده وذلك انى لم اشهد بعده مشهداً الا جددلى حزننا وذكرفى
شجوراً وان الشوق الى اللحاق به كاف عن الطمع في غيره فقد عكفت على عهد
الله أنظر فيه وأجمع ماتفرق منه رجاء ثواب مود لمن اخاص عمله وسلم لعلمه
ومشيئة ربه على انى ما علمت ان التظاهر على واقع ولا عن الحق الذى سبق الى
دافع واذا قد أفهم الوادى بن وحشد البادى من اجلى فلا مرحباً بما ساء احداً من
المسلمين وفى النفس كلام لولا سابق قول رسالف عهد لشفيت غيظى بخصمى
وبنصرى وخضت لجنته بأخصى ومفرقى لكفى ما نجم الى ان التى الله عز وجل
وعنده احتسب ما نزل بنى وانا غاد الى جماعتكم ومبايع لصاحبكم وصابر على ما ساءنى
وسركم ليقضى الله امرأ كان مفعولاً وكان الله على كل شىء شهيداً . قال ابو عبيدة :
فعدت الى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فنصصت القول على غرة ولم اخترزل
شتناً من حلوه ومره وذكرت غدوه الى المسجد فلما كان صباح يومئذ وانى نفرقى
الى أبى بكر فبايعه وقال خيراً ووصف جميلاً وجلس زهيداً وأستاذن للقيام ونهض
فشيعة عمر تكرمه له واستشارة لما عنده فقال له على ما فعدت عن صاحبكم كارهاً له
ولا اتيته فرقاً منه وما افول ما افول لعلة وانى لاعرف مسمى طرفى ومخطى قدمى
ومنزع قوسى وموقع سهمى ولكنى قد ازممت على فأسى ثقة بالله فى الالبالة فى الدنيا

والآخرة ، فقال له عمر كفكف غربك واستوقف سربك ودع العصا بلحاشها والدلاء
برشائها فانا من خلقها وورائها ان قدحنا اورينا وان متحننا اروينا وان جرحنا
ادمينا وان نصحننا اربينا ولقد سمعت اما ثيلك التي لغوت بها عن صدر أكل
بالجوى ولو شئت لقلت على مقاتلك ما اذا سمعته ندمت على ما قلته ، زعمت انك
قعدت في كسر بيتك لما وقدك به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراقه افراق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدك وحدك ولم يقذ سواك بل مصابه اعظم واعز
من ذلك فان من حق مصابه ان لا يصدع شمل الجماعة بكلمة لا عصام لها ولا
يزرى على اخبارها بما لا يؤمن كيد الشيطان في عقباها هذه العرب حولنا والله لو
تداعت علينا في مصبح يوم لم نلتق في مساء وزعمت ان الشوق الى اللحاق به كاف
عن الطمع في غيره فمن الشوق اليه نصره دينه وموازرة اولياء الله تعالى جده
ومعاونتهم فيه وزعمت انك عكفت على عهد الله عز وجل تجمع ما تبدد منه فمن
العكوف على عهده النصيحة لعباده والرقبة على خلقه وبذل ما يصلحون به
ويرشدون اليه وزعمت أنك لم تعلم أن التظاهر عليك واقع ولك عن الحق الذي
سبق إليك دافع فأي تظاهر وقع عليك وأي حق لك ليطد دونك وقد علمت
ما قالت الانصار لك بالامس سراً وجهرأ وما تقبلت عليه بطناً وظهراً فهل
ذكرتك أو أشارت بك أو وجدنا رضاها عنك هؤلاء المهاجرون من الذي قال
بلسانه تصلح لهذا الأمر أو اوما بعينه أو مهمهم في نفسه اتظن أن الناس قد ضلوا
من أجلك وعادوا كفاراً زهداً فيك وباعوا الله عز وجل ورسول الله صلى الله
عليه وسلم تحاملاً عليك لا والله ولكنك اعترلت تنظر الوحي وتتوكف مناجاة
الملك لك ، ذلك أمر طواه الله عز وجل بعد محمد صلى الله عليه وسلم اكان الأمر
معهوداً بانشوطة أو مشدوداً باطراف ليطه كلا والله أن الغيابة لخلقة وان الشجرة
لمورقة ولا بجماء بعد حمد الله إلا وقد فصحت ولا بعفاء إلا وقد سميت ولا
بلهأ إلا وقد فطنت ولا شوكاه إلا وقد نقحت ومن أعجب شأنك فولك لولا
سابق قول وسالف عهد لشغيت غيظي وهل ترك الدين لاحد من أهله أن يشغى
غيظه بيده ولسانه تلك جاهلية قد استأصل الله شأفتها ودفع عن الناس آفتها وأقلع

جرأومتها وهو وليها وغور سيلها وأبدل منها الروح والريشان والهدى والبرهان
وزعمت أنك ما جهم فلعمرى إن من اتقى الله عز وجل وأثر رضاه وطالب ما عنده
أمسك لسانه وأطبق فاه وجعل سميه لما وراءه. قال على رضي الله عنه: والله ما بذلت
ما بذلت وأنا أريد نكته ولا أقررت وأنا أريد حولا عنه وأن أخسر الناس
صفقة عند الله عز وجل من آثر النفاق واحتضن الشقاق وبالله سلوة من كل كارث
وعليه التوكل في كل الحوادث أرجع يا أبا حفص نافع القلب فسيح البال مبرود
الغليل فصيح اللسان فليس وراء ما سمته وقلته إلا ما يشد الأزر ويخط الوزر
ويضع الاصر ويجمع الألفة ويرفع الكلفة ويوقع الزافة بمونة الله عز وجل
وحسن توفيقه

٢١ - كتاب على إلى الأشتر النخعي :

وكتب للأشتر النخعي لما ولاه على مصر واعمالها عهداً يجمع كثيراً من المحاسن
وهو: « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين مالك
بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر جباية خرجها وجزاد عورها واستصلاح
أهلها وعمارة بلادها . أمره بتقوى الله وإتباع طاعته وإتباع ما أمر به في كتابه
من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحداً إلا بإتباعها ولا يشقى إلا مع جحودها واضاعتها
وإن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه فإنه جل اسمه قد تكفل بنصره من نصره
واعزاز من عزه . وأمره أن يكسر نفسه عند الشهوات ويضعها عند البلجات فإن
الفساد أمارة بالسوء إلا ما رحم الله . ثم أعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد
جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وإن الناس ينظرون من أمورك في مثل
ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وإنما
يستدل على المصالحين بما يجرى الله لهم على السن عباده فليكن أحب الذخائر إليك
ذخيرة العمل الصالح فإمالك هوأك وشح بنفسك عما لا يحل لك فإن الشح بالنفس
الانصاف منها فيما أحببت أو كرهت وأشهر قلبك الرية الرعية والمحبة لهم واللفظ
بهم ولا تكون عليهم سبباً ضارياً تمنعهم أكلهم فانهم صنفان إما أخ لك في الدين
أمر نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العال ويؤتى على أيديهم في العمد

والخطأ فأعظم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من عفوهِ
وصفحه فانك فوقهم ووالى الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفأك
امرهم وابتلاك بهم ولا تنصن نفسك لحرب الله فانه لا يدى لك بنقمة ولا غنى بك
عن عفوهِ ورحمته ولا تمدن على عفو ولا تبجن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة
وجدت منها مندوحة ولا تقوان انى مؤمر آمر فأطاع فان ذلك ادغال فى القلب
ومنهك للدين وتقرب من الغير . واذا أحدث لك مانت فيه من سلطانك أهمة
أو مخيلة فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على مالا تقدر عليه من
نفسك فان ذلك يطامن اليك من طهاحك ويسكفيك عنك من غربك ويبنى
اليك بما عذب عنك من عقلك . واياك ومساماة الله فى عظمتة والتشبه
به فى جبروته فان الله يذل كل جبار ويمين كل مختال . انصف
الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من
رعيتك فانك الا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن
خاصمه الله ادحض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب وليس شىء ادعى الى
تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إفاة على ظلم فان الله سميع دعوة المضطهدين
وهو للظالمين بالمرصاد . وليكن أحب الاءور إليك أوسطها فى الحق واعمها فى
العدل واجمعها لرضا الرعية فان سخط العامة يححف برضا الخاصة وإن سخط الخاصة
يتفرمغ رضا العامة، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالى مؤنة فى الرخاء واقل
معونة له فى البلاء واكره للانصاف واسأل بالالفاف واقل شكراً عند الاعطاء
وابطأ عنذراً عند المنع واضرف صبراً عند ملهات الدهر من أهل الخاصة وإنما
عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة فليكن صفوك لهم
وميلك معهم . وليكن أبعد رعيتك منك وأشنانم عندك أطلبهم لمعائب الناس
فان فى الناس عيوباً الوالى أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فانما
عليك تطهير ماظهر لك والله يحكم على ماغاب عنك فاستر العورة مااستطعت يستر
الله منك ماتحب ستره من رعيتك . اطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك
سبب كل وتر وتغاب عن كل مالا يصح لك ولا تعجلن الى نصدين ساع فان

الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين . ولا تدخان في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله .

إلى أن قال : ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعييتك في نفسك من لا تضيق به الأمور ولا تهكك الخصوم ولا يتبادى في الزلة ولا يمحصر من الفؤء إلى الحق إذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يسكتني بأذى فهم دون أقصاه أو قفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج وأقلمهم تبرماً بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الأمور وأصرمهم عند تضاح الحكم من لا يردديه اطراء ولا يستهيله إغراء وأولئك قليل ثم أكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيل علكه وتقل معه حاجته إلى الناس وأعطه من المئزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظراً بليغاً فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الاشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا .

ثم ختمه بقوله :

والواجب عليك ان تذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنة فاضلة او أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله او فریضة في كتاب الله فتمتدى بما شاهدت بما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت اليك في عهدى هذا واستوثقت به من الحججة لنفسى عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك الى دواها وأنا اسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ان يوفقنى واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء فى العباد وجميل الاثر فى البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وان يختم لى ولك بالسعادة والشهادة انا اليه راغبون ، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً والسلام

النثر

وميزاته في أغراضه وألفاظه وأساليبه ومعانيه

تمهيد :

١ - الادب قسمان : شعر ونثر ؛ فالشعر هو الكلام الموزون المقفى المعتمد على الخيال. والنثر هو ما خلا من الوزن والتقفية. والشعر يعتمد على الخيال والعاطفة، ويثير الشعور والوجدان. والنثر غالبا ما يعتمد على الحقائق ويركن إلى صدق التعبير، وقد يعتمد على الخيال ويعتمد إثارة العواطف، ويصاغ في أساليب شبيهة بأساليب الشعر فيسمى شعرا منثورا .

٢ - والنثر نوعان : أحدهما ما يدور في كلامنا المألوف إذا تحدث الناس بعضهم إلى بعض في حاجاتهم ومصالحهم فيرسلون له إرسالا على سجيتهم وعلى ما تدعو إليه الحاجة والمصلحة ، وهذا ما نسميه لغة التخاطب ، وهذا لا يعني به الادب وليس قسما منه ، فليس شعرا ، وهو في الوقت نفسه ليس هو النثر الذي يحفظ ويروى ويتأدب به الذي هو أحد قسمي الادب ، وإنما هو كلام عادي لم يقصد أصحابه فيه غالبا إلى الاجادة ولا إلى جمال فني وإنما أرادوا تأدية ما في نفوسهم من المعاني وتحقيق ما تقتضيه منافعهم من الاغراض .

والثاني هو ما يسمى نثرا فنيا وهو ما حوى أفكارا منظمة ، في عرض جميل جذاب وصياغة جيدة السبك فصيحة الاسلوب ، وهذا هو الذي يعد قسما للشعر في باب الادب ، وأهم أنواعه : الخطابة ، والكتابة الفنية . والكتابة عند الاوربيين : وصف أو قصص ، وعند العرب : رسائل وقصص ومناظرة وجدل وتاريخ .

٣ - ولكن هل الشعر هو السابق في النشأة الأدبية أو النثر الفني ؟

برى الدكتور طه حسين ومن اتبعه مقلدين في ذلك بعض المستشرقين

كالمسيو مرسيه الفرنسى أن الشعر أسبق في الوجود من النثر الفنى (١) . ويستدلون على ذلك بما يأتي (٢) :

ا - الشعر في آداب الأمم الأوربية سابق على النثر فعند اليونان كانت قصائد هو ميروس تنشد ويتغنى بها قبل أن يؤلف كتاب أو يظهر نثر فنى ، وفي الأدب الانكليزى ترى أن قدم الآثار الأدبية عند الانكليز القدماء القصائد التى تصف أعمال « بيولف » ، وهى ترجع إلى القرن السادس أو السابع الميلادى . فقد ظلت الأمم تتمتع بأدب الشعر قبل أن ينشأ فيها أدب النثر .
ب - كثرة الشعراء في العهد الأول لأدب أى أمة من الأمم وزيادتهم زيادة بينة على كتاب النثر .

ج - ومن أقوى الأسباب التى قدمت نشأة الشعر على نشأة النثر في رأيهم أن الأدب المنشور يتطلب معرفة بالكتابة والكتابة متأخرة في تاريخ كل أمة قصائد هو ميروس انتشرت وذاعت وتناقلها الناس قبل أن تدبج الكتابة وكذلك روى الرواة الشعر العربى القديم قبل أن تدبج الكتابة ، ومنشئ الأدب المنشور لا بد له من تدوين ما يحظر له

د - الشعر يعتمد على الخيال في حين يعتمد النثر الفنى على المنطق والتفكير والخيال يسبق التفكير في حياة الأفراد والجماعات
هـ - الجماعات الساذجة نجد عندها كلاما موزونا دون أن نجد عندها نثرا فنيا صحيحا .

و - الشعر متصل بالغناء فالناس يغنون شعرا قبل أن يغنوا نثرا لا يتم بدون فى الشعر أوزانا تلائم تقطيع الغناء وانغامه

(١) راجع ص ١٠٣ / ١ النثر الفنى لزكى مبارك

(٢) ص ١٠ ، ١٢ ، ١٧٣ ، وما بعدها التوجيه الادبى ط ١٩٤٠ . الباب السابع

من كتاب أصول النقد الادبى للشايب ، ٣٦٤ - ٣٦٨ من كتاب الادب الجاهلى لطلح حسين . وراجع فى ذلك البحث : الطبع والصناعة للهيبارى و ١/٣٧ الجوان للجانح

أما الدليل الأول فلا يدل على شيء، بل هو إن دل فانما يدل على ضياع النثر لعدم تدوينه وبقاء الشعر لأنه يعلق بالحفاظة ويخلد بالرواية .

ومن أجل ذلك بقي الشعر وأخبار الشعراء معروفة لم يحف عليها النسيان وهو السبب في كثرة الشعراء في العصور الأولى من عصور آداب الأمم كثيرة كبيرة وفي زيادتهم على الكتاب ورجال النثر وبذلك نجد الدليل الثاني منهارا .

ولعدم وجود الكتابة في العصور القديمة التي هي وسيلة لتخليد النثر الفني ضاع أغلب ما لدى الأمم من نثر فني، فكيف إذا استدلون على سبق الشعر للنثر باحتياج الأدب المنثور للكتابة في تدوينه، وبذلك تجد الدليل الثالث لا يكاد يسير نحو الهدف خطوة واحدة.

وزعمهم أن الشعر يعتمد على الخيال والنثر على المنطق والتفكير صحيح في الأول مبالغ فيه في الثاني فلم لا يكون النثر الفني في بدء نشأته قد اعتمد على الخيال أيضا كالشعر، ولم لا يكون هذا النثر قد اعتمد على المنطق والتفكير على حسب عقاية الأمة وثقافتها ومقدار تفكيرها في هذه العصور القديمة . وبذلك نجد الدليل الرابع لا يؤدي إلى غاية .

وأما أن الأمم التي لم تصعد درجة في الحضارة لها شعر وليس لها نثر فني خطأ في الرأي، فإن هذه الجماعات الساذجة يوجد بجانب ما لديها من شعر نثر فني ملائم لعقايانهم ومظاهره الأمثال والحكم والتجارب والنصائح، وذلك يشاهد كثيرا في بيئتنا المصرية العامة التي يمثل بها هؤلاء تأييدا لرأيهم من سبق الشعر للنثر وبذلك لا يمكننا التعويل على الدليل الخامس .

وأما أن الشعر غني من قديم قبل أن يغنوا نثرا فنشأ ذلك أن الشعر أصلح للغناء من النثر لموسيقاه وقافيته، فكيف يتركونه ويغنون بنثر فني لا يلائم الغناء.

والحق أن النثر وجد أولا ثم تحول إلى النثر الفني، ثم نشأ بعد ذلك الشعر، ويؤيد هذا الرأي إجماع كبير من المستشرقين على أن السجع كان المرحلة الأولى التي عبرها النثر إلى الشعر في الأدب العربي القديم .

ويؤيده أيضا وجود الكتب الدينية السماوية من قديم الاجيال في الامم التي
أنزلت لها ، وذلك قبل أن نسمع بالشعر والشعراء . ولعل هذه الكتب هي التي
أدت إلى نشأة النثر الفني في العصور القديمة البعيدة قبل أن يوجد الشعر
بزمان طويل .

ويؤيده أيضا إجماع الباحثين أو شبه إجماعهم على أن النثر أسبق من الشعر (١)
٤ — وبعد فالنثر مرسل ومزدوج ومسجوع .

فالمسجوع كما في سورة الكوثر ، والسجع هو ما أتحدت فاصلته أو فواصله
في الحرف الأخير مثل : من عاش مات ، ومن مات فات .

والمزدوج هو ما أتحدت فواصله في وزنها لافي الحرف الأخير منها بما

نسميه تقفيه . مثل قوله تعالى : وبسارق مصفوفه ، وزراني مشوثة .

والمرسل هو ما خلقت فواصله من الاتحاد في الوزن والقافية معا مثل : ولا يلاف

قريش ، إيلا فهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذي اطعمهم
من جوع ، وآمنهم من خوف ،

شبهة للمستشرقين :

فالنثر الأدبي أو الفني إذا هو الكلام الذي يصور العقل والشعور ولا يتقيد

بوزن ولا قافية .

ويرى بعض الباحثين من الأدباء المحدثين ومن بينهم الدكتور طه حسين أن
القرن الأول الهجري لم يكن فيه نثر فني يعتد به ، إنما كان الشأن للشعر ، والقرآن
لا يصح عده نثرا ولا شعرا (٢) ، وقد احتذى الدكتور في ذلك حذو الاستاذ
مرسبه الفرنسي وهو أول من ذهب إلى ذلك ، إلى أن النثر الفني في الأدب
العربي يتتدىء بأبن المقفع (٣) ، وابن المقفع في نظر هؤلاء ، أول مندل للتطورات

(١) راجع ١٧ تاريخ الأدب العربي للزيات وسواه

(٢) ١ / ٣٣ ، النثر الفني (٣) ١ / ٣٨ المرجع

الجديدة في الأديب للعربي^(١) ، و هو أول مؤلف للأديب في اللغة العربية ،^(٢) وقد آمن الدكتور طه بهذا الرأي وبأن الشعر أسبق من النثر الفني في آداب اللغة العربية ، وأذاع ذلك في كثير من مؤلفاته^(٣) ، وقد ثار به من الباحثين في وجه هذه النظرية وهاجموها^(٤)

وهذه النظرية — وهي أن الشعر سبق النثر الفني في الوجود — نجد أصولها عند أرسطو في كتابه « الشعر » فهو يقول فيه : « والأقدم من الأشعار الأقصر ، والأولون كانوا يقرءون الاعتقاد في النفوس بالتمثيل الشعري ثم نبغت الخطابة بعد ذلك فحاولوا تقرير الاعتقادات بالاعتقاد »^(٥) ، فأرسطو يرى أن الشعر وجد قبل الخطابة وهي نوع من أنواع النثر ، وقد عمم بعض المحدثين من المستشرقين ذلك الحكم فذهبوا إلى أن الشعر أسبق من النثر الفني وجوداً ، وعلى أن بعض كبار المستشرقين من علماء الألمان كجلد زهر وبر وكلمان على الرأي القائل بأن السجع كان المرحلة التي عبرها النثر إلى الشعر عند العرب^(٦) ، وهذا يهدم المذهب الجديد السابق .

ونحن لا نميل إلى هذا المذهب الجديد ولا نؤيده ، فالقرآن أثر من آثار النثر

(١) مجلة الأدب والفن عدد نوفمبر ١٩٤٥ من مقال للأستاذ جب بعنوان

خواطر في الأدب العربي .

(٢) ص ٩ المرجع السابق

(٣) ١٢ التوجيه الأدبي ، ٣٦٤ - ٣٦٨ الأدب الجاهلي ، ١٥ و ١٦ المجمع

في تاريخ الأدب العربي ، و « من حديث الشعر والنثر »

(٤) راجع ٥٨ - ٦٦ تاريخ الأدب في العصر الجاهلي للأستاذ محمد هاشم ،

٣٣ / ١ النثر الفني .

(٥) راجع الفن التاسع من الشفاء ، وهو « الشعر »

(٦) الأدب الجاهلي لمحمد هاشم

الفنى ، وكذلك الكتب الدينية والأدبية القديمة التي يشير إليها القرآن الكريم ، وكثير من الأمم القديمة كان لها نثر فى الميلاد بكثير ، فاليونانيين آثار كبيرة فى الخطابة من قبل الميلاد بقرون عديدة ، وللرومانيين آثار فيها قبل الميلاد وبعده (١) فلم لا يكون للعرب نثر فى بعد الميلاد بخمسة قرون ، على أن لعبد الحميد الكاتب آثارا كبيرة فى النثر الفنى وهو قبل ابن المقفع على أى حال ، والتقدم من النقاد يؤيدون سبق النثر للشعر ، فابن رشيق يقول : وكان الكلام كله منشورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعرافها فتوهوا أعرابها وجعلوها موازين للكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعرا (٢) ، وكذلك كثير من الباحثين كالزهاوى (٣) وسواه

وإذا فالتأثر الفنى فى الأدب العربى وجد قبل القرآن بقليل وصاحب نزول القرآن وتأثر به تأثرا عظيما ، ثم نما وازدهر بعد عصر النبوة على يد كثير من أعلام النثر إلى أن نبغ فيه عبد الحميد الكاتب وابن المقفع وسواهما

وصف للنثر الفنى فى صدر الإسلام :

وبعد فقد كان للعرب فى جاهليتهم نثر فنى (٤) ، بقى فى ماروى لنا من أمالمهم

(١) راجع ٦٥ — ٧٣ التوجيه الأدبى

(٢) ١ / ٨ العمدة

(٣) راجع الجزء الأول من « سحر الشعر »

(١) هذا ويشكر طه حسين وجود نثر فنى فى الجاهلية لأن كل ما يضاف إلى عرب الجنوب من نثر فنى لا يدل على عدم ظهور لهجاتهم فيه إذا جاء كله بلغة قرىش التي لم يكن لهم بها علم ولا نثر فنى كان لهم لغة موروثة كتبوا بها وتركوا النافىها نصوصا مشهورة كشفها المستشرقون وهى لاتوافق لغة قرىش فى نثر فنى . فكل ما يضاف إلى اليمنيين عنده من نثر مرسى أو مسجوع أو خطابة فى الجاهلية من نثر فنى . أما عرب الشمال فبصرى رفض ما يضاف إلى ربيعة وغديرها من عرب العراق والبحرين والجزيرة ويتردد فيما ينسب إلى مصر . وهذا هو موقفه بالنسبة للشعر الجاهلى أيضا . [راجع الادب الجاهلى]

وحكمهم ووصاياهم وخطبهم ومناقراتهم ومفاخراتهم ومحاوراتهم ووثق كهبانهم .
ثم نزل القرآن الكريم وجاءت الدعوة النبوية الكريمة واختلف العرب حيا لها
بين مكذب ومصدق ، فكثرت دواعي الحجاج والكلام والخطابة ، واخذ النثر
ينمو ويزدهر ويسمو ويقوى ،

وتتلذذ على القرآن والحديث اعلام من البلغاء والخطباء والفصحاء فنهجوا
نهجهم في تأييد الدعوة ونشر الرسالة والإرشاد إلى الحق والخير والاسلام ،
وتحميس الجنود والتبشير بالنصر . فكان لذلك كله أثر في نهضة النثر الفنى بعد
عصر النبوة .

ولقد كان في كلام الله وحديث رسول ألوان رائعة كثيرة من المعاني الشريفة
والأساليب الرفيعة والألفاظ الساحرة فاقتدى العرب بهما ، ونهلوا من هوردهما
وأخذوا يصوغون أدبهم على مثالها .

فاتسعت أغراض النثر واستحكمت أساليبه وعذبت ألفاظه ، وعمقت معانيه .

ومن الجدير بالذكر هنا أن القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف جعلوا
لنثر دولة ووضعاه في منزلة أسمى من منزلة الشعر ، فأصبح هو أهم ألوان الأدب
في ذلك العصر الكريم .

موضوعات النثر الفنى :

شملت موضوعات النثر الفنى في هذا العصر ما يأتى :

١ - الدعوة إلى العقيدة الاسلامية وبيان مبادئها وغاياتها وأهدافها
ائتلى الكريمة .

٢ - بيان السياسة الشرعية والاجتماعية في عهود الخلفاء الى ولاتهم وقضاتهم
وقوادهم : كعهد على رضى الله عنه الى الأشتر النخعى وعهد عمر إلى أبى
موسى الأشعري .

٣ - الخطابة في الأمور الجامعة والحوادث المفاجئة وفي المناسبات الكثيرة .

٤ - وكتبت به الرسائل الدينية والسياسية التي تصدر عن الخليفة أو عن ولاته

٥ — واصبح أداة الدعوة والدولة ولسان المدنية الاسلاميه كافة .
وهذه اغراض لم يكن للعرب من قبل إلفها إنما هي أغراض جديدة
وجه الدين الجديد العرب إليها .

معاني النثر الاسلامى :

ومعاني النثر الاسلامى فى هذا العصر كانت :

- ١ — تنبع من معين النبوة وأدب القرآن الكريم ، من الدعوة الى التوحيد والخلق والفضيلة والحق والخير والأخاء الانسانى وتقرير الايمان بالله وانبيائه وكتبه وملائكته واليوم الآخر
- ٢ — وكانت تصدر عن عقل خصيب وذهن متوقد وتفكير منظم ، وملسكات حصيفة تنفقت بثقافة الاسلام وكتابه الحكيم
- ٣ — وصارت المعانى منظمة والأفكار مرتبة بعد الخاطى الذى كانت عليه فى الجاهلية .

٤ — وتمتاز بظهور حرارة الايمان وقوة العقيدة فيها وبغلبة الروح الدينى عليها .

٥ — وهى فوق ذلك كله صورة للحياة الاسلامية فى هذا العصر الكريم بما اشتمل عليه من فتوحات وانتصارات وأحداث سياسية وثورات فكرية واجتماعية

أسلوب النثر الإسلامى :

١ — ويمتاز أسلوب النثر الإسلامى بحسن سبكه وجمال رصفه وقوة نظمه وأحكام فصوله والنشام أجزاءه وذلك من تأثرهم بالقرآن الكريم والحديث النبوى الجليل .

٢ — كما يمتاز ببعده عن الغرابة والاستكراه والسجع المتكافى والخطأ فى مقامات الكلام ومقتضيات الأحوال

٣ — وبكثرة ما فيه من اقتباس من القرآن وكلام الرسول صلوات الله عليه

٤ - وبقوته ووضوحه وجلاله وسلاسته ، مما تجده واضحا في الآثار الفنية الأدبية التي حفل بها هذا العصر
ألفاظه :

وقد بعدت ألفاظ النثر الإسلامي عن الغرابة والوحشية والابتذال ، واختيرت اختيارا جيدا ، ووضعت في مواضعها الملائمة ووشيت بالبلاغة والعدوبة والسحر وبعدت عن الخطأ وسلبت من العيب والحن والقصور
وهذا كله من أثر بلاغة القرآن والحديث في ألسنة المسلمين في هذا العهد

موازنة بين النثر الجاهلي ونثر صدر الإسلام

كان الجاهليون لا يحفلون بانتقاء الألفاظ والتعمق في المعاني وترتيبها ، ولا يولعون بالتأنق في صوغ العبارات وسجع الكلام ، ولا يبعدون الشقة بين طرفي الجملة وبخاصة الحكمة والمثل ، على قصد منهم إلى الإيجاز في الألفاظ ، وتعهد إلى استيفاء المعنى من غير إخلال ، اعتماداً على سليقة المنظم لسكلامهم ودقيق ككناياتهم . أما النثر الإسلامي فيمتاز بما يأتي :

١ - اتساع وجوه الكلام ومقاصده لاتساع الملك ودواعي السياسة وشعائر الدين .

٢ - عناية أهل هذا العصر بعض العناية بهذيب ألفاظهم ، فهجروا بعضاً وحرصوا على آخر ، وسعد من بين هذه الألفاظ بالاستعمال والرواج مادار في عبارات القرآن والسنة ، مع حفلهم بتوليد الحديث من القديم

٣ - تأنيقهم في صوغ عباراتهم ومحاكاتهم فيها لأساليب الكتاب والسنة ، واقتباسهم منها واستشهادهم بهما ، وبقائهم على اتباع خطة الإيجاز أول هذا العصر ، وميلهم إلى الاطناب أواخره ،

٤ - ترتيبهم للمعاني والأفكار بدون تغلغل فيها ؛ ويظهر ذلك جليسا في الخطب التي كانوا يمدونها قبل القول ، وفي الرسائل التي كانت تدور بين الخلفاء والأمراء أخريات هذا العصر

أهم ألوان النثر الفنى فى صدر الاسلام

أولا - الخطابة

نماذج للخطابة فى العصر :

١ - خطب رسول الله ذات يوم لحمد الله بما هو أهله ، ثم أقبل على الناس فقال :

أيها الناس إن لكم معالم^(١) فانتروا لى معالمكم ، وإن لكم نهاية فانتروا لى نهايتكم ، فإن العبد بين مخافتين : أجل قد مضى لا يدرى ما الله فاعل فيه ، وأجل باق لا يدرى ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ومن الشبية قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب^(٢) ، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار

٢ - وخطب صلى الله عليه وسلم فقال :

أيها الناس كأن الموت فيهما على غيرنا قد كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذى نشيع من الاموات سفر^(٣) ، عما قليل إلينا راجعون ، نبوهم أجدانهم^(٤) ، ونأكل من ترانهم ، كأننا مخلدون بعدهم ، ونسينا كل واعظة ، وأما كل جائحة^(٥) .

(١) جمع معلم وهو ما يستدل به على الشئ .

(٢) أى من استرضاء .

(٣) سفر : مسافرون .

(٤) الاجداث جمع جدت (كسبب) : وهو القبر ، ونبوهم : نزلهم .

(٥) الجائحة : المهلكة من الجوح : وهو الاهلاك والاستئصال

كالاجتياح .

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، طوبى لمن أنفق مالا أكتسبه من غير معصية ، وجالس أهل الفقه والحكمة ، وغالط أهل الذل والمسكنة ، طوبى لمن زكّت وحسنت خليفته ، وطابت سريرته ، وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعت السنة ، ولم تستوره البدعة (١) .

٣ - الخطبة المدنية الأولى :

لما كانت أول جمعة للنبي الكريم بالمدينة خطب المسلمين ، فقال : الحمد لله ، أحمدده واستعينه ، وأستغفره ، وأستهديه ، وأؤمن به ولا أكفره وأعادى من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . أرسله بالهدى والنور والموعظة : على فترة من الرسل وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الأجل ؛ من يطع الله ورسوله فقد رشده ، ومن يعصه فقد غوى وفرط (٢) ، وضل ضلالاً بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم : أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، فأحذروا ، واحذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكراً ، وإن تقوى الله يوقى مقته ، ويوقى عقوبته ، وإن تقوى الله يبيض الوجه ، ويرضى الرب ، ويرفع الدرجة ، خذوا بحظكم ، ولا تفرطوا في جنب الله ، قد علمكم الله كتابه ، ونهج لسلككم سبيله ، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه ، جاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم وسماكم المسلمين ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة ، وأكثروا من ذكر الله ، واعلموا لما بعد اليوم ؛ فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفيه الله ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ، ولا قوة إلا بالله .

(١) طوبى : مؤنث أطيّب .

(٢) فرط : ظلم واعتدى

٤ — خطبة الوداع :

إن الحمد لله ، نحمده ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ،
ومن سيئات أعمالنا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده
ورسوله : أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحسبكم على طاعة الله ، وأستفتح بالذي هو خير
أما بعد أيها الناس : إسمعوا مني أبين لكم ، فاني لأدري لعلي لا ألقاكم بعد
عاصي هذا . أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمه
يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت اللهم اشهد ، فمن كانت
عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع ^(١) . وإن
أول ربا أبداً به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعه
وإن أول دم أبداً به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن
مآثر الجاهلية موضوعه غير السدانة والسقاية ^(٢) والعمد قود ^(٣) وشبه العمد
ما قتل بالعصا والحجر ، ففيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من الجاهلية .
أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ، ولكنه رضى أن
يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ، أيها الناس :

(١) وضع الدين أسقطه . وقد أسقط الرسول ربا الجاهلية فلا يؤدي فضله

(٢) يريد بمآثر الجاهلية ما كان يستأثر به بعضهم على بعض كالحقوق التي كان

يتوارثها سادات العرب . قال الشاعر :

لك المربع منها والصفايا وحكمك والنشيط والفضول

فالمر باع ما يأخذه الرئيس من الغنيمة وهو ربهما ، والفضول ما امتنع

على القسمة لقلته وخص به .

وسدانة الكعبة خدمتها وتولى أمرها وفتح بابها وإغلاقه ، وفعلها سدن يسدن

- كنصر - وقد كانت السدانة لبني عبد الدار ، فأقرهم الرسول صلى الله عليه

وسلم عليها والسقاية إرواء الحاج ، وقد كانت في أسر من قريش .

(٣) القود : قتل النفس بالنفس أو القصاص عامة .

إنما النسيء (١) زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا (٢) عدة ما حرم الله . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض - إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم : ثلاثة متواليات ، وواحد فرد . ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذي بين جمادى وشعبان (٣) ألا هل بلغت ، اللهم ، أشهد . إن لنسائكم عليكم حقاً ، وإن لكم عليهم حقاً . لكم ألا يوطئن فرشكم غيركم . ولا يدخلن أحداً تكروهونه بيوتكم إلا بأذنكم ، ولا يأتين بفاحشة (٤) فان فعل فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن (٥) وتمجروهن في المضاجع وتعزبوهن ضرباً غير مبرح ، فان انتهين وأطعنكم ، فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإننا النساء عندكم عوان (٦) لا يمسكن لأنفسهن شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً . إنما المؤمنون إخوة فلا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفسه ، ألا هل بلغت ، اللهم أشهد فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض فاني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا . كتاب الله وأهل بيتي ، ألا هل بلغت ، اللهم أشهد أيها الناس إن ربكم

(١) النسيء : شهر كانت العرب تؤخره في الجاهلية ، وذلك أنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر حرم لا يفرون فيها . فكانوا ينسئون المحرم ويؤجلونه إلى صفر .

(٢) ليواطئوا عدة ما حرم الله : أي ليوافقوا ويطابقوا عدة الشهور .

(٣) إنما حدد رجب ، لأن العرب كانت تؤخره من شهر إلى شهر كما نشاء

أهواؤهم إذا أرادوا الحرب أو السلام .

(٤) كل قبيح من القول والفعل فهو فاحشه ، ومن الفاحشة خروج المرأة

من دار زوجها بغير إذنه ، وتطاولها عليه بالهجر من القول .

(٥) عضل الزوج زوجته أساء عشرتها حتى تنزل له عن حقها عنده .

(٦) العوانى جمع عانية : أي أسيرة .

واحد وإن أباكم واحد، كلتكم لادم وآدم من تراب اكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالقوى إلا هل بلغت؟ قالوا: نعم قال . فليبلغ الشاهد منكم الغائب، أيها الناس إن الله قسم لسكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لو ارث وصية في أكثر من الثالث والولد للفراش وللعاهر الحجر من دعى الى غير أبيه أو تولى الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٥ - ولأمير المؤمنين أبي بكر رضى الله عنه المتوفى سنة ١٣ هـ

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه أيها الناس انى وليت عليكم ولست بخيركم فان رأيتهم على حق فأعينوني وإن رأيتهم على باطل فسدوني أطيعوني ما أطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ألا إن أفواككم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندي القوى حتى آخذ الحق منه أقول قولى هذا وأستغفر الله لي ولكم .

٦ - خطبة أبي بكر يوم السقيفة .

وخطب أبو بكر رضى الله عنه يوم السقيفة (١) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
« إن الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه ، وشهدنا على أمته ، ليعبدوا الله ويوحدهم وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ، ولهم نافعة ، وإنما هي من حجر منحوت ، وخشب منجور (٢) ، ثم قرأ : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » ؛ وقالوا : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى (٣) ، فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم . فخلص

(١) هي سقيفة بني ساعدة ، وقد اجتمع الأنصار فيها يوم قبض النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا نولى هذا . الأمر بعد محمد عليه الصلاة والسلام سعد بن عبادة .
(٢) الحجر : نحت الخشب .
(٣) الزلفى : القرية .

الله المهاجرين الأولين من قومه بثديته ، والإيمان به ، والمواساة له ، والصبر معه على (١) شدة أذى قومهم لهم ، وتكذيبهم لإياهم ؛ وكل الناس لهم مخالف زار (٢) عليهم ، فلم يستوحشوا لقلة عددهم . وشنف (٣) الناس لهم وإجماع قومهم عليهم ، فهم أول من عبد الله في الأرض ، وأمن بالله وبالرسول ؛ وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ؛ ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم .

واتم بامعشر الانصار من لا ينكر فضلهم في الدين ، ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام ؛ رضيكم الله أنصارا لدينه ورسوله ، وجعل إليكم هجرته ، وفيكم جلة (٤) أزواجه وأصحابه ، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلكم ، فحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ، لا تفتاتون بمشورة ، ولا تقضى دونكم الأمور ؛

٧ - وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان

ووصى أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان حين وجهه لفتح الشام فقال .
 « إنى قد وليتك لأبلوك (٥) وأجربك وأخرجك (٦) ، فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك ، وإن أسأت عزلتك ؛ فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذى يرى من ظاهرك ، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليا له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا إليه بعمله ؛ وقد وليتك عمل خالد (٧) ، فأياك وعيبة (٨) الجاهلية ، فإن الله يبغضها ويبغض أهلها

(١) على بمعنى مع .

(٢) زرى عليه زراية : عابه .

(٣) شنف له كفرح : أبغضه وتنكره .

(٤) جلة . جمع جليل .

(٥) بلاه يبلوه ، امتحنه واختبره

(٦) خرج ، دربه وعلمه

(٧) هو جالد بن سعيد بن العاص ، وكان أبو بكر سيره إلى الشام وأولاهم عزله

(٨) العيبة ، بضم العين وكسرهما ، الكبر والفخر ، وفي الحديث « إن الله

قد وضع عنكم عيبة الجاهلية ، يعنى الكبر

وإذا قدمت على جنديك فأحسن صحبتهم ، وأبدأهم بالخير ، وعدم إياه ، وإذا وعظمتهم فأوجز ، فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، وصل الصلوات لأوقاتها ، باتمام وكروعها وسجودها ، والتخضع فيها ، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم ، وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكريك وهم جاهلون به ، ولا تزيهم ^(١) فيروا خطلك ، ويعلموا علمك ، وأنزلهم في ثروة (٢) عسكريك ، وأمنع من قبلك من محادثتهم ، وكن أنت المتولى لسكلامهم ؛ ولا تجعل سرك لعلائيكا ، فيختلط أمرك ، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ، ولا تخزن عن المشير خبرك ، فتوثق من قبل نفسك

وأسر بالليل في أصحابك تأتلك الاخبار ، وتكشف عندك الاستار ، وأكثر حرسك ، وبددهم في عسكريك ، وأكثر مفاجأتهم في محاسنهم بغير علم منهم بك ، فمن وجدته غفلس عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط ، وعقب (٣) بينهم بالليل ، وأجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة ، فانما أيسرها لقربها من النهار ولا تخف من عقوبة المستحق ، ولا تلجن فيها ، ولا تسرع إليها ، ولا تخذلها مدقماً (٤) ، ولا تغفل عن أهل عسكريك فتفسده ، ولا تجسس عليهم فتفنيهم ، ولا تكشف الناس عن أسرارهم ، واكتف بعلائيهم ، ولا تجالس العبائين (٥) ، وجالس أهل الصدق والوفاء ، وأصدق اللقاء ، ولا تجبن فيجبن الناس ، واجتنب

(١) من الريث ، وهو الإبطاء

(٢) الثروة : كثرة العدد من الناس

(٣) عقبه تعقيبا : جاء بعقبه .

(٤) لا تخذل : من خذا يخذو كنصر ، وخذي يخذي كرضي : إذا استرخى

والمدقع : الملتصق بالدقعاء (وهي الأرض) أو الهارب أو أشد الهزلي هزالا ،

أى ولا تضعف ولا تجسبن أمام تنفيذ العقوبة ، وهو مقابل لقوله : ولا تسرع إليها .

(٥) من عبث كفرح ، أى لعب .

الغلول (١) ، فإنه يقرب الفقر ، ويدفع النصر ، ويستجدون قوما حبسوا أنفسهم
في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له .

٨ - خطبة لعمر بن الخطاب :

وخطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ ولي الخلافة لحمد الله وأثنى عليه
ثم قال :

أيها الناس : إني ناع فأمنوا ، اللهم إني غليظ فليبنى لأهل طاعتك ، وافقة
الحق ، ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وأرزقنى الغلظة والشدة على أعدائك وأهل
الدعارة (٢) والنفاق ، من غير ظلم منى لهم ، ولا اعتداء عليهم .
اللهم إني شحيح فسخنى فى نوائب المعروف ، قصدا من غير سرف ولا تبذير
ولا رياء ولا سمعة ، واجعلنى أبتغى بذلك وجهك والدار الآخرة .
اللهم ارزقنى خفض الجناح ولين الجانب للؤمنين .
اللهم إني كثير الغفلة والنسيان ، فألهمنى ذكرك على كل حال ، وذكر الموت
فى كل حين .

اللهم إني ضعيف عن العمل بطاعتك ، فأرزقنى النشاط فيها ، والقدرة عليها
بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعزتك وتوفيقك .
اللهم نبئني باليقين والبر والتقوى ، وذكر المقام بين يديك والحياء منك ،
وأرزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى ، والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات ، والحذر
من الشبهات .
اللهم ارزقنى التفكر والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له ،
والمعرفة بمعانيه ، والنظر فى عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ، إنك على كل
شىء قدير .

٩ - وصيته لسعد بن أبى وقاص

(١) الغلول : الخيانة .

(٢) الدعارة : الفجور .

ووصى عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعد بن أبي وقاص حين أمره على حرب العراق فقال .

ياسعد سعد بنى وهيب ، لا يفرنك من الله أن قبل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحب رسول الله ، فإن الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء ، ولكنه يمحو السيء بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالتاس شريفهم ووضيعةهم في ذات الله سواء الله ربههم وهم عباده يتفاضلون بالعاقبة ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذى رأيت النبي (ص) عليه فالزمه فانه الأمر

١٠ - وخطب أيضاً فقال :

أيها الناس اتقوا الله في سريرتكم وعلايتكم وأمروا بالمعروف وانهروا المنكر ولا تكونوا مثل قوم كانوا في سفينة فأقبل أحدهم على موضع يغرقه فنهوه فقال : هو ، وضعى ولى أن أحكم فيه فان أخذوا على يده سلم وسلموا وأن تركوه هلك وهلكوا معه وهذا مثل ضربته لكم رحمتنا الله وإياكم

١١ - وخطب اذ ولي الخلافة

صعد المنبر لحمد الله واثى عليه ثم قال : يا أيها الناس انى داع فأمنوا اللهم انى غليظ فلينى لأهل طاعتك وموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وأرزقنى الغلظة والشدّة على أعدائك وأهل الدعاة والنفاق من غير ظلم منى لهم ولا اعتداء عليهم اللهم انى شحيح فسحقى فى نوائب المعروف قصداً من غير عرف ولا تبيذير ولا رياء ولا سممة واجعلنى ابتغى بذلك وجهك والدار الآخرة اللهم ارزقنى خفض الجناح واين الجانب للدؤمين اللهم انى كثير الغفلة والنسيان فألهمنى ذكرك على كل حال وذكّر الموت فى كل حين اللهم انى ضعيف عند المعمل اطاعتك فأرزقنى النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التى لا تكون الا بعزتك وتوفيقك اللهم ثبتنى باليقين والبر والتقوى وذكّر المقام بين يديك والحياة منك وارزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى والمحاسبة لى نفسى واصلاح الساعات والحذر من الشبهات اللهم ارزقنى التفكير والتدبر بما يتلوه لسانى من كتابك والفهم له والمعرفة بهما نيه والنظر فى مجاهبه والعمل بذلك ما بهيئت انك على كل شىء قدير .

۱۲ - آخر خطبة خطبها عثمان :

وكانت آخر خطبة خطبها عثمان بن عفان رضى الله عنه .
« إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركنوا
إليها ، إن الدنيا تفتنى والآخرة تبقى ، فلا تبطلوا أنفسكم الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية
فآثروا (۱) ما يبقى على ما يفنى ، فإن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله .
اتقوا الله جل وعز ، فإن تقواه الجنة (۲) من بأسه ، ووسيلة عنده ، واحذروا
من الله الغير (۳) ، والزموا جماعتكم ، لاتصيروا أحزابا ، واذكروا نعمة الله
عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ،

۱۳ - خطبة أم الخير بنت الحريش في وقعة صفين

وكتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن
سراقة البارقي برحلهما ، وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيرا ، وبالشر شرا بقولها فيه .
فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها كتابه ، فقالت ، أما أنا فغير راضة عن طاعة
ولامعتة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين ، لأمر تختلج في صدرى فلما شيعها
وأراد مفارقتها ، قال لها يا أم الخير ، إن أمير المؤمنين كتب إلى أنه مجازيني
بقولك في بالخير خيرا ، وبالشر شرا ، فإلى عندك ؟ قالت : يا هذا لا يطعمك
برك في أن أسر بباطل ، ولا يؤيسك معرفتى بك أن أقول فيك غير الحق .
فسارت خيرا مسير ، حتى قدمت على معاوية ، فأنزلها مع الحرم ، ثم أدخلها
في اليوم الرابع ، وعنده جلساؤه ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة
الله وبركاته ، فقال لها . وعليك السلام يا أم الخير ، بحق ما دعوتنى بهذا الاسم ؟
قالت : مه يا أمير المؤمنين ، فإن بديهة (٤) السلطان مدحضة (٥) لما يجب عليه ،

() آثروا : فضلوها وقدموا

(٢) جنة : وقاية

(٣) غير الدهر ، أحداثه المنيرة

(٤) البديهة ، أول كل شئ وما يفجأ منه

(٥) المدحضة ، المزلة

ولسلك أجل كتاب، قال: صدقت فكيف حالك يا خالة؟ وكيف كنت في مسيرك؟
 قالت: لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى صرت إليك، فأنا في مجلس أئمة،
 عند ملك رقيق، قال معاوية: بحسن نيتي ظفرت بكم قالت: يا أمير المؤمنين،
 يعيذك الله من دحض (١) المقال، وما تردى (٢) عاقبته، قال: ليس هذا أردنا،
 أخبرنا كيف كان كلامك إذ قتل عمار (٣) بن ياسر؟ قالت: لم أكن والله
 زورته (٤) قبل، ولا رويته بعد، إنما كانت كلمات نفثها لساني عند الصدمة، فإن
 أحببت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت، فالتفت معاوية إلى جلسائه فقال،
 أيكم يحفظ كلامها؟ فقال رجل منهم، أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين
 قال: هات، قال كأتى بها بين بردين زهيرين (٥) كثيبي النسيج وهي على جمل
 ارمك (٦)، ويبيدها سوط منتشر العنقيرة، وهي كالفجل يهدر (٧) في شقشقة تقول
 يا أيها الناس، اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم، إن الله قد أوضح لكم
 الحق، وأبان الدليل، وبين السبيل، ورفع العلم، ولم يدعكم في عمياء مدطمة (٨)،
 فأين تريدون، رحمتكم الله؟ أفرارا عن أمير المؤمنين، أم فرارا من الزحف، أم رغبة
 عن الإسلام، أم ارتدادا عن الحق؟ أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول: ولنبلونكم

(١) دحضت الحجة دحضا من بات نفع: بطالت ودحضت رجله، زانقت،

ومكان دحض زلق

(٢) تردى، تهلك

(٣) عمار بن ياسر، من اصحاب الإمام علي، قتل يوم صفين

(٤) زور الشيء، حسنه وقومه وهذبه

(٥) الزهير، ما يعلو الثوب الجديد كالذي تراه في القطنية، في رواية أخرى

عليها برد زبيدي نسبة الى زبيد، بفتح الزاي، بلد باليمن

(٦) وصف من الرمكة بالضم وهي لون الرماد.

(٧) يهدر: بصوت، والشقشقة: شيء يخرج البعير من فيه إذا هاج.

(٨) أدلهم الظلام. كئيف وأسود.

حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ، ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول :

اللهم قد عيل الصبر ، وضعف اليقين ، وانتشرت الرغبة ، وبيدك يارب أزمة القلوب ، فأجمع السكمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى ، واردد الحق إلى أهله ، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل (١) والرضى التقي ، والصديق الأكبر ، إنها لحن بدرية (٢) وأحقاد جاهلية ، وضغائن أحدية (٣) ، وثبها معاوية حين الغفلة ، وليدرك ثارات بنى عبد شمس (٤) ، ثم قالت :

قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لهمم ينتهون ، صبراً يامعشر المهاجرين والآنصار ، قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، فسكأنى بكم بغدا وقد لقيتم أهمل الشام كحمر مستنقرة ، فرت من قسورة (٥) ، لاندرى أين يسلك بها من لجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وعما قليل ليصبحن نادمين ، حين تحمل بهم الدامة ، فيطلبون الاقالة ولات حين مناص ، إنه من ضل والله عن الحق وقع في الباطل .

(١) تعنى الامام عليا كرم الله وجهه .

(٢) الاحن جمع إحنة وهي الضغينة والحقد ، تسمى إلى ما كان من قتل على يوم بدر أخوا معاوية (حنظلة بن أبي سفيان) وجده لأمه (عتبة بن ربيعة) وخاله (الوليد بن عتبة) .

(٣) تشير إلى ما كان من هند زوج أبي سفيان (أم معاوية) في غزوة أحد ، إذ بقرت بطن حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم بعد قتله ، وأخذت كبده فلا كتبها ثم أرسلتها .

(٤) هو الجند الثالث لمعاوية ، فهو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس .

(٥) القسورة . الأسد

ألا إن أولياء الله استقصروا عمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة
فسمعوا لها ، فآله الله أيها الناس ، قبل أن تبطل الحقوق ، وتعطل الحدود ، وتقوى
كلمة الشيطان ، فإلى أين تريدون - رحمكم الله - عن ابن عم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وصهره وأبي سبطيه (١) ، خلق من طينته ، وتفرغ من نبهته (٢)
وجعله باب دينه ، وأبان بيفضه المنافقين ، وها هو ذا مغلق الهام (٣) ، ومكسر الأصنام
صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل في ذلك حتى قتل
مبارزى بدر ، وأفى أهل أحد ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ،
وفرق به جمع هوازن (٤) ، فبالها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقا ، وردة
وشقاقا ، وزادت المؤمنين إيمانا .

قد اجتهدت في القول ، وبالغمت في النصيحة ، وبالله التوفيق ، والسلام عليكم
ورحمة الله .

فقال معاوية : يا أم الخير ما أردت بهذا الكلام إلا قتلى ، ولو قتلناك
ما حرجت (٥) في ذلك ، قالت : والله ما يسوؤني يا بن هند أن يجرى قتلى على يدي
من يسمدني الله بشقائه ، قال : هيات يا كثيرة الفضول ما تقولين في عثمان ابن
عفان رحمه الله ؟ قالت . وما عسيت أن أقول في عثمان ؟ استخلفه الناس وهم
به راضون ، وقتلوه وهم له كارهون قال معاوية : يا أم الخير ، هذا ثناؤك الذي

(١) هما الحسن والحسين رضي الله عنهما ، والسبط . ولد الابن والابنة

(٢) النبعة في الأصل واحدة النبع وهو شجر تنخذ منه القسي والسمام .

(٣) الهام جمع هامة . وهي الرأس .

(٤) كانت غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة ، وغزوة أحد في السنة
الثالثة ، وغزوة الأحزاب (غزوة الخندق) في الخامسة ، وغزوة خيبر في السابعة ،
وغزوة هوازن (غزوة حنين) في الثامنة ، وفي كلها أبلى الإمام علي بلاء حسنا ،
تفصل أنباء كتب التاريخ .

(٥) حرج : أثم .

تذنين ؟ قالت . لكن الله يشهد - وكفى بالله شهيدا . ما أردت بهثمان نقصا ،
واقصد كان سببا ، قال إلى الخسرات ، وإنه لرفيع الدرجة غدا ، قال . فماتقولين في
طلحة (١) بن عبيد الله ؟ قالت . وما عسى أن أقول في طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ،
وأنى من حيث لم يحذر ، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة ، قال .
فماتقولين في الزبير ؟ قالت : وما أقول في ابن (٢) عمه رسول صلى الله عليه وسلم
وحواريه (٣) وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وأنا أسألك بحق
الله يامعاوية - فان قریشا تحدث أنك أحلها - أن تعفينى من هذه المسائل ،
وتسألنى عما شئت من غيرها ، قال . نعم ، ونعمة عين (٤) ، قد أعفيتك منها ، ثم
أمر لها بجائزة رفيعة وردها مكرمة .

١٤ - خطبة الإمام على بعد التحكيم :

وخطب الإمام على كرم الله وجهه بعد التحكيم فقال :
والحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح (٥) ، والحدث (٦) الجلال ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمدا عبده ورسوله
صلى الله عليه وآله .

أما بعد ، فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة
وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمرى ، ونخلت لكم مخزون رأى ،

(١) طلحة والزبير من كبار الصحابة ، خرجا مع السيدة عائشة بعد مقتل عثمان
إلى البصرة وقتلا في وقعة الجمل .

(٢) أم الزبير هى : صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣) الحواري : الناصر أو ناصر الأنبياء .

(٤) أى افعل ذلك لإنعاما لعينك وإكراما .

(٥) من فدحه الدين أى أثقله

(٦) الحدث الحادث .

لو كان يطاع لقصير أمر^(١) ، فأبيتم على إباء المخالفين الجفافة ، والمنايذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحهم ، ورضن الزند بقصدحه ، فسكنت وإياكم كما قال أخو هوازن^(٢) :

أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصيح إلا نخبى الغد

١٥ - خطبة الإمام على وقد أغار النعمان بن بشير على عين التمر :

وفي سنة ٣٩ هـ فرق معاوية جيوشه في أطراف على ، فبعث النعمان بن بشير الانصارى في ألفين فأتوا عين التمر^(٣) فأغاروا عليها ، وبها عامل لعلى في ثلاثائه ، فكتب إلى على يستعده ، فأمر الناس أن يهضوا إليه فتشاقفوا ، فصعد المنبر فتشهد ثم قال :

« منيت^(٤) بمن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت ، لا أبأ لكم ما تنظرون بنصركم ربكم ؟ أما دين يجمعكم ، ولا حمية تحمضكم^(٥) ؟ أقوم فيكم مستصرخا ، وأنا دينكم منغوثا^(٦) ، فلا تسمعون لي قولا ، ولا تطيعون لي أمرا ، حتى تكشف الأمور عن عواقب المسامة فما يدرك بكم نأر ، ولا يبلغ بكم مرام ! دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجررتهم^(٧) جرجرة الجمل الأسر^(٨) ، وتناقلتم تناقل

(١) قصير . هو مولى جذيمة الأبرش ، وكان قد أشار على سيده ألا يأمن الزباء ملكة الجزيرة ، وقد دعت إليها ليتزوجها ، فخالفه وقصد إليها فقتلته ، فقال قصير . لا يطاع لقصير أمر ، فذهبت مثلا

(٢) هو دريد بن الصمة .

(٣) بلد على القرات شمالي الكوفة .

(٤) منيت : بليت

(٥) حمض كفرح : غضب ، وأحشنة : أغضبه .

(٦) قاتلا : واغوثاه .

(٧) الجرجرة : صوت برده البعير في حنجرتة ، وأكثر ما يكون ذلك عند الاعياء والتعب .

(٨) الجمل الأسر : المصاب بداء السرر (كسبب) وهو وجع في السكرورة (بكسر الكافين) وهي رحي زور البعير .

النضو الأديب^(١) ، ثم خرج الى منكم جنيد متذائب ضعيف^(٢) ، كأنما يساقون
إلى الموت وهم ينظرون ، .

١٦ - خطبة الإمام علي : قد أنار الضحاك بن قيس على الخيرة :

ووجهه مياوية الضحاك بن قيس فأغار على الخيرة^(٣) ، وغنم من أموال
أهلها ، وبلغ ذلك عليا فاستصرخ الناس ، فتقاعدوا عنه ، فقام فيهم خطيبا فقال :
« أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهي الصم^(٤)
الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء ، تقولون في المجالس كيت وكيت^(٥) ،
فاذا جاء القتال قلتم حيدى حياذ^(٦) .

ما عزت دعوة من دعاكم ، ولا استتراع قلب من قاساكم ، أعاليل
بأضاليل^(٧) ، دفاع ذي الدين المطول^(٨) ، هيئات لا يمنع الضيم الذليل :

(١) النضو ، البعير المهزول ، والأديب ، المجروح .

(٢) جنيد ، متضرر جند ، متذائب ، مضطرب ، من قولهم ، تذاببت الريح
أى اضطرب هبوبها .

(٣) بلد شمال الكوفة .

(٤) يوهي ، يشق ويحرق ، والصم جمع أصم ، وهو الحجر الصلب المصمت

(٥) كيت وكيت بفتح آخرهما ، ويكسر ، أى كذا وكذا .

(٦) حيدى حياذ ، كلمة يقولها الهارب الفار ، من حاد حيدا أنا أى مال

والمحرف ، أى ابعدى وتنحى عن أيتها الحرب وهى نظيرة قولهم « فيحى فيباح »
أى اتسعى .

(٧) الأضاليل جمع أضلولة بالضم ؛ وهى الضلال ؛ وفى كتب اللغة « العلالة

بالضم والتعلة كتنجية والعلة بالفتح ؛ ما يتعمل به ، وليس فيها كلمة أعاليل ولا
مفردها ؛ ولا بد أن تكون جمع أعلولة بالضم كأضاليل وأعاجيب
والأعيب ... الخ ، والمعنى إن أقوالكم هذه تعطل بأباطيل لا جدوى لها .

(٨) المطول ، مبالغة فى ماطل .

ولا يدرك الحق إلا بالجسد ، أى دار بعد داركم تمنعون ؟ ومع أى إمام بعدنى تقاتلون ؟ المغرور والله من غررتموه ، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الاخييب ، ومن رى بكم فقد رى بأفوق ناصل ^(١) .

أصبحت والله لا أصدق قولكم ، ولا أطمع فى نصركم ، ولا أوعد العدو بكم ، ما بالكتم ؟ ما دوائكم ؟ ما طبكم ؟ القوم رجال أمنالكم أقولا بغير علم ، وغفلة من غير ورع ، وطمعا فى غير حق ؟ ،

١٧ - ولما بايع المسلمون أبا بكر بالخلافة يوم السقيفة بايعوه بعدها فى المسجد البيعة العامة ، وبعدها خطب الناس فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه بالذى هو أهله .

أما بعد فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم : فان أحسنت فأعينون وإن أسأت فقومونى .

الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فىكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى منكم الضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع أحد منكم الجهاد فى سبيل الله ، فانه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم .
قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله ،

١٨ - ومن خطبة عثمان فى الوعظ قال بعد حمد الله والثناء عليه :
إنكم فى دار قلعة ^(٢) وفى بقية أعمار . فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه

(١) سهم أفوق ، مكسور الفوق ، يضم الفاء ، والفوق : مدخل الوتر من السهم والناصل ، العارى عن النصل .
(٢) لا دوام لها .

فلقد أتيتكم ؛ صبيحتم أو مسيتم . ألا وإن الدنيا طويت على الغرور ، فلا تُغرنتكم الحياة الدنيا ولا يغرنتكم بالله الغرور (١) ؛ اعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فإنه لا يغفل عنكم . أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها (٢) وامتوا بها طويلاً ؟ ألم تلاحظهم ؟ ارموا الدنيا حيث رمى بها الله ، واطلبوا الآخرة ، فإن الله قد ضرب لها مثلا ، فقال عز وجل : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه (٣) الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرآ . المسال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً .

ومن خطبه رضى الله عنه :

أما بعد . فإن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركوا إليها . إن الدنيا تفتى والآخرة تبقى ، فلا تبطرنكم (٤) الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية ، فأثروا ما يبقى على ما يفتى ، إن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله . اتقوا الله عز وجل فإن تقواه جنة من بأسه ووسيلة عنده واحذروا من الله الغير (٥) ، والزمو اجتماعكم ألا تصيروا أحزاباً واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فأوفى بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً .

(١) الغرور (بالفتح) الدنيا أو ماغرك أو يخص بالشیطان وهو أيضاً ما يتغرغر به . وبالضم مصدر غر أو جمع غار .

(٢) عمر الرجل المسكان (كنصر) أقام به . والعمارة (بالكسر) ما يعمر به المسكان وبالضم أجرة الإقامة به وبالفتح كل ما يلبس على الرأس .

(٣) ذراه فرقه فى الهواء .

(٤) البطر . كفر النعمة .

(٥) أى أحداثه التى تغير حال الشيء ، قيل هو ملرد وجمعه أشبار ، وقيل

جمع غيرة كعنب جمع عنبة .

١٩ - خطبة السيدة فاطمة الزهراء.

حين يبيع أبو بكر ومنعها ميراثها في فدك :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، فان تفردوه تجدوه أبي دون نساءكم وأخا ابن عمي دون رجالكم . فبلغ النذارة صادعا بالرسالة ، ماثلا على مدرجة المشركين (١) ضاربا للجهنم (٢) آخذنا بكظمهم (٣) يجذ الإصنام (٤) ويشكت الهام (٥) حتى هزم الجمع وولوا الدبر وتفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين وكنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب (٦) ، ونهزة الطامع وقبسة العجلان ، وهو طيء الاقدام تشربون الطرق (٧) ، وتقتاتون الورق (٨) ، اذلة خاشعين ، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم ، فانذكم الله برسوله صلى الله عليه وسلم بعد اللثيا والتي وبعد ما منى بهم (٩) الرجال وذؤبان العرب ، كلها حشوا ناراً للحرب ونجم قرن للاضلال ، ففرت فاغرة من المشركين قذفت باخيه في لهواتها فلا ينسكني ، حتى يطلأ سماخها باخصه ، ويحمد لهبها بحده مكدودا في ذات الله قريبا من رسول الله سيدا في أولياء الله وأتم في بلهنية وادعون آمنون

حتى إذا اختار الله لنيبه دار أنبيائه ظهرت حسكة النفاق، ونطق كاظم الغاوين،

(١) ماثلا على مدرجة المشركين أى معترضا طريقهم .

(٢) الشبيح من الناس عليتهم وأشرافهم .

(٣) الكظم مخرج النفس .

(٤) الجذ: الكسر .

(٥) النسكت . الضرب بطرف القضييب .

(٦) المذقة . الشربة من اللبن المخلوط .

(٧) الطارق الماء المشوب بابوال الابل وأروائها .

(٨) ترديد بالورق ورق الشجر .

(٩) جمع بهمة - بضم الباء - الشجاع الشديد البأس .

ونبيخ حامل الآفان ، وهدر فنيق (١) المبطلين يخطر في عرصاتكم وأطلع الشيطان رأسه صارخاً بكم ، فوجدكم لدعائه مستجيبين ، وللعزة فيه ملاحظين ، فاستنهضكم فوجدكم خفافاً ، وأحشكم فألفاكم غضاباً فوسمتم غير إبلكم ، وأوردتموها غير شربكم . هذا والهدد قريب والسكم رحيب ، والجرح لما يندمل بدار ، أزعتم خوف الفتنة إلا في الفتنة سقطوا وأن جهنم لمحيطة بالكافرين ، فهيات منكم وأنى بكم تؤفكون ، وهذا كتاب الله بين ظهركم ، وزاجره بينة ، وشواهدة لائحة ، وأوامره واضحة ، أرغبة . نه تدبرون ، أم بغيره تحكون ، بش للظالمين بدلا ، ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين .

ثم لم تريبوا أختها (٢) إلا لا ريث أن تسكن نفرتها تسرون حسوا في ارتقاء (٣) ونهبر منكم على حز المدى وأنتم اللائق تزعمون أن لا إرث لنا ألكم الجاهلية يهون ، ومن أحسن من الله حكماً لغوم يوقنون ، وبها معشر المهاجرة ، أفى ال كتاب أن ترث أباك ولا أرث أبيه ؟ لقد جئت شيئاً فريا (٤) فدو نكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فزعم الحكيم الله ، والزعيم محمد ، والموعود القيامة ؛ وعند الساعة يخسر المبطلون ولكل نأ مستقر وسوف تعلمون .

٢٠ - وخطب أبو بكر رضى الله عنه حين أشار عليه الصحابة بترك المرتدين من العرب وشأنهم لأنه لا طاقة لمن بقى من المسلمين بالحرب أيها الناس : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله

(١) الفنيق : الجمل الفحل

(٢) تريد أنكم منعم ابن عم رسول الله حقه في الخلافة ثم اتبعت هذه المظالمه مظلمة أخرى من غير إهمال .

(٣) الارتقاء صوت الأبل أى تتهززون اضطراب الاصوات لتنتفعوا بما أردتم والحس وشرب الطائر

(٤) مخاطب أبا بكر رضى الله عنه .

حتى لا يوث ، أيها الناس أن كثير أعدائكم وقل عددكم رغب الشيطان منكم هذا المركب والله ليظنن هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون ، قوله الحق ووعد الصديق : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل ، اتصفون — وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » .

أيها الناس ، والله لو أفردت من جمعكم لجاهدتهم في حق الله حق جهاده حتى أبلغ من نفسى عدوا أو أقتل مقتلا ، والله أيها الناس لو منعتنى عقالا لجاهدتهم عليه واستعنت بالله ، إنه خير معين .

٢١ - من خطبة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فى استنصار أهل الشام . فقال أف لكم لقد سئمت عتابكم ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً ؛ وبالذلل من العز خلفاً ، إذا دعوتكم الى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت فى غمرة ، ومن الذهول فى سكرة ، يرتج عليكم حوارى فتعمهون ، فسكان قلوبكم مألوسة (١) فأنتم لاتعقلون ، ما أنتم لى بثقة سجييس الليالى (٢) وما أنتم بركن يمال بكم ، ولا زوافر (٣) عز يفتقر اليكم ؛ ما أنتم إلا كابل ضل رعاتها ، فسكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر ، لبس لعممر الله شفر نار الحرب أنم ، تسكادون ولا تسكيدون وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون لاينام عنكم وأنتم فى غفلة ساهون ، غلب والله المتخاذلون ، وأيم الله لى لأظن بكم أن لوحس الوغى واستحر الموت قد انفرجتكم عن ابن أبى طالب انفراج الرأس ، والله أن امره لى بكن عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفرى جلده لعظيم عجزه ، ضعيف ماخذمت عليه جوانح صدره .

(١) الألس والمؤاسة . الخداع والخيانة والغش والسرقى

(٢) سجييس الليالى أى أبد الدهر

(٣) الزوافر جمع زافرة : الأنصار والعشيرة ، يقال جاءنا ومعه زافرتة أى

قومه ورهطه .

٢٢ - ومن كلام عائشة أم المؤمنين :

بلغها أن أقواماً يتناولون أبا بكر رضى الله عنه ، فأرسلت إلى أزفلة (١) من الناس فلما حضروا اسدات أستارها وعلت وسادها ، ثم قالت .

أبي وما أبيه !! أبي والله لآته طوه (٢) الأيدي ، ذلك طود منيف ، وظل مديد
هيات كذبت الظنون ، أنجح إذ أكديتم (٣) ، وسبق إذ وثيتم ، سبق الجواد إذا
استولى على الأمد ، فتي قریش ناشئاً ، وكمفها كهلاً ، يفك عانها ، ويريش (٤) ،
مملقها ، ويرأب شعها (٥) ، ويلم شعها ، حتى حليتته قلوبها ؛ ثم استشره (٦) في دين
الله ، فما برحت شكيمته (٧) في ذات الله عز وجل حتى اتخذ بفنائهم سجداً يحيى فيه
ما أمات البطلون ، وكان رحمته الله غزير الدمة ، وقيسذ (٨) الجوائح شجى
النشيج (٩) ، فانهطت إليه أسوان مكة وولدانها يسخرون منه ويستزئون به
و الله يستزى بهم ويدهم في طغيانهم يعمهون ، فأكبرت ذلك رجالات قریش
لحنت قسبها ، وفوقت سهامها ، وامثلوه (١٠) غرضاً ، فساقلوا له صفاة ، ولاقصوا

١٠ ، الجماعة

٢٠ ، لا تتناولوه

٣٠ ، جبتهم

٤٠ ، يعطى ويفضل من راى السهم إذا جعل فيه ريشاً ليكون أسد له وكذلك

المحسن يقوى الفقير على الحياة

٥٠ ، الشعب ؛ الصدع

٦٠ ، جد واجتهد .

٧٠ ، أنفته وحميته

٨٠ ، عليل

٩٠ ، الشجى الحزين ، النشيج ، صوت البكاء

١٠٠ ، نصبوه

له قناة ، ومر على سيسائه (١) حتى إذا ضرب الدين بجرانه (٢) ، وأتى بركة ،
ورست أوتاده ، ودخل الناس فيه أفواجا ، ومن كل فرقة أرسالا وأشتاتا ، اختار
الله لنبيه ما عنده ، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم نصب الشيطان رواقه ،
ومد طيه ، ونصب حباله ، وأجانب بخيله ورجله ، واضطرب حبل الإسلام ،
ومرج (٣) عهده ، وماج أهله ، وبغى الزوائل ، وظننت رجال أن تدأكشب
نهرها (٤) ، ولات حين الذي يرجون ، وأنى والصديق بين أنظهم ؟ فقام حاسراً
مشمرا لجمع حاشيته ، ورفع قطريه ، فرد رسن الإسلام على غربه ، ولم شعثه
بطيه أو أقام أوده بثقافه ، فابذع النفاق بوطنه ، وانتاش الدين فبعشه (٥) ، فلما
أراح الحق على أهله ، وقرر الروس على كواهلها ، وحقن الدماء في أهبها ، أتته
منيته ، فسد ثلثته بنظيره في الرحمة ، وشقيقه في السيرة والمعدلة ، ذلك ابن الخطاب
الله أم حدث له ، ودرت عليه الأقدار حدث به ، فنفخ الكفرة ودينها (٦) وشهد
الشرك شذر منذر ، وبعج الأرض وبخنها (٧) ، فقامت أكلامها ، ولفظت جنينها ، ترأمة
ويصدف عنها ، وتصدى له ويأبأها ، ثم وزع فيها فيئها وودعها كما يحبها . فأروني
ما ترتابون ، وأى يومى أبى تنعمون ؟ أيوم إقامته إذ عدل فيكم ، أم يوم ظعنه
وقد نظر لكم ؟ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

ثم أقبلت على الناس بوجهها ، فقالت ، أنشدكم الله ، هل أنكرتم عما قلت
شيئاً ؟ قالوا : اللهم لا

١) شدته ، واليساء ، عظم الظفر ، والعرب تضربه مبالاً للشدة

٢) الجران ، الصدر وكذلك البرك

٣) اختلط

٤) أكشب ، قرب ، النهز ، اختلاس الشيء ، والظفر به مبادرة .

٥) رفعه

٦) صغرها

٧) بعج الأرض وبخنها شقها

وصف الخطابة في صدر الاسلام

تمهيد :

علمت أن القرآن رفع من منزلة النثر ، فاحتل المسكنة التي كانت للشعر من قبل . وذلك لأن الاسلام رفع من شأن العقل ، ولابتدال الشعر بالتكسب به ، ولأن العقيدة الجديدة - وهي ما هي - تستلزم الخطابة وتستدعيها ؛ فضلا عن كثرة التنازع السياسي والديني بعد عصر عمر

وإذا كانت هذه هي منزلة النثر عامة فإن الخطابة احتلت الذروة من بين ألوان النثر خاصة في هذا العصر ، عصر صدر الاسلام ، والخطابة هي كما تعلم فن إقناع الجماهير واستمالتهم والتأثير فيهم ؛ وقد كان هذا العصر أعظم العصور الأدبية خطرا وأكبرها أثرا في الخطابة ، فقد بلغت الغاية واستكملت عناصرها الفنية والأدبية ؛ وظهر الكثير من أعلام الخطباء ومصانع البيان ؛ وإمامهم هو الرسول الأعظم ، والخطيب الأول ، محمد صلوات الله عليه

أسباب رقي الخطابة

- ١ - النورة الروحية الكبرى التي قام بها قائد الإنسانية الأعظم وهادياها الكريم محمد صلوات الله عليه ؛ وماتحتاج إليه من فن الخطابة بين أنصار الدعوة وخصومها ، فإن ذلك كان أهم سبب لرق الخطابة في هذا العهد
- ٢ - رفع الاسلام من شأن العقل وخفضه من غلواء العاطفة ، ودعوته إلى الإقناع بالمنطق والحجة والقول الصادق المبين
- ٣ - ابتدال الشعر بالتكسب به رفع من منزلة الخطابة ونوه بها
- ٤ - الرقي السياسي والاجتماعي ، فقد أصبحت العرب أمة واحدة ، لها رئيس أعلى ، ونظمت شئونها الاجتماعية تنظيما اسديعي الخطابة ، سواء كان من الخليفة أو قواده أو عماله أم من أفران الأمة وخطبائها ، أم في مجالس القضاء والشورى والفصل في الأمور
- ٥ - سلامة الملكات وقوة الطبع وعضوية الألسنة ، والقدرة على

الارتجال، وذبروع آثار بلاغة القرآن والحديث في النفوس والمقول والأذواق (١)

٦ — كثرة الخلافات حول الخلافة بعد موت الرسول وبعد مقتل عمر، وما يستلزمه ذلك من كثرة فن الخطابة والحجاج بين الآراء والأفكار والأحزاب السياسية

٧ — كثرة الحاجة إليها في شئون الدين والاجتماع والسياسة إلى غير ذلك ذلك من أسباب رقى الخطابه ونهضتها وقوتها في هذا العصر الكريم

أغراض الخطابة

وأغراض الخطابة في هذا العصر كثيرة متنوعة، ومن أهمها:

١ — الدعوة إلى الدين وحجاج المشركين، ونضال المنكر بين الحق والصدق والبيان المبين

٢ — الدفاع عن الرأي حين اختلف الأنصار والمهاجرون فيمن يلي الخلافة بعد الرسول، وحين اختلف المسلمون بعد عمر فيمن يختارونه لهذا المنصب الرفيع، وحين انقسم المسلمون بعد ذلك إلى شيعة وخوارج وإلى أنصار اهل ومؤيدي معاوية وبنى أمة

٣ — الحرض على قتال أعداء المسلمين، وتحسيس الجند وتشجيعهم حين ملاقات الأعداء، والتبشير بالنصر وسوى ذلك مما دعت إليه الفتوحات الإسلامية الكثيرة

١٥. وإذا كان قدور دعت بعض الرجال في هذا العصر آثار قليلة جدا من العمى والهجر فهذا نادر ضئيل جدا. كما ورد في الكامل أن يزيد بن أبي سفيان ولاء أبو بكر ولاية في الشام فصعد على المنبر فتكلم فارتج عليه، فقطع الخطبة وقال: سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عي بيانا، وأنتم إلى أمير فعال أخرج منكم إلى أمير قوال، فسكان ذلك منه بلاغة ما بعدها بلاغة اعتبارا، ما أشاد به عمرو بن العاص حين سمع هذه الكلمات،

- ٤ - الخطب في الشؤون الدينية من جماعة وصلاة عيدين وحج ومن وعظ وإرشاد وحض على الاستمسك بعروة الدين ومبادئ الإسلام
٥ - شرح خطبة سياسية أو رأى ديني أو منهج اجتماعي أو غير ذلك مما استلزمته الحياة الإسلامية في ذلك العهد البعيد

أسلوب الخطابة

- ١ - تمتاز الخطابة الإسلامية بصفاء الأسلوب ومئاته وشدة وقوته تأثيره ووصوله إلى قرارة النفوس وامتلاكه للشعور والوجدان
٢ - كما تمتاز بترك التكلف وهجران السجع المتعمد، وإيثار الطبع وماتليه الملكة الموهوبة الملهمة
٣ - كثرة الحكم وظهور العاطفة الدينية وذبوع الاقتباس من أسلوب الذكر المبين ومحاكاته في الإقناع والتأثير وجمال التصوير وبلاغة التعبير
٤ - وكانت تبدأ بحمد الله والثناء عليه وتختتم بمثل « أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم » ؛ وكان أبو بكر يخطب بقله ، اللهم اجعل خير زمانى آخره وخير عملى خواتمه وخير أيامى يوم ألقاك ، وكان عمر يلزم فى آخر خطبه قوله « اللهم لا تدعنى فى غمرة ولا تأخذنى على غرة ولا تجعلنى من الغافلين ،
٥ - وقد كانوا يسرون فى خطبهم على طرفى الأيجاز والاطناب اتباعاً لمقتضيات الأحوال والمقامات

الفاظها

والفاظ الخطابة فى هذا العصر أفاض القرآن فى عذوبتها وجمالها وسهولتها والبعد عن الحوشى والغريب والمبتذل والمتنافر فيها فوق سلامتها من الخطأ والهيب واللعن ، رفوق ما فيها من موسيقى وروعة وجلال وقوة تأثير

هيئة الخطيب :

وفد ظل الخطباء فى هذا العصر على ما ألفوه من لبس العمامة والاشتغال بالرداء واختصار المخصرة وكان صلى الله عليه وسلم يعتد على عصا فى السلم وعلى قوس فى الحرب إلى أن اتخذ المنبر وكانوا يقومون على شرف ويخطبون من

قيام إلى غير ذلك من المظاهر التي كانوا يحرصون عليها في الخطابة لنتم للخطيب روعة التأثير والافتاح

معاني الخطابة في صدر الإسلام :

ومعاني الخطابة في هذا العصر لا تخرج عما علمت من الحكمة والصدق والحق والخير والظفر .

وهي مع ذلك مرتبة منظمة صادرة عن عقيدة موهوبة مهيبة متقنة
فتنالا عن دقتها وعمقها ووضوحها وجلالها وتأثيرها
وهذه هي التي كانوا ينهلون منه هذه الحكمة : هو القرآن الشريف والحديث
النبوي الخالد .

وسمو الروح ، وعظمة الايمان : وقوة العقيدة وجلال الغاية ؛ كل هذه
خصائص ظاهرة لمعاني الخطابة في الاسلام

وهي مع ذلك مرتبطة بالأجزاء ، سليمة المنطق ؛ مرتبة مهيبة واضحة
أشهر الخطباء

وقد امتاز هذا العصر بكثرة الخطباء البلغاء ككثرة رائحة عجيبة
وفي صدر الخطباء الخطيب الأول والامام الأكبر والزعيم الروحي الاعظم
محمد صلوات الله عليه ، وقد مر بك طرف من بلاغاته وخطابته صلى الله عليه
ومن الخطباء . أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعائشة وخالد وعبدالله بن عباس وعبد
الله بن الزبير ، وابو عبيدة عامر بن الجراح ، ومعاوية ؛ وسواهم من اعلام
الخطباء والبلغاء ، رضوان الله عليهم أجمعين
ومن الخطباء المشهورين ، عطاردين حاجب بن زراره وكان الخطيب عند
النبي صلى الله عليه كما يقول الجاحظ (١)

أعلام الخطباء في العصر الإسلامي

علي بن أبي طالب

المتوفى عام ٤٠ هـ

أسرته :

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، جده عبد المطلب بن هاشم سيد قريش وزعيمها وعلما المشهور والوالد ابو طالب ، كان شريفا عظيما ، اشتغل بالنجارة في الجاهلية ، ولما مات أبوه ورث عنه السقاية والرفادة . وهو الذي كفل ابن أخيه محمد صلوات الله عليه ، وشمله بالرعاية والعون والتأييد ، ولما تعاهدت قريش علي : مقاطعة بني هاشم وبني المطلب قال :

لويا وخصا من لؤي بني كعب	ألا أبلغا عنى - علي ذات بينها -
نانيا كوسى خط في أول السكتب	ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا
ويصبح من لم ين ذنبا كذى الذنب	أفبقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزبي
أواصرنا بعد المودة والفرب	ولا تتبعوا أمر الوشاة وتمقطعوا
أمر علي من ذاقه حلب الحرب	وتستجلبوا حربا عوانا وربما
لنزام من عرض الزمان ولا كرب	فلسنا ورب البيت نسلم أحدا

وظل كذلك إلى أن توفاه الله عليه رحمته .

أما والدته فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، وهي أول هاشمية ولدت هاشميا . أسلمت وهاجرت الى المدينة وماتت في حياة الرسول .

وعلى خليفة المسلمين بعد عثمان ؛ وابن عم الرسول صلى الله عليه ، وزوج ابنته ، ووالد الحسن والحسين رضوان الله عليهما ، ورابع الخلفاء الراشدين وإمام الخطباء من المسلمين بعد رسول الله

مولده ونشأته :

ولد رحمه الله بمكة بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم باثنتين وثلاثين سنة
(وقبل الهجرة بثان سنين)

ونشأ بها النشأة العالية ، في كفالة الرسول كما حد أولاده . ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان متزوجاً خديجة ، وكانت ذات سال كثير ، وكان الرسول يتجر فيه فحصل له ربح وفير ، فلما أصيبت قريش بالفحط والجحاعة ، قال الرسول لعمه العباس : « إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، والناس فيما ترى من الشدة ، فانطلق بنا فلنخفف من عياله : نأخذ أنت واحدا وأنا واحد . » وكان لأبي طالب من الذكور أربعة أولاد ، كل واحد بينه وبين الذي يليه عشر سنين ، وكان أسنهم طالبا ، فمقيلا ، لمعزراً ، فعليا ؛ فمما جاء الإسلام أسلم على جعفر فمقيلا ، أما طالب فمات على الكفر كما يبه . وكان لإسلام علي وهو صغير في السنة الثامنة أو العاشرة من عمره قبل أن يتدنس بشيء من رجس الجاهلية ، ولذلك قيل فيه . « بكرم الله وجهه » ، لأنه لم يسجد لصنم قط .

ولما علم أبوه بإسلامه وصلاته مع الرسول قال له : « أي بني : أي شيء الذي أنت عليه ؟ » قال : « يا أبت آمنت بالله ورسوله وصدقت ما جاء به واتبعته » . فقال له : « أما إنه لم يدعك إلا إلى الخير فالزمه » .

وكان ذا منزلة سامية عند الرسول صلى الله عليه والصحابه والمسلمين كافة كان على جانب كبير من التقوى ، وكان أوفرهم نصيباً وأكرمهم مدداً من الرسول ، ولهذا كانت إليه الفتوى في حياة الرسول وبعده ، حتى ضرب به المثل بعد وفاة الرسول فمقيلا : « قضية ولا أبا حسن لها » . قال عبد الله بن عباس : « قسم علم الناس على خمسة أجزاء ، فكان أعلى منها أربعة ولناسر الناس جزء شاركهم فيه فكان أعلمهم به » . وقال عبد الله ابن مسعود : « كان علي رضي الله عنه أفرض أهل المدينة وأقنأهم » . يريد أعلمهم بعلم الميراث والفصل في القضايا بين الناس . ومن دلائل عبقريته أنه كان يسأل عن الأمور المشككة فيجيب فيها على البديهية ويحل مشككات المسلمين الدينية والاجتماعية ، وكان بطلا مقداما ،

وفارسا شجاعا ، وعلمنا من أعلام الإسلام ، كما كان ختليبا مصقعا ، وبلغنا مفوها ،
ومستشاراً مؤتمناً عند أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما .
الوان من حياته :

١ - رجهاد على رضوان الله عليه في نشر الدعوة في حياة الرسول الكريم
ذائع مشهور

وتعلمون موقفه الخالد ليلة الهجرة ، وكيف نام في الموضع الذي ينام فيه
الرسول ليلة الهجرة ليفدى الرسول ، ويتضمن نجاح هجرته مع أنه كان يعلم ما يترقبه
من قتل وتعذيب .

ثم هاجر على إلى المدينة وأقام فيها مع الرسول الكريم ، يكمل ثقافته الدينية
بما يتلقاه من الرسول ، وكان من كتاب الوحي ، واشترك في غزواته ومشاهدته
ماعداء غزوة تبوك .

٢ - وتوفى رسول الله صلوات الله وولى الخلافة أبو بكر بعده فخفق كثير
من المسلمون ، ولكن عليا كان كريما رائع التضحية وما يضر به من المثل العظيمة ،
فوقف مع أبي بكر يشد أزره ؛ ويسند ظهره ، ويشير عليه في المشكلات ، وتوفى
أبو بكر وتولى الخلافة عمر ، فكان على له ظهراً مميئاً ، كان يشير عليه بالصواب
والرشد إذا تفاقمت الأمور واشتدت الخطوب .

ثم قام عثمان بعد عمر بالخلافة فبايعه على وظل يعاونه إلى أن تفاقمت الأمور
وقامت الثورة على عثمان ومات فيها قتيلاً ، ويروى أن عثمان كتب إلى على وهو
محاصر في داره :
أما بعد :

ففسد باغ السيل الربى ، وجاوز الحرام الطيبين ، وطمع في من لا يدفع عن
نفسه ، ولم يغلبك مثل مغلب ، فأقبل إلى صديقاً كنت أوعدوا :

فان كنت ما كولا فكن خير آكل
وإلا فأدركني ولما أمزق

فبعث إليه بابنويه : الحسن والحسين يدافعان عنه . ولكنهما لم يستطيعا مقاومة الجماهير النائرة فقتل عثمان

٣ - خلفته :

وبويغ على بالخلافة بعد عثمان على ككره منه سنة ٣٥ هـ فأخذ معاوية بن أبي سفيان يؤلب بني أمية عليه لأنه لم يأخذ بدم عثمان ؛ وقد كان الثوار يوم بويغ لعل مجتمعين ولم تغمد سيوفهم ، فرأى رضى الله عنه أن من الحكمة تركهم حتى تغمد نار الفتنة وتم البيعة ، ورأى معاوية أنه يجب الأخذ بدم عثمان قبل الشروع فى البيعة ؛ وانضم إليه فى هذا أهل الشام وطائفة من أهل مصر والعراق . قضى رحمه الله فى الخلافة نحو خمس سنوات من ذى الحجة عام ٣٥ هـ الى رمضان عام ٤٠ هـ .

وقد كانت الأحداث التى وقعت فى خلفته أحداثا عظيمة جعلته فى كفاح دائم وحروب مستمرة

خرجت عليه عائشة بالبصرة ومعها طلحة والزبير ، ومعهركة الجبل مشهورة ثم استمرت الحروب بينه وبين معاوية بن أبي سفيان سجلا ، ومنها موقعة صفين ثم كان أمر التحكيم الذى قبله على على كره منه ، وخدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري فيه .

ثم انتهى الأمر بقتل الخوارج لعل بيد عبد الرحمن بن ملجم المرادى ، رحمة الله عليه بالكوفة فى السابع عشر من رمضان عام ٤٠ هـ ودفن بها وعمره ثلاثة وستون عاما وتولى بعده ابنه الحسن خلافة المسلمين ثم تنازل عنها لمعاوية عام ٤١ هـ .

نهج البلاغة للإمام على

وهو كتاب جليل ، وأثر أدبى خالد ، بعد كلام الله وكلام رسوله . جمع فيه الشريف الرضى م ٢٠٦ هـ كل ما ينسب للأمام على من خطبه

روصايا ونصائح وحكم وأمثال ومواعظ وآراء ومحاورات ورسائل وعهود ، وقيل ان الذى قام بجمعه هو الشريف المرتضى م ٤٣٦ هـ والشيعية على أن الكتاب بجملة وتفصيله لأمير المؤمنين على ، وذهب بعض الباحثين الى أنه منقول مقرئ عاينه أما حجج الذين ينفون نسبه عن على فأهمها :

- ١ - أن فى الكتاب أقوالا شديده اللهجة فى حق بعض الصحابه كما فى الخطبة الشقشقية السابقة ولكن بعض الباحثين يؤيدون نسبة هذه الخطبة اليه
- ٢ - ما فى الكتاب من أفكار عميقة واصطلاحات صوفية متأخرة . وأصطلاحات كلامية أيضا لم توجد فى عصره .
- ٣ - ما فى بعض رسائل الكتاب من طول كثير مما يدع للشك مجالا فى صحة نسبتها الى الامام على كما فى عهد على الى الاثر النحوى .
- ٤ - خلو الكتب الموافقة قبل الشريف الرضى من كثير مما فى نهج البلاغة وقد ذهب كثير من الباحثين الى نسبة الكتاب لعلى ولكن بما لا ريب أن بعضا مما فى الكتاب متحل مدخول ، لاتصح نسبه الى الامام ، ولادعى لتفصيل القول فى ذلك ، فلهدا موضوع آخر غير هذا المكان هذا وقد تنقف بثقافة نهج البلاغة كثير من عاشق الأدب ودارسيه فى التقديم والحديث . ولا يزل الى اليوم من أهم كتب الأدب والثقافة الدينية والعربية والكتاب على الاسلوب نظم العبارة مصقول البيان لطيف الروح ينحدر الى النفس بسبوله

وموضوعات الكتاب كما يقول الرضى ثلاثة : اولها الخطب والأوامر ، وثانيها . الكتب والرسائل ، وثالثها الحكم والمواعظ .
ويماز مع ذلك بطوله وضخامته وأهمية ما فيه من آراء فى الاخلاق والسياسة والذين والاجتماع وبأنه ثروة فكرية وأدبية واسعة .

بلاغة علي

وعلى كريم الله وجهه في الذنوة من البلاغة والفصاحة والبيان وهو أخطب الخطباء بعد رسول الله صلوات الله ولذلك أسباب :

- ١ — أمرته وبيئته ومكانهما في البلاغة
- ٢ — تأثره ببلاغة القرآن والرسول
- ٣ — كانت حياته كلها كفاح وفضل وجهاد وهذا من أهم ما يمدح علي الخطابة ويدعو إليها
- ٤ — نشأته وطبعه من صغره على البيان واللسن الفصاحة
- ٥ — قوة عارضته ، وحدة ذكائه وعبقريته ، وجليل شخصيته وجبه للصرامة والرأى الواضح . وكل ذلك مما يبعث الخطابة ويهين عليها وتمتاز خطابته بخصائص كثيرة من أهمها :
- ١ — تمثيلها لحياته وشخصيته وآرائه و عقيدته في الحياة
- ٢ — بلاغة أسلوبه وإحكامه وإثراقه واستمداده من أسلوب الذكر الحديث والبلاغة النبوية الشريفة
- ٣ — دقة معانيه وإحكامها وترتيبها وجلالها وعظمة الروح فيها وعلو الافق مما لا يكون إلا لمثل علي كرم الله وجهه
- ٤ — جولة ألفاظه إذا استثنينا منها هذه الألفاظ الاصطلاحية الكثيرة ويقول فيه الرضى :

كان أمير المؤمنين علي عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها ؛ ومنه عليه السلام ظهرت مكنوننا ، وعنه أخذت قوانينها ... من أجل هذا كان إذا خطب فهو أخطب العرب بعد رسول الله ، وإذا كتب كان أبلغ الناس قولاً وأصدقهم وصفاً وأسيرهم مثلاً رضى الله عنه

بعض آثار من كلام علي

١ - وما قاله عليه السلام قبل موته
أنا بالأمس صاحبكم ، واليوم عبدة لكم ، وغدا مفارقكم ، إن أبق فأنا
ولاء دمي ، وإن أفن فالفساء ميعادي ، وأن أغفر فالعفو لي قرينة ؛ وهو لكم
حسنة . فاعفوا واصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله ما لجاني من الموت
وارد كرهته ، ولا طالع أنكرته وما كنت إلا كقصارب ورد . وطالب وجد
وما عند الله خير للأبرار

ومن دعائه عليه السلام :

اللهم إني أعوذ بك أن أفقر في غنساك ، أو أضل في هداك ، أو أضام في
سلطانك ، أو أضطهد والأمر لك

٢ - وقال من وصية لولده محمد بن الحنفية حين أعطاه الراية يوم الجمل
« تزول الجبال ولا تزول . عض على ناخذك (١) أعر الله جهمتك (٢) تدفي
الأرض قدمك (٣) . أرم بيصرك أقصى القوم ، وغض بصرك ؛ واعلم أن النصر
بيد الله سبحانه »

٣ - ومن كلامه عليه السلام بصف بيئته بالخلافة ويرد على من زعم أن البيعة له
أخذت قسرا

بسطنم يدي فسكفتها ؛ ومددتموها فقبضتمها ، ثم تداكنتم على تداك
الابل الهيم (١) على حياضها يوم ورودها ، حتى انقطعت النمل وسقط الرداء
وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن أتهيج بها الصغير وهدج (٢) ، إليها الكبير ،
وتحامل نحوها العليل وحسرت إليها السكعاب .

(١) أي احرص على أن يكون الأمر لك

(٢) أي لا تشعر نفسك أن رأسك الآن لك بل أعرها الله جل ذكره وهذا

آثر قول في الاستهانة بالنفس يوم الروح

(٣) تدفعل أمر من وتد - نفتح التاء - الوتد ثبته

(٤) تداكنتم تراجتم والهيم جمع هيماء وهي التي برح بها العطش

(٥) هدج مشى مشية ضعف

٤ - ومن كلامه في التحريض على القتال لما أغار سفيان الاسدي على الانبار وقتل عامله عليها :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال : أما بعد : فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه (١) ألبسه الله الذل، وسياء (٢) الخسف (٣) وديث بالصغار (٤) . وقد دعوتكم إلى حرب هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً ولإعلاناً وقلت لكم أغزوه من قبل أن يغزوكم ، فوالذي نفسي بيده ما غزى قوم قط في عقر (٥) دارهم إلا ذلوا ؛ فتخاذلتم وتواكلتم ، وثقل عليكم قولي ، واتخذتموه ورائكم ظهرياً حتى شنت عليكم الغارات (٦) .

هذا أخو غامد قد بلغت خيله الانبار، وقتل حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها (٧) وقتل منكم رجالاً صالحين . وقد بلغتني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة ، فينزع حجلاً وقلبا ورعائها (٨) ، ثم انصرفوا موفورين (٩) ، ما نال رجلاً منهم كلم (١٠) ولا أريق لهم دم . فلو أن رجلاً مسلماً مات من دون هذا أسفاً ما كان عندي فيه ملوماً ، بل كان به عندي جديراً . يا عجباً كل العجب ! اعجب يميت القلب ، ويشغل الفهم ، ويكثر الأحران ، من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم ، وفشلكم عن حقكم حتى أصبحتم غرضاً ترمون ولا ترون ، وينار عليكم ولا تغيرون ، ويعصى الله فيكم (١) رغب (كفرح) فيه أراده . وعنه كرهه . وإليه ابتل ، ورغب (ككرم) اشتد نهمه .

(٢) علاوة . (٣) الذل . (٤) ديث : وصم ، والصغار الذل .

(٥) عقر : وسط .

(٦) قال المبرد : قوله شنت عليكم الغارات يقول صبت . يقال شنت المساء وكذلك فسرها صاحب القاموس المحيط .

(٧) جمع مسالحة وهي النفر حيث يخشى طروق العدو .

(٨) الحجول : الخيل ، انقلب السوار ، الرعات جمع رعثة وهي القرط .

(٩) تأمين لم ينقص منهم أحد . (١٠) جرح .

وترضون ، إذا قلت أغزروهم في الشتاء قلتهم هذا أو ان قر وصر (١) ، وإن قلت
لكم اغزروهم في الصيف قلتهم هذه حمارة (٢) القيظ . أنظرنا ينصرم الحر عنا ،
فاذا كنتم من الحر والبرد تفرون ، فأنتم والله من السيف أفر ، يا أشباه الرجال
ولا رجال ، ويا طغام (٣) الاحلام ، ويا عقول ربات الحجمال (٤) والله لقد أفسدتم
على رأبي بالعصيان ، ولقد ملأتم جوفى غيظاً حتى قالت قريش : ابن أبي طالب
رجل شجاع ولكن لا رأى له في الحرب لله درهم (٥) اومن ذا يكون أعلم
بها مني وأشد لها سراساً ، فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ولقد
نيفت اليوم على الستين ، ولكن لا رأى لمن لا يطاع (يقولها ثلاثاً) ، فقام إليه
رجل ومعه أخوه ، فقال يا أمير المؤمنين : أنا وأخي هذا كما قال الله تعالى : رب
إني لا أملك إلا نفسي وأخي ، فرنا بأمرك ، فوالله لنتهين إليه ولو حال دونه
جم الغضبي وشوك القتاد ، فدعا لها بخير ، ثم قال لهما وأين تقعان بما أريد .

٥ — الخطبة الشمشقية :

أما والله لقد تمصصها ابن أبي قحافة ، وانه ليعلم أن محلي منها محل القطب من
الرحى ، ينحدر عنى السيل ، ولا يرقى إلى الطير ، فسدلت دونها ثوبا وطويت

(١) القر بالضم : البرد ، ويوم قر بالفتح وليلة قره كذلك باردة والقره

بالكسرة البرد والرجل مقرر . والصر : الريح الشديدة كالصرصر .

(٢) حمارة القيظ شدته ومثلها صبارة الشتاء .

(٣) الطغام : السفلة من الناس والواحد طغامة .

(٤) الحجمال جمع حجلة وهي الستر : أى ذوات الخدور كناية عن النساء

أو جمع حجل بكسر فسكون وهو الخللخال .

(٥) الدر : النفس ، واللبن ، والعمل ، والمراد من نسبة الدر إلى الله بأحد

هذه المعاني هو تعظيمه لأن الشيء إذا نسب إلى العظيم كان عظيماً .

عنها كدحا ، وطفقت رثى به بين أن أصول بيد جنداء (١) أو أصبر على طخية عمياء (٢) يرم فيها السكر ، ويشيب فيها الصفير ، ويكدهح فيها مؤمن حتى يلقي ربه ، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العيين قذى ، وفي الخلق شجا ، أرى ترائي نها ، حتى مضى الأول لسيله فأدلى بم. إلى ابن الخطاب بعده ، ثم تمثل بقول الأعشى :

شتان ما يرمى على كورها ويوم حيان أخنى جابر (٣)

فيا عجباً بينا هو يستقبلها في حياته ، إذ عقدها لآخر بعد وفاته ، أشد ما اضطرا ضرعها فصيرها في حوزة خشناء بغاظ كلبها ، ويغثن مسها ، ويكثر العنار فيها ، والاعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة (٤) ان أشفق لها خرم وأن أسلس لها تقحم

ففي الناس . لعمر الله بظبط وشماس ، وتلون واعتراض ، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة ، حتى إذا مضى لسيله ، جعلها في جماعة (٥) زعم أني أحدهم فيا لله وللشورى . متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرب إلى هذه النظائر ، لكى أسففت إذ أسفوا ، وطرت إذ طاروا ، فصفا رجل منهم

(١) اليد الجنداء المقطوعة

(٢) الطخية قطعة من الغيم والسحاب

(٣) كان حيان ابن السمين نديماً للأعشى وهو في هذا البيت يشكو تفاوت

ما بينه وبينه فهو يسير في الرضاء على كور ناقته بينا نديمه يقم في رفاه العيش

(٤) الصعبة من النياق التي لم تركب ولم ترض وأشفق الرجل ناقته إذا كدها

بالذمام ؛ وخرم أى قطع أنفها .

(٥) هؤلاء الجماعة أهل الشورى هم : على وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن

ابن عرف .

لضغته (١) ، ومال الآخر لصبره ، مسع هن وهن (٢) ، إلى أن قام ثالث القوم ،
نالجا حضييه بين ثثيله ومعتلفه (٣) ، وقام معه نبرأيه يخضمون مال الله خضمة
الابل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث قتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته ، فما
واعنى إلا والناس كعرف الضبع إلى ، ينشالون على من كل جانب ، حتى لقد
وطىء الحسنان ، وشق عطفأى ، مجتمعين حول كربيضة الغنم (٤) ، فلما نهضت
بالامر نكثت طائفة ، ومرقت أخرى ، وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام
الله حيث يقول :

تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا
والعاقبة للمتقين

بلى والله لقد سمعوا ووعوها ، ولكنهم حلت الدنيا في أعينهم وراقهم
زبرجها ، أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام
الحجة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا
سغب مظلوم ، لألقيت جبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها ،
ولألفيتم دنياكم هذه عندي من عطفة عز .

قالوا : وقام إليه رجل من أهل السواد ، عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته
فناوله كتابا فاقبل ينظر فيه ، فقال له ابن عباس رضى الله عنهما ، يا أمير المؤمنين

(١) صغا : مال وهذا الذى يرى على رضى الله عنه أنه صغا لضغته هو طلحة
ابن عبيد الله والذى مال لصبره هو عبد الرحمن بن عوف وكان زوجا لأخت
عثمان رضى الله عنه

(٢) هن من الألفاظ التى يكتنى بها عن شىء يحجب ستره

(٣) نالجا حضييه أى رافنا لها ، والحضن ما بين الابط والكشع والثليل

الروث والمعتاف موضع العلف

(٤) ربيضة الغنم القطة الرابضة منها

لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت ا فقال هيات يا ابن عباس ا تلك شقشة (١)
هدرت ثم قرئ ، قال ابن عباس فوالله ما أسفت على كلام قط كأسنى على هذا
الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد

حول هذه الخطبة

ويتكر كثيرون هذه الخطبة لما تشتمل عليه من اتهام للخلفاء الثلاثة رضوان
الله عليهم بما لا يصدر من له عن أمير المؤمنين على رجه الله مع جلاله وعفته وتسامحه
وفرط أدبه وفضله وكرمه

٦ — ومن الحكم لعلي بن أبي طالب :

إيمان المرء يعرف بإيمانه . أدب المرء خير من ذهبه . أداء الدين من الدين .
أحسن إلى المسيء تسد . إخوان هذا الزمان جواسيس العيوب . أخوك من واصلك
بنسب لا من واصلك بنسب . بشر نفسك بالظفر بعد الصبر . بركة المال في أداء
الزكاة ، بيع الدنيا بالآخرة تربح . بكاء المرء من خشية الله تعالى قررة العين . باكر
تسعد . بطن المرء عدوه . بركة العمر حسن العمل . بلاء الإنسان من اللسان .
بشاشة الوجه عطية ثانية . توكل على الله يكفيك . تدارك في آخر العمر ما فاتك
في أوله . تكاسل المرء في الصلاة من ضعف الإيمان . تغافل عن المكروه توفر .
ثلمة الدين موت العلماء . ثبات الملك بالعدل . ثواب الآخرة خير من نعيم الدنيا .
ثناء الرجل على معطيه . ستزيد . جد بما تجود . جولة الباطل ساعة وجولة الحق
إلى قيام الساعة . جودة الكلام في الاختصار . جليس المرء مثله . جليس المرء
غنيمة . جالس الفقراء تزد شكرا . جل من لا يموت . حياة المرء ستره .
حموضات الطعام خير من حموضات الكلام . خوف الله تأمين غيره . خلاف
نفسك تترح . خير الأصحاب من يدلك على الخير . خليل المرء دليل عقله .
خوف الله يجلو القلب . خلو القلب خير من ملء الكيس . خير المال ما أنفق في
سبيل الله . دليل عقل المرء فعله ودليل علمه قوله . دوام السرور برؤية الإخوان

(١) الشقشة ما يخرج البعير من فيه إذا هاج .

دولة الأردن آفة الرجال . دين الرجل حديثه . دولة الملوك في العدل . دار من جفاك تخجيلا . دم على كظم الغيظ محمد عواقبك . ذنب واحد كثير وذكر وألف طاعة قليل . ذكر الأولياء ينزل الرحمة . ذليل الخلق عزيز عند الله . ذكر الموت جلاء القلب . ذكر الشباب حسرة . رؤية الحبيب جلاء العين . رفاهية العيش في الأمن . رسول الموت الولادة . زيارة الحبيب إطراء المحبة . زوايا الدنيا مشحونة بالرزايا . زيارة الضعفاء من التواضع . زينة الباطن خير من زينة الظاهر . سيرة المرء تنبئ عن سريرته . سمو المرء التواضع . شين العلم الصالح . شمروا في طلب الجنة . شيك ناعيك . شحيح غنى أفقر من فقير سخى صدق المرء نجاته . صحة البدن في الصوم . الصبر يورث الظفر . صلاة الليل بهاء النهار . صلاح الإنسان في حفظ اللسان . صاحب الاختيار تأمن الأشرار . صمت الجاهل ستره . صلاح الدين في الورع وفساده في الطمع . ضل سعي من رجا غير الله تعالى . ضرب الحبيب أوجع . ضل من ركن إلى الأشرار . طاب من وثق بالله . طلب الأدب أولى من طلب الذهب . ظلم المرء يصصره ظلامه المظلوم لانضيغ . ظمأ المال أشد من ظمأ الماء . ظل عمر الظالم قصير وظل عمر الكريم فسيح . عش قنعاً تكن ملكاً . عيب الكلام تطويله . عاقبة الظالم وخيمة . غدرك من ذلك على الاسامة . فاز من ظفر بالدين . فخر المرء بفضله أولى من فخره بأصله . فاز من سلم من شر نفسه . فسدت نعمة من كفرها . قبول الحق من الدين . كلام الله دواء القلب . كفران النعمة مزيلها . كفى بالشيب داء . كمال العلم في الحلم . لين الكلام قيد القلوب . من كثير كلامه كثير ملامه . مجلس العلم روضة من رياض الجنة . مصاحبة الأشرار ركوب البحر . نسيان الموت صداً القلب . نيم آمنة تكن في أمهد الفرش . نضرة الوجه في الصدق . ولاية الأحمق سريعة الزوال وحدة المرء خير من جليس السوء . هم السعيد آخرته وهم الشقي ديناه . هلاك المرء في العجب . هربك من نفسك أنفع من هربك من الأسد . لادين لمن لا مروءة له . لا فقر للعاقل . يعمل النمام في ساعة فتنة أشهر . يسود المرء قومه بالإحسان إليهم

v - ومن روائع الحكم ودرر الحكام من كلام علي بن أبي طالب

الدين يعصم . الدنيا تسلم ، الصيانة رأس المروءة . الحق سيف قاطع . العجب عنوان الحماقة . البشاشة جبل المودة . الارتقاء إلى الفضائل صعب . الانحطاط إلى الرذائل سهل . السكوت عن الأمتق جوابه . إمام عادل خير من مطر وابل . المحسن حتى وإن نقل إلى منازل الاموات . العاقل إذا سكنت في فكر وإذا نطق ذكر وإذا نظر اعتبره الداعي بلا عمل كالقوس بلا وتر . إنجاب الرجل بنفسه عنوان ضعف عقله ، أحسن الجود عفو بعد مقدرة ، يركوب الاحوال تكسب الاموال ، بالسخاء يستر العيوب ، تكلموا تعرفوا فان المرء مخبوء تحت لسانه ، ثوب التقى أشرف الملابس ، ثوب الآخرة ينسب مشقة الدنيا ، ثروة العاقل في علمه و ثروة الجاهل في ماله ، ثلاث يوجبن المحبة الدين والتواضع والسخاء . جهاد النفس أفضل الجهاد . حسن الأدب يستر قبح النسب . حلالوه الظفر تمحو مرارة الصبر . حد اللسان يقطع الأوصال . خير النعم ما جرى على السنة الأخشيار . دوام الفتن من أعظم المحن رب سكون أبلغ من كلام . زلة العالم كأنه كسار السفينة تفرق وتغرق معها غيرها . زخارف الدنيا تفسد العقول الضعيفة . سلاح اللثام قبح الكلام . سمع الأذن لا ينفع مع غفلة القلب . شر الناس من لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً شيئاً أن لا يعرف فضلهم إلا من فقد همة الشباب والعافية محتلك حتى تستنطق أجمل من نطقك حتى تسكت . صوم النفس عن لذات الدنيا أفضل الصيام . صدر العاقل صندوق سره . ضع فيحرك وأحطط كبرك وكما تزرع تحصد وكما تدين تدان . ضعف البصر لا يضر مع استنارة البصيرة . طوبى لمنز غلب نفسه ولم تغلبه ومن ملك هواه ولم يملكه . طلب البناء بغير استحقاق خرق . ظن العاقل أصبح من يقين الجاهل . ظرف الرجل تنزهه عن الخوارم ومبادرته إلى المسكارم . عليك بالآخرة تأتلك الدنيا صاغرة . عند الامتحان يكرم المرء أو يهان . عجيب لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء . عجيب لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربه . عبد الشهوة أذل من عبد الرق . عبد المطامع أسير لا يفك أسره . عاشق أهل الفضائل تابل . عداوة الأقارب أمس من لسع العقارب . غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه . غنى المؤمن بالله . غنى العاقل في حكمته . غنى الجاهل في قنيتة . في الذكر حياة القلوب . في رضا الله نيل المطلوب في الدنيا عمل ولا حساب وفي الآخرة

الحساب ولا عمل . في الاستشارة عين الهداية . فقد البصر أهون من فقد البصيرة . قد يمد القريب . قد يلين الصليب . قلنا الأكل تمنع كثيرا من أعلال الجسم . قل الحق وإن كان عليك . قليل الحق يدفع كثير الباطل كما أن قليل النار يحرق كثير الخشب . كل طير يأوى إلى شكله ، كل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه ، كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا العلم فإنه يتسع ، كم يفتح بالصبر من غلق . كيف ينجو من الله هارب . كيف يسلم من الموت طالبه ، كن عالما ناطقا أو مستمعا واعيا ، كلام الرجل ميزان عقله ، كلما قاربت أجلا فأحسن عملا ، وليس من عادة الكرام تأخير الانعام ، للشدائد تذخر الرجال ، من توفر وقر ، ومن تسكبر حقر ، من استشار العاقل ملك ، من استبد برأيه هلك ، ما حقر نفسه إلا عاقل . ما أعجب برأيه إلا جاهل ، نم الإدام الجوع ، هدى من أطاع ربه ، وخاف ذنبه ، هلك أمرؤ لا يعرف قدره ، هانت عليه نفسه من أمر عليه لسانه ، وقرروا كباركم توفركم صغاركم ، وقار الشيب أجمل من نضارة الشباب ، لا تثمن بعمد من لا دين له ، لا تعد ما تعجز عن الوفاء به ، لا تثق بمن يذيع سرك ، لا يسترقك الطمع فقد جعلك الله حرا . يستدل على الكريم بحسن بشره وبذل خيره يستدل على إدارار الدول بأربع : تضييع الأصول والتمسك بالفروع وتقديم الأرزال وتأخير الأفاضل ، يبلغ الصادق بصدقه مالا يبلغه الكاذب باحتياله

٨ - وعن علي بن أبي رافع ، قال : كنت على بيت مال علي بن أبي طالب وكتبه ، فكان في بيت ماله عقد لؤلؤ كان أصابه يوم البصرة فأرسلت إلى بنت علي بن أبي طالب فقالت لي : إنه قد بلغني أن في بيت مال أمير المؤمنين عقد لؤلؤ ، وهو في يدك وأنا أحب أن تعيرنيه أنجمل به في يوم الاضحى ، فأرسلت إليها : عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام يابنت أمير المؤمنين ، فقالت : نعم عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام فدفعته إليها وإذا أمير المؤمنين رآه عليها فعرفه . فقال لها : من أين جاء إليك هذا العقد ، فقالت : استعرته من أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين لأنزين به في العيد ثم أردته ، فبعث إلى .

أمير المؤمنين فحتمه فقال لى : أنخون المسلمين يا ابن أبى رافع ، فقلت معاذ الله أن أخون المسلمين ، فقال : كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذى فى بيت مال المسلمين بعير لذى ورضاهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنما بنتك وسأنتى أن أعيرها تزين به ، فأعرتهم إياه عارية مضمونة مردودة عل أن ترده سالما إلى موضعه . فقال : رده من يومك وإياك أن تعود إلى مثله فتنا لك عقوبتى إلى مثله ثم قال ويل لابنتى لو كانت أخذت العقد على غير عارية مردودة مضمونة لكانت إذن هاشمية قطعت يدها فى سرقة . فبلغت مقاتله ابنته فقالت له يا أمير المؤمنين أنا ابنتك وبضعة منك فمن أحق بإبسه منى فقال لها : يا بنت ابن أبى طالب لا تذهبي بنفسك عن الحق أكل نساء المهاجرين والانصار يزين فى مثل هذا العيد بمثل هذا فقبضته منها ورددته إلى موضعه .

ووصف على رضى الله عنه الدنيا وقد سئل ذلك ، فقال .
وما أصف لك من دار أولها عناء وآخرها فناء ، من صبح فيها أمن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فتن ، حلالها حساب وحرامها عذاب (١)
وراجع وصف على رضى الله عنه لرسول الله (٢)
وراجع وصف ضرار الصدائى لعلى رضى الله عنه وقد طلب منه ذلك معاوية (٣)
ووصف الحسن البصرى لعلى بن أبى طالب (٤)
وجواب على رضى الله عنه لمن سأله عن الإيمان (٥)
وصيغة صلواته على النبى صلى الله عليه وكان يعلمها أصحابه (٦)
وقد سبق ذكر كثير من آثاره فى نماذج الخطابة والنثر الفنى

(١) ٢/١٢٦ الأمالى

(٢) ٢/٦٩ الأمالى

(٣) ٢/١٤٧ الأمالى

(٤) ١٧٠ و ١٩٤ النوادر - الأمالى

(٥) ١٧١ النوادر

(٦) ١٧٣ النوادر

الامام على والشعر

وينسب لامسبب المؤمنين على رضى الله ديوان شعر كبير ، وهو مطبوع متداول ، ونسب إليه ابن رشيق شعراً فى الجزء الاول من العمدة .

والحق أن أكثر ما ينسب لعلى من الشعر منتحل ، وأنه لم يفرغ للشعر ولم يؤثر عنه إلا القليل منه .

وليس بمعقول أن يكف لبيد عن الشعر ويخوض فيه مثل الامام على كرم الله إلى هذا الحد الذى يصوره لنا الديوان المنسوب إليه .

هذا وأكثر ما ينسب لعلى تصح نسبته لغيره ولاداعى الأفاضة فى ذلك كله ، وإن كان جمل شعره فى الزهد والحكمة والموعظة ، وما نسب إليه قصيدة طويلة سموها القصيدة الزينية ومطلعها :

صرمت حبالك بعد وصلك زينب والدهر فيه تصرم وتقلب
وما نسب اليه قوله يرثى النبى صلى الله عليه وسلم :

أمن بعد تكفينى النبى ودفنه
رزنا رسول الله فينا فلن نرى
لقد غشيتنا ظلمة بعد موته
ركنا برؤياه نرى النور والهدى
فيا خير من ضم الجوانح والحشا
كان أمور الناس بعدك ضمنت
وضاق فضاء الارض عنهم برحبته
فقد نزلت بالمسلمين مصيبة
فلن يستقل الناس تلك مصيبة
وفى كل وقت للصلاة يهيجها
ويطلب أقوام مواريث هالك

وقوله :

لقد خاب من غرته دنيا دنيسة وما هي ان غرت قرونا بطائل
وقلت لها غرى سواى فانى عزوف عن الدنيا ولست بجاهل
وما أنا والدنيا فان محمداً رهين بقفر بين تلك الجنادل
وهيأ أتتنا بالكنوز ودرها وأمواى قارون وملك القبائل
أليس جميعا للفناء مصيرها وتطلب من خزائنها بالطوائى
فغرى سواى انى غير راغب لما فيك من عز وملك ونائل
وقد قنعت نفسى بما قد رزقته فشاأناك يا دنيا وأهل الغوائل
فانى أخاف الله يوم لقائه واخشى عقاباً دائماً غير زائل

عمر بن الخطاب

نسبه وأسرته ونشأته :

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عدى بن كعب بن لؤى ، وأمه بنت هاشم بن المغيرة من بني مخزوم .
ولد لثلاث عشرة سنة مضت من ميلاد الرسول صلوات الله عليه -
عام ٥٨٤ -

ونشأ في مكة شجاعاً ألباً صريحاً لا يرى فيما يعتقد أنه الحق هوادة ولا بجمالة ، وكان يسفر بين قريش وقبائل العرب .

ثم بعث الرسول صلوات الله وسنة ٢٧ سنة ، وحارب الاسلام حرباً شديدة ثم أسلم وأعلن إسلامه في العام السادس من البعثة وهاجر بعد الرسول صلوات الله عليه في غير خيفة أو خفية . وحضر مع الرسول صلى الله عليه غزواته كلها . وكان يستمع لمشورته ورأيه ، وكان هو وأبو بكر بمنزلة الوزيرين لرسول الله . وقد صاهره الرسول فتزوج بنته حفصة ، ولما مات الرسول كان امر الفضل في إعلان البيعة لأبي بكر ، فكان لأبي بكر بمنزلة الوزير الأول يشير عليه ويعينه ، وكان أبو بكر يحيل عليه الفصل في القضايا والمشكلات .

خلافته :

وتوفي أبو بكر عام ١٣ هـ ، وكان قد عهد بالأمر بعده إلى عمر ، وكان بدء خلافته يوم الثلاثاء ٢٢ جمادى الثانية عام ١٣ هـ = ٢٣ أغسطس ٦٣٤ م .
وفي عهده زادت الفتوحات الاسلامية ، وانتشرت الدعوة الاسلاميه في الشرق والغرب ، وانتصر المسلمون على فارس والروم انتصارات ساحقة .
ومصرت الكوفة والبصرة ودونت الدواوين .

وكان مثلاً أعلى في العدالة والديمقراطية والتفاني في إعزاز كلمة الاسلام

ورفع شأن المسلمين ، وكان مثالا للرحمة والبر والعطف على الرعية والصرامة
في الحق والجد في نشر الاسلام .
وقتل عليه رضوان الله عام ٢٣ هـ
بلاغة عمر :

كان عمر أدبيا يتذوق الأدب وينقد الشعر ، ويروي المأثور من
بلاغة الجاهليين .

وكانت له آراء دقيقة في نقد الشعر ، كما كانت له مواقف كريمة في رعاية
الشعراء وتوجيههم وتشجيعهم .

وله بعض المأثور من الشعر مما سجله صاحب العمدة وسواه آثاراً منه .
وله كثير من الخطب والرسائل والوصايا والنصائح ، والكلمات الحكيمية
والأمثال الذائعة والآراء الحصيفة .

وكان رحمه الله خطيباً بليغاً ومفوهاً مؤثراً ، قوى الحجج شديداً العارضة رائع
الأسلوب والديباجة تنبع معانيه من ينابيع الحكمة والنبوة ، وتتنوع موضوعات
خطابته بحسب المقامات والأحوال .

وقدم بك الكثير من نماذج نثره في الخطب والوصايا والنصائح والحكم .
وماك آثاراً قليلة أخرى لهذا العبقرى العظيم :

من خطبة له لما بلغه أن قوما يفضلونه على أبي بكر الصديق رحمه الله ،
فوثب مغضباً حتى صعد المنبر ، لحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ،
ثم قال :

أيها الناس : إني سأخبركم عنى وعن أبي بكر : إنه لما توفى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ارتدت العرب ، ومنعت شاتها وبعيرها (١) ، فأجمع رأينا كلنا أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم أن قلنا له : يا خليفة رسول الله ، إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة ، يمد الله بهم وقد انقطع ذلك اليوم
فأرزم بيتك ومسجدك ، فانه لا طاقة لك بقتال العرب ، فقال أبو بكر الصديق
أو كلكم رأيه على هذا ؟ فقلنا نعم ، فقال والله لأن أخرج (٢) من السماء ، فتخطفنى
الطير أحب إلى من أن يكون هذا رأي . ثم صعد المنبر ، فحمد الله وكبره ، وصلى
على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها من كان يعبد محمداً
فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت . أيها الناس : أتئن
كثير أعدائكم ، وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب ؟ والله ليظهرن الله
هذا الدين على الأدبان كلها ولو كره المشركون . قوله الحق ، ووعده الصديق . بل
نقذف بالحق على الباطل فيدمغه (٣) فإذا هو زاهق (٤) وكمن فنة قليلة غلبت فنة
كثيرة بأذن الله والله مع الصابرين ، والله يأبى الناس لو أفردت من جميعكم
لجاهدتم فى الله حق جهاده حتى أبلى بنفسى عن ذراً (٥) أو أقتل قتلاً . والله أيها الناس

(١) أى منعت زكاتها .

(٢) أسقط .

(٣) دمنه : أصاب دماغه .

(٤) زهق الشيء : هلك ، والباطل : اضمحج .

(٥) يقال أبلاء عن ذراً : قدمه إليه فقبله . والمعنى هنا فعل ما يعذر معه أى لم يقضه

لو منعوني عقالا لجاهدتهم (١) عليه، واستعنت الله عليهم وهو خير معين (٢)؛ ثم نزل:
لجاهد في الله حق جهاده حتى أذعنن العرب بالحق .

وقد سبق لعمر كثير من الآثار في نماذج النثر الفنى والخطابة (٣)

(١) عقال : زكاة عام من الابل والغنم وقيل العقال الحبل الذى تعقل به
الفريضة فكان يعطى معها .

(٢) وقد تقدمت هذه الخطبة لأبى بكر فى صفحة ١٢١

(٣) راجع ص ٧٢ و٧٦ و٨٠ و٨٥ و١٠٩ و١١٠ من هذا الكتاب

بعض مواقف عمر من الشعراء

١ - عمر وأبو كلاب بن أمية هـ

عن عروة بن الزبير قال : هاجر كلاب بن الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر ابن الخطاب ، فأقام بها مدة ، ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبد الله ، والزبير بن العوام فسألها : أى الأعمال أفضل فى الاسلام ؟ فقالا : الجهاد . فسأل عمر فافغراه فى جيش ، وكان أبوه قد كبر وضعف ، وخرج معه أخ له آخر ، فانبعث أمية يقول :

يا أم هيثم ماذا قلت ؟ أبلان ريب المنون وهذان الجديدان (١)
إما ترى حجرى قد رك (٢) جانبه فقد يسرك صلبا غير كذبان (٢)
إما ترىنى لا أمضى إلى سفر إلا معى واحد منكم أو اثنتان
يا ابنى أمية ، إني عنكما غانى وما الغنى غير أئى مرعش فانى
يا ابنى أمية ، إلا تشهدا كبرى فان نايكما والشكل مثلان
إذ يحمل الفرس الأحوى (٤) ثلاثتنا وإذا فراقكما والموت سيان
أصبحت هزء الراعى الضأن أعجبه ماذا يريك منى راعى الضان ؟
انفق بضائك فى نجم (٥) تحفره من الأباطح واحبسها بجمدان (٦)
إن نرع ضاناً فانى قد رعيتهم بيض الوجوه بنى عمى وإخوانى
فلما طالت غيبة كلاب هـ قال :

لمن شيخان قد نشدا كلابا كتاب الله إن رقب الكتابا

« المحاسن والمسارى ص ٥٨٨ طبع لبيزج ، ذيل الامالى ص ١٠٨ ،
(١) الجديدان : الليل والنهار (٢) رك . ضف (٣) الكذبان : الرخو
(٤) الأحوى : الأسود (٥) النجم : ما نجم من الثبات على غير ساق (٦) جمدان
جبل بطريق مكة وواد .

تفض مده شققا عليه ونجبه اباعرنا^(١) الصعابا
إذا هتفت حمامة بطن واد على بيضاتها دعوا كلابا
تركت أباك مرعشة يدها وأملك ما تسبيغ لها شرابا
أناديه وولاني قفاه فلا وأبي كلاب ما أصابا
فان مهاجرين تمكناه ليترك شيخه ؛ خطئا وخابا
وإن أباك حين تركت شيخ يطارد أينقا شسبا^(٢) طرابا
إذا بلغ الرسم^(٣) فكان شدا^(٤) يخز ، فخالط الذقن الترابا
فبلغت أباته عمر فلم يرد كلابا ، فاهتز أمبة واختلط^(٥) جزعا عليه ، وتغنت
الركبان بشعر أبيه فبلغه ، فأنشأ يقول .

اعمرك ما تركت أبا كلاب كبير السن مسكتها مصابا
وأما لا يزال لها حزين تنادي بعد رقدتها كلابا
لكسب المال أو طالب المعالي ولسكنى رجوت به الثوابا
ثم أتاه يوما وهو في مسجد الرسول ، وحوله المهاجرون والأنصار ، فوقف
عليه ثم أنشأ يقول :

أعاذل قد عدلت بغير علم ولا تدرين عاذل ما ألاق
فأما كنت عاذلتى فردى كلابا إذ توجه للعراق
ولم أقض اللبانة من كلاب غداة غد وأذن بالفراق
فلا والله ما باليت وجدى ولا شمقي عليك ولا اشتياقي

(١) جمع بعير .

(٢) الشسب : جمع شاسب وهو النحيف اليابس ضمراً .

(٣) الرسم : سير الأبل

(٤) الشد . الحضر والعدو (٥) فسد عقله

سأستعدي على الفاروق ربا له حجج الحجيج على اتساق
وأدعو الله مجتهداً عليه بيطن الأخشبين^(١) إلى دفاق^(٢)
فلما أنشدها عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص أن رحل كلاباً ،
فرحله .

فلما قدم دخل إليه فقال : ما بلغ من برك بأبيك ؟ قال : كنت أبره وأكفيه
أمره ، وكنت أعتد - إذا أردت أن أحلب لبناً - أغور ناقة في إبله وأسمها
فأسقيه .

فبعث عمر إلى أمية من جاء به إليه . فأدخله يتهادى ، وقد ضعف بصره وانحنى
فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ قال : كما تراني يا أمير المؤمنين . قال : فهل لك
من حاجة ؟ قال : نعم : أشتى أن أرى كلاباً ، فأشمه شمة ، وأضمه ضمة قبل أن
أموت . فبكى عمر ثم قال : ستبلغ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى .

ثم أمر كلاباً أن يحتلب لآبيه ناقة كما كان يفعل ، ويبعث إليه بلبنها . ففعل ؛
فناوله عمر الإناء وقال : دونك هذا يا أبا كلاب . فلما أخذه وأذناه إلى فمه ، قال :
نعم والله يا أمير المؤمنين ، لاقى لأشم رائحة كلاب من هذا الإناء . فبكى عمر وقال :
هذا كلاب عندك حاضرأ قد جشاك به . فوثب إلى ابنه وضمه إليه وقبله وجعل
عمر يبكي ومن حضره وقال لكلاب أكرم أباك لجاهد فيهما ما بقيا
٢ - عمر وأبو محجن الثقفي :

كان أبو محجن^(٣) الثقفي من المعاقرين للخمر ، المحسودين في شربها ، أقام

(١) الأخشبان ، جبلا مكة ، أبو قبيس والأحمر ، وجبلا منى

(٢) دفاق ، موضع أو واد .

٥ المهذب ص ٤٨ ج ٢ ، الخزانة ص ٥٥٣ ج ٣ ، الأغاني ص ١٣٨ ج ٢٠

السكامل لابن الأثير ص ٢٣٢ ج ٢ ، المسعودي ص ٤٢٣ ج ١

(٣) أبو محجن اسمه وكنيته على المشهور ، أسلم سنة ٩ هـ ، وسمع من النبي صلى

الله عليه وسلم وروى عنه ، وكان جواداً كريماً من الفرسان المشهورين

في الجاهلية والإسلام مات سنة ٣٠ هـ

دليه عمر بن الخطاب الحارثي مراراً، ودو لا ياتيني، فنفاه إلى جزيرة في البحر،
وبعث معه حرسياً (١) فحرب منه ولحق بسعد بن أبي وقاص، وهو في حربه مع
الفرس - وكانت حرب القادسية .

ولما بلغ عمر كتب إلى سعد بحبسه، فحبسه في القصر، وتطلع أبو عجم إلى
الحرب، فرآها مشتتة، فذهب إلى سلمى بنت أبي حفص زوج سعد، فقال لها:
هل لك في خير؟ قالت: وما ذاك أقال تخلين عني وتعينيني بالبقاء (٢)، فله على
إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى تضعي رجلي في قيدي، فقالت: وما أنا وذاك
فرجع يرسف في قيوده، ويقول:

كفى حزناً أن ترتدي الخيل بالقنا وأترك شهوداً على وثاقيا
إذا قت عتاني الحديد وغلقت مصاريع من دوني تصم المنايا
وقد كنت ذا مال كثير واخوة فقد تركوني واحداً لا أخاليا
وقد شف جسمي أنتي كل شارق (٣) أعالج كبلاً (٤) مصتماً قد برانيا
فله دري يوم أترك مؤثقا وتذهل عني أسرتي ورجاليا
حبيساً عن الحرب العوان وقد بدت وإعمال غيري يوم ذلك العواليا
ولله عهد لا أخيس (٥) بعهدده لئن فرجت ألا أزر الحوانيا (٦)

فقالت سلمى: إن استخرت الله ورضيت بعهدك واطلقته:

فاقتاد أبو عجم الفرس؛ وأخرجها ثم وكسها، ودب عليها، وفي ذلك اليوم
أظهر من شجاعته عجباً. ولما تحاجز أهل العسكرين أقبل أبو عجم حتى دخل
القصر، ووضع نفسه عن دابته، وأعاد رجليه في القيد وقال:
لقد عدت ثقيف غير نحر بأنا نحن أكرمهم سيوفا

(١) الحرسى، واحد حرس السلطان.

(٢) البقاء، فرس سعد بن أبي وقاص.

(٣) أصل الشارق: اليوم الذي فيه الشمس، والمراد كل يوم.

(٤) السكيل القيد (٥) نحاس بالعهد، غدر وتكث

(٦) الحانية: الدكان

وأكثرهم دروعا سابغات وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا
فإن احبس فقد عرفوا بلأني وإن أطلق أجزعهم حتوفا

فقلت له سلبى : يا أبا محجن ، فى أى شىء حبسك هذا الرجل ؟ فقال : أما
والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ، ولكنى كنت صاحب شراب فى الجاهلية
وأنا امرؤ شاعر ، يدب الشعر على لسانى ، فينفته أحيانا ، فحبسنى لأنى قلت :
إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة تروى عظامى بعد موتى عروفا

ولا تدفنى بالفلاة (١) فأنى أخاف إذا مامت أن لا أذوقها
فذهبت إلى سعد وأخبرته خبر أبى محجن ، فدعاه وأطلقه ، وقال . اذهب فإنا
أنا مؤاخذك بشىء تقوله حتى تفعله ، فقال . والله أحببت لسانى إلى قبيح أبدا
٢ - عمرو الخطيئة والزبرقان بن بدر

قدم الزبرقان على عمر فى سنة مجذبة ، ليؤدى صدقات قومه ، فلقبه الخطيئة
بقرقرى (٢) ، ومعه ابناه أوس وسواده وبناته وامراته ، فقال له الزبرقان - وقد
عرفه ولم يعرفه الخطيئة : أين تريد ؟ قال : العراق ، فقد حطمتنا هذه السنة ،
قال : وتصنع ماذا ؟ قال : وددت أن أصادف بها رجلا يكفينى ثلثة عيالى ،
وأصفيه مدحى أبدا .

فقال له الزبرقان : قد أصبته ، فهل لك فيه يوسعك لبنا وبمرا ، ويجاورك
أحسن جوار وأكرمه ؟ فقال الخطيئة : هذا وأبيك العيش ، وما كنت أرجو
هذا كله ، قال فقد أصبته ، قال : عند من ؟ قال : عندى ؛ قال ومن انت ؟
قال . الزبرقان بن بدر . قال . وأين محلك ؟ قال : أركب هذه الابل ، واستقبل
مطلع الشمس ، وسل عن القمر (٣) حتى تأتى منزلى .

(١) الفلاة . الأرض المهلكة .

الآغاى ص ١٨٠ ج ٢ ، نهاية الأرب ص ٢٩٧ ج ٣ ، ذيل زهر الآداب

ص ٢٢٧ ، ابن أبى الحديد ص ١٠٣ ج ٣ ، الكامل ص ٣٤٨ و ٣٥٤ ج ١
(٢) قرقرى : أرض باليامة فيها قرى وزورع كثيرة وبخيل .

(٣) الزبرقان . البدر ، وسمى به الحصين بن بدر لحسنه ، وكان رسول الله
قد استعمل الزبرقان على صدقات قومه وأقره أبو يسكر ، توفى أيام معاوية
سنة ٤٥ هـ وكان فصيحاً شاعراً .

ثم كتب إلى أمه ، وكان اسمها أم شدرة : أن أحسني إليه وأكثرى له من التمر واللبن . وكان الحطيئة دميما سبي الخلق ، لا تأخذه العين ، ومعه نبال كذلك ، فلما رأت أم شدرة حاله مان عليها ، وقصرت ^(١) به .

ونظر بغيض ^(٢) وبنو أنف الناقة إلى ما تصنع به أم شدرة ، فأرسلوا إليه : أن اقتنا ، فأبى عليهم وقال : إن من شأن النساء التقصير والغفلة ، ولست بالذي أحل على صاحبها ذنبها ، فلما ألح عليه بنو أنف الناقة قال لهم : لست بحامل على الرجل ذنب غيره ، فان تركت وجفيت تحوات السكم ، فأطعموه ووعدوه وعداً عظيماً .

فلما لم يجهم دسوا إلى هنيذة زوجة الزبرقان : أن الزبرقان إنما يريد أن يتزوج ابنته وليسكة - وكانت جميلة كاملة - فظهرت من المرأة للحطيئة جفوة ، وهي في ذلك تداريه ، ثم أرادوا النجعة ^(٣) ، فقالت له أم شدرة : قد حضرت النجعة ، فاركب أنت وأهلك هذا الظهر إلى مكان كذا وكذا ، ثم رده إلينا حتى نلحقك ، فانه لا يسعنا جميعاً ، فأرسل إليها : بل تقدي أنت . فأنت أحق بذلك ، ففعلت .

وتناقلت عن رده إليه ، وتركته يومين أو ثلاثة ، وألح بنو أنف الناقة عليه ، وقالوا له : قد تركت بمضيعة ، فلما ألحوا عليه أجابهم ، فقال : أما الآن فنعم أنا صائر معكم ، وتحمل معهم . فضربوا له قبة ، وربطوا بكل طناب من أطناهما جملة ^(٤) هجرية ، وأراحوا ^(٥) عليهم لبهم ، وأكثروا له من التمر واللبن ، وأعطوه لقاحاً ^(٦) وكسوة .

(١) قصرت به . لم تسكرمه ولم تبلغ ما يرضيه .

(٢) كانت بغيض وأنف الناقة ينازعون الزبرقان الشرف ، وكانوا أشرف من الزبرقان

إلا أنه قد كان استعلاهم بنفسه .

(٣) النجعة ؛ طلب السكلا في موضعه .

(٤) الجملة ؛ وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر يكثر فيه .

(٥) لإراحة الابل ؛ ردها في العشى .

(٦) اللقاح ؛ جمع لقوح وهي الناقة الحلوب .

فلما قدم الزبرقان سأل عنه ، فأخبر بقصته ، فركب فرسه ، وأخذ ربحه ، وسار حتى وقف على نادى القرعيين ، فقال : ردوا على جارى ا فقالوا : ما هو لك بجار ، وقد اطرحته وضيعته ، فألم (١) أن يكون بين الحيين حرب ؛ فحضرهم أهل الخبجا من قومهم ، ولاموا بغيضا وقالوا : أردد على الرجل جاره ، فقال : لست بخرجه وقد آويته ، وهو رجل حر مالك لأمره ، فخيروه ، فان اختارنى لم أخرج ، وإن اختاره لم أكرهه .

فخيروا الحطيئة فاختر بغيضا ورهطه ، فجاء الزبرقان ووقف عليه ، وقال له : أبا مليكة ، أفرقت جوارى عن سخط وذم ؟ قال . لا ، فانصرف وتركه . وجعل الحطيئة يمدح القرعيين من غير أن يهجو الزبرقان ، وهم يحضونه على ذلك ويحرضونه فيأبى ويقول . لا ذنب للرجل عندى ، حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النمر بن قاسط فمجا بغيضا ، فقال .

أرى إبلى بجوف الماء حلت	وأعوزها به الماء الرواء (٢)
وقد وردت مياه بنى قريع	فا وصلوا القرابة مذ أساءوا
تحلا (٣) يوم ورد الناس إبلى	وتصدر وهى مخنقة (٤) ظاء
ألم أك جار شماس بن لآى	فأسلنى وقد نزل البلاء
فقلت . تحولى يا أم بكر	إلى حيث المكارم والعلاء
وجدنا بيت بهدلة بن عوف	تعالى سمكه ودحا الفناء (٥)
وما أضحى لشماس بن لآى	قديم فى الفعال (٦) ولا رباء (٧)
سوى أن الحطيئة قال قولا	فهذا من مقالته جزاء

(١) ألم . قرب (٢) الرواء . الكثير .

(٣) تحلا . تمنع (٤) مخنقة . ضامرة

(٥) دحا الفناء . عظم واتسع

(٦) الفعال . اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه

(٧) الرباء . الطول والمنة والفضل

فحينئذ قال الخطيئة يهجو الزبرقان ، ويناضل عن بغيض قصيدته التي يقول فيها :

والله مامعشر لاموا امرأ جنباً^(١) في آل لاي بن شماس بأكياس^(٢)
 ما كان ذنب بغيض ، لا أبالكتم ، في بانس جاء يحدو آخر الناس
 لقد مرتسكتم^(٣) لو أن درتكم^(٤) يوماً يحيى بها مسحى وإبساسي^(٥)
 وقد مدحتكم عمدا لأرشدكم كما يكون لكرم متحى^(٦) وإمراسي^(٧)
 لما بدالى منكم عيب أنفسكم ولم يكن لجراحي فيكم آسى
 أزمعت بأسا ميينا من نوالكم وإن ترى طارداً للحجر كاللياس
 ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً ذا فاقة حل في مستوعر شاسي^(٨)
 جاراً لقوم أطالوا هون منزله وغادروه مقياً بين أرماس^(٩)
 ملوا قراه وهرته^(١٠) كلابهم وجرحوه بأنياب وأضراس
 دع المكارم لا ترحل لبغيتهم واقمداً فانك أنت الطاعم^(١١) الكاسي
 من يفعل الخمر لا يمدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

(١) الجنب : القريب

(٢) جمع كيس : اللييب الفطن والمراد بالمعشر الزبرقان ورهطه

(٣) مرى الناقة يريها : مسح ضرعها ، والمراد مدارانهم ومدحهم ليدروا عليه بالعطاء

(٤) الدرة اللبن

(٥) الإبساس : أن تدعو الناقة باسمها وتلاطفها لتدر

(٦) المتح : أن يقف الرجل فوق البئر لي جذب الدلو

(٧) الامراس : وضع حبل البئر في البكرة بعد أن انزل منها

(٨) المستوعر : المسكان الوعر ، والشاسي : المسكان الغليظ المرتفع

(٩) الرمس : القبر وجمعه أرماس ، والهون : المذلة : أى تركوه كالميت

(١٠) هرته الكلاب : نبحته . وهو كناية عن أن كان غريباً مضطهداً بينهم

(١١) الطاعم المطعوم . والكاسي . المكسو

ما كان ذنبي أن فلت معاولكم من آل لاي صفاة^(١) أصلها راسي
قد ناضلوك فسلوا من كذائهم مجدا تليدا ونبلا غير أنكاس^(٢)
فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب ، فرفعه عمرا اليه واستنشدته فأنشده ،
فقال عمر . ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة ، فقال الزبرقان : أو ما تبلغ مروءتي إلا
أن آكل وألبس ، فقال عمر . على بحسان ، لحي . به ، فسأله ؛ فقال . أتراه هجاء ؟
قال . نعم وسلبح عليه ! فحبسه عمر ، فقال في الحبس .

أعوذ بجدك إني امرؤ سقتني الأعدى اليك السجلا^(٣)
فأنك خير من الزبرقان أشد نكالا وأرجى نوالا
تحنن على هداك المليك فان لكل مقام مقالا
ولا تأخذني بقول الوشاة فان لسكل زمان رجلا
فان كان ما زعموا صادقا فسيقت اليك نسائي رجلا^(٤)
حواسر لي يشتكين الوجا^(٥) يخفضن آلا (٦) ويرفعن آلا
فلم يلتفت عمر اليه ، حتى قال

ماذا تقول لأفراخ بندي (٧) مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
أقيت كاسهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه أقت إليك مقاليد النهي اليشر
لم يؤثرك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر^(٨)

(١) الصفاة . الحجر الصلد الضخم لا يذبت (٢) أنكاس . جمع نكس ، وهو
أضعف السهام ، ومعنى البيت . أن العرب كانوا إذا أسروا أسيرا خيروه بين
التخلية ، وجز الناصية والأسر ، فان اختار جز الناصية جزوها له « دخلوا سبيله ،
ثم جعلوا ذلك الشعر في كذائهم ، فاذا افتخروا أخرجوه وأروهم مفاخرهم
(٣) السجلا . جمع سجل وهو الدلو العظيمة مملوءة (٤) جمع رجلة ، أي راجله
(٥) الوجا . الحفا وقيل شدته (٦) الآل . عمد الخيمة (٧) ذو مرخ . واد بالحجاز
(٨) الأثر ، واحدها أثر ، ومعناها الاستنثار والمكرمة

فأمنن على صبية بالرمل مسكنهم بين الأباطح تغشاهم بها القرر^(١)
 أهلى فداوك كم بينى وبينهم من عرض داوية^(٢) يعمى بها البصر
 فبكى عمر حين قال : « ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ » : فقال عمرو بن العاص
 ما أظلت الحضراء ، ولا أقلت الغبراء ، أعدل من رجل يبكى على تركه الحطيئة فقال
 عمر : على بالكبرى ، فأتى به ، فجلس عليه ؛ ثم قال ، أشيروا على فى الشاعر فإنه
 يقول الهجر ، وينسب بالحرم ، ويمدح الناس ويذمهم . بغير ما فيهم . ما أرانى إلا
 قاطعا لسانه ، ثم قال ، على بالطست ، فأتى بها ثم قال ، على بالمخصف^(٣) ، على
 بالسكين ، لابل على بالموسى فهو أوحى^(٤) ؛ فضج الحطيئة وقال ، إني والله يا أمير
 المؤمنين قد هجوت أبى وأمى وامراتى ونفسى ؛ فتبسم عمر ، ثم قال . ما الذى
 قلت ؟ قال ، قلت لأبى وأمى

ولقد رأيتك فى النساء فسوتنى وأبا بنيك فسامنى فى المجلس
 وقلت لأبى خاصة

فبئس الشيخ أنت لدى تميم وبئس الشيخ أنت لدى الممالى
 وقلت لأمى خاصة

تنحى واجلسى منى بعيدياً أراح الله منك العالمينا
 أغربا لا (٥) إذا استودعت سرا وكانوا (٦) على المتجدثينا ؟
 حياتك ما علمت حياة سوء وموتك قد يسر الصالحينا
 وقلت لامراتى

أطوف ما أطوف ثم آتى إلى بيت قعيـدته لكاع
 وقلت لنفسى

أبت شفتاي اليوم إلا تكلمى بسوء فما أدرى لمن أنا قائله
 أرى لى وجهاً شوه الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله

(١) القرر . جمع قررة ، وهى البرد (٢) الداوية ، الفلاة الواسعة
 (٣) المخصف ، مخز الاسكافى (٤) أرحى . أسرع (٥) الغربال . النمام
 (٦) الكانون . الثقل من الناس ، وقيل الكانون ، الذى يجلس حتى
 يحصى الأخبار والأحاديث

فقالوا : لا يهود يا أمير المؤمنين ، وأشاروا إليه أن قل : لا أعرد ، فقال ،
لأعوذ يا أمير المؤمنين ، فقال له النجاء اثم قال له عمر : يا حطيئة كباأني بك عند
فتى من قریش ، قد بسط لك نمرقة (١) ، وكسر لك أخرى وقال . غنا يا حطيئة ،
فطفقت تغنيه بأعراض الناس (١١) .

قال ابن أسلم : فما أنقضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند حميد الله بن عمر قد
بسط له نمرقه ، وكسر له أخرى بوقاية : غنا يا حطيئة ، نجعل يغنيه ، فقالت له :
يا حطيئة أتذكر قول عمر ؟ ففرغ وقال . يرحم الله ذلك المرء أما أنه لو كان حياً
ما فعات !

عمر والشعر

وكان عمر رضى الله عنه :

- ١ — رواية للشعر يتمثل به في كثير من مواقفه
 - ٢ — بل كان شاعرا روى صاحب الهمدة والمقد بعض آثاره ، وروى عنه
« رروا أولادكم ما سار من المثل وحسن من الشعر » (٣)
 - ٣ — وكان ذا بصر بالشعر ونقده وفهمه .
 - ٤ — وكان يحبو على الشعراء ويكافئهم ويوجههم إلى الخير ويرشدهم إلى حفظ
أعراض المسلمين وشرفهم وكرامتهم .
- وكتب الأدب مشحونة بكثير من الروايات الأدبية حول ذلك

(١) النمرقة الوسادة .

(٢) يروى أن عمر رضى الله عنه لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكد عليه الحجية
فاشترى منه أعراض المسلمين جميعا بثلاثة آلاف درهم فقال الحطيئة في ذلك

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع شتا يضر ولا مديحا ينفع
ومنعتني عرض اللثيم فلم يخف ذى وأصبح آمنا لا يفرع

(٣) ٢١٢ ج١ البيان والتبيين

قال عمر بن الخطاب :
امرؤ القيس سابق الشعراء ، خسف^(١) لهم عين شعر فافتقر^(٢) عن معان
عور^(٣) أصبح بصر^(٤)
ويقول عمر : النايفة أشعر شعراء عطفان^(٥) وزهير أشعر الناس^(٦)
وأعجب بيت لزهير^(٧) وبيت لمعدة بن الطاييب^(٨)
وروى عنه أنه مدح زهيراً بأنه كان لا يعاظم في الكلام ولا يقول إلا الحق
وموقف عمر لما استعداه الزبرقان على الخطيئة معروف وقد سبق ذكره^(٩)
وكذلك موقفه من رهط تميم ابن مقبل لما استعدوه على النجاشي وقد هجاهم
وكان عمر شاعراً وكذلك أبو بكر وعلي ، وعلى أشعر الثلاثة^(١٠)
وقال عمر لابنه عبد الرحمن : يا بني احفظ محاسن الشعر يحسن أدبك . وقال :
أرووا من من الشعر أعفاه^(١١)
وكان عمر أعلم الناس بالشعر^(١٢)
وراجع ذكر ما دار بين متمم بن نويرة وعمر وزئاء متمم له بعد وفاته
في النوادر، (١٣)

-
- (١) من الخسف وهي البئر التي حفرت في حجارة نخرج عنها ماء كثير
 - (٢) أى فتح ، من الفقر وهو فم القناة .
 - (٣) يريد أن امرأ القيس من اليمن وأهل اليمن ليست لهم فصاحة نزار
 - فجعل لهم معاني عورا فتح امرؤ القيس أصبح بصرها فانه يمانى النسب نزارى
الدار والمنشأ . (٤) ٢٩٦ ج ٢ المزهرة طبع صبيح .
 - (٥) ٣٧٩ ج ٣ العقد (٦) ٣٧٩ و ٣٨٠ ج ٣ المرجع (٨) ٣٨٦ ج ٣ العقد
(٧) ٣٨٧ ج ٣ العقد
 - (٩) وراجع في العقد ص ٤٠٨ ج ٣ و ٣٣٣ ج ٢ ، وفي البيان والتبيين ٢٢٤ ج ٢
وراجع رأيه في الشعر في العقد ص ٢٨٦ ج ٣
 - (١٠) ٣٢٨١ ج ٣ العقد (١١) ١٨ الجهرة
 - (١٢) (١٤) ١٦٩ و ١٧٠ ج ١ البيان وراجع تحكيمة في الشعر في ص ١٦٩ ج ١
(١٢) ١٧٨ النوادر ملحق بالأمالي

آثار أخرى لعمر

وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه وهو غائب .

أما بعد فإنه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ومن شكر زاده ومن أقرضه جزاه فأجعل التقوى جلاء بصرك وعماد ظهرك فإنه لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حسنة له ولا جديد لمن لا خلق له (١)

رسالة عمر في القضاء إلى أبي موسى الأشعري (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم :

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس : سلام عليك ، أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة . فافهم إذا أدلى اليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . آس (٣) بين الناس في وجهك وعدلك وبجسلك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك (٤) ، ولا ييئس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر . والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا . لا يمنعك قضاء قضيته اليوم ، فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق ؛ فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج (٥) في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة (٦) . اعرف الأشباه والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو يذنة أمدا ينتهي إليه ، فإذا أحضر بينته أخذت له

(١) ٢ / ٥٥ الأمالى

(٢) من رجال المسلمين الأعلام ، ولى قضاء البصرة حين بعث إليه عمر بهذه الرسالة . وله موقف مشهور في التحكيم بين علي ومعاوية .

(٣) آس بين الناس : سو بينهم . (٤) الحيف : الميل أي ميلك معه لشرفه .

(٥) تلجلج : تردد حتى كان موضع حيرة .

(٦) السكتاب : القرآن الكريم والسنة ما أثر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير .

بحقه ، وإلا استحللت عليه القضية ، فانه أنفى للشك وأجلى للعمى . المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا في حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو نسب (١) ؛ فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والإيمان (٢) . وإياك والقلق والضجر (٣) والتأذى بالخصوم والتسكر عند الخصومات ، فان الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر ، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس . ومن تخلق (٤) للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله (٥) ، فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائنه رحمة ، والسلام (١) .

كتاب عمر الى أبي عبيدة ومعاذ بن جبل جوابا عن رسالتهما إليه ينصحانه .

بسم الله الرحمن الرحيم .

من عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح ومعاذ بن جبل ، سلام عليكما فاني أحمده الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فقد جاءني كتابكما ترعمان أنه بلغكما أني وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها (٧) يجلس بين يدي الصديق والعدو والشريف والوضيع ؛ وكتبتما أن أنظر كيف أنت يا عمر عند ذلك ، وأنه لا حول ولا قوة لعمرك عند ذلك إلا بالله . وكتبتما تحذران ما حذرت به الأمم قبلنا ، وقد يما كان اختلاف الليل والنهار بأجال الناس و٨ ، يقر بان كل بعيد ويبلغان كل

(١) ظنين : متهم أى ينتسب الى غير أبيه أو يدعى الى غير مواليه ، فليس

أهلا للشهادة . (٢) درأ : دفع يريد منع الحدود .

(٣) القلق والضجر ضيق الصدر وقلة الصبر .

(٤) أى أظهر للناس في خلقه خلاف نيته .

(٥) شأنه . ضد زانه والمراد قبحه وأظهر نفاقه .

(٦) يريد ماذا يكون ثواب الناس بجانب رزق الله في الدنيا ورحمته

في الآخرة .

(٧) الأحمر كناية عن العجم ، والأسود عن العرب والمراد جميع المسلمين .

(٨) اختلافهما بأجال الناس الخ : تعاقبهما على قضاء الأعمال .

جديد ، وبأتيان بكل موعود ، حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة أو النار ، ثم توفي كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب . كتبنا ترعمان أن أمر هذه الأمة ، يرجع في آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة ولستم بذلك وليس هذا ذلك الزمان ، ولكن زمان ذلك حين تظهر الرغبة والرهبه ، فتكون رغبة بعض الناس إلى بعض إصلاح دينهم ورهبه بعض الناس إصلاح دنياهم . وكتبنا تهوذاني بالله أن أنزل كتابك منى سوى المنزل الذي نزل من قلوبك . وإنما كتبنا نصيحة لى . وقد صدقتما . فتعمداني منك بكتاب ، فلا غنى في عنك . والسلام عليكما ا

ثانياً - الكتابة الفنية

في عصر صدر الاسلام

نماذج لها :

١ - كتاب الرسول الى المنذر بن ساوى

من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى : سلام عليك ، فاني احمده الله الذي لا اله الا هو واشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله . اما بعد فاني اذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه ولانه من يطع رسلي ويتبع امرهم فقد اطاعني ومن نههم فقد نهى لي . وان رسلي قد اتوا عليك خيراً واني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما اسلبوا عليه ، وعفوت عن اهل الذنوب فاقبل منهم ، وانما مهما تصلح فلن نزالك ، ومن اقام على يهوديته او نصرانيته فعليه الجزية .

٢ - كتابه صلى الله عليه وسلم الى كسرى ابرويز

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله عز وجل ، فاني انا رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . واسلم تسلم فان توليت فانما اثم الجوس عليك .

٣ - كتابه إلى النجاشي

بسم الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة إني أحمد إليك الله الملك القدوس
السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم البتول الطيبة الحصينة حملته
من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له
وأن تقبضني وتؤمن بالذي جاءني فأني رسول الله ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله
عز وجل وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين والسلام على
من اتبع الهدى

٤ - كتابه صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة بالموادعة :

هذا كتاب من محمد صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة بأنهم آمنون على أوالهم
وأنفسهم وأن لهم النصر على من ناوأهم ، وأن لا يجاروا في دين الله ما بل بحر
صوفة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إذا دعاهم لنصره أجابوه ، عليهم بذلك ذمة
الله وذمة رسوله ، ولهم النصر على من بر منهم واتقى .

٥ - صلح الحديبية بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش .

باسمك اللهم ، هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سبيل بن عمرو : اصطالحا
على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهما الناس ويكف بعضهم عن
بعض على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليه ، ومن جاء قريشا
من مع محمد لم يردوه عليه ، وأن بيننا عيبة مكفوفة وأنه لا إسلال ولا إغلال ،
وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد
قريش وعهدهم دخل فيه ، وأنتك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، فإذا
كان عاما قابلا خرجنا معك فدخلنا بأصحابك فأقت بها ثلاثا وإن معك سلاح الركاب
والسيوف في الركب فلا تدخلها بغير هذا .

٦ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل يعزبه بأن له مات

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول إلى معاذ بن جبل سلام عنايكم فإن أحد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، ففضل الله لك الأجر وأطعمك الصبر ، ورزقنا وإياك الشكر ، ثم إن أنفسنا وأهاليها ومواليها من مواهب الله السانية وعوارفه المستودعة تمنع بها إلى أجل معدود وتقضب لوقت معلوم ، ثم المرض هليتنا الشكر إننا أعلم بالصبر إذا ابتلى ، وكان ابتك من مواهب الله الهنيئة وعوارفه المستودعة فتعك به من غبطة وسرور وقبضه عنك بأجر كثير .

واعلم أن الجزع لا يرد ميتا ولا يدفع حزنا . فأحسن الجزاء وتبخر الموعود وليذهب أسفك ما هو نازل بك فكان قد

٨ - من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن حزم الأنصاري حين ولاه اليمن :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني الحارث بن كعب عمرو بن حزم الأنصاري ليفقههم في الدين ، وكتب له كتابا عهد إليه فيه ، وأمر فيه بأمره . ومنه :
بسم الله الرحمن الرحيم . هذا بيان من الله ورسوله ، يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عقد من محمد النبي رسول الله لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن .

أمره بتوحي الله في أمره كاه ، فده إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن ياخذ بالحق كما أمر به الله ، وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم في الدين ، وينهى الناس فلا يمس أحد القرآن إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذي لهم وبالذي عليهم ، ويأمر الناس في الحق ، ويشهد عليهم في الظلم ، فإن الله عز وجل كره الظلم ونهى عنه وقال . ، ألا لعنة الله على الظالمين ، ويبشر الناس بالجنة ويعملها ، وينذر بالنار ويعملها ، ويستأنف الناس حتى يتفقهوا في الدين) .

٩ - كتاب أبي بكر إلى أهل الردة :

وكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى قبائل العرب التي ارتدت عن الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم - سنة إحدى عشرة هجرية - كتابا واحدا ، ونصه .

بسم الله الرحمن الرحيم . من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة ، أقام على إسلامه أو رجع عنه . سلام على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى ، فإني أحمد (١) إليكم الله الذي لا إله إلا هو . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأقر بما جاء به ، وأكفر من أبي وأجاهده . أما بعد ، فإن الله تعالى أرسل محمدا بالحق من عنده إلى الخلق بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا ، ، لينذر من كان حيا ويحقق القول على الكافرين فهدى الله للحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذنه من أدبر عنه ، حتى صار إلى الإسلام طوعا وكرها ، ثم توفي الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقد نفذ لأمر الله ، وأصبح لأمته ، وقضى الذي عليه ، وكان الله قد بين ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزله فقال : « إنك ميت وأنهم ميتون وقال . وما جعلنا البشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون ، وقال للمؤمنين « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » فمن كان إيمانا يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان إيمانا يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له المرصاد ، (٢) حتى قيوم (٣) لا يموت ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حافظ لأمره منتقم من عدوه بحزبه .

(١) أي أحمدته معك ، فأقام إلى مقاسم مع . وقيل معناه أحمد إليك نعمته الله

وأحدثك بها .

(٢) المرصاد الطريق ، وفلان يرصد فلانا أي يقعد له على طريقه يتربص به ،

والمعنى أن الله يرصد كل إنسان حتى يجزيه بأعماله لا يفوته منها شيء .

(٣) القيوم . الدائم القيام بتدبير خلقه وحفظه .

(٤) السنة : فتور يتقدم النوم

وإني أوصيكم بتقوى الله وحفظكم ونصيبيكم من الله وما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وأن تهتدوا بهداه ، وأن تعتصموا بدين الله ، فإن كل من لم يهده الله ضال ، وكل من لم يعافه مبتلى ، وكل من لم يعنه مخذول ، فمن هداه الله كان مهتديا ومن أضله كان ضالا ، قال الله تعالى : « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقربه ، ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل^(١) .

وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر الإسلام وعمل به ، اغترارا بالله ، وجهالة بأمره ، وإجابة للشيطان ، قال الله جل ثناؤه : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لسكم لئسكم عدو للظالمين بدلا ، وقال جل ذكره : « إن الشيطان لسكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ، .

وإني أنفذت إليكم « فلانا ، في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين باحسان ، وأمرته ألا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله ، فمن استجاب له وأقر وعمل صالحا ، قبل منه وأعانه عليه ، ومن أبى أمرته أن يقاتله على ذلك ، ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عليه ، وأن يحرقهم بالنيران ، ويقتلهم كل قتلة ، وأن يسبي النساء والذراير ، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام ، فمن اتبعه فهو خير له ، ومن تركه فلن يعجز الله .

(١) الصرف . التوبة ، والعدل . القدية ، وقيل الصرف . القيمة ، والعدل . المثل ، وأصله في القدية ، يقال . لم يقبلوا منهم صرفا ولا عدلا ، أي لم يأخذوا منهم دية ولم يفتلوا بقتيلهم ، رجلا واحدا ، ثم جعل بعد في كل شيء حتى سار مثلا فيمن لم يؤخذ منه الشيء الذي يجب عليه وألزم أكثر منه .

وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابى فى كل جميع انكم ، والداعية الآذان ، فاذا أذن المسلمون فأذنوا ، كـتـبـوا عنهم ، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم ، وإن أذنوا سألوهم ما عليهم ، فإن أبو اعاجلوهم ، وإن أقروا قبل منسهم وحلمهم على ما ينبغى لهم .

١٠ - كتاب عمرو بن الخطاب الى عمرو بن العاص .

وكتب عمرو بن الخطاب رضى الله عنه الى عمرو بن العاص والى مصر ، وقد استبطأ ورود الخراج من قبله :

د من عمرو بن الخطاب الى عمرو بن العاص :

سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا إله الا هو ، أما بعد : فقد عجبت من كثرة كتبتى إليك فى إبطانك بالخراج ، وكتابك الى بنيات (١) الطرق ، وقد علمت أنى لست أرضى منك إلا بالحق البين ، ولم أقدمك إلى مصر اجعلها لك طعمة ولا لقومك ، ولكنى وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك فاذا أناك كتابى هذا فاحمل الخراج ، فانما هو فى المسلمين ، وعندى من قد تعلم ، قوم محصورون ، والسلام .

١١ - رد عمرو على عمر

فكتب إليه عمرو بن العاص :

د بسم الله الرحمن الرحيم ، لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص . سلام عليك فانى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد . فقد أتانى كتاب أمير المؤمنين يستبطنى فى الخراج ، ويزعم أنى أعند (٢) عن الحق ، وأنكب (٣) عن الطريق ، وإنى والله ما أرغب عن مصالح ما ألقى ، ولكن أهل الأرض استنظرونى

(١) بنيات الطرق : الإباطيل .

(٢) عند عن الطريق كنصر وسمع وكرم وودا : مال .

(٣) نكب عنه كنصر وفرح نكبأ (كشمس رسبب) .

الى أن تدرك غلظتهم ، فنظرت للمسلمين ، فكان الرقيق بهم خيرا من أن تخرق (١)
بهم ، فيصيروا الى بيع ما لا غنى بهم عنه ، والسلام ،

١٢ - كتاب عمر إلى سعد بن أبي وقاص :

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص ، وقد أمره على حرب
الدراني .

و أما بعد . فإني أمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن
تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وأرك ومن معك
أن تكونوا أشد احتراسا من المصاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش اخوف
عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون : مصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن انا
بهم قوة ، لأن عدونا ليس كعدوهم ، ولا عدوتنا كعدوتهم ، فإن استوتينا في
المصية كان لهم الفضل (٢) علينا في القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نعلمهم
بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم في سيركم حفضة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم
ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا ان عدونا شر منا ، فإن
يسلط علينا ، قرب قوم سلط عليهم ثم منهم كما سلط على نبي اسرائيل - لما
عملوا بمساخط - كفار الجرس ، فجاءوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ،
وأسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم أسأل الله تعالى
ذلك لنا ولكم

وترفق بالمسلمين في مسيرهم ، ولا تجشمهم مسيرا يتبهم ، ولا تقصر بهم عن
منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عدوهم . والسفر لم ينقص قوتهم . فانهم سائرون
إلى عدوهم ، حامى الأنفس والكراع (٣) ، وأقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة
حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ، ويرمون (٤) أسلحتهم وأمتعتهم ، ونح

(١) الخرق كقفل وسبب ضد الرقيق وفعله كفرح .

(٢) الفضل : الزيادة .

(٣) الكراع من كل شيء طرفه ، واسم يجمع الخيل .

(٤) رمه كضرب ونصر : أصلحه .

منازلهم عن قرى أهل الصالح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ، ولا يرزأ^(١) أحدا من أهلها شيئا ، فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها ، كما ابتلوا بالصبر عليها ، فاصبروا لكم فتولوهم خيرا ، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصالح .

وإذا وطئت أرض العدو فاذك^(٢) العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك أمرهم ، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه ، فإن الكذوب لا ينفعك خبره ، وإن صدقتك في بعضه ، والغاش عين عليك ، وايسر عيناك .

وليكن منك عدد نوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع ، وتبث السرايا^(٣) بينك وبينهم ، فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم ، وتقطع الطلائع عوراتهم ، وتثق^(٤) للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك ، وتخبر لهم سوابق الخيل ، فإن لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلالد ، ولا تخص بها أحد بهوى فتضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حاجبت به أهل خاصتك ، ولا تبين طليعة ولا سرية في وجه تنخوف فيه غلبة أو ضيعة أو نكاية ، فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك ، وأجمع إليك مكيدتك وقوتك ، ثم لا تناجلهم المناجزة ، ما لم يستكبرك القتال ، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله ، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها ، فتصنع بدوك كصنعه بك .

ثم أذك أحراسك على عسكريك ، وتيقظ من البيات جهديك ، ولا تؤتى بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه ، لتهب به عدو الله وعدوك ، والله ولي أمرك ومن معك وولى النصر لكم على عدوكم والله المستعان ، .

(١) رزاه ماله : أصاب منه شيئا .

(٢) أذكى عليه العيون : أرسل عليه الجواسيس

(٣) السرايا جمع سرية كغنيه . وهى القطعة من الجيش .

(٤) ثقاه : اختاره .

١٣ . كتاب معاوية إلى علي .

وكتب معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب حين شجر بينهما الخلاف :
بسم الله الرحمن الرحيم : من معاوية بن سخر إلى علي بن أبي طالب .
أما بعد . فلعمرى لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت برئ من دم عثمان ،
لكنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين ولكنت أغريت بدم عثمان
المهاجرين وخدات عنه الانتصار : فأطاعت الجاهل ، وقوى بك الضعيف ؛
وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان ، فإن فعلت كانت داء
شورى بين المسلمين ، وإنما كان الحزازيون هم الحكام على الناس والحق فيهم
فلمسا فارقوه كان الحكام على الناس أهل الشام ولعمري ما حجتك عليهم كحجتك
اطلحة والزبير ؛ لأنهم ما بايعاك ولم أبابك ، وما حجتك على أهل الشام كحجتك
على أهل على البصرة ؛ لأن أهل البصر أطاعوك ؛ ولم يطعك أهل الشام ؛ فأما شركك
في الإسلام ؛ وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومرضتك من قریش
فأنت أدفعه .

١٤ - رد علي على معاوية .

فكتب إليه الإمام علي :

وبسم الله الرحمن الرحيم ، من علي بن أبي طالب الى معاوية بن سخر .
أما بعد . فقد أتاني كتابك ككتاب امرئ ليس له بصير يهديه ، ولا قائد يرشده
دعاه الهوى فاجابه ، وقاده فاتبعه ، زعمت أنك إنما أنشدناك بيبعتي خفري (١)
بعتان ، ولعمري ما كنت إلا رجلا من المهاجرين ، أو ردت كما أوردوا ،
وأصدرت كما أصدروا ، وما كان الله ليجه مهم علي ضلال ، ولا ليضربهم بالعمى ،
وما أمرت فلزمتني خطيئة الأمر ؛ ولا فتات فأخاف على نفسي قصاص القاتل .
وأما قولك إن أهل الشام هم حكام أهل الحجاز . فهات رجلا من قریش الشام

(١) كانت أى الخلافة .

(٢) خفريه كضرب خفرا وخفورا : نقض عهده وغدره .

يقبل في الشورى ، أو تحمل له الخلافة ، فإن سميت كذبتك المهاجرون والأئصار ،
ومن نأتيك به من قریش الحجاز .

د ١٥ - وصية أبي بكر إلى عمر رضى الله عنه :

إني مستخلك من بعدى وهو صيكت بتقوى الله ، إن الله عملا بالليل لا يقبله
بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل ، وأنه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فانما
ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وحق لميزان
لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلًا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه
يوم القيامة باتباعهم الباطل ويحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفًا
إني الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم
قلت إني أخاف ألا أكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ؛
ولم يذكر حسناتهم فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو ألا أكون من هؤلاء ، وذكر
آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبًا راهبًا ، ولا يتعنى على الله غير الحق
ولا ياتى ببدنه إلى التهلكة . فإذا حفظت وصيتي فلا يسكن غائب أحب إليك من
الموت وهو أتيتك ، وإن ضيقت وصيتي فلا يسكن غائب أبغض إليك من الموت
ولست بمعجز الله

١٦ - وكتب عمر رضى الله عنه إلى أبي موسى الأشعري :

أما بعد فإن للناس نفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركني وإياك عمياء
مجهولة وضغائن شمولية ، وأهواء متعبة ، ودنيا مؤثرة ، فأقم الحدود ولو ساعة
من نهار . وإذا عرض لك أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فأثر نصيكتك من
الآخرة على نصيكتك من الدنيا ، فإن الدنيا تعدد والآخرة تبتق ، وكن من
خشية الله على وجل ، وأخف الفساق وأجعلهم يدا يدا ورجلا رجلا ، وإذا
كانت بين القبائل نائرة وتداعوا بالفيلان فإنا تلك نجوى الشيطان فاضربهم
بالسيف حتى يفربوا إلى أمر الله . وتكون دعواهم إلى الله وإلى الامام ، وقد بلغ
أمير المؤمنين أن ضبة تدعو بالضبة !! وإني والله ما أعلم أن ضبة ساق الله بها
خيرًا قط ولا منع بها من سوء قط فإذا جاءك كتابي هذا فانهمكهم عقوبة حتى

يفرقوا إن لم يفقهوا ، وعهد مرضى المسلمين واشهد جنازتهم ، واقتبح بابك
وباشر أمرهم بنفسك ، فاعلم أنت أمرؤ منهم غير أن الله جعلك أئقافهم حملا وقد باغ
أمير المؤمنين أنه فشاك ولاهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك وركوبك
ليس للمسلمين مثلهما فإياك يا عبد الله أن تكون البهيمة التي درت بواد خصب فلم
يكن لها همة إلا السمن ؛ وإنما حنفا في السمن ، وأعلم أن للعامل ردا إلى الله
فاذا زاع العامل زاعته رعيتيه وان أشقى الناس من شقيته به رعيتيه والسلام .

١٧ - وكتب على رضى الله عنه كتاب حنفا بين ربيعة وأخين
هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها وباديها وربيعه حاضرها وباديها أنهم
على كتاب الله يدعون إليه ويأمرون به ويحجبون من دعا إليه وأمر به لا
يشترون به ثمن ولا يرضون به بدلا وأنهم بدأ واحسده على من خانف ذلك .
لا ينقضون عهدهم لمتبة عاتب ولا لغضب غاضب ولا لاستدلال قوم قوما
ولا لمسبة قوم قوما على ذلك شاهدهم وغائبهم ، وسفبههم وعالمهم ، وحليمهم
وجاهلهم ثم ان عليهم بذلك عهد الله وميثاقه ان عهد الله كان مسؤلا ، وكتبه
على بن أبى طالب

١٨ - وكتب إلى عبد الله بن عباس يعظه

أما بعد فإن المره قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن
ليدركه . فليكن سرورك بما نلت من آخرتك . وليكن أسفاك على ما فات منها
وما نلت من دنياك فلا تسكثر به فرحا ، وما نلتك منها فلا تأمس عليه جزعا ،
وليكن همك فيما بعد الموت (١)

وصف الكتابة في صدر الاسلام

تمهيد :

١ - تعلمون أن الكتابة انتقلت من الأنبار والحيرة على يد بشر بن عبد الملك أخى أكيدر بن عبد الملك الكندي صاحب درمة الجندل ، وأن بشرا خرج إلى مكة وتزوج بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان ، فعلم جماعة من أهل مكة ، فكثرت من يكتب بها من قريش

قال رجل من أهل دومة الجندل من كندة يفتخر على قريش بذلك :

لا تعجبوا زهاء بشر عايكو فقد كان ميمون النقيبة أزهر

أنا كم بحمل الجرم حتى حفظتمو من المال ما قد كان شتى مبعثرا

فاجريتم الاقلام عودا وبدأة وضاهيتمو كتاب كسرى وقيصرا

و عرف خط أهل الحجاز بالحجازي ، ولما نشأت الكوفة أدخل عليه كتابها

شيئا من الزخرف والتجسين فسمى الخط الكوفي

٢ . والكتابة على أي حان أكد أسباب الحضارة ، وأوثق وسائل العمران

وكلما ازدادت شؤون الحضارة واتسمت مذاهب الملك ، وتعددت مناحي التفكير

ومناهج الثقافة ، ازدادت الحاجة إليها وازداد الكتاب إقبالا عليها وافتنانا في مناحيها

وتجويدا في لغتها ومعانيها وتنوعا في موضوعاتها وأغراضها

حالة الكتابة في عصر النبوة :

ولما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم كان بمكة نفر من يحسنون الكتابة

ويبلغون نحو السبعة عشر ، ثم لما هاجر إلى المدينة ووقعت غزوة بدر وأسر المسلم من

نحو سبعين رجلا من قريش وغيرهم ، جعل الرسول صلى الله عليه وسلم فداء كل من

بعجز عن دفع المان تعليم الكتابة لعشرة من فتيان المدينة فلا يطلق سراحه الا بعد

تعليمهم فكثرت الكتابة في المدينة ، وأخذت تنتشر في كل ناحية دخلها الاسلام

في حياة الرسول وبعده

وبلغ عدد كتابه عليه السلام ثلاثة وأربعين كتاباً منهم زبد من ثابت ومعاوية واختلاف في كونه صلى الله عليه وسلم يقرأ ويسكتب ؛ فمن قال بذلك استدل بقوله تعالى رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة وبحديث البخاري انه عليه الصلاة والسلام في غزوة الحديبية اخذ الكتاب ليكتب فكتب ؛ ومن قال إنه امي استدل ؛ بقوله تعالى وما كنت تاور من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، وبحديث البخاري نحن امة امية لا نكتب ولا نحسب وليس ما يمنع من أن الرسول صلوات الله عليه كان أمياً قبل بعثته لقم له المعجزة ثم بعد أن تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته ، تعلم الكتابة وعرفها وكان على كرم الله وجهه ، وعائشة و صفية من أمهات المؤمنين ، يحسنون الكتابة .

ولم يلاحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى إلا بقدر أناف الكتاب على خمسمائة ، بين رجل وامرأة وثقى .
وفي العهد النبوي كتب القرآن الكريم . ورسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلا الأقيال والامراء والملوك ، وكتبت عمود الصلح بينه وبين قريش وغيرهم من دخل في ذمة المسلمين

و كان كتابه صلى الله عليه وسلم نوعين :

كتاب وحى ، وكتاب أعمال . ومن بين كتاب الأعمال :

الزبير بن العوام ؛ وجعل بن الصامت ، وكانا يكتبان الصدقات ، والمغيرة بن شعبة والحصين بن نمير وكانا يكتبان التداين والعلامات ، وحديفة بن الجان ، وكان يكتب خرص النخل .

الكتابة بعد عهد النبوة :

ولما توفي رسول الله صلوات الله واتسعت الفتوحات الاسلامية ، كثرت الحاجة إلى الكتابة ؛ وقام الكتاب بأعمال الدعوة والدرلة ، فسكتبوا القرآن واستخدمهم الخلفاء في كتابة رسائلهم إلى العمال والولاة واقواد ، وفي صاياهم إلى قضاتهم ، ورسائلهم إلى أهل الامصار ، وفي كتابة وثائق الصلح ونصائح الخليفة وتوجيهاته في الحرب والسلام .

وكان الخليفة أو الوالي يكتب بيده أو يملئ على بعض الكتاب ، ولم تكن قد صارت بعد صناعة فنية كما حدث في عهد بنى أمية وبنى العباس .

بواعث الكتابة الأدبية في هذا العصر :

وكانت الحاجة إلى الكتابة كثيرة :

١ — فقد كان المسلمون في حاجة إليها لتدوين القرآن ولكتابة رسائل الدعوه إلى الاسلام

٢ — كما كانوا في حاجة إليها في شئون الملك والسياسة ، والحرب والسلام وفي كتابة العمود والمصالحات والمذشورات والوصايا والنصائح

٣ — الحاجة إليها في تدوين الدواوين وتنظيمها

٤ — وساعد على ذلك معرفة الخط وانتشار الكتابة في مكة والمدينة وسواهما من الأمصار . ويروى أن زيد بن أرقم بن يغوث والعلاء بن عقبه كانا يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياهم وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء

تدوين الدواوين :

لما اتسعت الفتوحات في عهد عمر وكثرت موارد الدولة ووفرت الغنائم احتاجت الدولة إلى انشاء الدواوين لضبط مواردها ومصارفيها وضبط أعطيات المسلمين ويقول الفخرى :

وكان المسلمون هم الجنود وكان قتالهم لأجل الدين لأجل الدنيا وكان لا يزال فيهم دائماً من يبذل شطرا صالحا من ماله في وجوه البر والقربى وكانوا لا يريدون على نصرهم إسلامهم ونصرهم لنبيهم جزاء إلا أن عند الله تعالى ولم يفرض النبي صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضى الله عنه عطاء مقورا ولكن كانوا إذا غزوا وغنموا أخذوا نصيبا من الغنائم قرره الشريعة لهم وإذا ورد إلى المدينة مال من بعض البلاد أحضر إلى مسجد رسول الله وفرق فيهم حسب ما يراه وجرى الأمر على ذلك مدة خلافة أبي بكر فلما كانت سنة خمس عشرة من الهجرة في خلافة عمر رأى أن الفتوح قد توالى وأن كنوز الأكاسرة قد

ملكك وأن الخمول من الذهب والفضة والجواهر النفيسة والثياب الفاخرة قد
تتابعت فرأى التوسيع على المسلمين وتفريق تلك الأموال فيهم . ولم يكن يعرف
كيف يصنع وكيف يضبط ذلك وكان بالمدينة بعض مرابذة الفرس فلما رأى
حيرة عمر قال له يا أمير المؤمنين إن للأكاسرة شيئا يسمونه ديونا ، جميع دخلهم
وخرجهم مضبوط فيه لا يشد منه شيء وأهل العطاء مرتبون فيه مراتب لا يلاحظ
عليها خال فتنبه عمر وقال : صنفه لي . فوصفه المرزبان فعظمه عمر لذلك
ودون الدواوين ،

وقد عهد الخلفاء بالكتابة في الدواوين إلى العرب والموالي والمتعربين وظلت
كتابة الخراج في الأقاليم بلغة أهل مصر في العراق و فارس بالفارسية
وفي الشام بالرومية وفي مصر بالقبطية حتى حذقها من العرب طائفة فحولات بعد
ذلك الكتابة في الدواوين إلى اللغة العربية وذلك في عصر بني أمية وسيأتي
تفصيل ذلك إنشاء الله

أسلوب الكتابة في صدر الاسلام :

ويمتاز أسلوب الكتابه في هذا العصر بما يأتي .

١ — سهولتها ووضوحها وقصدها إلى الغرض وبعدها عن التكلف وخلوها
من عبارات التفخيم

٢ — ميلها إلى الإيجاز . حتى لقد كتب خالد بن الوليد إلى عياض بن غنم
رسالة وهو محاصر بدومة الجندل يقول فيها .
« من خالد إلى عياض : إياك أريد ،

٣ — وكانت الرسائل تبدأ باسمك اللهم ثم يقول من فلان إلى فلان ثم يلي
ذلك غالبا قولهم : السلام عليكم أو السلام على من أتبع الهدى ، ثم يتنون بقولهم
« إن أحد الله إليك ، ، ثم يأتي الكاتب غالبا بأما بعد ، ويذكر غرضه الذي
يكتب لأجله ، ويختتمها بقوله والسلام عليك ورحمة الله ،

ومن مثل ذلك كتابه (ص) الى خالد بن الوليد وكان قد بعثه الى بنى الحرت
فأجابوه إلى الإسلام وهالك نصه :

من محمد رسول الله الى خالد بن الوليد

سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد :

فاني كتابك جاءني مع رسولك يخبرني بأن بنى الحارث قد أسلموا قبل ان
تقاتلهم ، وأجابوا الى مادعوتهم اليه من الاسلام وشهدوا أن لا اله الا الله وان
محمد عبده ورسوله وان قد هداهم الله بهداه فبشرهم وانذرهم واقبل وليقبل
معك وفدهم .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

ثالثا - التوقيعات

نماذج للتوقيعات في هذا العصر

توقيع لآبى بكر إلى خالد بن الوليد وقد استأذنه في ملاقاته العدو :
ادن من الموت توهب لك الحياة
عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص وقد استأذنه في بناء دار الإمارة
بالكوفة :

ابن ما يستر من الشمس ويكن من المطر
ووقع عمر على شكوى لأهل مصر من مروان بن الحكم :
فان عصوك فقل إنى برىء مما تعملون
ووقع على في كتاب للحسين ضمن شيئا من أمر عثمان بن عفان :
رأى الشيخ خير من مشهد الغلام
ووقع في كتاب الحصين بن المنذر أحد قواده بصفتين حين شكأ إليه من
إسراع القتل في جيشه :

بقية السيف أنهى عددا
ووقع عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص : كن لرعيتك كما تحب أن
يكون لك أميرك
ووقع عثمان بن عفان في قصة رجل شكأ عيلة : قد أمرناك بما يقيمك
وليس في مال الله فضل للسرف

ووقع على بن أبى طالب كرم الله وجهه في كتاب جاءه من الأشتر النخعي
فيه بعض ما يكره : من لك بأخيك كله . وفي كتاب صمصمة بن صوحان يسأله
في شيء : قيمة كل امرئ ما يحسن

الشعر

في صدر الاسلام

نماذج من شعر المخضرمين

قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس من عباد بني النجار من الأنصار، ومن أول من أسلم عند قدوم رسول الله المدينة :

سبحوا الله شرق كل صباح
طلعت شمسه وكل هلال (١)
عالم السر والبيان لديننا
ليس ما قال ربنا بفضلال (٢)
وله الطير تستريد وتأوى
في وكور من آمانات الجبال (٣)
وله الوحش بالفلاة تراها
في حقاف وفي ظلال الجبال (٤)
يا بني الأرحام لا تقطعوها
وصلوها قصيرة من طوال
وانقروا الله في ضعيف اليتامى
ربما يستحيل غير الحلال
وأعلموا إن اليتيم وليا
عالمنا يمتدى بغير السؤال
ثم مال اليتيم لا تأكلوه
إن مال اليتيم يرعاه والى
يا بني التخوم لا تخزلوها
إن خزل التخوم ذو عقاب (٥)

(١) يريد: سبحوا الله صباحا ومساء .

(٢) البيان هنا: الظهور ويريد به الدلالية، أى أنه سبحانه يعلم السر والعلانية وله الطير، أى له من الخلق الطير .

(٣) تستريد: تذهب وتجيء، في طلب الرزق .

(٤) الحقاف جمع حقف وهو المعوج من الرمل .

(٥) التخوم: جمع تخم كفرح وهي حد الأرض بين الجارين، والمعنى لا تقطعوا منها شيئا ليس لكم أو لا تقطعوا صلة الجوار بينكم وفي رواية لا تظلوها، ويروى هذا البيت لأحبيحة بن الجلاح - ومعنى ذو عقاب، ذو مرض صعب البرء وأصل العقاب التواء في قوائم الدابة .

يا بني الأيام لا تأمنوها واحذروا مكرها ومرالها
وأعدوا أن مرها لنفساد الـ خلق ما كان من جديد وبالي
أجمعوا أركم عل البر والتقوى وترك الحنا وأخذ الحلال
وقال حسام بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله في انتصار المسابن على
المشركين في وقعة بدر :

عرفت ديار زينب بالسكيب كخط الوحي في الوري القشيب (١)
تداولها الرياح وكل جون من الوسمي منهر سكوب (٢)
فامسى رسمها خلقا وأمست يبابا بعد ساكنها الحبيب (٣)
فدع عنك التذكر كل يوم ورد حرارة الصدر السكيب
وشبر بالذي لا عيب فيه بصدق غير أخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر لنا في المشركين من النصيب (٤)
غداة كان جمعهم حراء بدت أركانه جنح الغروب (٥)
فلاقيناهم منا بجمع كأسد الغاب مردان وشيب
أمام محمد قد وازروه على الأعداء في لفتح الحروب
بأيديهم صوامر مرهفات وكل مجرب غاظي الكعوب (٦)

(١) الوحي هنا الكتابة ، والرهاله . والقشيب الجديد

(٢) الجون : الأسود من السحاب لترآكه والوسمي أول المطر .

(٣) اليباب : الخراب

(٤) أي شبر بما صنع الله لنا من النصيب ، أي بما أحسن لنا واختار لنا

(٥) حراء جبل قرب مكة وفيه الغار الذي كان يتعبد فيه رسول الله قبل

نزول الوحي . والمعنى كأن جمع المشركين جبل حراء عند غروب الشمس

فيكون مسودا مدهاما ، وكذلك يكون الجيش المدجج بالحديد والدرع

(٦) غاظي الكعوب غليظها صلها يريد الرمح أي بأيديهم سيوف مرهفة

ورماح غليظة مكنتزة .

بنوا الأرس الظارف وازرتها
بنوا النجار في الدين الصايب (١)
فغادرا أبا جهل صريعا
وعقبة قد تركنا بالحبوب (٢)
وشية قد تركنا في رجال
ذوى حسب إذا نسبوا حسب
ينساديهم ر... ول الله لما
قذفناهم كباكب في القليب (٣)
الم يجدوا كلامي كان حقا
وأر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا
صدقته وكنت ذا رأى مصيب

وقال كعب بن زهير :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني
سعى الفتى وهو محبوب له القدر
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها
والنفس واحدة والهوى منتشر
فالمرء ما عاش ممدود له أمل
لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر

وقال النابغة الجعدي :

ولا خير في حلم إذا لم يكن له
بوادر تحمي صفوه أن يكدر
ولا خير في جهل إذا لم يكن له
حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

وقال الأشر النخعي من أصحاب علي رضي الله عنهما :

بقيت وفري وانحرفت عن الدلا
واقبت أضيافي بوجه عبوس (٤)

(١) الظارف جمع غطريف وهو السبد الشجاع ، والصلب القوى. ويريد بالدين دين الإسلام.

(٢) الجبوب : موضع بيدر

(٣) القليب : البئر ، وقد قذف رسول الله بقتلى المشركين في بئر هناك وخاطبهم بعد دفنهم فقال : هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ والكباكب جمع ككبكة وهي جماعة من الناس .

(٤) أي بقيت مالى ولم أنفقه فيما يكسبني رفعة القدر .

إن لم أشن على ابن حرب غارة
خيلا كأمثال السعالي (٢) شزبا
حتى الحسد يد عليهم فسكأهم
لم تخل يوما من نهاب نفوس (١)
تعدو ببيض في الكريمة شوس
ومضان برق أو شعاع شوس

وقال الخطيبه يمدح :

نور امرأ يؤق على الحمد ما له
يرى البخل لا يبق على المرء ماله
كسوب ومتلاف إذا ما سألته
متى تأته تعشو إلى ضوء ناره
ومن يؤت أثمان المحامد يحمده
ويعلم أن البخل غير مخلد
تهلل واهستر اهتزاز المهند
تجد خير نار عندها خير موقد (٣)

وقال مهن بن أوس المزني في استصلاح ذي القربي :

وذي رحم قلت أظفار ضغفه
يحاول رغمي لا يحاول غيره
فان أعف عنه أغض عيننا على قذي
وأن انتصر منه أكن مثل رائش
بجلى عنه وهو ليس له حلم (٤)
وكالموت عندي أن يحل به الرغم (٥)
وليس له بالصفح عن ذنبه علم
سهام عدو يستفاض بها العظم (٦)

(١) يريد بابن حرب معاوية .

(٢) السعالي : الغيلان ، والشزب جمع شازب وهو الضامر ، والشوس :
جمع أشوس وهو السيد المترفع أنفة .

(٣) تعشو : تقصد .

(٤) الضغن : الحقد (٥) الرغم : الذل

(٦) راش السهم : الزق عليه الريش ، وذلك أعون على تسديده وسرعته ،
واستفاض العظم وهاضه واهتاضه : كسره بعد الجبور .

صبرت على ما كان بيني وبينه
وبادرت منه النأي والمره قادر
ويشتم عرضي في مغيب جهادا
إذا سمته وصل القرابة سامني
فان أدعه للانصف بأب ويصني
فلولا اتقاء الله والرحم التي
إذن لعلاه بارقي وخطمته
ويسعى إذا أبني ليهدم صالحني
يود لو أني مدم ذو خصاصة
وبعت - مدغما في الحوادث نكيتي
فما زلت في ليني له وتعطني
وخفض له مني الجناح تألفا
وقولي إذا أخشى عليه مائة
وصبري على أشياء منه تربيتي
لاستل منه الضغن حتى استلته
رأيت اثلا ١١ بيننا فرفعته
وأبرأت غل الصدر منه توسعا
فداويته حتى أرفأت نفااره
وأطفأت نار الحرب بيني وبينه

وما تستوى حرب الأقارب والسلم
على سهمه مادام في كفه السهم
وليس له عندي هوان ولا شتم
قطيعتها ، تلك السفاهة والاشم
ويدع لحكم جائر ، غيره الحكم
رعايتها حق وتعطيها علم
بوسم شنار لا يشاكمه وسم (١)
وليس الذي بيني كمن شأنه الهدم
وأكره جهدي أن يخالطه العدم (٢)
وما إن له فيها سناء ولا غم (٣)
عليه كما تحنو على الولد الأم
لتدنيه مني القرابة والرحم
ألا أسلم فذاك الخال ذو العمد والعم
وكظمي على غيظي وقد ينفع السكظم
وقد كان ذا ضغن يضيق به الجرم (٤)
برفقي واحيائي وقد يرقع السلم
بجلى كما بشفي بالأدوية الكلم (٥)
فعدنا كأننا لم يكن بيننا صرم (٦)
فأصبح بعد الحرب وهو لنا سلم

- (١) البارقي : السيف ، وخطمه : ضرب أنفه أو جعل عليه الخطام أو قهره
الوسم : أثر الكي ، وشاكمه : شابهه
(٢) الخصاصة : الفقر . (٣) السناء : الرفعة .
(٤) الجرم : الخلق . (٥) الكلم : الجرح .
(٦) أرفأت : سكن بعد نفاار .

والامام على كرم الله وجهه المتوفى سنة ٤٠ هـ

في النصائح

صن النفس واحملها على ما يزينها (١)
ولا ترين الناس إلا تجملا
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد
يعز غنى النفس إن قسل ماله
ولا خير في ود امرئ متسلون
جواد إذا استغثت عن أخذ ماله
فأكثر الإخوان حين تعدمهم
توش سالما والقول فيك جميل
نسابك دهر أو جفاك خليل (٢)
عسى نكبات الدهر عنك تزول
ويغنى غنى المسال وهو ذليل
إذا الريح مالت مال حيث تميل (٣)
وعند احتمال الفقر عنك بخيل
ولكنهم في الثابتات (٤) قليل

وللخنساء المتوفاة سنة ٣٤ هـ

أعني جودا ولا تجمدا
ألا تبكيان الجواد الجميل
طويل النجاد (٥) رفيع العما
ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الفتى السيدا
دساد (٦) عشيرته أمردا (٧)

(١) يعني احفظ النفس عما يشينها واجبرها على ما يزينها . (٢) يعني ولا تُظهر للناس إلا ما تتجمل به ومعنى نسابك دهر أنه لم يساعدك وجفاك هجرتك . (٣) متلون متقلب ومعنى ميله حيث تميل الريح أنه غير ثابت . (٤) الثابتات الشدائد وعندها تعرف الإخوان .

(٥) النجاد كتاب حائل السيف وطولها كناية عن طول الجسم الدال على الشجاعة .

(٦) العماد الابنية الرفيعة جمع عماد وهي كناية عن السيادة والشرف .

(٧) يعني أن سيادته ابتدأت من صغره .

إذ القوم سدوا أياديهم إلى المجد مد إليه يدا (١)
فسال الذي فوق أيديهم من المجد ثم مضى مصعدا (٢)
يحملة القوم ما عاظم وإن كان أصغرهم مولدا (٣)
وإن ذكر المجد ألفيته تآزر بالمجد ثم ارتدى (٤)

وللهباس بن مرداس المتوفى سنة ١٦ هـ

ترى الرجل النحيف فتزدرية (٥) وفي أبوابه أسد مزير (٦)
ويجرك الطير فتنبلسيه فيخلف ظنك الرجل الطير (٧)
فما عظم الرجال لهم بفخر ولكن فخرهم كرم وخير (٨)
بغات الطير أكثرها فراخاً وأم الصفر مقلات نزور (٩)

(١) يعني يد واحدة منه تغنى عن أيدي كثيرة .

(٢) يعني ينال على هيئة ما يتعب فيه الاقوام وزيادة .

(٣) يعني يكلفون ما يحتاجون إليه على صغر سنه عنهم .

(٤) يعني وجدته منفردا بالمجد

(٥) فتزدرية تحتقره

(٦) المزير الشديد القلب القوى الظاهر المزارة .

(٧) الطير ذو المنظر والرواء فتنبليه تختبره فيخلف ظنك تلقاه على خلاف

ما كنت تعتقده فيه .

(٨) الخير بسكسر الحاء الكرم والشرف .

(٩) بغات الطير شرارها والمقالات التي لا تفرخ إلا واحدا والنزور

القليلة الفراخ .

ضعاف الطير أطولها جسوما
لقد عظم البعير (٢) بغير لب
يصرفه الصبي بكل وجه (٣)
وتضربه الوليدة بالهراوى
فإن أكل في شراركم قليلا
ولم تطل البراة (١) ولا الصقور
فلم يتغن بالعظم البعير
ويحبسه على الخسف الجريز (٤)
فلا غير لديه ولا تكبير (٥)
فأني في خيياركم كبير

ولا في الاسود الدولي م ٦٥ هـ

أترك بحارة السفينه (٦) فانها
يأبها الرجل المعلم غيره
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا (٨)
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا
لأبدأ بنفسك فانها عن غيرها (١٠)
فهناك يسمع ما تقول ويهتدى
لاتته عن خلق وتأتى مثله
ندم وغب بعد ذلك وخيم (٧)
هلا لنتك كان ذا التعليم
كسبا يصح به وأنت مستقيم
أبدأ وأنت من الرشاد (٩) عديم
فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
بالقول منك وينفع التعليم
عار عليك إذا فقلت عظيم

ولحسان بن ثابت المتوفى سنة ٥٥٤ هـ

وهو شاعر النبي صلى الله عليه وسلم في بيان أوصافه

(١) البراة جمع باز وهو طائر صيد . (٢) البعير الجمل . (٣) يعنى يتوجه به
أين شاء ومتى أراد وكيف شاء . (٤) الخسف حبس الدابة بالإغلف والجريز حبل
يكلم به الجمل ليحبس عن الأكل (٥) الوليدة الصبية والهراوة هى العصا وغير
مصدر غاريغار والتكبير الإنكار .

(٦) بحارة السفينه محاكاته فى السفنة . (٧) الغب العاقبة والوخيم السيء .
(٨) السقام المرض . (٩) الرشاد الهدى . (١٠) الغنى الضلال

لسانى وسيفى صارمان كلاهما (١) ويبلغ ما لا يبلغ السيف مبدوى (٢)
وإن أك ذا مال كثير أجد به وإن يهتصر عودى على الجهد يحمى (٣)
فلا المسال بنسبى حيانى وعفتى (٤) ولا واقعات الدهر يفلن مبدوى (٥)
وإن لمعط ما وجدت وقائل ما وقد نارى ليلة الريح أوقد (٦)
وإن لقوال لذى البث (٧) مرحبا وأهلا إذا ما جاء من غير مرصد
وإن لحلو تعتربنى مرارة (٨) وإن لنراك لما أعود

وكان النضر بن الحارث شديد العداوة لله ولرسوله فلما أسر يوم بدر أمر
النبي صلى الله عليه وسلم فقتله على بن أبي طالب رضى الله عنه صبورا (٩) . فعرضت
للنبي أخته قتيلة بيت الحارث فأنشدته :

يا راكبا إن الأئيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفقى (١٠)

- (١) صارمان قاطعان . (٢) يعنى أن لسانى يدرك به مالا يدرك بالسيف
- (٣) الاهتصار الإذناء وأوالته نحو الاغصان والجهد النفاقة والحاجة يعنى وإن
تطلب منى حاجة أفضها وإن كنت معدما
- (٤) يعنى لا أطغى عند الاستثناء.
- (٥) واقعات الدهر تصرفاته وحوادثه والقل التلم والمبرد الحديدية يسجل بها
الحديد وغيره والمعنى أن حوادث الدهر لا تقعد من همى .
- (٦) يعنى ليلة البرد والريح التى يصعب فيها إيقاد النيران .
- (٧) البث الشكوى من حاجة ومن غير مرصد من غير انتظار ولا وعد .
- (٨) يعنى حلوا للفكاهة هو الجد .
- (٩) الصبر : الحبس ، وصبر الإنسان على القتل : نصبه ليقتل .
- (١٠) الأئيل . واد بنواحى المدينة قرب بدر، تقول أنك ستتدرك الأئيل صبح
الليلة الخامسة إذا لم يعقك عاتقى .

أبلغ به ميتا بان تحبسة ما إن تزال بها النجائب تخفق (١)
منى إليه وعبرة مسسفوحة جادت بواكفها وأخرى تخفق (٢)
هل يسمعن النظر إن ناديته ؟ إن كان يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بنى أبيه تدوشه لله أرحام هناك تشفق (٣)
قسرا يقاد الى المنية متعبا رغب المقيد وهو عان موثق (٤)
أحمد هانت ضنه كريمة في قومها والفحل فحل معرق (٥)
ما كان ضرك لو مننت وربما من الفقى وهو المغيظ المحقق (٦)
فالنظر أقرب من قتلت قرابة وأحتمهم ان كان عتق يعتق
لو كنت قابل فدية لعديته بأعن ما ينسلى به من ينفق (٧)
فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها ودمعت عيناه وقال لأبي بكر :
لو كنت سمعت شعرها ما قتلته .

وقالت الخنساء وهي مخضرمة

قذى بعينك أم بالعين عوار أم زرفت اذ دخلت من أهلها الدار
كأن عيني لذكراه اذا خطرت فيض يسيل على الخدين مدار
تبكى لصخرهى العبرى وقد ولعت ودونه من جديد الترب أستار

- (١) خفق السهم أسرع رناقة خيفق سريعة جدا .
- (٢) وكف الدمع : سال (٣) ناشه إذا تناوله .
- (٤) الرسف والرسيف : مشى المقيد ، والهانى الأسير .
- (٥) رواية اللسان : ولانت ضنه نجبية وهى أقوم لأن ها التنبية إذا دخلت على الضمير وجب أن يتبع باشارة ، والضمه : النسل ، ورجل معرق أى أصيل .
- (٦) الحنق : شدة الاغتياظ وأحتمه غيره فهو محقق .
- (٧) أغلى بالشىء وغالى به . طلب فيه ثمنا ثاليا أو اشتراه بمن غال .

تبكى خناس على صخر وحق لها
لا بد من ميتة في صرفها عبر
قد كان فيكم أبو عمرو يسودكم
صلب التحيزة وهاب اذا منعوا
يا صخر وراد ماء قد تناذره
مشى السبتي الى هيجاء معضلة
وما عرجول على بو تطيف به
ترنع ما رتعت حتى إذا ادكرت
لا تسمن الدهر في أرض وان رتعت
يوماً بأوجسد منى يوم فارقتي
وإن صخرأ لوالينا وسيدنا
وإن صخرأ لمقدم إذا ركبوا
وإن صخرأ لتأتم الهداة به
جلد جميل المحيا كامل ورع
حمال أوية هباط أودية
فقلت لما رأيت الدهر ليس له
لقد نعى ابن نبيك لى أخائقة
فبت ساهرة للنجم أرقبه
لم تره جارة يمشى بساحتها
ولا تراه وما في البيت يأكله
ومطعم القوم شحها عند مسخهم
قد كان خالصتى من كل دى نسب
مثل الردينى لم تنفسد شيبته
جهم المحيا تضى الليل صورته
مورث المجد ميمون تقيته

إذ رابها الدهر إن الدهر ضرار
والدهر في صرفه حول وأطوار
نعم المعجم للداعين نصار
وفي الحروب جرى الصدر مہصار
أهل الوارد ما في ورده عار
له سلاحان أنياب وأظفار
لها حنينان إعلان وإسرار
فانما هي أقبال وأدبار
فانما هي تخنان وتسجار
صخر وللدهر إجملاء وإسرار
وإن صخرأ إذا نشتو لنهار
وإن صخرأ إذا جاعوا لعقار
كأنه علم في رأسه نار
وللحروب غداة الروع مسعار
شهاد أندية للجيش جرار
معاتب وحده يسدى ونيار
كانت ترجم عنه قبل أخبار
حتى أتى دون غور النجم أمتار
لريبة حين يخلى بيته الجمار
لكفته بارز بالصحن مہمار
وفي الجدوب كريم الجدد ميسار
فقد أصيب فما للعيش أوطار
كانت تحت طى البرد أسوار
أباؤه من طوال السمك أحرار
ضخم الدسيعة في العزاء مغوار

فرع الفرع كريم غير مؤتسب جلد المريرة عند الجمع فبخار
طلق اليدين لفعل الخير ذو فجر ضخم الدسيعة بالخيرات أمار
ليكه مقتر أفنى حرييته دهر وحالفه بؤس وإقتار
ورفقة حار حاديم بهمسكة كأن ظلمتها في الطخية القار
لا يمنع القوم أن سألوه خلاته ولا يجاوزه بالليل بالليل مرار

وقال الحارثية يمدح آل لآي

ألا هبت أمامه بعد هده تهنيني وما قضت كراها
فقلت لها أمام ذرى عتابي فان النفس مبدية ثناها
وليس لها من الحدثنان بد اذا ما الدهر من كتب رساها
فهل ابصرت أو خبرت نفساً اتاها في تمنيا مناها
كأن ساورتني ذات سم نقيع لا يلائمها رقاها
لعمر الراقصات بسكال فبح من الركيان ووعدها مناها
لقد شدت حبال آل لآي حبالي بعد ما ضعفت قواها
ومن يطلب مساعي آل لآي تصعده الأمور إلى علاها
كرام يفضلون قروم سعد أولى إحسانها وأولى نهاها
وهم فرع الذرى من آل سعد اذا ما عد من سعد ذراها
وخطه ما جد في آل لآي اذا ما قام قائمها قضاها
إذا أعوجت قناه الأمر يوماً أقاموها انبليغ منهاها
ويبنى المجد راحل آل لآي على العوجاء مضطراً حشاها
وتسمى للسياسة آل لآي فتدركها وما اتصلت لهاها
لعمرك إن جارة آل لآي لعف جيبها حسن ثناها

وقال أبو ذؤيب الهذلي وكان له أولاد سبعة فأتوا كلهم إلا طفلاً برئهم .
أمن المنون وربيه يتفجع والدهر ليس بمتعب من يجزع

قالت أمامة ما لجسمك شاحبا
أو ما لجسمك لا يلامم مضجعا
فاجبتسا أما الجسمى أنه
أودى بنى وأعقبونى حسرة
سبقوا هوى وأعقبوا لهوهم
فبقيت بعدهم بعيش ناصب
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم
وإذا المنية أنشبت أظفارها
فالعين بعدهم كأن حداقها
حتى كأنى للحوادث مروة
وتجسدى للشامتين أريمم
والنفس راغبة إذا رغبتها

منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
إلا أقض عايك ذاك المضجع
أودى بنى من البلاد فودعوا
بعد الرقاد وعبرة ما تقلسع
فتخرموا ولسكل جنب مصرع
وإخال إلى لاحق مستتبغ
وإذا المنية أقبلت لا تدفع
الفيت كل تميمة لا تنفع
سملت بشوك فى عورة تدمع
بصفا المشرق كل يوم تفرع
أنى لريب الدهر لا اتضعضع
وإذا ترد إلى قسليل تقسنع

وصلى متمم بن نويرة الصبح مع أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه
ثم أنشد :

نعم القتل إذا الرياح تناوحت
أدعوته بالله ثم قتله
لا يضر الفحشاء تحت رذائه

تحت البيوت قتلت يا ابن الأزور
لو هو دعاك بذمة لم يغدر
حلو شمائله عفيف المأزور

ثم بكى حتى سالت عينه العوراء ، قال أبو بكر : ما دعوته ولا قتله ، فقال
متمم يرثى أخاه مالكا وهى التى تسمى أم المرائى .

لعمري وما دهري بتأبين مالك
لقد غيب المنال تحت درائه
ولا برما يمسى النساء لعرسه
تراه كظال السيف يستز للندى
فمعنى هلا تبيكيات لملك
وأرملة تدعو بأشمت بحنل

ولا جزعا مما ألم فأوجعا
فتى غير مبطان العشيات أروعا
إذا التضع من رد العشاء تقمعا
إذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا
إذا هزت الريح الكئيب المرعا
كفرخ الجبارى ريشه قد تمزعا

وما كان وقافا إذا الخيل أحجمت
ولا بكهام سيفه من عسوده
أب الصبر آيات أراها وأنى
ولنى متى ما أذع باسمك لم تجب
تحيته منى وإن كان نائما
فإن تسكن الأيام ففوق بيننا
فمشنا بخير فى الحياة وقبلنا
وكنا كدمانى جذيمة حقة
فلما تفرقنا كأنى ومالك
فما شارف حنت حيننا ورجعت
ولا ذات أظفار ثلاث روائم
بأوجد متى يوم قام بمالك
مضى الله أرضا حلها قبر مالك

ولا طالبا من خشية الموت مفزعا
إذا هو لاقى حاسرا أو مقنعا
أرى كل حبل بعد حبلك أقطعا
وكنت حريا أن تجيب وتسمعا
وأسى ترابا فوقه الأرض بلقعا
فقد بان محمودا أسمى حين ودعا
أصاب المنايا رهط كسرى وتبعنا
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معسا
أينما أبكى شجوها الترك أجمعا
رأى من مجرا من حوار ومصرعا
مناد فصيح بالعراق فأسمعا
رهام الغواذى المزجيات فأمرعا

وقال أبو سفيان يذكر موقفه وبلاءه يوم أحد :

ولو شئت نجنتى كميت طمرة
فما زال مهرى مزجر الكلب منهم
أقاتلهم وأدعى يآل غالب
فبكى ولا ترعى مقالة عاذل
أباك واخوانا له قد تابعوا

ولم أحمل النماء لابن شعوب
لدى غدوة حتى دنت لغروب
وأدفعهم عنى بركن صليب
ولا تسأى من عبرة ونجيب
ورحق لهم من عبرة بنصيب

وسلى الذى قد كان فى النفس لانى
ومن هاشم قرماً بجيباً ومصقماً
فأبوا وقد أودى الحلائب منهم
أصابعهم من لم يكن لدمائهم

قتلت من الجبار كل نجيب
وكان لدى الهيجاء غير هيسوب
لهم خدب من مقبط وكثيب
كفيا ولا فى خطة بضرب

فاجابه كعب بن مالك

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم
أنعجب أن أقصدت حمزة منهم
لم يقتلوا عمرا وعتبة وابنه
غداة دعا العاصي عليا فسراعه
ولست لزور قلته بمصيب
نجياً وقد سميته بنجيب
وشيبة والحجاج وابن حبيب
بضربة عضب به بخضيب

ولما كان يوم فتح مكة دخل أبو سفيان بن حرب على الرسول صلى الله عليه وسلم فأشده .

لعمري انى يوم أحسل راية
لكالمديح الحيران أظلم ليله
وهاد هداني غير نفسى ونالى
أصد وأناى جاهدا عن محمد
هم مامم من لم يقل بهوهم
أريد لأرضيهم ولست بسلائط
فقل لتقريف لا أريد قناتها
وما كنت فى الجيش الذى نال عامرا
قبائل جاءت من بلاد بعيدة
وتغلب خيل اللات خيل محمد
فهذا أوانى حين أهدى وأهدى
مع الله من طردت كل مطرد
وأدعى ولو لم أنتسب من محمد
وان كان ذا رأى يلم ويفند
مع القوم مالم أهدى كل مقعد
وقل لتقريف تلك غيرى أوعدى
وما كان من جرى لسانى ولا يدي
نزائع جاءت من سهام وسرد
وقال الخطيئة (١) .

وطاوى ثلاث (٢) عاصب البطن مرمل (٣) بيده لم (٤) يعرف لساكنها رسما (٥)

(١) هو أبو مليكة جروم بن أوس بن مالك نشأ منبوذا لا يعرف له أهل ولا وطن وقد انتسب الى قبائل مختلفة وشعره فى الطبقة الأولى من القوة والجزالة لولا أنه أكثر من تسييح الهجاء ،

(٢) أى مقيم ثلاث ليالى على الطوى : أى الجوع .

(٣) المرمل : الذى نفذ زاده . (٤) صحراء .

(٥) رسم الدار ما كان من آثارها لاصقا بالأرض .

أخى جفوة^(١) فيه من الانس وحشة
وأفرد في شعب^(٢) عجوزا ازاها
سفاد عراة ما اغتذوا خبر ملة^(٤)
رأى شبحا وسط الظلام فراهه
فقال هيا رباة ضيف ولا قرى ا
فقال ابته لما رآه بحسيرة
ولا تعتذر بالعدم عل الذى طرأ
فروى قليلا ثم أحجم برهة
فبيناهما عنت على البعد عانة
عطاشا تريد الماء فانساب نحوها
فأمهلها حتى تروى عطاشها
فخرت نحوص ذاب جمحش سمينة
فيايشره إذ جرها نحو قومه
وباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم

يرى البؤس فيها من شراسته نعى
ثلاثة أشبال تخالهم بهما^(٣)
ولا عرفوا للبرمذ خلقتوا طعما
فلما رأى ضيفا تشمر واهتها
بجحك لا تحرمه تا الليلة اللحبا
أيا أبت اذبحنى ويسر لم طعما
يظن لنا مالا فيوسعنا ذما
وان هو لم يذبح فتاه فقدهما
قد أنتظمت من خلف مسحلبا انظما
على أنه منها إلى دمها أظما
فأرسل فيها من كنانته سهما
قد اکتزت شحبا وقد طبقت لثما
ويا بشرهم لما رأوا كلمها يدمى
وما غرموا غرما وقد غنموا غنما

وقال مالك بن الربيع المازني : برئى نفسه ويصف قبره وكان يخرج مع سعيد
ابن عفان أخى عفان لما ولى خراسان ، فلما كان ببعض الطريق أراد
أن يلبس خفيه فلذغته أفعى فلما أحس بالموت أنشأ يقول :

دعانى الهوى من أهل أود وصحبتى بنى الطبسين فالتفت ورائيا
فما راعنى إلا سوابق عسرتى تقنعت منها إن ألام ردائيا

(١) الجفوة : الوحشة .

(٢) الشعب : الطريق فى الجبل .

(٣) جمع بهمة : الصغير من أولاد الضأن والمعز

(٤) الملة : الرماد الحار

ألم نرى بعث الضلالة بالهدى
فله درى حسين انك طائعا
تقول ابنتي لما رأت وشك رحلتى
ألا ليت شعري هل بكيت أم مالك
إذ امت فاعتادى القبور وسلمى
ترى جدنا قد جرت الريح فوقه
في صاحبي رحلي دنا الموت فاحفرا
وخطا بأطراف الأسننة مضجعي
ولا تحسداني بارك الله فيسكا
خسداني لجراني بهردى اليسكا
تفقدت من يكي على فلم أجد
وادم غريب يجر لجامه
وبالرم لى يعلمن علمى نسوة
عجوزى وأختاى اللتان أصيبتا
لعمري لئن غالت خراسان هامتى
تحمل أصحابى عشاما وغادروا

وأصبحت في جيش بن عفان غازيا
بنى بأعلى الرقتين وما ليا
سفارك هذا تاركى لا أباليا
كما كنت لو غادى نعيك باكيا
عليهن اسقين السحاب الغوادي
تراها كلون القسطلاني هاييا (٢)
برايية انى مقيم لياليا
وردا على عيني فضل رداييا
من الأرض ذات العرض ان توسعالي
فقد كنت قبل اليوم صعبا قيادي
سوى السيف والرمح الرديني باكيا
إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا
بكين وفدين الطبيب المداويا
بموتى وينت لى تهبج البواكيا
لقد كنت عن بابى خراسان ناويا
أخائقة فى عرصة الدار ناويا

(١) مالك شاعر فانك كان يقطع الطريق، وكان من أحسن الناس وجها وأرقهم حديثا، فر به سعيد في طريقه الى خراسان وتألفه واتخذة في خاصته .

(٢) القسطلاني نسبة الى قسطلان ، وهو النجار الساطع ، والهابي الثراب الدقيق .

يقولون لا تبعد وهم يذفونى واين مكان البهد إلا مكانيا (١)
ومن الذناء قول أم حكيم زوج عبيد الله بن العباس أمير اليمن
من قبل علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكان معاوية قد أرسل قائده الطاغية
بسر بن أرطاة إلى اليمن ، ففر من وجهه عبيد الله ، فعمد بسر إلى طفليه الصغيرين
فذبجهما بمدية فقالت ترثيهما :

يامن أحس بابي اللذين هما	كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يامن أحس بابي اللذين هما	نخ العظام فبخرى اليوم محتطف
نبتت بسر أو ما صدقت ما زعموا	من قولهم ومن الأفك الذى اقترفوا
أنحى على ودجى ابني مرهفة	مشحودة وكذلك الإثم يقترف
حتى لقيت رجالا من أرومته	سم الأنوف لهم فى قومهم شرف
فالآن ألعن بسرا حق لعنته	هذا لعمر أبى بسر هو السرف
من دل والهة حيرى مدطه	على صبيين حلا إذ فغدا السلف
وقالت فيهما وهو بما يتغنى به :	

ألا يامن رأى الأخوين	أمهما هى الشكى
تسائل : من رأى ابنيا ؟	وتستقى فلا تسقى
فلما استياست رجعت	بمبرة واله حيرى
تتابع بين ولولة	وبين مدايح ترى

وكان كعب بن مالك الأنصارى أحد من عاون عثمان على الناشرين وشهر سلاحه
فلما ناشد عثمان الناس أن يغمسوا سيوفهم انصرف ولم ير أن الأمر يخلص اليه
ولا يجترىء القوم على قتله فلما قتل وقف كعب بن مالك على مجلس الأنصار
فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشدهم :

من مبلغ الأنصار عن آية	رسلا تقص عليهم النبينا
ان قد فعاتم فعلة مذكورة	كست الفضوح وأبدت الشناأنا
بمه ودمك فى داركم وأميركم	يعشى ضواحي داره النيرانا

بيننا يرجى دفعكم عن داره
 حتى إذا خلصوا إلى أبوابه
 يعلون قلته السيوف وأتمم
 الله يعلم أنني لم أرضه
 بالمف نفسي إذ أقول ولا أرى
 والله لو شهد ابن قيس ثابت
 وأبو دجانة وابن أقرم ثابت
 ورفاعة العمرى وابن معاذم
 قوم يرون الحق نصر أميرهم
 ملئت حريقا كايا ودخانا
 دخلوا عليه صائما عطشانا
 مثلثون مكانكم رضوانا
 لكم صنيعا يوم ذلك وشانا
 نفر من الأنصار لى أعوانا
 ومعاشر كانوا له أخوانا
 وأخو المشاهد من بنى عجلانا
 وأخو معاوى لم يخف خذلانا
 ويرون طاعة أمره إيمانا

وكان ورقة بن نوفل يمر ببلال بن رباح وهو يعاقب العذاب الاليم من قریش
 لإيمانه بالله وكان يحتمل هذا العذاب صابراً محتسباً وهو يقول : أحد أحد
 فكان ورقة يقون أحد أحد يا بلال ا والله ائن قتلتموه لاتخذنه حنانا - أى
 قديسا - وقال فى ذلك :

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم
 لاتعبدن إلهاً غير خالقكم
 سبجان ذى العرش سبجانا نعوذ به
 مسخر كل ماتحت السماء له
 لا شئ مما نرى تبقى بشاشته
 لم تغن عن هرمز يوماً خزانته
 ولا سليمان إذ دان الشمسوب به
 وأنا التذير فلا يفرركم أحد
 فان دعوكم فقولوا بيننا جيد
 وقبل قد سبج الجردى والحمد
 لا ينبغي أن يباوى ملكه أحد
 يبقى الا له و يودى المال والولد
 والحلقد حاولت عاد فا دخلوا
 والجن والأانس يجرى بينها البرد
 وقال زيد بن عمرو بن نفيل

هزلت الجن والجنان عنى
 فلا المزى أدين ولا إلتئيبها
 ولا عسماً أدين وكان ربا
 أربا واحد أم ألف رب
 كذلك يفعل الجلد الصبور
 ولا صنمى بنى طسم أدير
 لنا فى الدهر إذ جلسى صنمير
 أدين إذا قسمت الأمور

ألم تعلم بأن الله أفنى رجالا كان شأنهم الفجور
رأينا المرء يعثر ذات يوم كما يتروح الغصن النضير

وقال عبد الله بن الزبير حين أسلم يعتذر إلى النبي صلى الله عليه وسلم بما هجاه
به وهو مشرك :

يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذ أنا بور
إذا جرى الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مشبور
آمن اللحم والعظام بما قلت فنفسى الفدا وأنت النذير
وقال

منع الرقاد بلا بل وهموم والليل معتلج الرواق بهيم
بما أتاني أن أحمد لا منى فيه فبت كأننى محموم
ياخير من حملت على أوصالها عسيرة سرح اليمين رسوم
إني لمعتذر اليك من الذى أسديت إذ أنا فى الضلال أهيم
أيام تأمرنى بأغوى خطة سم وتأمرنى به مخزوم
فاغفر فدا لك والداى كلاهما ذنبى فانك راحم مرحوم
وعليك من أثر المليك علامة نور أضاء وخاتم مختم
مضت العداوة فانقضت أسبابها ودعت أواصر بيننا وحلوم

وقال أبو دهل الجهمى يرحم النبي صلى الله عليه وسلم :

إن البيوت معادن فنجازه ذهب وكل بيوته ضخم^(١)
عقم النساء فما يلدن شبيهه إن النساء بمثله عقم
متملل بنعم بلا متباعد سيان منه الوفير والعدم^(٢)

(١) البيوت المراد بها القبائل المعادن جمع معدن وهو منبت الجوهر ، النجار :
الأصل ، وكل بيوته ضخم أى أن القبائل التى اكتنفتها من أخواله وأعمامه شريفة
عظيمة مثل هاشم وأمية ومخزوم .

(٢) متملل بنعم : أى فرح بقول نعم . بلا متباعد : أى بعيد من قول لا ،
وسيان : مثلان ، الوفير : المال الكثير ، العدم : قلة المال :

وقال متمم بن نويرة^(١)

لقد لامني عند القبور على البكا رفيق لتذراف الدموع السوافك^(٢)
فقال أتبكي كل قبر رأيت لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك^(٣)
فقلت له : إن الشجا يبعث الشسجا فدعني فهذا كله قبر مالك^(٤)

-
- (١) شاعر مخضرم صحابي قتل أخوه مالك في خلافة أبي بكر أيام الردة
فحزن عليه وراثه بمرث بليغة منها هذه الأبيات
(٢) التذراف : جريان الدموع . السوافك : المراد منها المسفوك .
(٣) ثوى : أقام . اللوى والدكادك : اسما موضعين .
(٤) الشجا : الحزن .

الشعر

وما طرأ عليه في أغراضه وألفاظه وأساليبه ومعانيه

تمهيد :

١ - كان الشعر في الجاهلية ميدان البلاغة ومجال الفصاحة ، وشغل العرب الشاغل ، وسجل أيامهم الخالدة ومفاخرهم التليدة ، والناسط بقآثرهم ، والمعبر عن آمالهم ، والذائد عن أعراضهم وأحسابهم وكان للشعر أثره في نفوسهم وحياتهم ، وللشعراء منزلتهم العالية عند الخاصة والعامة ، وكان يقوله الصغير والكبير والرجل والمرأة والفتى والفتاة ، والبطل الممجّد في معارك الصحراء ، والصلعوك الفقير في وصف حياته ونفسيته ومطامحه ؛ وأنتم تملكون الكثير عن منزلة الشعر والشاعر في الجاهلية مما سبق تفصيله لكم في الأدب الجاهلي .

ب - وكان يذكي الشعر في نفوس العرب في الجاهلية بواعث كثيرة أهمها :

١ - هذه البلاغة والمملكات القوية السليمة العالية .

٢ - ما كان فيه العرب من حمية ومن فراغ .

٣ - كثرة الحروب والخلافات بينهم ، مما كان يوجب روح الشاعرية فيهم ، ويشعل مملكات البيان في نفوسهم .

٤ - انقيادهم للعصبية وانتصارهم لها وسيرهم وراءها وتحكمها في نفوسهم وحياتهم ، والعصبية تثير الفخر وتدعو الى الهجاء وتحمل على الحماة . مما يستدعي الشعر ويستطلبه . الى غير ذلك من الاسباب .

الشعر في صدر الاسلام :

١ - جاء الاسلام بهذه الدعوة الروحية العظمى ، وتلك الثورة الانسانية الكبرى .

نزل يهدي النفوس ، ويوقظ العقل ، ويهذب الخلق ، وينظم حياة الفرد والأسرة والجماعة والأمة والانسانية كافة تنظيماً يوائم أسمى مبادئ العدالة والحرية والأخاه الانسلي المنشود .

واختلف الناس حيال هذه الدعوة الكبرى في بدء النبوة ، فمن مصدق ومكذب ، مؤمن وجاحد ، وانصر المسلمون لدينهم المجيد ، وشبهت خصومات وخلافات كثيرة ، بدأت بالاحتجاج والحوار والنضال باللسان ، ثم انتقلت إلى السيغم والرمح والسنان فسكثرت الحروب والغزوات بين الرسول والمشركين بعد الهجرة .

وهذه الخلافات وتلك الثورة الكبرى من أعظم ما يعث على الشعر ويستدعيه واتخذ رسول الله له شعراء يؤيدون الدعوة ويدافعون عنها ويهجون خصومها وهم : حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه . أما شعراء المشركين فمنهم عمرو بن العاصي وأبر سفيان وضرار بن الخطاب وعبد الله بن الزهري . وكثرت المنافرات والمفاخرات الأدبية بين أنصار الرسول وأنصار المشركين من الشعراء ، وسجل التاريخ الأدبي طائفة كبيرة من هذه المحاورات والمفاخرات وكان لحسان في ذلك المجال الحظ الأوفى .

وقد ساعد شعراء الرسول في هذه المعركة الأدبية إيمانهم الثابت وتأجج عواطفهم وامتلاؤها بالرغبة في الذود عن الاسلام والرسول بكل ما يستطيعون ويملكون ، وبلاغاتهم وطبايعهم الأدبية الاصلية ، ثم تأثرهم ببلاغة القرآن والرسول واحتذاؤهم لها ، فوق تأييد الله ورسوله في دفاعهم الجبار عن دينه وكتابه وشريعته الخالدة المقدسة .

٢ - ثم انتهى الصراع الحربي في جزيرة العرب وألقى المشركون كافة السلاح أمام المسلمين ودخلوا في الدين الجديد وآمنوا بمحمد ودينه ، فسكنت الأمور واطمأنت النفوس وهدأت الخواطر وأخذ الناس يتأدبون بأداب الدين ويرعون أحكامه في عباداتهم ومعاملاتهم وحياتهم . فتركوا كثيراً من مفاخر جاهليتهم الباطلة ، وتقاليد بدواتهم الزائفة ،

وتحاكوا إلى الله ورسوله فيما شجر بينهم من خلاف، فأعرضوا عن الخير والزنا والقمار والكذب والزور، وتركوا الهجاء الكاذب والفخر الباطل والغول الفاحش، وهجروا حب الانتقام والأخذ بالثأر وشن الحروب لأوهى الأسباب، وأصاحوا إلى داعى الله ونداء الحق، وأعرضوا عن اللغو والفجور والتشبيب بالنساء.

هنالك ضعف الشعر، وبطلت أغراضه أو الكثير منها، وقد الداعى إليه، بتأثير هذا الوازع الدينى القوي، ولما أصعبهم من بلاغة القرآن وروحه وعظمته وسهوه، وحسان وحديث ضعف شعره فى الإسلام مشهور، حتى تعجب النقاد من ذلك، وقال العمالي: « كان حسان يقول الشعر فى الجاهلية، فى جيد جدا، ويغتر فى نواحي الفجور، ويدعى أن له شيطانا يقول الشعر على لسانه كعادة الشعراء فى ذلك؟ ويقول مثل قوله فى بنى جفنة ملوك غسان

أولاد جفنة حول قدير أبيهم قبر ابن ماوية الكريم المفضل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم ثم الأنوف من الطراز الأول
فلما أدرك الإسلام، وتبدل الشيطان ملكا تراجع شعره وكاد يرك فى قوله،
ليعلم أن الشيطان أصلح للشاعر وأليق به وأذهب فى طريقه من الملك،^(١)
٣ أما الشعراء فكانوا إزاء ذلك، وحيال تأثرهم بالإسلام الكريم،
طوائف ثلاثا:

١ - طائفة تركت الشعر جملة، حيث بهرها هذا الدين الخالد، وتلك البلاغة الرائعة بلاغة القرآن الكريم، ومن هذه الطائفة: لبيد الذى لم يؤثر عنه فى الإسلام إلا بيت واحد كما يقولون وهو:
الحمد لله إذ لم يأتنى أجلى

حتى تبدلت من الإسلام سرايلا

ب - وطائفة مع تأثرها بالإسلام والقرآن كالتائفة السابقة غيرت نهجها فى الشعر فنظمت متأثرة بأداب الدين وروحه وعقائده وأهدافه، ولكن ظهر

عليها الضمف وبان في شعرها العجز الفنى الذى تحدث عنه الثعالبي في شعر حسان
ج وطائفة نائلة ، خالفت الطائفتين السابقتين في أنها عاشت بعيدا في البادية
وضعفت فيها النزعة الدينية القوية مع أنها في عصر النبوة ، وظلت على نهج حياتها
السابقة في الجاهلية ، ومن هذه الطائفة : الحطيئة ولفيف من الشعراء سواء
كصائب البرجى وأبو سحجن الثقفى وسواهما :

٤ - - وبعد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزهه الله عن الشعر فلم
ينظم منه شيئا أما أسرته فكان فيها فحول من الشعراء (١) ، وأما أكثر أصحابه فنظم
الشعر وأنشده ورواه ، وأما خلفاؤه رحمة الله عليهم فقد كانوا ذوى بصر بالشعر
ومعرفة به وقد له وإعجاب به وحب وأريحية ورغبة لسماعه وإشادته كما عرفت
سواء في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي .

وكان عمر بن الخطاب وغيره يأمرون بتعلم الشعر ، وقد سبق في ذلك روايات
كثيرة ، ولا بأس بأن نعيد بعضها عليك . قالت عائشة : « روى أولادكم الشعر
تعذب ألسنتهم » وقال ابن عباس : « إذا قرأتم شيئا في كتاب الله فلم تعرفوه
فاطلبوه من أشعار العرب » وقال عمر : « روى أولادكم ما سار من المثل وحسن
من الشعر » إلى غير ذلك مما تجده في أول العمدة وجهرة أشعار العرب وسواهما
من مصادر الأدب والبيان .

وكان رسول الله يأمر شعراءه بقول الشعر ، فأمر حسان بهجاء المشركين ،
وقال له : اهجم وروح القدس معك ، وبعث لابن رواحة فانطلق إليه مسرعا
فسلم ، فجلس بين يديه ، فقال صلى الله عليه وسلم كأنه يتمعج من شعره : كيف
تقول الشعر إذا قلت ؟ قال : أنظر في ذلك ثم أقول . قال : فعليك بالمشركين (٢)

(١) يقول ابن سلام في طبقات الشعراء : كان أبو طالب شاعرا جيدا الكلام
[٩٨ المرجع طبع المطبعة المحمودية] . ويقول : وأجمع الناس على أن الزبير
ابن عبد المطلب شاعر (٩٩ المرجع)

(٢) راجع ص ٨٨ طبقات الشعر لابن سلام عبيد المحمودية .

وقال صلى الله عليه وسلم لكتب بن مالك : أتري الله نسي قولك :
زعمت سخينة أن ستغلب ربها و ايغابن مغالب (١) الغلاب
وكان ابن الزبيري يحارب رسول الله بشعره ثم أسلم وهدى النبي واعتذر اليه
فقال :

إني لامتذر اليسك من الذي أسديت إذ أنا في الضلال أهيم
أيام بأمري بأهوى خطة «سهم» وتأمري بها «مخزوم»،
فاغفر فديك والداي كلاهما ذنبي فانك راحم مرحوم
وعليك من أثر المليك علامة نور أضاء وغاتم محتوم
معدت العداوة فانهضت أسابها ودعت أو اصرينتنا (٢) وحلوم

وقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عزة الجمعي الشاعر ، لأن المسلمين
أسروه يوم بدر فرحمه الرسول وأطلق سراحه بعد أن عاهده أن لا يعين عليه بشعر
ولكنه خان العهد وهجا الرسول فأسر يوم أحد فقتله الرسول صلى الله عليه وسلم
صبرا (٣) .

وكان هبيرة بن أبي وهب شاعراً من رجال قريش الممدودين وكان شديد
العداوة لله ولرسوله فأخذه الله (٤)
أغراض الشعر في صدر الإسلام

١ - هجر الشعراء الأغراض التي تتنافى والدين وأعمالهم الإسلام : كالغزل
الفاحش ، والفخر الكاذب ، والهجاء المقذع ومن استمر منهم على الهجاء كالحطيئة
حيس وزجر من الخلفاء الراشدين وهو وقف عمر من الحطيئة معروف ، كذلك
بطل الكلام في الخمر ووصفها والميسر وقتيانه والجزور التي ينحرونها عليه ، وفي

(١) ٨٨ طبقات الشعراء

(٢) ٩٦ و ٩٧ المرجع

(٣) راجع ١٠٤ و ١٠٥ طبقات الشعراء لابن سلام

(٤) ١٠٦ و ١٠٨ المرجع

تملق الناس بالمدح؛ وفي صيد الوحش وطرده مما كان يعده المسلم المتأثر
بالعقيدة الإسلامية عبثاً وهواً

وكان كثير من هذه الأغراض شديد الصلة بحياتهم في الجاهلية كالخمر والميسر
وحياة البطولة والهراع والأخذ بالثأر والرغبة في الانتقام والديب والاستتار
والفجور في الحب، ومن أجل ذلك كان فيها أجود أشعارهم وأماؤها بالقوة
والروعة والعاطفة؛ وهذا يفسر لك بعض الحق فيما يقال من أن الشعر ضعف في
صدر الإسلام

ب — واقتصروا في نظم الشعر في هذه الأغراض الآتية :

١ — الدعوة إلى الإسلام ومبادئه ومناضلة خصومه .

٢ — هجاء أعداء الدعوة في عصر النبوة ، وهجاء أصحاب الديانات الرافضة
بعد عصر النبوة .

٣ — ثناء من استشهدوا في غزوات الرسول وفي الفتوحات الإسلامية السكينة،
ومن قتل ظلماً من خلفائه وكبار أصحابه .

٤ — شيوعه على السنة الشعراء زمن الخلفاء الراشدين في الفخر والتباهي
بالانتصار على جيوش الفرس والروم والتمدح بشجاعة المسلمين وأبطالهم ووصف
المعاقل والحصون وآلات القتال والحصار التي لم يكونوا عرفوها وأنواع
الحيوان الذي لم يشاهدوه، ومنه الفيلة التي حارب الفرس عليها العرب،
ووصف جبال الثلج والأنهار العظام وسفائن البحر ذلك مما ملئت به كتب
المغازي والفتوح . ويكثر في هذا النوع الأراجيز .

٥ — الحكمة، وقد كثرت في الشعر في هذا العصر بتأثير ثقافة القرآن
والدين وللتجارب السكينة التي أفادوها في الحياة، يقول حسان أو حفيده سعيد :
وإن أمراً يسمى ويصبح سالماً من الناس إلا ما جنى لسعيد

ويقول الحطيمية :

لا يذهب العرف بين الله والناس

ويقول كعب بن زهير .

ومن دعا الناس الى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

٦ - المدح وأشهر شعرائه حسان والناطقة الجعدى وكعب بن زهير والحطيمية
وفي هذا الفريديو أثر الإسلام في معانيه وألفاظه.

٧ . كما نفا. وه في الوعظ والتزهيد في الدنيا والدعوة الى تقوى الله ، متأثرين
في ذلك بالإسلام ،

معاني الشعر في صدر الإسلام

وقد تأثرت معاني الشعر في هذا العصر تأثرا واضحا بالإسلام والقرآن الكريم
فغلب على معانيه :

١ - العمق والدقة والفهم والاستقصاء وترتيب المعاني والأفكار .

٢ - ظهور المعاني الإسلامية في الشعر وغلبيتها عليه .

٣ . الصدق والحق وترك المبالغة والغلو .

٤ . الوضوح والبساطة في المعاني والأفكار والخبالات والبهث .

٥ - توليد المعاني من العقائد الإسلامية كالحلوة والصيام والجنة والنار الخ .

٦ - ظهور العاطفة الدينية وذلبيتها على معاني الشعر في هذا العصر

أسلوب الشعر .

تأثر الشعراء في عصر النبوة وبعده بالقرآن الكريم وحديث رسول الله
تأثرا ظاهرا في الأسلوب والأداء مما أحدث تغييرا واضحا في الأسلوب في هذا
العصر :

١ - فقد هجروا الخوشى والغريب والمبتذل والساقط والممحون

٢ - وامنوا في جمال السبك وعدوبته وإحكامه وتلاؤمه

٣ — كثير في شعرهم الاقتباس من القرآن الكريم . كما يقول معن بن أرس :
فما ذات في ليني له وتعطاني عليه كما تحنو على الولد الام
وخفض له مني الجناح تألفا لتدنيه مني القرابة والرحم
٤ — جزالة الأسلوب وقوته وكثرة روايته وصوره الأدبية والبيانية .

٥ — هذا^(١) ويقسم الأقدمون الشعراء المحضرمين طائفتين متميزتين : شعراء
الوير من أعراب نجد واليمامة وبواديها ، وشعراء المدراء وهم أهل القرى كالمدينة
ومكة والطائف ، وقرى عبد القيس في البحرين ، والحيرة بسواد العراق . وبرون
أن شعراء أهل نجد واليمامة والبوادي أفضل من شعر أهل القرى وأجزل لفظا وأضخم
أداء وأوسع مذهبا في تنويع أساليب الكلام ولكن شعرهم لا يخلو من حوشية
في العبارة ، ومنهم من كان فعول الشعراء .

وبرون أن شعراء المدراء أرق لفظا وألطف كناية وأدبت أسلوبا
وأن أشعرهم جميعا أهل المدينة ، ومنهم من كان شعراء التي الذين نافحوا عنه الشعراء
الماشئين في قریش بعد أن لم يكن لها شعر يذكر ، وأن شعر الأنصار من الأوس
والخزرج في هذا العصر لان في اللفظ وهان في المعنى عما كان عليه في الجاهلية
وعللوا ذلك بأن الاسلام نسخ كثيرا من بواعث الشر التي تثير النفوس وتشعل
الاحتماد كالاصبية الجاهلية ، وحب الانتقام ، والاخذ بالنار ، والنشوة بالخمر
والهجاء الكاذب ، واكثر ما ينجش بالخواطر عند احتدام الشرور وتسكن اليه
النفوس عند الرضا والسرور . وأمر آخر ذكره ، وهو أن كثرة تلقيهم آيات هذا
القران المعجز ونزوله بينهم كل حين مما يبرهم ويأخذ بمجامع قلوبهم صغرى قيمة
شعرهم في أعينهم ، واستنخسوا معانيهم وأسلوبهم بالاضافة إلى معانيه وأسلوبه ،
فهبطت قوة شعرهم عما كانت عايد ، ومنلوا لذلك بقوة شعر حسان في الجاهلية
وليه في الاسلام وشيوخ شعر أمية بن أبي الصلت في الجاهلية واستخذائه في
الاسلام : لمكان حسده لرسول الله وأكبر من ذلك أن ليذا العامرى وهو من

أخجل شعراء الجاهلية ، عند ما انقطع إلى حفظ القرآن ومدارسته انقطع عن قول الشعر في الاسلام وية ولون : إن من لم يتعرض لهذا الإلحاح والانبهار من أعراب البوادي بقي شعره إلا قليلا على غرار شعر الجاهلية من أمثال الحطيئة وكعب بن زهير ، وكل هذا كلام مقبول في جملة ، ولكن كثيرا من أهل العلم والنقد من المتقدمين والمتأخرين يرون أن بعض ما يستضعف من شعر شعراء مكة والمدينة والطائف مدسوس عليهم .

أدماظ الشعر :

وأدماظ الشعر عامة في هذا العصر يغلب عليها الذبورية والخفة وترك الخوشية والتناثر والغرابة . ويتردد فيها كثير من الأدماظ الاسلامية كالصيام والصلاة والزكاة والحج والايان والاسلام .

وبعد فقد كان المسلمون والخلفاء يراعون الشعر والشعراء . وكان أبرز عمل قاموا به هو الدعوة إلى المحافظة على الشعر الجاهلي وروايته وكتابته خوفاً من أن يندثر بكثرة من قتل من العرب في الفتوحات ولما شاهدوه من قلة الرغبة في الشعر عند الناس بتأثير الشعور الديني الجديد ، ومحافظة على لغة القرآن ولهم بلاغته وإعجازه ولهذا قال عمر بن الخطاب :

عليكم بديوانكم لا تضلوا ، فقالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم .

أشهر الشعراء المخضرمين

١ - عبد الله بن رواحة

المتوفى سنة ٥٩ هـ

شاعر عظيم القدر في قومه سيد في الجاهلية . كان في حروب أهل المدينة في الجاهلية يناقض قيس بن الخطيم
نشأ بالمدينة وشب شاعرا يفهم الشعراء ولما هاجر الرسول صلوات الله عليه وسلم . وشهد بدرًا وكان في الإسلام عظيم القدر والمكانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

دافع عن الرسول بشعره وجادل مشركي مكة وكانت له روائع كثيرة في تأييد الإسلام . ولذلك كان الرسول يحبه ويدعو له . وأنشد الرسول قصيدته :

نجالد الناس عرض فأسرهم	فينا النبي وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأنا ليس يغلبنا	حتى من الناس إن عزوا وإن كثروا
يا هاتم الخير إن الله فضلكم	على البرية فضلا ما له غير
إن تفرست فيك الخير أعرفه	فراصة خالفتم في الذي نظروا
ولو سألت أو استنصرت بعضهم	في جل أمرك ما آورا ولا نصروا
فثبت الله ما آتاك من حسن	تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

فأقبل عليه بوجهه مبتسما ثم قال وإياك فثبت الله

وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مودة ثالثة ثلاثة أمراء : زيد بن حارثة . وجعفر بن أبي طالب . وابن رواحة . فلما قتل أصحابه كانه كره الأقدام فقال :

أقسمت يا نفس لتزانه طائفة أو لتكرهه
وطالمسا قد كنت مطهنة مالى أراك تكرهن الجنة
فقتل يومئذ . ويقول قبيل نازوة مؤتة :

إذا أدبني وحملت رحلى مسيرة أربع بعد (الحساء)
فشأنك فأنعمي وسلاك ذم ولا أرنو إلى أهلى ورائى
وجاء المؤمنون وبتادرونى بأرض الشام مشهور الأواء
وردك كل ذى نسب قريب إلى الرحمن منقطع الإخاء

ومن شعره :

لكننى أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران بجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
وقال فى معركة مؤتة ،

يا نفس إلا تقتلى تموتى
هذى حياض الموت قد صليت
وما تمنيت فقتل لقيت
إن تقبلى فإلى فإلهما هديت
وإن تأخرت فقتل شقيت

ومن شعر عبد الله بن رواحة هذه القصيدة .

تذكر بعد ما شطت نجوداً وكانت تيمت قلبي وليداً (١)
كذى داء غدا فى الناس يمشى ويكتم داهه زماً عميداً (٢)

(١) شطت : بعدت — والنجود : جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض —
وتيمت : فتمت ودملت — والوليد : المولود وهو يعنى أنه أحبها منذ الصغر
(٢) كذى داء ملح : يعنى أنه كصاحب الداء الذى كتم الناس ما به —
والعميد : المديد

تصيد عورة الفتيان حتى تصيدهم وتشنا أن تصيدا (١)
فقد صادت فؤادك يوم أبدت أسبلا خدها صلتاً وجيدا (٢)
تزين معقد اللبات منها شرف في القلائد - والفريدا (٣)
فإن تضنن عليك بما لديها وتقلب وصل نائلها - جديدا (٤)
لمعرك ما يوافقني خايل إذا ما كان ذا خلف كنودا (٥)

* * *

وقد علم القبائل - غير نخر - إذا لم تلف مائة ركودا (٦)
- بأنا نخرج الشتوات منا
إذا ما استحكمت ، حسبها وجودا (٧)

-
- (١) تصيد : تصيد - والعورة : موضع الضعف وما اختفى - والفتيان :
الرجال - وتصيدهم تجذبههم وتخضعهم - وتشنا : تنكره وتأنى - أن تصيدا
يعنى تصيدهم عن غير عمد
- (٢) صادت : ملكت - وأبدت : كشفت - أسبلا : وجهاً أسبلا
والاسبيل الطويل ، - والصلت ، الطويل أيضا - والجيد ، العنق
- (٣) معاقد اللبات : الاعناق والرقاب - والشرف : الاقراط وما تدلى
من العقد - القلائد : العقد المزدوج
- (٤) تضنن ، تبخل - لديها عندها - وتقلب وصل الخ ، تتجاهله وتنكره
- ونائلها : مواصلها والمعنى أنها تزعم أنها لم تصله قبل اليوم
- (٥) ما يوافقني ، لا يعجبني - والحليل ، الصديق - والكنود ، الجحود
- (٦) أقول بغير نخر إن الناس يعدون أنا إذا لم تنحر جزوراً توجد رأكيدة
فلا أقل من أن نخرج الشتوات وحسبها وجودا منصوران على أنها مفعول لاجله
- (٧) والشتوات ، طعام الشتاء مما يصنع من البر ولحم الغنم والشيء - إذا
ما استحكمت الخ إذا حصل ضيق - وذلك حفظاً لمزالتنا - والجود بالموجود
ليس بخلا

قدور تفرق الأوصال فيها نخضيب لونها : بيضاً وسوداً (١)
 متى ما تأت يثرب أو تزرها تيجدنا نحن أكرمها وجوداً (٢)
 وأغلظها على الأعداء ركنا وألينها لباغى الخير عوداً (٣)
 وأخطبها إذا اجتمعوا لأمر واقصدها وأوقاها عموداً (٤)
 إذا ندعى لأر أو لجار فتحن الاكثرون بها عديداً (٥)
 متى ما تدع في جشم بن عوف تيجدنى لا أغم ولا وحييداً (٦)
 وحولى جمع ساعدة بن عمرو وتيم اللات قد لبسوا الحديداً (٧)
 زعمتم أنما نلتم ملوكاً ونزعم أنما نلنا عبيداً (٨)

(١) قدور : آنية طهى الطعام - تفرق الأوصال : عميقة فيها طعام كثير -
 والنخضيب : متعددة الألوان - بيضاً وسوداً : حال ووصف للقدور
 (٢) يثرب : المدينة المنورة هي ساكنها أفضل الصلاة والسلام - أو تزرها وفي
 رواية أو تردها

(٣) أغلظها : أشدها وأقواها - وألينها : أسهلها - لباغى الخير : لطالب
 الجود والاحسان ، والمعنى أنهم مهاجون مرجون .
 (٤) أخطبها : أفصحها لساناً ، وأرشدناها رأياً - واقصدها : أكثرها تصاداً
 (٥) ندعى : ننادى - لأر أو لجار : للحرب أخذاً للثأر ، أو لإغاثة للجار -
 ليينا الدعوة بفرسان لاعداد لهم وبها : ييثررب

(٦) تدع . تنادى وتنشدنى - وجشم بن عوف : قبيلة الشاعر - لا أغم :
 لست مجهولاً - ووحيد : لا أخ له ولا نفر

(٧) بل تيجدنى كثير النفر كبير الشهرة لأن أنصار آل ساعدة بن عمرو ، وهم
 هم في الحرب والسلم - وتيم اللات : عبدها ، وهو إسم قبيلة - لبسوا الحديد
 تقلدوا السلاح وأدرعوا الدروع

(٨) زعمتم : ادعيتهم - أنما : أنى الذى - نلتم . ملكتم . ملوكاً . أقبالا
 وشجعاناً - ونحن يدورنا لا ندعى دعواكم ، بل نقول إن أسراننا من العبيد

وما نبئ من الأخلاف وثرا وقد نلنا المسود والمسودا (١)
وكان نساؤكم في كل دار يمرشن المعاصم والخدودا (٢)
تركنا جمجمي كبنات نفع وغوغا في مجالسها قعودا (٣)
ورهمط أبي أمية قد أبجنا وأوس الله أتبعنا ثودا (٤)

٢ - كعب بن مالك

من شعراء المدينة من بني سلمة . نشأ بها وأسلم بعد الهجرة ودافع عن الرسول بشعره ولسانه فحمده وأثنى عليه . وكان أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك فتاب الله عليهم كما قص في سورة براءة

وكان شاعرا مجيدا . قال يوم أحد من قصيدة .

لجئنا إلى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آلاف ونحن نصية ثلاث مئين إن كثرنا أو أربع
فراحوا سراعا مرجعين كأنهم جهام هراقت ماء الريح مقلع
ورحنا وأخوانا بطاء كأننا أسود على لحم بيشته ظلع

(١) نبئ . نريد - والأخلاف . الأحزاب المتحالفون - والوتر . الانتقام وفي الأساس أن الوتر والوترية . التواني - وقد نلنا الخ . ملئنا ناصية الجميع
(٢) وكان نساؤكم سبائيا مأسورات يقاسين الذل والفاقة عليهن ثياب بالية قدرة أجتامهن ، وهذه أوصاف الأسرى ، وقيل يتخذن ملهاة - من المهارشة وهي المداعبة قال في الأساس . اتهارشت الكلاب واهترشت : هارش بعضها بعضا وهارشت يذنها مهارشة وهراشا ، وهما كلبا هراش ، وقيل . هرش الزمان اشتد وقسى ، والهرش المحنة والذل
(٣) جمجمي . قبيلة هزما الشاعر وقومه - وبنات فقع : مثل يضرب في الذلة عند العرب - والغوغاء : الطبقة لدنيا من الناس - وأوس قبيلة بيثرب - اتبعنا ثودا أبديناهم حتى أمسو في الغابرين .

وقال كعب في أيام الخندق .

من سره ضرب يرعبل بعضه
بعضاً كعمعة الأباء المحرق
فلبأت مأسدة آسن سيوفها
بين المزاد وبين جزع الخندق
وقال بعد ذلك في كلمة أيضاً .

قضيها من تهامة كل وتر
وخير ثم أغمدنا السيفوا
نخبرها ولو نطقت لقات
قواطهن دوسا أو ثقينا
فلست بحاضن إن لم تروها
بساحة داركم منا الوفا
فنتزع العروش ببطن وج
وتترك داركم منا خلوفنا
ونهدم ما بنات اللات منكم
ونسلبها القلائد والشنوقا

٣- كعب بن زهير

المتوفى عام ٢٤ هـ

وهو كعب بن زهير بن أبي سلمى أحد فحول المخضرمين ، وصاحب «بانة»
سعاد ، الجيدة المشهورة

ومن شعراء الرسول صلى الله عليه

أسرته شاعرة فهو ابن زهير صاحب المعلاة . قال الشعر في حدائثه ، فكان
والده ينهيه عنه مخافة أن يقول مالا خير فيه فيروى عنه ، فيلزمه عاره الدهر فلم
ينته ، فلما آذاه فلم يرتدع ، فامتنحنه امتحاناً شديداً ، فكان يقول على البديهة
ما يحب زهير ، فأجازه له فضى ونبغ فيه حتى كان من فحول عصره

ولما ظهر الإسلام ذهب أخوه بجير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم
فغضب كعب لإسلامه ، ونهاه عن الإسلام وهجاء وهجا رسول الله وأصحابه ،
فتوعده النبي صلى الله عليه وسلم ، وأهدر دمه ، فحذره أخوه العاقبة إلا أن يجي
إلى النبي مسلماً تائباً ، فقام كعب يتراعى على القبائل أن تجيره فلم يجره أحد ،
وأرجف الناس أنه مقتول لا محالة . فلما ضاقت الأرض في وجهه ؛ جاء أبا بكر
رضي الله عنه بالمدينة وتوسل به إلى الرسول ، وعاد به وآمن ، وأنشد
قصيدته المشهورة يمدح به رسول الله وهي من جيد شعره ، ومطلعا :

بانة (١) سعاد فقلبي اليوم متبول (٢) متيم (٣) إثرها لم يفد مكبول (٤)
فخلع عايه النبي برده فبقيت في أهل بيته ، حتى باعوها لمعاوية بعشرين ألف
درهم ، وبيعت للنصور العباسي بأربعين ألفاً
وكان كعب من الشعراء المجيدين المشهورين بالسبق وعلو السكب في الشعر ،
وكان خلف الأحمر أحد علماء الشعر يقول : لولا قصائد لزهير ما فضلت
على ابنه كعب ، وكفاه فصلاً أن الخطيئة مع ذائع شهرته رجاء أن ينوه به
في شعره فقال :

فن للقوافي شأنها من يحوكها (٥) إذا ما منى كعب وفوز جرول (٦)
وكان يكثر من غريب الألفاظ على جودة في الوصف ، وسهولة في العبارة
في بعض المواضع ، وصعوبة في بعضها الآخر .
ومن شعره قوله في قصيدته بانة سعاد :

وقال كل خليل كنت آله لا أهينك اني عنك دشغول
فقلت خلوا سبيلي لا أبالكم ، فسكل ماقدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وان طالت سلامته يوما على آلة حدباء (٧) محمول
أنبتت أن رسول الله أرعدني والعمو عند رسول الله مأمول
ملاهداك الذي أعطاك نافلة (٨) ال قرمان فيهما مواعيط وتفصيل
لاناخذني باقوال الوشاة ولم أذهب وقد كثرت في الأفاويل
ومن قوله أيضا :

(١) فارقت (٢) تبلة الحب أسقمه وأضناه

(٣) معبد ومذل (٤) مقيد

(٥) شان ضد زان ، وحاك الثوب نسجه ، والقصيد نظمها

(٦) فوزمات ، وجرول اسم الخطيئة الشاعر

(٧) بريد النعش ، وقيل الآلة ، والحدباء العصابة الشديدة

(٨) كل عطية تبرع بها معطيها

ان كنت لا ترهب ذمي لما تعرف من صمعي عن الجاهل
فاخشسك كوقى إذ أنا منصت فيك لمسدوح خنا (١) القائل
فالسامع الذم شريك له ومطعم الماكول كالاكل
مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

٤ — الخنساء الشاعرة

المتوفاة عام ٢٤ هـ

هي تماضر الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلية الشاعرة المشهورة . نشأت
وحاشت بين قومها بنى سليم ، وسليم قبيلة عربية قوية من قبائل البدو وهي من أهم
قبائل قيس ، وقيس أشهر مضر على الإطلاق . عرفت سليم بكثرة غزوها من
حولها من القبائل وخصوصاً غطفان ثم عرفت بعد الهجرة بمناة الرسول أيام
إقامته في المدينة ، ولكنها ما لبثت أن وفد عليه معلنة إسلامها مؤيدة لإيمانها بدفاع
مجيد عن الرسول ورسالة في غزوة حنين المشهورة . وليس من العسير تصور
معيشة قبيلة بدوية قبيلى الاسلام لخال بدو العرب لم تتغير كثيراً على مدى الايام
والاعوام ولكنها بدو سليم لم تكن خالصة وإنما كان يشوبها القليل من الحضارة
فقرها من مكة يسرها الاتصال بها ويسرها شهود موسم الحج كل عام وما يتبع
موسم الحج من أسواق تجارية واجتماعيه وأدبية ، ثم قربها من المدينة يسرها الاتصال
بها وبمدينتها وأخيراً وقوعها بالقرب أو على الطريق التجارية بين مكة والشام
يسرها الاتصال التجارى وما يتبعه من اتصال اجتماعى . كل هذا كان ولا شك له
أثر فى خلط بدو تلك القبيلة بشيء من الحضارة مهما يكن يسيراً

ولم تكن أسرة عمرو بن الشريد ابى تماضر أو الخنساء أسرة ضعيفة الشأن بين بنى سليم، فنحن نعلم أن العرب ما اعتدت برجال في حياتها الاجتماعية قدر ما اعتدت بفرسانها، ولقد كان صخر ومعاوية ابنا الشريد أشهر فرسان بنى سليم، بل من أشهر فرسان مضر. ويروى الرواة أن أباهما عمرو بن الشريد، كان يأخذ بيد ولديه في موسم الحج ويقول: أنا أبر خيرى مضر، فمن أنكر فليغير، فلا يغير عليه أحد وكان يقول من أتى بهما أخوين فله حكمه فتقر له العرب بذلك.

هذه قبيلة الخنساء وتلك أسرتهما .. أحبها دريد بن الصمة فارس جشم وشاعرها المشهور، قالوا إن دريدا رآها يوما وهي تنال الأبل فهويها وقال في هواه هذا شعرا منه .

حيوا تماضر وأربعوا حسبي وقنوا فان وقوفكم حسبي
أخناس قد هام الفؤاد بكم واعناده دام من الحب

ثم خطبها دريد إلى أبيها فقال له أبوها، ولكن هذه المرأة في نفسها ما ليس غيرها وأنا ذا كرك لها وهي فاعلة، ثم دخل إليها وقال يا خنساء أنك فارس هوازن وسيد جشم دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين، قالت يا ابت أنزاني تاركة بنى عمى مثل عوالى الرماح ومتوجة شيخ بنى جشم هامة اليوم أو غد، وكان دريد يسميها فلما خرج إليه أبوها وقال له أنها امتنعت وقد تجيب انصرف دريد وهو متيقن من رفضها، ولقد صعب هذا الرفض على دريد فهجاها بشعر يقول فيه:

وتزعم انى شيخ كبير وهل خبرتها انى ابن خمس
فلما بانوها هجم دريد وقالوا لها ألا تجيبينه قالت لا أجمع عليه أن
أرده وأن أهجره .

قتل شقيقهما معاوية ثم أخوها لأبيها صخر. وكان قتل معاوية في يوم حورة الأول أما يوم حورة الثانى فقد أثاره صخر للاخذ بثأر أخيه. وفي يوم ذات الأئيل طعن صخر طعنه أمهاته عاما وتوفى في آخره. وكانت الخنساء تقول المقطعات

الصغيرة فلما قتل أخوها جزع. عليهما جزعاً شديداً وبكتهما بكاء مراراً، وكان أشد وجدهما على صخر، لأنه شاطرهما هي وزوجها أمواله مراراً، فهاج حزنهما الشعر في نفسها، فقالت المرأتى المطولات، وفاقت النساء والرجال فيها وأطالت عليهما البكاء العويل حتى تقرحت مآقيهما، وحتى ضرب بها المثل في الحزن والبكاء وكثرة الرثاء .

ولعل أصدق صورة وأقواها لبر صخرهما تلك التي رسمتها هي لعائشة أم المؤمنين . قالوا أقبلت الخنساء الى المدينة حاجة نأمت عائشة أم المؤمنين وعليها صدر من شعر وهي حليقة الرأس تدب من الكبر على العصا ، وبعد أن ناقشتها عائشة في لبس الصدر ، قالت لها : ما دعائك الى هذا إلا صنائع من جميله ، قالت نعم إن لشعاري سبباً وذلك أن زوجي كان رجلاً من لا فإلا للأموان يقامر بالسداح فأتلف فيها ماله حتى بقينا على غير شيء ، فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتي أخى صخرًا فأله ، نأيتيه وشكوت اليه حالنا فشاها في ماله ، فانطلق زوجي فقامر به ففقر حتى لم يبق لنا شيء فعدت إليه في العام المقبل أشكو إليه حالنا فعدادى بمثل ذلك فأتلفه زوجي ، فلما كان في الثالث أو الرابع خلت بصخر امرأته فعدت به ثم قالت إن ز. جها مقامر وهذا ما لا يقوم له شيء فإن كان لا بد من صلته فاعطها أخس مالك فإما هو متلف والخيار فيه والشرار سيان فانشأ يقول لامرأته :

والله لا أمنعها خي - اردا وهي حصان قد كفتني عارها

ولو هلكت قددت خمارها واتخذت من شعر صدارها

ثم شطر ماله فاعطاني أفصل شطرين ، فلما ملك اتخذت هذا الصدر ، والله لا أخلف ظنه ولا أكذب قوله ما حبيت .

صبغت حياة الخنساء بصبغة سوداء قائمة وباتت تعرف بجميد رثائها وعميق حزنها الذي لم تمنعه السنين شدر تفرج به عن نفسها وعزاء تلقاه من كل من يلقاها ويسمها صغيرا كان أم كبيراً حقيراً كان أم عظيماً .

أصبحت الخنساء تشهد موسم الحج وقد سومت هودجها تشدد شعرها في رثاء

أخويها وأبيها وتعاضلهم العرب بمصيبتها بل تعاضلهم العرب بمصيدها شعرياً في الرثاء .
لم تزل الخنساء وحدها تعاضلهم العرب بمصيبتها حتى أتتها هند بنت عتبة بن
ربيعة تهرن جملها إليها وقد سومت هودجها هي أيضاً تعاضلهم العرب بمصيبتها في
في شهداء بدر أبيها وعمها وأخيها . وفي هذا الموسم أنشدت كل منهما شعراً في
مصيبتها وأنشدت الخنساء قصيدتها .

من حسن لي الأخيرين كالغصنين أو من رأهما
أخوين كالصقورين لم ير ناظر شروهما
وبينا كانت الخنساء تندب أخويها كانت رسالة النبي تنتشر ويشيع نورها على
الحجاز وما جاوره .

وما لبثت أن توافدت إليه الوفود معلنة إسلامها . وكان بين هذه الوفود
وفد بني سليم وفيهم الخنساء وأنشدت النبي شعرها فاعجب به وكان يستزيدها ويقول
لها هيه يا خنساء .

وقالوا قدم عدى بن هاشم على رسول الله وقال له أن فينا أشعر الناس
وأفرضهم وأستخام أما أمناهم فحاتم بن سعد وأما أفرسهم فعمرو بن معدى
كرب قال الرسول ليس كما قلت يا عدى فان اشعر الناس الخنساء بنت عمرو .
أسامت الخنساء مع قومه ولكن الإسلام لم ينسها مصيبتها فكان الحاج
لا يستعرب منظر امرأة حليمة الرأس لابسة الصدار تندب على عصا من السكر
وقد قرح البكاء عينيها حتى عميت تطوف في مكة والمدينة منشدة .

باعين جودى بالدموع المستهلل السوافح
فيضاً كما فاض الغروب المترغات من النواضح
ان البكاء هو الشفاء من الجوى بين الجوانح

منها عائشة أم المؤمنين عن أمس الصدار ونهاها عمر بن الخطاب عن حزنها
ولكن حزنها صمد لكل شيء ولم يضعف . وقالوا أقبلت الخنساء حاجة
فرت بالمدينة ومعها ناس من قومها فأتوا عمر بن الخطاب فقالوا هذه الخنساء
نزلت المدينة بزى الجاهلية نلو وعظمتها يا أمير المؤمنين فلقد طال بكأؤها في

الجاهلية والاسلام فقام عمر فاتاهما فقال : ياخنساء فرفعت رأسها وقالت :
ما تشاء ، قال ما الذى قرح عينيك ، قالت البكاء على السادات من مضر قال إنهم
هلكوا فى الجاهلية وهم أعضاء اللهب وح؛ و جهنم . قالت فذاك الذى زادنى وجعاً ،
قال فأنشدنبنى مما قلت قالت أما إنى لا أنشدك بما قلت اليوم ، ولكن أنشدك بما
قلت الساعة ، فقالت :

سقى جدنا أكاف غمرة دونه من الغيث ديمات الربيع ووابله
فقال عمر دعوها فانها لا تزال حزينه أبداً .

واشترك بنوها الأربعة فى معركة القادسية، فكان كلامها يزيدهم نشاطا واستهتارا
بالموت : يا بنى إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين . يقول الله عز وجل :
يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، فاذا
رأيتهم الحرب قد شميت عن ساقها واضطربت لظى على سباقها وجلت نارها على
أرواقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تطفرو بالمغنم
والكرامة فى دار الخلود والمقامة .

قتل بنوها الأربعة فى حيب القادسية وكلنا نعلم كيف تلقت خبر موت بنينا
بقلب عامر بالإيمان قوى بالقيادة الراسخة التى تستمر بأجل شئ فى سبيلها ، قالت
لما نعوهم إليها : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى
مستقر رحمته .

الخنساء لدى عائشة أم المؤمنين :

دخلت (١) الخنساء على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وعليها صدر (٢) من شعر ، قد استشعرته إلى جلدتها ؛ فقالت لها : ما هذا يا خنساء ؟ فوالله لقد توفي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فما لبسته !
قالت : إن له معنى دعاني إلى لباسه ؛ وذلك أن أبى زوجى سيد قومى ، وكان رجلا متلافا ، فأسرف فى ماله ، حتى أنفده ، ثم رجع فى مالى ، فأنفده أيضا .

ثم التفت إلى فقال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صنخر ، فأتينا ، فقسم ماله شطرين (٣) ، ثم خيرنا فى أحسن الشطرين ، فرجعنا من عنده على حال حسنة ؛ فلم يزل زوجى حتى أذهب جميعه .

ثم التفت إلى ، فقال : إلى أين يا خنساء ، قلت : إلى أخى صنخر ، فرحلنا إليه ، فقسم ماله ، وخيرنا فى أفضل الشطرين .

فقالت له زوجته : ألا ترضى أن تشاطرهم مالك حتى تخيرهم بين الشطرين ، فقال :

والله لا أمنحها شرارها فلو ملكت قددت (٤) خنارها

واتخذت من شعر صدرها

فآليت ألا يفارق الصدر جسدى ما بقيت !

(١) العقد ص ٢٢ ج ١ ، سرح العيون ص ٢٩٩
(٢) الصدر : ثوب رأسه كالمقنعة ، وأسفله يغشى الصدر والمنكبين ، وكانت المرأة إذا فقدت حميمها فأحدثت عليه ليست صدراراً من صوف
(٣) شطر الشيء : نصفه
(٤) قددت : قدت

الخنساء تعظم بمصائبها :

لما^(١) كانت وقعة بدر ، قتل فيها عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد ابن عتبة ، فأقبلت هند بنت عتبة ترثهم ، وبلغها آ. ويم^(٢) الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم ، وقد سومت هودجها برأية ، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبة ؛ وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك .

فلما أصيبت هند^(٣) بما أصيبت به وبلغها ذلك ، قالت : أنا أعظم من الخنساء مصيبة ، وأمرت بهودجها فسوم برأية ، وشهدت الموسم بمعكاظ — وكانت سوقا يجتمع فيها العرب فقالت : اقرنوا جملي بحمل الخنساء ، ففعلوا ؛ فلما أن دنت منها ، قالت لها الخنساء : من أنت يا أختي ؟ قالت ، أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني أنك تعاطمين العرب بمصيبتك ، فبم تعاطفينهم ؟ فقالت الخنساء بعمر بن الشريد ، وصخر ومعاوية ابني عمرو ، وبم تعاطمينهم أنت ؟ قالت ، بابي عتبة بن ربيعة ، وعمي شيبة بن ربيعة ، وأخي الوليد ؛ قالت الخنساء ، أو سواء هم عندك ؟ ثم أنشدت تقول .

أبسكى أبي عمراً بعين غزيرة قابيل إذا نام الخليل هجودها
وصنوي لا أنسى معارية الذي له من سراة الحرتين^(٤) وفودها
وصخرأ ، ومن ذا مثل صخر إذغدا بساهمة الآطال^(٥) قبا يقودها

(١) الأغانى ص ٢١٠ ج ٤ ، معاهد التنصيص ص ١١٧

(٢) سوم الشيء ، جعل له سومة وعلامة يعرف ويتبين

(٣) هي هند بنت عتبة زوج أبي سفيان وأم معاوية .

(٤) الحرة : الأرض ذات الحجارة السود والمراد حرة بني سليم ، وحرة بني هلال بالحجاز . أي هو مقصد الأشراف تأنيه وفودها فيما يلم بها .

(٥) الساهمة : الدققة ، والآطال : جمع إطل وهو الخاصرة ، والقب : جمع

أقب ، وهي الفرس الدقيقة الخصر ، الضامرة البطن .

فذلك يا هند الرزقة فاعلى
فقلت هند تحبها :
أبكي عميد الأبطحين (١) كلمها
وحاميهما من كل باغ يريدنا
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلى
وشبية والحامى الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب
وفي العز منها حين ينعى عديدها (٢)
ثم قالت :

من حس لى الأخوين كالمغصنين أو من راهما (٣)
قرمان لا يتظالما ن ولا يرام حاهما
ويلى على الأخوين والى قبر الذى وارهما
لا مثل كفى فى الكهو ل ولا فتى كفتاهما
أسدان لا يتدللا ن ولا يرام حاهما
رحمين خطيين فى كسب السماء سناهما
ما خلفنا إذ ودعا فى سودد شرواهما (٤)
سادا بغير تكلف عفواً يفيض ندهما

ومن رثاء الخنساء :

أعبنى هلا تبكيان على صخر
بدمع خثيث لا بكى ولا نزر
فتستفرغان الدمع أو تذر يانه
على ذى الندى والباع والسيد الغمر
فالسكا عن ذى اليمين فابسكيا
عليه من الباكى المسلب من صبر

(١) الأبطحان : تريد بطحاء مكة وسهل تهامة .

(٢) عديدها : جموعها

(٣) راهما . أصله رآهما .

(٤) شرواهما : مثلها .

كأن لم يقل اهلا لطالب حاجة بوجه بشير الامر منشرح الصدر
ولم يند في خييل مجنبة القنا ليروى أطراف الردينية السمير
فشان المنايا اذ احابك ربها لتغدو على الفتيان بعدك أو تسرى

فن يضمن المعروف في صلب ماله

ضمانك أو يقرى الضيوف كما تقرى

ومبثوثة مثل الجراد وزعتها لها زجل يملا القوب من الذعر
صحبتهم بالخيل تردى كأنها جراد زفته ريح نجد الى البحر
وقاله والنعش يسبق خطورها لتدركه يالهف نفسى على صخر
ألائسك أم الذين غدوا به الى القبر ماذ يحملون الى القبر
وماذا ثوى في اللحد تحت ترابه من الخير يا رؤس الحوادث والدهر

* * *

ولها ثرى صخرا :

يالهدف نفسى على صخر وقد فرغت خيل الخيل وأقران لاقران
سمح اذا يسر الاقوام أقدمهم طلق اليدين وهوب غير منان
حلا حل (١) ماجد محض ضريبته مجذامة (٢) لهواه غير مبطان (٣)
سمح سمجته جزل عطيته وللأمانة راع غير خوان
نعم الفتى أنت يوم الروع قد عدوا كفه اذا التف فرسان بفرسان
سمح الخلائق محمود شمائله على البناء اذا ما قصر الباني
ماوى الارامل والايتام ان سغروا شهاد أنجية مطعام ضيفان
حلف الندى وعقيد المجيد أى فتى

كالهيت فى الحرب لا تكس ولا وان (٤)

* * *

(٢) عاص

(٤) فاتر

(١) كريم

(٣) عظيم البطن

وقالت :

أيا عين مالك لا تهجمينا
لصخر بن عمرو فجعلنا به
رزينا أخوا المجيد والمكرمات
فيا صخر لا يبعدنك المليك
وعظم الشجا في قلوب الهدا
رقيع العماد يقوق الرجال
ينخل الخطار ليوم الفخار
ويلى السيوف ويقرى الضيوف
فيالك من نكبة الحقت
رمتنا فلم يخطنا سهمها
بصخر بن عمرو بمجولة
فيا أرض ماذا رعيت الندى
تعين من السودد المشتري
فلوان حيا بكته البلاد
ولكننى سوف أبكى عليك
فبىكى أخاك لآلته
وتذكر أيامك الصالحات
سقى الله قبرك صوب الغمام
فدمم الفقى فى زمان الهياج
ودارت رحا القوم تحت السيوف
وقرن يرى الموت منه الرجال
كرسيم المشاهد يوم الحماظ
حلمت عليه فغادرته
وأنت على معرب قارج

وتبكين اذحل ماتسرهينا
فجأت رزيته اذ رزينا
فاصبح فى العصبة الساكثينا
فقد كتب ركنا وحصنا حصينا
واضلا اذا جارك السائلونا
ويجرى فيسبق سبقا مينا
ويحمى الزمار ويعطى المئينا
اذا الطارق أمسى عزبا ثمينا
أمرت معيشتنا ما حيينا
كذلك الحوادث حيننا شينا
من الارض قد ضمنته رهينا
بصخر بن عمرو وفى من تعينا
وابن المكرم لو تعلمينا
لبكينه ثم حنت حنيننا
ومثل فراقك أبكى العيوننا
اذا المجد ضيعة السايسوننا
وما كنت تأقى الينا دفيننا
فروى القلب وروى الجنينا
اذا مال الزماح بجمع رويننا
وكانوا هنالك لا يثنوننا
يقارع عن نفس المخطريننا
إذا ما النساء أرنت رزيننا
صريعنا وعفرت منه الجييننا
كان به حين يردى جنوننا

وفتيه - ان صدق على شذب
فولوا ش - لالا والفينهم
فسوف ابكيك يا ابن الشريد
لدا وجهون وجهها هوننا
ليستون نهجا وجونا حوننا
واسهر عيني مع الساهرينا

• • •

ولها :

يؤرقني التذكر حين أمسى
على صخر وأى فنى كصخر
وللخصم الالذ إذا تعدى
فلم اسمع به رزما لجن
أشد على صروف الدهر أيدا
وضيف طارق أو مستجير
فاكرمه وامنه فامسى
وأكرم عند ضر الناس جهدا
ألا يا صخر لا أنساك حتى
فقد ودعت يوم فراق صخر
فيا ليني عليه ولهف أمى
يذكرنى طلوع الشمس صخرا
ولولا كثرة الباكين حولى
ولكن لا أزال أرى عجولا
ما كلنا هما تيكى أخاها
وما يسكون مثل أخى ولكن

فأصبح قد بليت بفرط نكس
ليوم كريمة وطعان حلس
ليأخذ حق مظلوم بقنس
ولم أسمع به رزما لانس
وأفصل فى الخطوب بغير لبس
يروع قلبه من كل جرس
خليا باله من كل بؤس
لجاد أو لجار أو لعرس
أفارق مهجتي ويشق رمسى
أبى حسسان لذائق وأنسى
أيصبح فى الضريح وفيه يمسى
واذكره بكل مغيب شمس
على اخوانهم لقتلت نفسى
وباكية تنوح ليوم نحس
عشية رزته أو غب أمسى
أعزى النفس عنه بالناسى

* * *

ومن قولها في صخر أيضا :

أمن جدت الأيام عينك تمهل تبكي على صخر وفي الدهر مذهل (١)
ألا من لعين لا تجف دموعها إذا قلت أفنت تستهل فتحفل (٢)
على ماجد ضخيم الدسيعة بارع له سورة في قومه ماتحول (٣)
فما بلغت كيف أمرى متاورلا من المجد إلا والذي نلت أطول
ولا بلغ المهدون للناس مدحة وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضل
ومن أجل البيتين الأخيرين فضلها معاوية بمحضر الأخطل ، وأقرها
الأخطل بالفضل .

∴

ومن قولها : وقد تسابق أبوها وأخوها فسبق أبوها ، فقيل لها : لن مدحت
أباك لقد هجوب أحاك ، فقالت : وتخاصمت من الموقف أحسن تخاصم يجعل سبق
أبيها ليس عن عجز أخيرا ، ولكنه اعتراف بحقه وتسليم لكبر سنه .
جارى أبا ، فاقبلا وهما يتعاوران ملاءة الحضر (٤)
حتى إذا نزت القلوب وقد لزت هناك العذر بالعدر (٥)

(١) هملت العين (كضرب) كثير نزول دمعها . المذهل : هنا مصدر ميمي :
أى الذهول ، والمعنى إن الدهر في ذهول عنك لا يهيمه أمرك ولا يردلك
بالبكاء فانتا .

(٢) استهل المطر . بدأ نزوله . حفلت السماء (كضرب) كثير مطرها .

(٣) الدسيعة . الجفنة . أو المائدة الكريمة . برع . تم في كل فضل وكال .

(٤) الحضر والإحضار : السرعة .

(٥) نزت : تحركت واضطربت . لزه به . ألصقه به . العذر بسكون الذال :

الشعر الذى على كاهل الفرس . أو أصلها العذر بضمثين جمع عذار وهو جانب
اللحية أو ما وقع عليه من اللجام .

وعلا هتاف الناس أيهما
برزت صحيفة وجه والده
أولى فأولى أن يساويه
وهما وقد برزا كأنهما

وقيل للخنساء : صف لنا اخويك صخرًا ومعاوية فقالت . كان صخر والله الجنة
الزمان الا غبر وذعاف الخيس الاحمر وكان والله معاوية التماثل الفاعل، قيل لها .
فأيها كان أسنى وأغرق قالت اما صخر لخر الشتاء وأما معاوية فبرد الهواء قيل
لها : فأيهما أوجسح وألجع قالت : اما صخر لجمر السكبد وأما معاوية فسقام
الجسد وانثأت .

اسدان مخرًا المخالب نجدة
فران في النادي رفيما سحتد
وقالت الخنساء ترثي أباها :

فدى بعينك أم بالعين عوار
كأن دمي من ذكرى اذا خطرت
فالمين تسكى على صخر وحق لها
بكاء والهة ضلت أليفتها
ترعى اذا نسيت حتى اذا ذكرت
وان صخرًا لتأتم الهداة به
سأى الحقيقة محمود الخليفة هو
وقالت أيضا :

اعيني جودا ولا تجمدا
الاتكيبان لصخر الندى

(١) الغلواء : الغلوة .

(٢) الكبر : الشرف والعظمة .

ألا تبكيان الجرى الجواد ألا تبكيان الفتى السيداً
طويل النجاد رفيع العبا د ساد عشيرته امردا
يحمه القوم ما غلهم وإن كان أصغرهم مولدا
جموع الضيوف الى بابه يرى أفضل الكسب أن يحمدا

وبما رثك به أخاها معاوية قولاً من قصيدة .

ألا ما لعينك أم ما لها لقد أخضل الدمع سر بالها
أبعد ابن عمرو من آل الشري د حلت به الأرض أفتالها
وأقسمت آسى على هالك وأسأل نائحة مالها
لتجري المنية بعد الفتى ال منقاد بالمحو أذلالها (١)
سأحمل نفسي على خطة فاما عليها ، وإما لها
نهين النفوس وهون النفو س يوم الكريمة أبتى لها
فان تك مرة أودت به فقد كان يكثر تفتالها
فزال الكواكب من فقهه وجلت الشمس أجلاها (٢)

وقولها من قصيدة ترثى بها أخاها سخرأ .

بكت عيني وعاودها قذاها بعوار فما تقضى كراها
على صخر وأى فتى كصخر إذا ما الذاب لم ترأم طلاها
لئن جرعت بنو عمرو عليه لقد رزمت بنو عمرو فتاها

• • •

(١) المغادر بالحو أى المتروك بالموضع المسمى الحو — وأذلالها مجازيها —
تقول لتجري المنية فى مجازيها كما تشاء فما أبالى بما تفعل بعد موت هذا الفتى المقتول
بالحو .

(٢) أجلاها جمع جل أى ستر .

وكثير من النقاد يعجبون بشاعرية الخنساء ويشيدون بها حتى إن جريراً سئل
من أشعر الناس فقال أنا لولا الخنساء . وأغلب النقاد على أنه لم تكن امرأة قبل
الخنساء ولا بعدها أشعر منها ، ومن فضل ليلى الأخيلية عليها لم ينكر أنها أرثى
النساء . وكان بشار يقول لم تقل امرأة شجراً إلا ظهر الضعف فيه ، فقيل له وكذلك
الخنساء ، فقال تلك غلبت الفحول . ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية ، أقل منه
عند شعراء الإسلام فذلك النابتة الذي يأتي يقول لها وقد أنشدته بسوق عكاظ
قصيدتها التي مطلعها :

قذى بعينيك أم بالعين عوار أم ذرفت إذ خذت من أهلها الدار
لولا أن أبا بصير يعني ، الأعشى ، أنشدني قبلك لقات إنك أشعر من بالسوق
ولشعر الخنساء رنين في السمع ، وهزة في القلب ووقع في النفس ، لأنه صادر
عن فؤاد محزون وما خرج من القلب حل في القلب ، وكان فوق ذلك لين اللفظ
سهل الأسلوب حسن الديباجة .

٥ - أبو محجن الثقفي

المتوفى عام ٣٠ هـ

شاعر مخضرم ، نشأ في الطائف وهي مدينة في الجنوب الشرق من مكة تبعد
عنها خمسة وسبعين ميلاً اشتهرت بطيب هوائها وجودة مزارعها وهي مصيف العرب
قال النيرى يصف أخت الحجاج بالنعمة والترف

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

وكانت أشهر القبائل العربية بالطائف ، ثقيف ، قبيلة أبي محجن . وقد أنجبت
ثقيف شعراء مجيدين في الجاهلية والإسلام ومن شعراء الجاهلية الشاعر المتدين
أمية بن أبي الصلت ، وفي العصر الأموي الشاعر الشريف طريح الثقفي ، والشاعر
الحكيم الأجرد الثقفي — واشتهر من أمرائها وساستمها وقادتها الأمير
الحجاج بن يوسف الثقفي ، والقائد الشاب محمد بن القاسم الثقفي فاتح السند ولما
يكتمل العشرين ، والذي قال فيه القائل .

ساس الجيوش لسبع عشر حجة ياقرب ذلك سؤدداً من مولد

كذلك كانت كثرة العنب والزبيب في بلادهم سبباً في شيوع الخمر بينهم
وولوع أهلها بشربها .

وقد كانت الخمر شائعة بين العرب في الجاهلية ، ولكن بين خاصتهم لا بين
عامتهم . يتمدحو بشربها وإتلاف ما لهم في سبيلها .
وكانت الخمر تأتيهم من الشام ومن اليمن ومن الطائف ، وأبو عجمان كان كما يقول
أحمد أمين من هذه الطبقة ، فتي ، غني ، من ثقيف ، من الطائف - شجاع ، كريم
يكثر الشراب ، ويتلف المال ويحفظ بالمرومة ويقول .

لاتسأل الناس عن مالي وكثرته وسائل الناس عن حزمي وعن خلقي
القوم أعلم أني من سرانهم إذا تطيش يد الرديدة الفرق
قد أوكب الهول مسدولاً عساكره واكتم السر فيه ضربة العنق
عف المطالب عما لست نائله وإن ظلمت شديد الحقد والحق
وفد أجود وما مالي بذى فنع (١) وقد أكر وراء الحجر الفرق (٢)

سيكثر المال يوماً بعد قلت ويكتسى العود بهد اليبس بالوزق
ظلت ثقيف على جاهليها لاتذعن لدعوة الإسلام حتى أسلم من حولها ورأت
نفسها بمعزل ، فاضطرت إلى الإسلام في السنة التاسعة للهجرة ، وسمع شاعرنا
بالإسلام وتعاليمه فأسلم مع قومه ولم نسمع عنه في حياة رسول الله وأبي بكر
شيئاً ولكننا نراه اصطدم مع عمر وهو الشديد في الحق لاتأخذه فيه هوادة ،
فعاد شاعرنا يتغزل ويشرب - يرى امرأة من الأنصار تسمى « الشموس »
فيحبها ويحاول رؤيتها بكل حيلة فلا يستطيع ، فيؤجر نفسه ويعمل في حائط يبنى
بجانب منزلها ويطل عليها من كوة البستان ويقول :

واقدم نظرت إلى الشموس ودونها

حرج من الرحمن غير قليل

ويشرب ويقول الشعر في الخمر :

(١) الفنع زيادة المال والمال ذو فنع « كثير »

(٢) الحجر الحارب الذي ألجى إلى الحجر .

إن كانت الخرق قد عزت وقد منعت
وحال من دونها الاسلام والخرج
فقد أباكرها صرفاً وأمرجها

ريا وأطرب أحيساناً وأمتزج
لحده عمر وبلغ ذلك سبع مرات أو ثمانيا، وهو لا يزال على رأيه؛ مصمم على
تفكيره، ماض في عزله وشربه، يئس عمر من علاجه، وضاق به ذرعا، فقرر
أن ينفيه في جزيرة كانت تنفي فيها العرب في الجاهلية خلافاً لـ ١٠، وبعث معه
حرسياً يحافظ عليه حتى لا يهرب، وأوصاه ألا يأخذ سجينه سيقاً معه، وقد
عرف عمر كيف ينتقم، فلم يألم أبو سحجن من شيء ألمه من هذا

تظاهر أبو سحجن بأنه يحمل غرارتين ملئتاً دقيقتاً وعهد إلى سيفه فجعل
نصله في غرارة، وجفنه في غرارة، ودفنها في الدقيق حتى إذا جاوز هو والخرسى
المدينة ولقيا من سفرهما هذا نصيباً جلساً للغداء، فقام شاعرنا يوم أنه يخرج
دقيقتاً، فأخرج سيفه، ووثب على الخرسى، فخرج يمدو على بعيره راجعاً إلى
المدينة، وذهب أبو سحجن إلى حيث يجلس الرجال والفرسان حياة النجدة
والشامة — إلى مواقع الغزوات، إلى أشدها هولاء! وأصعبها مراساً، إلى
القادسية، حيث المواقع الفاصلة، بين سيادة العرب وسيادة الفرس

ولسكن عمر، لم يخف عليه أمره، فعرف أين توجه، فما وصل إلى القادسية
حتى سبقه كتاب عمر يأمر سعد بن أبي وقاص بحبسه، ففعل ذلك وحبسه في
قصره وقيدته، فشى يرسف في قيوده ويستعطف سعداً أن يطلقه فزجره، فذهب
إلى سلى زوج سعد وقال لها :

هل لك إلى خير ؟

قالت : وما ذلك ؟

قال : تخلين عني وأهيريئني البلقاء (فرس سعد) فله على إن سلمني الله أن
أرجع إليك حتى تشعني رجلى في قيدي، فأبى : فقام ثائراً حزيناً، يرى التمثال على
الباب وهو يرسف في القيد، وانطلق لسانه بهذه الأبيات :

كفى حزناً أن تطعن الخيل بالقنا
وأترك مشدوداً على وثاقيا
إذا قبح عناني الحديد وعلقت
مغاليق من دوني تصم المناديا
وقد كنت ذا أهل كثير وإخوة
فقد تركوني واحداً لا أنا ليا
هلم سلاحي لا أبالك أننى
أرى الحرب لا تزدد إلا تباديا
ولله عهد لا أخيس بعده
لئن فرجت ألا أزور الحوانيا (١)

سمعت سلمى هذا الشعر فرثت له ورأت الصدق في قوله فأطلقته ، واقتاد
فرس سعد وخرج إلى موطن القتال وإذا به أمام الناس يقف بين الصفيين
ويحمل على العدو حملات منكرة حتى عجب الناس من قتاله وأمره ، ورأوا
الفرس فرس سعد ، والطاعن لم يشهد الحرب معهم قبل اليوم ، حتى إذا انتصف
الليل وتحاجز العسكران رجع صاحبنا إلى القصر وأعاد رجله في القيد (٢)

فلما أصبح الصباح تحدث الناس به وأخبرت سلمى سعدا بما كان منه فأطلقه
وعاهده ألا يحده أبدا إذا شرب .

وقال لسعد كنت آتف أن أتركها من أجل الحد ، فاما إذ به رجعتي فلا والله
لا أشربها أبدا .
لقد كان بما أخذه عمر عليه قوله :

إذا مت فادفني إلى أصل كرمه تروى عظامي بعد موتي عروقه
ولا تدفني بالفلاة فاني أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

(١) الحوانى جمع حانية وهى الخانوت

(٢) راجع ص ١٥٢ - ١٥٥ من هذا الكتاب

ودخل ابنه على معاوية فقال له أبوك القائل :
إذا مت فادفني إلى جنب كرمة تروى عظامي بعد موتي عروقةها
ولا تدفني بالفسلة فاني أخاف إذا ماتت ألا أذوقسها
فقال : أبن الذي يقول :
لا تسأل الناس عن مالي وكثرته وسائل القوم عن مالي وعن خلقي

٦- أبو ذؤيب الهذلي

المتوفى عام ٢٦ هـ

هو خويلد بن خالد الجاهلي اسلامي أحد المخضرمين أسلم واشتهر بقول الشعر
الفحل الرصين .

خرج مع ابن سعد بن أبي سرح لغزو أفريقيا عام ٢٦ هجرية ثم عاد مع ابن
الزبير إلى مصر فاصيب أبناءه الخمسة فيها بالطمون فأتوا ورثاهم بمريته المشهورة .
ومات أبو ذؤيب في مصر بدمهم عام ٢٦ هـ .
وكانت له مكانة كبيرة في الشعر وأشهر قصائده عينته التي رثى فيها أولاده
الخسة . وهي كما في المفضليات .

أمن المنون وريها تنوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع (١)
قالت أميمة ما لجسمك شاحباً منذ ابتذات ومثلي مالك ينفع (٢)
أم ما لجنيك لا يلائم مضجعاً إلا أقض عليه ذلك المضجع (٣)

(١) المنون . الموت يذكر وبؤنث ، وسمى الموت منونا ؛ لأنه بمن المرء .
أي ينقصه . ريب المنون . ما ياتي به من الفواجع . الاعتاب . فعل ما يرضى العاتب .
(٢) ابتذل الرجل (بالبناء للفاعل) . عمل عمله بنفسه . وقوله . ومثلي مالك
ينفع أي في شراء العبيد وقيامهم بالعمل بذلك .
(٣) أقض عليه المضجع . أي امتلاك قضيا (حصي) والمراد أنه أرق
ولم يهدأ .

فأجبتها أن ما لجسمى أنه أودى بنى فأعقبوني حسرة
بعء الرقاد وعبرة ما تطلع سبقتوا هوى وأعتقوا هواهم
فتخرموا، ولكل جنب مصرع^(٢) فغبرت بمدهم بعيش ناصب
وإخال أنى لاحق مستتبع^(٣) ولقد حرصت بأن أدافع عنهمو
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألقيت كل تيممة لا تنفع
سملت بشوك فهمى عورا تدمع^(٤) فالعين به دم كأن جفرتها
أنى لريب الدهر لا أتضعع وتجلدى للشامتين أريهم
بصفا المشقر كل يوم تفرع^(٥) حتى كأنى للحوادث مروة
أبارض قومك أم بأخرى المضجع لا بد من تلف مقيم فانتظر
ولسوف يولع بالبكا من يفجع ولقد أرى أن البكاء سفاهة

إلى آخر هذه القصيدة الجيدة

وله قصائد كثيرة في الشعر والشعراء لابن قتيبة د ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ طبعة ١٩٣٢ ، وسئل حسان من أشعر الناس فقال هذيل وأشعر هذيل غير مدافع

(١) أن هنا مخففة من الثقيلة ، أى أحببتها أن الذى حصل لجسمى أن أولادى هلكوا . وتركوني .

(٢) أصل هوى هواى (لغة هذيل تقلب ألف المقصور فى هذه الحالة ياء وتدغمها فى ياء المتكلم) أعتقوا . ساروا سيرا فسيحا سريما ، والمراد أنهم ماتوا فى مقتبل المعر فوصلوا إلى الغاية قبل غيرهم . تخرموا . أخذوا واحدا بعدواحد .
(٣) غبرت . بقيت . مستتبع : لاحق ، من قولك ، استتبعنى فلان ، أى جعلنى أتبعه .

(٤) ويرى كأن حدائقها وذلك مناسب لقوله سملت . أى فقتت وعورا مقصور عورا .

(٥) المروة . القطعة من أصلب الحجارة . الصفا . جمع صفاة ، وهى الجر الصلبد الضخم . المشقر . حصن بالبحرين .

أبو ذؤيب . ويقول فيه ابن سلام كان شاعرا فخلا لا غبيرة فيه ولا وهن وجعله
من الطبقة الثالثة مع لييد والجمدى والشماخ

٧ - الحطيئة

المتوفى عام ٥٩ هـ

هو أبو مليكة جرول الحطيئة العيسى الشاعر المشهور نشأ نشأة فقيرة في نجد
خامل النسب قليل الحسب مختلطا عليه أمرأه وأبيه انتسب إلى عيس فنسب إليها
ركان مع ذلك دميما قبيح الخلقة بخيلا يطرد أضيافه ويؤذى جيرانه ويقع في اعراض
الناس ويثلبهم فكانوا يخشون لسانه .

كان الحطيئة تليذ زهير في الشعر وروايته لذلك خرج شعره مصقولا قوى
الديباجة رائع الأسلوب ساحر النيان نظم الألفاظ له نصيب كبير من
الروعة والبلاغة .

وكان الحطيئة من ثلث الشعراء ومتقدمهم وفصحاتهم متصرفا في جميع فنون
الشعر من المديح والهجاء والفخر والنزل مجيدا في ذلك كله أدرك الجاهلية والاسلام
فأسلم ثم ارتد كما يقول صاحب الأغاني . ويقول أبو عبيدة فيه : كان الحطيئة متين
الشعر شرود القافية .

وفد على سعيد بن العاص وهو يعشى الناس بالمدينة ، والناس يخرجون أولا
أولا ، والحطيئة قبيح المنظر ، رث الهيئة ، جالس مع أصحاب سمره ، فذهب الشرط
يقيمونه ، فأبى أن يقوم ، وحانت من سعيد التفاتة ، فقال : دعو الرجل ، فتركوه
وخاضوا في أحاديث العرب وأشعارها مليا ، فقال لهم الحطيئة (١) : والله ما أصبتم
جيد الشعر ، ولا شاعر العرب ، فقال له سعيد : أتعرف من ذلك شيئا ؟ قال :
نعم ، قال : فمن أشعر العرب ؟ قال الذى يقول .

(١) الأغاني ص ١٦٧ ج ١

لا أعد الاقتار عدما ولكن فقد من رزته الاعدام
وأشد القصبة حتى أتى عليها .

فقال له : من يقولها ؟ قال أبو دواد الابدأى ، قال ؛ ثم من ؟

قال الذى يقول :

أفلسح (١) بما شئت فقد يدرك بالسجمل وقد يخدع (٢) الأريب
ثم أنشد ما حتى فرغ منها : قال : ومن يوقها ؟ قال عبيد بن الأبرص ، قال ؛ ثم من ؟
قال : لحسبك نبى عند رغبة أو رهبة إذا رفعت إحدى رجلى على الأخرى ثم
عديت فى إثر القوافى عداء النصيل الصادى ، قال . ومن أنت قال : الحطيئة ،
فرحب به سعيد ، ثم قال : أسأت بكتما لنا نفسك منذ الليلة ، ووصله وكساه .
ومضى لوجهة إلى عتيبة بن النحاس العجلى ، فسأله فقال له : ما أنا على عمل
فأعطيك منه ، ولا فى مالى فضل عن قومي ، قال له : فلا عليك ا وانصرف .
فقال له بعض قومه : لقد عرضتنا ونفسك لاشر ا قال : وكيف ؟ قالوا : هذا
الحطيئة ، وهو هاجينا أخبث هجاء ، فقال : ردوه ، فردوه إليه ، فقال له : لم
كتمتنا نفسك ؟ كأنك كنت تطلب العمل علينا ا اجلس فلك عندنا ما يسرك ، فجلس
فقال له : من أشعر الناس ؟ قال الذى يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره (٣) ومن لا يتقى الشتم يشتم
فقال له عتيبة : إن هذا من مهدمات أفاعيك ، ثم قال لوكيله : اذهب معه
إلى السوق فلا يطلب شيئاً إلا اشترته له فجعل يعرض عليه الخبز ورقيق الثياب

-
- (١) أفلسح من الفلاح وهو البقاء ، أى عس بما شئت من عقل وحق ، فقد
يرزق الأحمق ، ربحرم العافل .
 - (٢) رجل يخدع ؛ خدع مراراً .
 - (٣) يفره يتمه ولا ينقصه

فلا يريد لها ، ويروى إلى السكرابيس (١) والأكسبية الغلاظ ، فيشتهر بها له ، حتى
قضى أربه (٢) ؛ ثم معنى .

فلما جلس عتيبه في نادي قومه أقبل الحليته ، فلما رآه عتيبه قال : هذا مقام
العائد بك يا أبا مليكة من خيرك وشرك ، قال : قد كنت قلت بيتين فاستمعهما ،
ثم أنشأ يقول .

سئلت فلم تبخل ولم تطر طائلا فسيان لا ذم عليك ولا حمد الخ

ومن شعره يهجو الزرقان ، ويفاضل بين بعينين فصيدته التي يقول فيها :
والله ما معشر لا وأمرأ جذا (٣) في آل لاي بن شماس بأكياس (٤)
ما كان ذنب بغيض ، لا أبه لكم ، في بانس جاء يحدو آخر الناس
لقد مرتبكم (٥) لو أن درتكم (٦) يوماً يجي بها مسجى وإبساسي (٧)
وقد مدحتكم عمدا لأرشدكم كجا يكون لكم منجى (٨) وإمراسي (٩)
لما بدا لي منكم عيب أنفسكم ولم يسكن الجراحى فيكم آسى
أزعت ياساً مبيتاً من نوالكم وإن ترى طاردا لاجر كالبس

(١) السكرابيس : ثياب القطن .

(٢) الأرب الحاجة .

(٣) الجذب الغريب

(٤) جمع كيس : اللبيب القطن ، والمراد بالمعشر الزرقان ورهطه .

(٥) سرى الناقة ير بها مسح ضرعها ، والمراد مداراتهم ومدحهم أيدروا

عليه العطاء (٦) الدررة . اللبن .

(٧) الإبساس الناعف بالناقة عند الحلب بأن يقال لها بس يس تسكيناً

لها لتدر

(٨) المتح : نزع الماء من البئر

(٩) الامراس : وضع حبل البئر في البكرة بعد أن انزلت منها .

ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلا ذا ناقة حل في مستور شاسي (١)
 جارا لقوم أطالوا هون منزله وغادروه مقبها بين أرماس (٢)
 ملوا قراه بهرته (٣) كلابهم وجرحوه بأنياب وأضراس
 دع المسكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم (٤) الكاسي
 من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

فاستدعى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب ؛ فرفعه عمر إليه واستشده فأشده ، فقال عمر : ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة ، فقال الزبرقان : أو ما تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس ؟ فقال عمر : على بحسان ، جسي به ، فسأله . فقال . أتراه هجاء ؟ فقال . نعم وسلمح عليه الخبسه عمر ، فقال في الخبس قصائد يستعطف بها عمر ، فلم يلتفت إليه ، حتى قال .

ما ذا تقول لأفراخ بذي مرخ (٥) زغب الحواضل لا ماء ولا شجر
 ألقىت كاسهم هم قعر مظلمة فاغفر ، عليك سلام الله ، يا عمر
 أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقىت إليك مقاليد النبی البشر
 لم يؤثروك بها إذ قدوهك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر (٦)
 فامن على صبية بالرمل مسكهم بين الأباطح تغشاهم بها القرر (٧)
 أهلى فداؤك كم بيني وبينهم من عرض داوية (٨) تعمى بها الخبر

- (١) المستور المكان الوعر ، والشاسي : المكان الغليظ المرتفع .
- (٢) الرمس القبر وجمعه أرماس ، والهون المذلة . أى تركوه كالميت .
- (٣) هرته الكلاب . نبخته ، وهو كناية عن أنه كان غريباً مضطهداً بينهم .
- (٤) الطاعم : المطعوم . والكاسي : المسكسو .
- (٥) ذو مرخ : واد بالحجاز .
- (٦) الأثر : واحدها أثر ، ومعناها الاستئثار والمكرمة .
- (٧) القرر : جمع قرة ، وهى البرد .
- (٨) الداوية : الفلاة الواسعة ؛

ومن شعره :

وفتيان صدق من عدى عليهم
إذا ما دعوا لم يسألوا من دعاهم
وطاروا إلى الجرد العتاق فألجوا
أولئك آباء الغريب وغائة اله
أحلوا حياض الموت فوق جباههم
وكان ابن شبرمه يقول : أنا والله أعلم بحيد الشعر ، ولقد أحسن الخطيئة
حيث يقول في آل شماس قوم بغيض :

الأطرافتنا بعد ما هجروا هند
وإن التي نكبتها عن معانره
أنت آل شماس بن لاي وإسماء
فإن الشقي من تعادى صدورهم
يسوسون أحلاما بعيدا أناتها
أقولوا عليهم لأبا لايسكم
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا النبي
وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها

(١) الصدق : الشدة في القتال . بصرى : مدينة بالشام . صفائح بصرى الدروع
(٢) المناطق : جمع منطقة (بكسر الميم) وهي ما يشد على الوسط
(٣) غائة : جمع غائث . الصريخ : طالب النصرة . المرمل : الفقير . الدرادي
جمع رديق وهو الصبي الفقير .

(٤) حياض الموت معناه الميتة . السوابق : جمع سابق وهو الجواد

(٥) العد . القديم

(٦) الحفيظة . الحمية .

(٧) عقدوا ، أى عقدوا الألوية للحرب ، شدوا : اشتدوا في الحلة .

(٨) الضمير في ككدروها للنعمة المفهومة من أنعموا . والمراد تكديرها

بالمن . رككدوا أى أتعبوا ، المراد اتعبوا المنعم عليه بطلب الشكر

وشعر الحطيئة كان محل إعجاب النقاد والأدباء وروايتهم ومدحهم .
قال أبو صفوان : ما من أحد إلا لو أشاء أن أجد عليه . طعنا في شعره
لوجدته إلا الحطيئة .
وقال أبو حماد : ليس أحد يعد زهيرا شعر من الحطيئة . وقال رجل للحطيئة
من أشعر الناس ؟ فأخرج لسانه كأنه لسان الحية وقال هذا إذا طمع .
والنقاد يعجبون ببنيته « لا يذهب العرف بين الله والناس » ، إعجابا كثيرا .
وقال ابن عباس للحطيئة : من أشعر الناس ؟ قال : لولا الطمع والجشع
لسكنت أشعر الناس .
وكان الحطيئة يقول إنما أنا حسب موضوع . وسئل كثير من أشعر الناس ؟
ففضل الحطيئة .

٨ - حسان

المتوفى عام ٥٤ هـ

تمهيد :

أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي النجاري أشهر
شعراء رسول الله والذي وقف مع الرسول يدافع عن الإسلام والعقيدة دفاها
حارا والمعلم الذي طارت شهرته في كل مكان .
أسرته :

بنو النجار قوم حسان أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أم جده
عبد المطلب منيلا ولذلك لحسان له برسول الله صلة قرابة بعيدة .

وبنو النجار من الخزرج وهي القبيلة العظيمة التي كانت تقيم في المدينة مع
الأوس . وهما من الأزد القحطانيين .

وكان ميلاد ونشأة حسان بالمدينة والمدينة في العصر الجاهلي كانت مجتمعما
صغيرا تسوده الحروب والخلافات الدامية التي كانت تقوم بين الأوس

والخزرج ويذهم وبين اليهود سكان المدينة من قديم والذين وقد عليهم الأوس
والخزرج فأقاموا معهم فيما وغلبهم على أمرهم :

كان بين الأوس والخزرج في الجاهلية عداة شديدة وخصومات كثيرة
وحروب وأيام وكان قيس بن الخطيم شاعر الأوس وحسان شاعر الخزرج فلما
أسلمت القبيلتان وهاجر الرسول الكريم إلى المدينة أُلّف بين قلوبهم وجمع بين
شئتهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا

ميلاد حسان ونشأته :

ولد حسان بالمدينة قبل الهجرة بنحو ١٠ سنة وقبل مولد أبي بنحو ثمان سنين
واشترك مع قومه الخزرج في حروبهم ومفاخرتهم وجاشت نفسه بالشاعرية المتدفقة
فسكان شاعر قومه والمدافع عن أحسابهم ومفاخرهم وأخذ يناضل قيس بن الخطيم
شاعر الأوس وبفاخره بقومه وبجدهم وحصفت شاعرية حسان وطارت شهرته
في الجزيرة العربية ووفد على ملوك الحيرة وبنى غسان يمدحهم وينال جوائزهم
وينافس لحول الشعراء مثل النابغة وغيره في الحظوة عندهم وكان له مكانته المعتزة
في قصورهم .

وكان يؤيد من منزلة حسان في الشعر شرفه وحسبه وبجده التليد ، فقد كان
أبوه ثابت بن المنذر بن حرام من سادة قومه وأشرفهم ، وكان جده المنذر
الحاكم بين الأوس والخزرج يوم سميحة ، وهو يوم من أيامهم
ومن شعر حسان الرائع الجيد في مدح بني جفنة من غسان ملوك
الشام قوله :

يفشون حتى مانر كلابهم

لا يسألون عن السواد المقبل

وستأتي القصيدة

وهكذا عاش حسان في الجاهلية يتكسب بالشعر كالأعشى والنابغة والحطيئة ،
كان حسان يقصد بمدائح بني غسان عاما ويقعد عاما وكان يرجع عنهم

بالجوائر السنية والاموال الطائلة حتى قيل لانهم جعلوا له مرتبا شهريا يصل اليه
وأشدد جبلة بن الايهم آخر ملوك الغسانيين لاميته المشهورة وعنده النابغة ففضلها
جبلة على شعر النابغة

وما زال بنو غسان على برهم بحسان وإيثارهم له حتى وهو في اسلامه وهم في
نصر انيتهم

وكان جبلة يقسم ألا يطيف به ذكر حسان إلا أرسل إليه ولا يمر به غاد أو
رائح إلا ويبعث معه ما يطرف به حسانا . وأرسل له جبلة بعد أن ارتد عن
الاسلام ولحق بقيصر الروم خمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج فقال حسان :

إن ابن جفنة من بقية معشر لم يخذم أباهم بالاسم
لم ينسى بالشام إذ هو ربهما كلا ولا متصرا بالروم
يعطى الجزيل ولا يراه عنده إلا لبعض عطية المذموم

ويرى أن رسولا معاوية وفد على ملك الروم فسأله جبلة عن حسان فأعلمه
أنه قد كبر وعمى فدفع إليه ألف دينار وحللا وقال له إن وجدته حيا فادفعها
إليه وإن وجدته ميتا فانشره على قبره واشتر له إبلا وانحرفا على قبره ، فجاء فوجده
حيا فأخبره بذلك فبكى وقال : وددت أنك جئت ووجدتني ميتا

وكان يشبب في الجاهلية بأمرأة تدعى شخشاء ، وبفتاة من قومه تسمى دهمرة ،
وقد تزوجها حسان ثم طلقها ثم اتبعها نفسه

وهكذا كانت حياة حسان في الجاهلية ترف ولهو ووصف للخمر وشرب
لها وانتجاع للدوك وإشادة بهم ، واشترك في المعارك التي كانت تقوم كشيء
بين قومه الخزرج وبين الأوس وتنويه بمجد قومه وأحسابهم واقتنار بما أكرمهم
وأيامهم في الجاهلية إلى أن بلغ حسان سن الستين

حياته في الاسلام :

دخل حسان في الاسلام بعد الهجرة واطمأن قلبه إلى الدين الجديد ، وأخذ
يدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم بلسانه فاتخذه شاعره وقربه لديه ورفع
مكانته عنده

كان ثلاثة رهط من قريش وهم عبد الله بن الزبيرى وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب وعمرو بن العاصى قبل إسلامهم يهجون رسول الله والأنصار؛ فاستنصر رسول الله الأنصار وندبهم للرد عليهم فأجابه ثلاثة من الأنصار هم : كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وأشعرهم حسان

يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اشتد عليه أذى قريش بالهجاء قال لأصحابه : ما يمنع الذين نصروا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بالسنتهم ؟ فقال حسان : أنا لها ، وضرب بلسانه أرنبة أنفه وقال : والله ما يسرنى به مقول ما بين بصري وصنعا ، والله لو وضعت على صخر لفلقه أو على شعر لفلقه ، فقال له النبي : كيف تهجوم وأنا منهم ؟ قال : أسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين ، فقال : اهجهم وروح القدس معك فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع الحسام فى غبش الظلام ، ثم قال صلى الله عليه وسلم له : إيت أبا بكر فهو أعلم بالقوم فأطلعه أبو بكر على مخازيمهم وما يتهمون به فى نسبهم فهجهم أوجع هجاء عليهم ولم يمس رسول الله من هجائه لهم شئ . ومن هجائه لابن سفيان ويبدو فيه أثر الإلهام والصنعة والحدق والنكاية قوله :

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ، ووالده العبد
ومن ولدت أبناء زهرة منكم كرام ، ولم يلحق عجائزك المجد
وإن امرأ كانت سمية أمه وسمراء مثلوب إذا بلغ الجهد
وأنت هجين نيط فى آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

ويروى أن أحد الصحابة قال - لما اشتد هجاء المشركين للرسول - لعلى ابن أبى طالب : اهج عنا القوم الذين قد هجونا ، فقال على : إن أذن لى رسول الله فعلت ، فقال رجل : يا رسول الله ائذن لعلى كى يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا ، فقال صلى الله عليه وسلم : ليس هناك أو ليس عنده ذلك ، ثم ندب الأنصار فقال حسان : أنا لها . وكان حسان وكعب يعارضان المشركين بمثل قوهم فى الوقائع والآيام والمآثر ويعير انهم بالمثالب ، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم

بالكفر فكان أشد القول عليهم قول حسان وكعب وأهون القول عليهم قول
ابن رواحة ، فلما أسلدوا وفقهوا الدين كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه ، ويقول له : أجب عنى ، اللهم
أيده بروح القدس

* * *

هكذا عاش حسان فى حياة الرسول يدافع عنه ويناضل المشركين ويرد على
شعرائهم ويهجو خصوم رسول الله يرفع من شأن الاسلام ودعوته ورسوله
وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يؤثره ويقربه منه ، ويقسم له من الغنائم ،
والهدايا .

وقد وهب له « سيرين » أخت « مارية » القبطية ، أم ولد رسول الله ، وكان
المقوقس قد بعث بهما لرسول الله ، مع هدايا أخرى ، فأولدها حسان ابنه
عبد الرحمن ، وهب له رسول الله « بيرسى » وهو قصر بالمدينة ، وقفه أبو طلحة
على آل رسول صلواته الله عليه .

ولم يشهد مع رسول الله ، مشهداً ولا غزوة ، ويرى أنه كان جباناً ، يصف
فى شعره شجاعته وبطولته ، ومع ذلك فهو شديد الخوف شديد الجبن ؛ يقيم بأطم
عال بالمدينة يسمى « فارعا »

وذلك ليس بعار على هذا شاعر العظيم :

١ - فانه عاش من صغره عيشة ترف ونعمة « لا عيشة » نضال وكفاح

وحروب .

٢ - وهو جايئس الملوك وشاعرها والذى يصدقون عليه الاموال والهبات
فلم يألف البؤس ، ولم يجرد سيفه من صغره للنهب والغنيمة .

٣ - وقد أدرك الاسلام بعد أن كبر ووهن عظمه .

٤ - ويروى أنه كان فى الجاهلية ، بطلا شجاعا ، وأنه أدركه مرض أصاب

أعصابه فاصبح لا يرجى لقتال .

ويقول ابن قتيبة في حسان إذ كان جباناً (١) ، وكذلك يتهمة بالجن ، كثير
من الباحثين . ويرورن أنه أنشد أمام رسول الله قوله :

أنشد غديوت أمام القوم منتطقا

بصارم مثل لون الملح قطاع

تحفز (٢) عنى نجاد السيف سابتة

فضنفاضتة مثل لون الذهب بالقاع

فتبسم رسول الله

(. . .)

واستمر حسان مهجلاً محترماً ، عند الخلفاء ، والصحابة حتى توفي : في عهد
معاوية عام ٥٤ هـ فرحمه الله وأجزل مشوبته كدفاه دفاعه عن دينه ورسوله وكتابه
الحكيم .

وكان عمر حسان عند موته عشرين ومائة سنة قضى نصفها في الجاهلية ونصفها
في الاسلام ووهن بصره في آخر حياته ، واعتلت صحته حتى توفاه الله

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة

(٢) تحفز : تدفع . النهى بكسر النون : الغدير . السابتة أى درع واسعة

شعر حسان

آراء النقاد في شعره :

١ - قال ابن سلام فيه : هو كثير الشعر جيده وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد ، وضعت عليه قریش أشعارا كثيرة لا تليق به ^(١)

٢ - وقال الأصمعي : الشعر تكذب بابه الشر هذا حسان لخل من لحول الجاهلية فلما جاء الاسلام سقط شعره ^(٢) ،

ويروى عن الأصمعي أنه قال : حسان أحد فحول الشعراء ، فقال له ابو حاتم تأتي له أشعار ائينة ، فقال تنسب إليه أشياء لا تصح عنه .

وقد سبق أن ذكرنا رأى الثعالبي فيه في موضع آخر من الكتاب (ص ٢٠٦)

وقيل لحسان : لان شعرك أوهرم في الاسلام ، فقال : يا بن أخي ان الاسلام

يجهز عن الكذب

وأشد حسان شيئا من شعره في الجاهلية للناطقة فائتي عليه ^(٣)
ويقول فيه أبو عبيدة :

فضل حسان الشعراء بثلاثة ، كان شاعرا الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي في النبوة وشاعر اليمن كلها في الإسلام وقال : اجتمعت العرب على أن حسانا أشعر

أهل المدينة وجعله ابن سلام أشعر شعراء المدينة

ويقول المبرد في الكامل :

واعرق قوم كانوا في الشعر آل حسان فانهم يعدون ستة في نسق واحد ، وهم

سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام .

(١) ٨٤ طبقات الشعراء لابن سلام

(٢) ١٠٤ الشعر والشعراء

(٣) ١١٧ ذيل الأمل

وقال أبو الفرج الأصبهاني :

حسان فحل من فحول الشعراء

وقال قوم الحطيمية له وقد حضرته الوفاة : يا أبا مليكة أوص

فقال : ويل للأمرء من راوية السوء ، قالوا أوص رحلك الله ، قال : أبلغوا

الانصار أن أصحابهم أشمر العرب حيث يقول .

يخشون حتى ما نهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل (١)

وروى أن حساناً ، وفد على النعمان بن المنذر ، فأذن له بعد أن تركه مدة

على الباب ، فخلا به ، ونادمه وأصاب منه مالا كثيرا ، حتى جاءه النابغة ، فمدح

النعمان ، ببائيته المشهورة ، فاهتز النعمان ، لشعره وأمر له بمائة ناقة من الإبل

السود برعاتها ؛ قال حسان ، ، فها حسدت أحدا قط حسدي له في شعره

وجريل عطائه . وذكروا أن حساناً ، كان يذهب إلى النابغة ، ليعرض عليه

شعره في الجاهلية

وروى أن حساناً قال ، أتيت جبلة بن الأيهم الغساني ، وقد مدحته ، فأذن لي ،

فجلست بين يديه ، وعن يمينه رجل له صغيرتان ، وعن يساره رجل لا أعرفه ،

فقال ، أتعرف هذين فقلت ، أيا هذا فأعرفه . وهو النابغة الذبياني ، —

وأما هذا فلا أعرفه . قال . هو علقمة بن عبدة ، فان شئت استنشدتكما ، ثم

إن شئت أن تنشدا بعدهما أنشدت قلت : فذاك . فأنشده النابغة ،

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطي الكواكب

قال . فذهب نصفي . ثم قال لعاقمة ، أنشد . فأنشد

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

فذهب نصفي الآخر فقال لي ، أنت أعلم الآن ، إن شئت سكت ، وإن شئت

أنشدت ؛ فتشددت وأنشدت .

لله در عصابة ... الخ

فقال لي : ادن — ادن ، لعمرى ما أنت بدونهما ثم أمر لي بثلاثمائة دينار
وعشرة أقصة لها جيب واحد وقال هذا لك عندنا في كل عام .

وذكروا أن الحطيثة ، وقف على حسان ، وهو ينشد من شعره ،
وقال له حسان ، — وهو لا يعرفه : كيف تسمع هذا الشعر يا أعرابي ؟ قال :
الحطيثة ، لا أرى به بأساً انفضب حسان وقال : اسمعوا إلى كلام هذا الأعرابي ،
كنيت ؟ قال . أبو مليكة . قال . ما كنت قط أهون على منك حين كنت بامرأة
فما اسمك ؟ قال . الحطيثة . فقال حسان : امض بسلام .

ويقول حسان في إحدى قصائده .

وقافية عجت بأبيل رزينة تلقيت من جو السماء نزولها

يراهم الذي ينطق الشعر عنده ويهجر عن أمثالها أن يقولها

ويقول في أخرى .

لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعرى

وروى عن ، أنه وفد على النعمان بن المنذر قال ، فلما دخلت بلاده لقيتني رجل
فسألني عن وجهي وما أقدمني فاخبرته ، فانزلني فاذا هو صانع ، فقال :
من أنت ، فقلت : من أهل الحجاز ؛ قال : كن خزر رجيا ، قلت : أنا خزر جى
قال : كن نجاريا قلت : أنا نجارى ، قال : كن حسانا ؛ قلت : أنا حسان ، قال
كنت أحب لعمرك وأنا واصف لك هذا النعمان الرجل وما ينبغي لك أن تعمل
به في أمره ، أنك إذا لقيت حاجبه وانسببت وأعلمته مقدمك ، أقام شهرأ لا يرد
عليك شيئاً ثم يلقاك فيقول من أنت وما أقدمك ثم يمكك شهرأ لا يرد عليك
شيئاً ثم يستأذن لك فاذا دخلت على النعمان فستجد عنده أناسا فيستشددونك فلا
تنشدهم حتى يأمرك فاذا أمرك فأنشدد فيستزيدك من عنده فلا توده حتى يستزيدك
هو فاذا فعلت هذا فانتظر ثوابه وما عنده فان هذا ينبغي لك أن تعرفه من أمره
قال حسان فقدمت إلى الحاجب فاذا الأمر على ما وصف لي ثم دخلت على النعمان
ففعلت ما أمرني به الصانع فانشدته شعري ثم خرجت من عنده فأقت أخلف

إليه فاجازني وأكرمني وجمعت أخبار صاحبي بما صنع فيقول إنه لا يزال هسكذا حتى يأتيه أبو أمامة يعنى النابتة فادا قدم فلا حظ فيه لاحد من الشعراء قال فاقمت كذلك إلى أن دخلت عليه ليلة فواتته انى لجالس عنده إذا هو بصوت خلف قبته وكان يوما ترد عايه النعم الود ولم يكن للعرب نعم سود إلا للنعمان فأقبل النابتة فاستأذن فقدم وهو يقول

أنام أم يسمع رب القبته يا أوهب الناس لعيس صلبه
ضاربة بالمشفر الأذبة ذات نجاف في يدها جذبه^(١)
قال : أبو أمامة أدخلوه فأنشده قصيدته التي يقول فيها
ولست بمسبق أخا لا تله على شعث أى الرجال المهذب

فأمر له بمائة ناقة فيها رعاؤها ومطافيلها وكلاهما من السود قال حسان نخرجت من من عنده لأدري أكنت له أحسد على شعره أم على مانال من جزيل عطائه ، فرجعت إلى صاحبي فقصال انصرف فلا شيء لك عنده سوى ما أخذت

وبعد فقد أجمعت العرب على أن حسان أشعر أهل المدر ، وهم أهل المدينة ومكة والطائف وأهل قرى البحرين من عبد القيس . وكان أجزل شعره وأفواه وأحصفه ما قاله في شبيبته وكهولته في الجاهلية ، أى من مثل ما ناقض به قيس بن الخطيم في وقائع الأوس والخزرج ومدح به آل جفنة وآل النعمان بن المنذر . ولما أسلم كان قد مضى من عمره ستون سنة ولسكنها لم تطفئ من شدا . خاطره ولم تغل من غرب لسانه .

ووجد فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقية من النكاية لأعدائه أبقاها فيه انطباعه على الهجاء منذ شب ، ودعا الله أن يؤيد فيه هذه البقية بروح القدس .

وصف شعره

١ - أما شعر حسان في الجاهلية فهو مثل جزل قوى رائع بعيد في مذهب الشعر وعموده شأنه شأن الشعراء الجاهليين .. وأكثر أعراضه في الجاهلية :

١ - الهجاء وأول أدله في مناقضة قيس بن الخطيم وشعراء الأوس ثم هجا خصومه وخصوم قومه عامة

٢ - المدح كما في مدحه لبني غسان وللتعمان بن المنذر ولسواهم من سادة العرب وأشرفهم

٣ - الفخر ، وقد وصف فيه مجده ومجد قومه وأحسابهم وآثرهم ومكانتهم عند العرب ، وفخره كثير متمدن النواحي والمعاني ، وكان فخره جيداً رائياً بعيداً في الجزالة واليلاغة والروعة .

٤ - الغزل والنسيب فقد تغزل بشعثاء وعمرة غزلاً رفيقاً مبهجاً

أما منزلته في الشعر في الجاهلية فيصنفها حسان نفسه ، إذ يصور ذهابه إلى التعمان وخوفه من النابغة ورهبتة من شعره ، وذلك طبعاً إنما كان في عهد شبابه وبدء شاعريته ، ولكن حساناً يستمر خائفاً من النابغة ، فيقابله عند بني غسان فيرتاع ويرهب هذا الشاعر العظيم

ولقد يكون ذلك تصويراً من حسان لوساوس نفسه وخسرات فؤاده وإلا فقصيدته

يغشون حتى ما تهر كلامهم لا يسألون عن السواد المقبل

مثلاً تقف مع أمهات قصائد المديح في الشعر الجاهلي .

وإذا كان النابغة يحمي في الشعر الجاهلي إماماً ومتبعاً ، فلا على حسان أن

نقول إنه يحمي وراءه مصلياً ومغبراً في وجوه الشعراء ،

ب - أما شعره في الإسلام فهو يروى أنه لان بعض الشيء وأخذ الضعف

الفني من بعض النواحي ، وأسباب ذلك كثيره متعددة الجهات ،

- ١ - فقد يكون هرمه وشيخوخته من أسباب هذا الضعف الفنى الملحوظ .
 - ٢ - وقد يكون أيضا كثرة مآدس على حسان من الشعر المنحول هو السبب في ذلك أيضا ، وهذا النحل كان من المشتركين وكان من بعض كتاب السيرة أيضا كابن سحاق .
وقد ذكر ابن هشام كثيرا مما نحل واختلق ودرس على حسان .
 - ٣ - كثرة ارتجاز حسان في شعره في عصر النبوة والشعر المرتجل دائما لا يكون كالشعر الذى أعده صاحبه وهذبه وثقفه
 - ٤ - ويروى أن حسان نأفسه على ذلك تمليلًا مقبولًا ، فقد قيل له : لان شعرك أوهم في الإسلام يا أبا الحسام ، فقال : إن الإسلام يحجز عن الكذب والشعر يزينه الكذب .
 - ٤ - والاصمى يمل سب لين شعره في الإسلام بأن الشعر تكمد يقوى في الشر ويضعف في الخير
 - ٥ - وقد يكون السبب أيضا في هذا اللين هو انهيار حسان كغيره من الشعراء بلاغة القرآن . وفصاحة رسول الله صلى الله عليه
- على ان ما يستلان من شعره إنما هو بعض ما قاله في وصف عقائد الإسلام وشعائره وتمعداد فضائله ، أو قاله في توحيد الله وتنزيه صفاته وتمجيد عبادة الأوثان وما أعبد الله للمؤمنين من الثواب وللمشركين من العقاب ، أو بعض ما قاله في مدح رسول الله وأصحابه ، أو بعض ما قاله في رثاء من استشهد في الغزوات من أصحابه ومن مات من الخلفاء بعد رسول الله أو من أصحابه
- أما شعره في مناقضة المشركين وهجائهم وفي الذب عن رسول الله والدفاع عن الدين فقد كان قويا جزلا رائعا
- وكان رسول الله إذا سمع هجاءه في أعدائه يقول : لهذا أشد عليهم من وقع النبل .
- ولهذا يرى النقاد أن شعره في الإسلام كان لا يزال كميده في زمن الشباب قويا حسيفا رصينا في مواضع خاصة في هجائه المشركين ؛ وعند هيجه بمماوضة

شعرهم ، وفي فخره وحماسته . ويرون أيضاً أن كثيراً مما وجد من شعره لنا ضعيفاً لم تكن نسبتة إليه صحيحة ، وإنما هو مما وضعه المتكثرون من الشعر من رواة المغازي والسير . قال الأصمعي مرة : حسان أحد فحول الشعراء فقال أبو حاتم . تأتي له أشعار لينة ، فقال الأصمعي تنسب له أشياء لا تصح عنه والحق الذي شك فيه أن شعر حسان بعد الهجرة إلى فتح مكة كان قوياً جزلاً فصيحاً شديد الأسر ذاهباً في عمود البلاغ ، كما كان شعره في عهد الجاهلية ، والسبب في ذلك اشتعال شاعريته وثورة عواطفه والتهاب مشاعره ، ورغبته البعيدة في الذب عن حياض الإسلام ونضال خصوم الدين والرد على الذين يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما استسلم المشركون وألقوا السلاح أمام رسول الله وجنده وسكت صوت المعارضة سكنت شاعرية حسان وهدأت واخذ ينظم الشعر لنا ضعيفاً لا قوة ولا فخامة فيه كما كان شعره في صدر الإسلام والجاهلية .
وأغراض شعره في الإسلام متنوعة كثيرة وأهمها .

١ - الهجاء ، فقد أجاد فيه حسان كل الأجاد ، ووقف هجاءه على المشركين خاصة ولم يكن متناول الهجو قريشاً كلها ، بل المشركين منها بعامة وأشدهم على رسول الله بخاصة ، من مثل أبي جهل وأبي لهب وأبي سفيان ، وهم من أقرب قريش نسباً إليه ، وكان هجاؤه لأحدهم ليس بالطعن في أصل نسبه وذم عشيرته بل في نقي نسبه عن نسبهم وأنه دعى فيهم أو لصيق أو متبني أو عبد ، ثم يذكر ما يستفحج من صفاته الخلقية فيصفه باللؤم وقطع الرحيم والجهل وخفة الحلم والبخل والجبن والفرار عن إنقاذ الأحبة من وهدة الموت في المعارك ، وأكثر ما يذكر من ذلك في وقعه بدر وهزيمة قريش فيها ، وربما أقذع في ذلك إقذاعاً شديداً .

٢ - المدح فقد مدح رسول الله وخلفاءه وكسبار الصحابة والذين أبلوا في الدفاع عن الإسلام بلام حسنا

٣ — الرثاء وقد أكثر منه في رثاء الشهداء في الغزوات الإسلامية ثم رثاء رسول الله صلوات الله عليه وخلفائه من بعده

٤ — الحكمة وضرب المثل وذلك بتأثير القرآن الكريم وبلاغة رسول الله وما أفاده في الحياة من خبرة وتجربة وثقافة عامة وإدراك صحيح لثبوت العيش والحياة

٥ — وصف الغزوات الإسلامية والاشادة ببطولة المسلمين فيها وانتصارهم على أعدائهم وما بذلوه من تضحية وفداء وإلاء لكلمة الإسلام والتقىمة أسلوب شعره وألفاظه .

يمتاز حسان في أسلوبه بما يأتي :

١ — قلة التكلف أو المبالغة في التجويد والتهديب والتنقيح ، يخالف في ذلك الأعشى والنابغة والحطيئة وزهيراً وسواهم من الشعراء المصنعين ، بل كان يرسل الشعر كما تجود به فطرته وقزيمته ، لا يعتمد صنعة ، ولا يقصد تهذيباً ، ولا يؤثر الغريب ، وذلك أثر لهيشة المدن والبعد قليلاً عن البداوة .

٢ — وظهر في شعره بعد الإسلام روح النثر بالإسلام ومبادئه وبالقرآن وبلاغته وبفصاحه الرسول وسموها .

٣ — وهذا اللين الفني الذي حدثناك عنه وعن أسبابه والذي نراه في شعر حسان بعد استقرار الإسلام هو أحد الظواهر الفنية التي تلمسها عند حسان في شعره .

٤ — وقد كثرت في شعر حسان الألفاظ الإسلامية الحديثة التي استعملها الإسلام ووردت في القرآن الكريم كالصلاة والصيام والزكاة والحج والإيمان والإسلام وسواها .

معاني شعره .

ومعاني حسان في الجاهلية مطبوعة بطابع الجاهلية وصورة لحياتها وتفكيرها وأخلاقها وعاداتها ونظام التفكير والحياة فيها .

أما معانيه في الإسلام فهي مستمدة من معاني القرآن والحديث يكثر فيها حكاية جميع المشتركين والرد عليهم وضرب الأمثال والموعظة والحكمة مع الدقة والعمق وظهور الحصافة عليها مما أفاده حسان من الإسلام الكريم .
وبعد فشعر حسان يبدو فيه تأثير الإسلام والقرآن في الأدب العربي ، ويكاد هذا التأثير يفقد في شعر الحطيئة مع أنه من المخضرمين ، لأن الحطيئة أسلم ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام على طمع وجشع ورقة دين ، فلم يتملأ بروح الإسلام كغيره من شعراء الرسول .

روائع حسان :

والنقاد يعجبون بشعر كثير لحسان ، ومن ذا الذي لا يطرب لقلوه :
يغشون حتى ماتهم كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
أو لقلوه :

وان امرأ يمسى ويصبح سالماً من الناس إلا ماجنى لسعيد
وهذا البيت يقول فيه حسان : قلت شعرا لم أقل مثله^(١) . وقال بعض أهل
المدينة : ما ذكرت بيت حسان إلا اشتميت أن أعود في الفتوة وهو :

أهوى حديث الندمان في فلق الصبح وصوت المطرب الغرد
وبسوى ذلك من روائع شعره وغرر حكمه وأمثاله
تقد النابغة لحسان :

ويروى^(٢) أن نابغة^(٣) بنى ذبيان كانت تضرب له قبة من آدم بسوق

(١) ١٠٥ الشعر والشعراء

(٢) أغاني ص ٣٤٠ ج ٩

(٣) هو أبو أمامة زياد بن معاوية ، أحد لحول شعراء الجاهلية وحكمهم بمكافئ
ولقب بالنابغة لنبوغه في الشعر بجماعة وهو كبير بعد أن امتنع عليه وهو
صغير ، وهو من أشرف ذبيان وعمر طويلاً ومات قبيل البعثة ،

عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء ، فدخل إليه حسان بن ثابت ، وعنده الأعشى ، وقد أنشده شعره ، وأنشدته الحنساء قولها ،

قذى بعينيك أم بالعين عوار (١) . أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار
حتى انتهت إلى قولها :

وإن صخرأ لتأتم الهداة به كأنه علم (٢) في رأسه نار
وإن صخرأ لمولانا وسيدنا ، إن صخرأ إذا نشتو (٣) لنجسار

فقال : لولا أن أبا بصير (٤) أنشدني قبلك لغات إنك أشعر الناس أأت
والله أشعر من كل أنثى ! قالت : والله ومن كل رجل .

فقال حسان : أنا والله أشعر منك ومنها . قال : حيث تقول ماذا؟ قال .
حيث أقول :

لنا الجففات الغر يلمن بالضحا وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

فقال : إنك قلت ، « الجففات ، فقللت العدد ؛ ولو قلت : « الجفان ، لكان
أكثر . وقلت : « يلمن في الضحا ، ولو قلت : « يبرقن بالدجا ، لكان أبلغ في
المدح ، لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً ، وقلت : « يقطرن من نجدة دماً ،
فدللت على قلة القتل ، ولو قلت : « يجرين ، لكان أكثرهم لانصباب الدم ،
ونفرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك .

فقام حسان منكسراً منقطعاً !

والمحققون يرون أن هذه القصة مختلفة .

(١) عوار : كل ما أعل العين ، وذرفت : قطرت .

(٢) العلم : الجبل . (٣) شتا القوم : أجدبوا في الشتاء .

(٤) أبو بصير : كنية الأعشى ،

حسان والنعمان :

قال حسان ^(١) بن ثابت: قدمت على النعمان بن المنذر وقد امتدحتته فأنتيت حاجيه
عصام بن شهبر لجأست إليه ، فقال : إني لأرى عربياً ، أفن الحجاز أنت ؟ قلت :
نعم ا قال . فكأن قحطانيا ، قلت . فأنا قحطاني . قال : فكأن يثربيا . قلت : فأنا
يثربي ، قال : فكأن خورجياً ، قلت : فأنا خورجى ، قال : فأنت حسان

أجئت بمدحة الملك ؟ قلت : نعم . قال فاني أرشدك إذا دخلت عليه ،
فانه يسألك عن جيلة بن الایهم ويسبه ، فاياك أن تساعده على ذلك ، ولكن أمر
ذكره إمراراً لا توافق فيه ولا تخالف ، وقل : ما دخول مثل أيها الملك بيدك
وبين جيلة وهو ، نك وأنت منه ١٩ وإن دعاك إلى الطعام فلا تواكله ، فان أقسم
عليك فأصب منه اليسير لإصابة بار بقسمه ، متشرف بمؤاكلته ، لا أكل جائع
سغب ^(٢) ، ولا تطل محادثته ، ولا تبدأ باخبار عن شيء حتى يكون هو السائل
لك ، ولا تطل الإقامة في مجلسه .

فقلت : أحسن الله رفدك قد أوصيت واعياً ، ودخل ، ثم خرج إلى فقال لي:
ادخل . فدخلت فسلمت وحييت تحية الملوك .

ثم جرى بيني وبينه في شأن جيلة ما قاله عصام كأنه كان حاضراً ، وأجيبه
بما أمرني ، ثم استأذنته في الانشاد فأذن لي ، فأنشده . ثم دعا بالطعام ، ففعلت
ما أمرني عصام به ، وبالشرب ففعلت مثل ذلك ، فأمرني بجائزة سنوية وخرجت .

حسان عند عمر وبن الحارث :

قال حسان ^(٣) بن ثابت : قدمت على عمر بن الحارث ، فاعتاص على الوصول
إليه ، فقلت للحاجب بعد مدة : إن أذنت لي عليه وإلا هجوت اليمن كلها ثم

(١) الإغاني ص ١٦٤ ج ٩ .

(٢) السغب الجوع ، ولا يكون إلا مع تعب .

(٣) الإغاني ص ٢٢ ج ١٤ .

انقلبت عنكم، فأذن لي، فدخلت عليه فوجدت عنده النابتة وهو جالس عن يمينه، وعلقمه بن عبدة وهو جالس عن يساره، فقال لي: يا ابن الفريعة، قد عرفت عيصك^(١) ونسبك في غسان، فارجع فاني باعث إليك بصلة سانية، ولا أحتاج إلى الشعر، فاني أخاف عليك هذين السبعين: النابتة وعلقمة، أن يفضحك، وفضيحتك فضيحتي وأنت والله لا تحسن أن تقول:

رقاق النعال طيب حجراتهم يحيون بالريحان يوم السباسب^(٢)
فأبيت وقلت: لا بد منه، فقال: ذاك إلى عميك، فقلت لهما: بخي الملك إلا قد متباني عليكما، فقالا: قد فعلنا، فقال عمرو بن الحارث: هات يا ابن الفريعة، فأنشأت:

لله در عصابة نادمتها يوما بجملق^(٣) في الزمان الأول
أولاد جفنة^(٤) عند قبر أبيهم^(٥) قبر ابن^(٦) ماريه الكريم المفضل

(١) العيص: الأصل والفريعة أمه.

(٢) رقاق النعال: أي أن نعالهم رقيقة لا يخصصونها طباقا، وذلك كناية عن قلة مشيهم، لأنهم ملوك، بل يركبون الخيل غالبا، وحجزة الأزار والسراويل يجمع شدها على الوسط من الجسم، كناية عن عفتهم، والسباسب: يوم الثمانين، وهو يوم عيد عند النضاري وكان المدوح نصرانيا.

(٣) جملق: دمشق:

(٤) جفنة: هو جفنة بن عمرو أبو ملوك الشام، وأولاده هم: النعمان والمندر والمنيذر وجبله وأبو شمر، وكانوا جميعا ملوكا.

(٥) أراد بهذا: أنهم أعزاء مقيمون بدار تملكتم، ليسوا أصحاب رحلة واتجاج.

(٦) هي مارية بنت ظالم السكندرية أم الحارث الأعرج وهي ذات القرطين اللذين يضرب بهما المثل، فيقال لما يغلى به الثمن: بقرطى مارية، واختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار.

يسقون من ورد البريص (١) عليهم كأساً تصفق (٢) بالرحيق السلسل
يفشون حتى ماتهم كلابهم لايسألون عن السواد المقبل
بيض الوجهه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول
فلبثت أزمانا طوالا فيهم ثم ادركت كأتى لم أفعل

قال : فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل (٣) عن موضعه سروراً حتى شاطر
البيت وهو يقول : هذا وأبيك الشعر لا ما يعللان به منذ اليوم ، هذه والله البتارة
التي قد بترت المدائح ، أحسنت يا بن الفريجة ، هات له يا غلام ألف دينار مرجوحة (٤)
فأعطيت ذلك ، ثم قال : لك على في كل سنة مثلها .

ثم أقبل على التباغة فقال : قم يا زياد ، فهات التناء المسجوع ، فقام التباغة
فقال : ألا انعم صباحاً أيها الملك المبارك ؛ السماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ،
والوالدي فداؤك ، والعرب وقاؤك ، والعجم حماؤك ، والحكماء جلساؤك ،
والمداير (٥) سمارك ، والمقاول لإخوانك ، والعقل شعارك ، والحلم دنارك ،
والسكينة مهالك ، والوقار غشاؤك ، والبر وسادك ، والصدق رداؤك ، واليمن
حداؤك ، والسخاء ظهارتك ، والحمية بطانتك ، والعلاء غايتك ، وأكرم الأحياء
أحياؤك ، وأشرف الأجداد أجدادك ، وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام
أعمامك ، وأسرى الأخوال أخوالك ، وأعف النساء حلائلك ، وأفخر الشبان
أبناؤك ، وأطهر الأمهات أمهاتك ، وأعلى البنين بنيانك ، وأعذب المياه أمواهك

(١) البريص : غوطة دمشق .

(٢) تصفق الشراب : حوله بزوجا من إناء إلى إناء ليصفو . والرحيق :

الخمر أو أطيبها ، والسلسل : العذب البارد .

(٣) زحل عن موضعه : زحف .

(٤) مرجوحة : هي ما كان في كل دينار منها عشرة دنانير .

(٥) المدارة : جمع مدره ، وهو السيد السريف ، والمقدم في اللسان

وأفصح الدارات ^(١) دارتك ، وأنزه الحدائق حدائقك ، وأرفع اللباس لباسك ،
قد خالف الإضریح ^(٢) عاتك ، ولام المسك مسكك ^(٣) ، وجاور العنبر ترائبك ^(٤) ،
وصاحب النمیم جسدك .

المسجد آنتك ، واللجين صحافك ، والعصب ^(٥) مناديلك ؛ والحواری ^(٦)
طعامك ، والشهد إدامك ، والخراطوم ^(٧) شرابك ، والأشراف مناصفك ^(٨) ،
والخسیر بفنائك ، والشربساحة أعدائك ، والنصر منوط بلوائك والخذلان
مع ألوية حسادك ، والبرفعللك ، قد طحطح ^(٩) عدوك غضبك ، وهزم
مقانبهم ^(١٠) ، مشهدك ، وسار في الناس عدلك ، وسكن قوارع الأعداء ظفرك
الذهب عطاؤك ، والدواقرمزك ، والأوراق لحظك ، والغى أطرقك ، وألف
دينار مرجوحة إيمائك .

أيفاخرك المنذر اللخمى ؟ فوالله لقفاك خير من وجهه ، ولشمالك خير من
يمينه ، وإلخصك خير من رأسه ، ولخطوك خير من صوابه ، ولصمتك خير من
كلامه ، ولأمك خير من أيبه ، ولخدمك خير من قومه ، فهب لي أسارى قوسى ،
واسترهن بذلك شكرى ، فانك من أشراف قحطان ؛ وأنا من سروات عدنان .
فرفع عمرو رأسه إلى جارية كانت قائمة على رأسه ، وقال : بمنل هذا فليثن
على الملوك ، ومثل ابن الفريفة فليمدحهم . وأطلق له أسرى قومه ا

-
- (١) الدارة : المحل يجمع البناء . (٢) الأضریح : الخنزير
(٣) المسك : الجلد . (٤) الترائب : عظام الصدر
(٥) العصب : نوع من البرد (٦) الحواری : لباب الدقيق
(٧) الخراطوم : أول ما يجرى من العنب قبل أن يداس
(٨) جمع منصف وهو الخنادم .
(٩) طحطح : كسر وفرق وبدد إهلاكاً .
(١٠) المقنب من الخيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين

مأذج من شعر حسان

١ - قال حسان رضى الله عنه يمدح النبي صلى الله عليه وسلم
أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد (١)
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد (٢)
(وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي أتانا بعد يأس وفترة

من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأسمى سراجاً مستنيراً وهادياً يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنذرنا ناراً وبشر جنّة وعلينا الإسلام فآله نحمد (٣)
وأنت إله الخلق ربى وخالقي بذلك ما عمرت في الناس أشهد (٤)

- (١) قوله أغر خبر لمبتدأ محذوف أى هو أغر أبيض الوجه . ويلوح يظهر
(٢) قوله إذا قال المؤذن فى الخمس أى فى الصلاة الخمس . وقوله أشهد أى أن
لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله
(٣) وشق له من اسمه يريد أن إسم النبي صلى الله عليه وسلم اشتق
من إسم الله وهذا مما اختص به رسول الله فى ذاته فى الدنيا وأوضح
ذلك الشاعر بقوله فذو العرش محمود هو الله سبحانه وتعالى ، والذي من
صفات الله تقدس وعلا الخيّد بمعنى المحمود وهو من الأسماء الحسنى فعيل
بمعنى مفعول وهذا محمد . وقوله والأوثان الخ ، جملة إسمية وقعت حالا وإسم أسمى
يعود على النبي ، وحمل وهادياً على مستنيراً بالواو لأنهما صفتان ثابتة - إن فى
الموصوف فعمقت إحداهما على الآخري بالواو لأن معناها الاجتماع ولو
عمقت بالفاء لم يحز والصقيل المهند السيف المهند المطروح من حديد الهند ،
وقوله فآله نحمد قدم المفعول لافادة الحصر أى لاغيره
(٤) قوله وأنت مبتدأ خبره ربى وقوله إله الخلق اعتراض أتى به لتحسين
الكلام أى يا إله الخلق

تعاليت رب الناس عن قول من دعا
سواك إلهاً أنت أعلى وأجود
لك الخلق والنعماء والأمر كله فإياك نستهي وإياك نعبد

* * *

٢ - وقال أيضاً يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم بدر
مستشعري خلق المأذى يقدمهم جلد النجيرة ماض غير عديد (١)
أعنى الرسول فإن الله فضله على البرية بالتقوى وبالجلود
وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم وماه بدر زعمتم غير مورود
(وقد وردنا ولم نسمع لقولكم حتى شربنا رواء غير تصريح
مستصممين بحبل غير منجذم مستحکم من جبال الله محدود (٢)
فيما الرسول وفيما الحق تتبعه حتى الميات ونصر غير محدود
ماض على الهول ركاب لما قطعوا إذا السكاة تحاوروا في الصناديد (٣)
واف وماض شهاب يستضاء به بدر أمار على كل الأماجيد
مبارك كضياء البدر صورته ما قال كان قضاء غير مردود

* * *

(١) حذف النون من مستشعرين استخفافاً وإضافة إلى ما بعده ، وصف
جيشاً فقال مخبراً عن فرسانه مستشعري خلق المأذى أى لابسى آلة الحرب والمأذى
الدروع الصافية الحديد اللينة للمس واحداً ذية ويقدمهم يرأسهم جلد النجيرة
ثابت الجائش قوى الطبيعة ويريد به النبي صلى الله عليه وسلم والرعد يد الجبان
(٢) قوله حتى شربنا رواء أى ماء عذبا كثيراً
وغير تصريح : التصريد سقى دون الرى ومستصممين انتصب على الحال من
ضمير شربنا . وقوله غير منجذم أى منقطع والحبل القوة وهو بذلك يشير إلى قول
الله عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا
(٣) قوله ماض على الهول صفة للرسول أى قادر على اقتحام الهول المشقة

٣ - وقال حسان يمدح رسول الله ويهجو أبا سفيان :

ألا أبلغ أبا سفيان عنى فأنت مجوف نجب هواء (١)
بأن سيوفنا تركتك عبدا وعبد الدار سادتها الإمام (٢)
تهجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذلك الجزء (٣)
أتهجوه ولست له بكفء فشر كما لخير كما الفداء (٤)

(١) قوله فأنت مجوف ، المجوف كالمجوف هو الجبان الذى لا قلب له والنخب بمعنى النزع يقال رجل نجب أى جبان لا فؤاد له وقوله هواء أى خال يعنى من العقل أو الخير قال تعالى وأفتدتهم هواء وقوله فأنت مجوف يريد أبا سفيان وإنما التفت الى ضمير المخاطب ولم يقل فهو مجوف على ما هو الظاهر قصدا الى توجيه الخطاب اليه بما يكره ليسكون أبلغ فى التتم وأشد من الحكايات فى التنكيات

(٢) قوله بأن سيوفنا أدخل الشاعر الباء على المفعول الثانى لأبلغ كأنه ضينه معنى أخبر . وقوله تركتك عبدا أى ذليلا . وسادتها الاماء ضميره يرجع الى الدار وإنما سادتها الاماء لكونها لم يبق فيها الاحرار والمراد الوصف بنهاية الذل والمهانة فان الاماء فى نفس الامر فى منزلة وقد أثبت لها السيادة على العبيد فالعبيد اذا فى غاية الذلة .

(٣) يخاطب به أبا سفيان بن الحرث فانه كان قبل اسلامه يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والجزء المكافاة على الشيء بالخير أو الشر قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمعه قال جزاؤك على الله الجنة باحسان .

(٤) قوله بكفء الكفء هو النظير والمنزل والاستفهام للانكار أى ما كان ينبغي لك أن تهجوه ولست من أكفائه ونظرائه فلم تنصفه . وقوله فشر كما لخير كما الفداء مع علمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرهما بلا ريبه جار على أسلوب الكلام المنصف وإنما أتهم الامر بين الفريقين ليسكون ادعى للمخاطب الى الاذعان للحق وترك العناد حيث يرى المتكلم ساوى بينه وبين نفسه وأنصفه

هجوت مباركاً برا حنيفا أمين. الله شيمته الوفاء (١)
فن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينهره سواء (٢)
فان أبي ووالده ويعرضي لعرض محمد منكم وقاه (٣)
فاما تتقفن بنو لؤى جذيمة إن قتلهم شفاء (٤)

(١) قوله حنيفا الخفيف هو من أسلم في أمر الله فلم يلتو في شيء وكان على دين ابراهيم فهو حنيف عند العرب

(٢) يقول لانبالي بكم فان هجاتكم أو مدحتكم ونصرتكم فذلك عندنا على حد سواء إذ لا بضيره هجوكم ولا يعوزه مدحكم ونصركم

(٣) قوله وقاه بالفتح والسكس ما وقيت به الشيء يروي أن حسان لما انتهى إلى هذا البيت قال صلى الله عليه وسلم وقاك الله يا حسان حر النار

(٤) قوله أما هي الشرطية وما الزائدة أدغمت الميم في النون للتقارب. وتتقفن من قولهم تقفه يتقفه صادفه أو أخذه أو ظفر به أو أدركه قال تعالى واقتلوهم حيث تقفتموهم أي حيث وجدتموهم من حل أو حرم. وقوله بنو لؤى يريد به لؤياً أحد أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كعبانة وبنو لؤى هم كعب بن لؤى على عمود النسب النبوي وجذيمة وسعد وعامر أبو حسيل وبغيض على غيره وكان لوى يكنى أبا كعب وكان التقدم في قريش لبنيه وبني بنيه وأما جذيمة فهو أبو حى من خزاعة وهو جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة وهذا ربيعة أبو خزاعة وهو أول من غير دين اسماعيل عليه السلام ودعا العرب إلى عبادة الاصنام والمراد من جذيمة هنا الحى لا الرجل ولذلك قال الشاعر أن قتلهم شفاء فاتى بضمير الجمع وإضافة القتل إلى الضمير من إضافة المصدر إلى مفعوله يريد أن ايقاع القتل هؤلاء القوم وتدميرهم شفاء لما في الصدور بما وقع منهم لان رئيسهم الحزث بن أبي ضرار

أولئك معشرنا نصرنا علينا
ففي أظفارنا منهم دماء (١)
وحلف الحرث بن أبي ضرار
وحلف قريظة منا براء (٢)
لساني صارم لا عيب فيه
وبحري لا تكدره الدلاء

* * *

٤ — وقال حسان رضى الله عنه في هجرة الرسول

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم
وقدس ومن يسرى إليهم ويعتدى
ترحل عن قوم فضلت عهولهم
وحل على قوم بنور مجد (٣)
هداهم به بعد الضلالة ربهم
وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفها
عمى وهداة يهتدون بمهتد (٤)

(١) قوله أولئك معشرنا نصرنا علينا بالبناء للمعلوم أى أعانوا علينا أعداءنا فانتقمنا منهم وبطشنا فيهم وافترسناهم افتراس السباع فى أظفارنا منهم دماء يريد ما كان من الحرث بن أبي ضرار وقومه كما يأتى فى شرح البيت الآتى (٢) والحلف المحالف والصديق بحلف لصاحبه أن لا يغدر به والحرث بن أبي ضرار رأس بنى جذيمة وهو أبو جويرية بنت الحرث أم المؤمنين رضى الله عنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنى بحلف الحرث حلفاءه الذين وافقوه على مناواة رسول الله وقتاله قبل أن يسلم الحرث فخرج النبي لقتالهم فى شعبان فى السنة الخامسة من الهجرة فانهزم المشركون ومن نجا من القتل أسركا أسرت النساء فن المسلمون على الاسرى بالعتق لما تزوج عليه السلام منهم جويرية بنت الحارث وكانت فى الاسرى

(٣) قوله ترحل عن قوم هم قريش وذلك فى السنة الأولى من الهجرة فى الثانى والعشرين من صفر أو فى غرة ربيع الأول منها حيث هاجر من مكة إلى المدينة وخرج عليه الصلاة وسلام مع أبى بكر ولبنا فى الغار ثلاثة أيام

(٤) قوله تسفها عمى أى ضلوا وزاغوا عن الحق واستجروا العمى عن الهدى والبيت بمعنى قول الله عز وجل قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل يستوى الظلمات والنور

لقد نزلت منه على أهل يثرب ركاب هدى حملت عليهم بأسعد^(١)
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وإن قال في يوم مقالة غائب فتصدقها في اليوم أو في ضحى الغد^(٢)
ليهن أبا بكر سعادة جده بصحته من يسعد الله يسعد^(٣)
وقال رضى الله عنه يرثى النبي صلى الله عليه وسلم :

* * *

(بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمنح الآيات من دار حرمة بها منبر الهادى الذى كان يصعد^(٤)
وواضح آيات وباقي العالم وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها من الله نور يستضاء ويوقد^(٥)

(١) قوله على أهل يثرب هم أهل المدينة . وقواه بأسعد أى بطالع أسعد مبارك
(٢) قوله فتصدقها الضمير للمقالة أى أنه أن أخبر بشيء محجوب فى الغيب
من غير وحى يؤيد الله سبحانه وتعالى قوله بكلامه المقدس الذى ينزل به جبريل
فى اليوم النخ .
(٣) قوله سعادة جده أى باجتهاده ومثابرتة على مواظبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

(٤) ارتفع رسم على الابتداء وخبره بطيبة مقدما ومتعاقب الباء محذوف وهو
أيضا متعلق اللام فى الرسول والتقدير بطيبة رسم كائن للرسول وطيبة هى المدينة
سماها النبي بذلك وبعده أسماء أخر؛ والمعهد المنزل وجملته وقد تعفو الرسوم النخ حالية
وتهمد تخرب يقال همد المكان خرب ، وقوله من دار حرمة أى من دار مهابة
ويريد بها مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا تمنح الآيات أى لا ينقطع
ذكر كلام الله منها

(٥) قوله بها حجرات الضمير لدار الحرمة والحجرات جمع حجرة وهى
الموضع المنفرد

معالم لم تطمس على العهد آيها
 عرفت بها رسم الرسول وعهده
 ظللت بها أبكى الرسول فأسعدت
 تذكر آلاء الرسول وما أرى
 مفجعة قد شفها فقد أحد
 وما بلغت من كل أمر عشيره
 أطالت وقوفا تذر العين جهدها
 فيوركت يا قبر الرسول وبوركت
 وبورك لحده منك ضمن طيبا
 تهيل عليه التراب أيد وأعين
 لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة
 وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم
 يكون من تبكى السموات يومه
 وهل عدلت يوما رزية هالك
 تقطع فيه منزل الوحي عنهم
 يدل على الرحمن من يقتدى به

أناها البلى فالآى منها تجدد
 وقبرا به واره في التراب ملحد
 عيون ومثلاها من الجفن تسعد
 لها عهيا نفسي فنفسى تبدد (١)
 فظللت لآلاء الرسول تعدد
 ولكن نفسي بعض ما فيه محمد (٢)
 على طلل القبر الذى فيه أحمد
 بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
 عليه بناء من صفيح منضد
 عليه وقد غارت بذلك أسعد (٣)
 عشية علوه الثرى لا يوسد
 وقد وهنت منهم ظهور وأعصد
 ومن قد بكته الأرض فالناس أكد
 رزية يوم مات فيه محمد (٤)
 وقد كان ذا نوريغور ينجد
 وينقذ من هول الخزايا ويرشد (٥)

(١) قوله فأسعدت عيون أى ساعدت وعاونت ممي في البكاء عيون أى
 ناس أخر وقوله تذكر الخ أى أن هذه العيون تتذكر وتعدد نعم الرسول عليها
 فهي لذلك تبكى عليه بحرقة ثم قال وإني لست قادرا على إحصاء هذه النعم فنفسى
 عنها تبلى أى تقصر وتضعف (٢) قوله عشيره أى عشيره
 (٣) المسدد المرفق للصواب . والبناء المنضد من صفيح هو البناء المصفوف
 بعضه فوق بعض من صفيح وهو الحجر العريض . وقوله وقد غارت أسعد
 جمع سعد أى غابت سعودهم واجلة حالية . (٤) قوله وهل عدلت لفظه
 لفظ الاستفهام ومعناه النبي كأنه قال وما عدلت وساوت يوما مصيبة ميت
 مصيبه يوم توفى فيه رسول الله عليه وسلم . (٥) قوله يدل من يقتدى
 به ويتبعه الضمير لرسول الله أى يرشده على الحق وهو الله سبحانه وتعالى

لأنهم لم يهديهم الحق جاهداً
عفو عن الزلات يقبل عذرهم
وإن ناب أمر لم يقوموا بحمده
فبيناهم في انعمة الله بينهم
عزيز عليه أن يجيدوا عن الهدى
عطوف عليهم لا يثنى جناحه
فبيناهم في ذلك النور إذ غدا
فأصبح محمودا إلى الله راجعا
وأمتت بلاد الحرم وحشا بقاعها
قفارا سوى معمورة اللحد ضافها
وهسجده فالوحشات لفقده
وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت
فبكى رسول الله ياعين عبيرة

معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا
وإن يحسنوا فالله بالخير أجود
فمن عنده تيسير ما يتشدد
دليل به نهج الطريقة يقصد (١)
حريص على أن يستقيموا ويمتدوا
إلى كفاف يحنو عليهم ويمهد
إلى نورهم سهم من الموت مقصد (٢)
يبكيه جفن الرسائل ويحمد (٣)
لغيبه ما كانت من الوحي تعهد
فقميد يبكيه بلاط وغرقد (٤)
خلاء له فيه مقام ومقدم
ديار وعرصات وربيع ومولد
ولا أعرفك الدهر دمك بجمد

(١) قوله وأن ناب أمر أى وأن دهمهم خطب ونزل بهم انصرف عنهم
بدعاء الرسول الله لم يقوموا بحمده والدليل يريد به رسول الله صلى عليه وسلم .
(٢) قوله الى كفاف أى جانب ويهد أى ويسكت على ما يكره أى يفض
الطرف عن هفواتهم قال الراعى .

وإني لأحسى الأنف من دون ذمتي إذا الدنس الواهى الأمانة أهدا
ومقصد أى صائب قائل .

(٣) قوله يبكيه أى يبكي عليه فحذف وأوصل . جفن للرسائل الملائكة .
(٤) قوله سوى معمورة اللحد أى مكان اللحد . وضافها أى نزل بها ضيفا
كرهما ويراد بالمقيد رسول الله نبيه الصلاة والسلام . وقوله ، يبكيه بلاط هو
موضع بالمدينة بين المسجد والسوق مباط . والغرقد شجر وبقيع الغرقد مقبرة
المدينة المنورة .

ومالك لا تبسكين ذا النعمة التي على الناس منها سابع يتعمد
لجودى عليه بالدموع وأعوى لفقد الذى لامثله الدهر يوجد (١)
وما فقد الماضون مثل محمد ولا مثله حتى القيامة يفقد
أعف وأوفى ذمة بعد ذمة وأقرب منه نائلا لا ينكسك
وأبذل منه للطريف . وتالد إذا ضمن معطاء بما كان يتلد (٢)
وأكرم حيا في البيوت إذا اتسمى وأكرم جدا أبطحيا يسود
وأبغ ذروات وأثبت في العلى دعائم عز شاهقات تشيد (٣)
وثبت فرعا في الفروع ومنبتا وعودا غداة المزن فالعود أغيد
رباه وليدا فأستتم تمامه على أكرم الخيرات رب . مجيد
تناهت وصاة المسلمين بكفه فلا العلم محبوس ولا الرأى يفند (٤)

(١) قوله ياعين حذفتم الياء لوقوعها . وقع ما يحذف في النداء وهو التوين
ولأن الكسرة تدل عليه وباب النداء باب حذف وإيجاز ، وضمير منها يعود
على النعمة . وسابع أى مطر سابع دان تمتد الى الارض وبذا يكثر الخير ويتسع
الرزق ويتعمد يزداد يقال غمدت البئر غمدا إذا كثرت مائها . وقوله لجودى
عليه بالدموع أى ولا تدخرى شيئا .

(٢) قوله وأبذل معطوف على أعف وضمير منه للمثل بفرض وجوده أى
كثير البذل لماله الطريف المستحدث المستفاد والتلبد الموروث عن الآباء قديما
(٣) أبطحيا منسوب الى قریش البطاح الذى ينزلون أباطح مكة . وامنع
ذروات جمع ذروة وهى الشرف أى وأرفع شرفا من بيوتات العرب التى تضم
شرف القبيلة .

(٤) قول غداة ظرف لقوله وأثبت أى واثبت فرعا فى ذلك الوقت وأغيد
مروى غرض رطب : ورب مجيد فاعل رباه أى أنشأه ربه وليدا ضييا . وقوله
تناهت وصاة المسلمين بكفه أى صار هو المسئول عنهم وعهد الله اليه أمرهم ويراد
بالعلم هنا علم مافى الغيب وهو لا يعلمه الا بنزول الوحى عليه . وقوله ولا الرأى
يفند أى ولا رأيه يضعف بل كان قوى الحججة ثابت الفكرة

أقول ولا يلقي قولي عائب من الناس إلا عازب القول مبعد^(١)
 وليس هوائي نازعا عن ثنائه لعلي به في جنة الخلد أخلد^(٢)
 مع المصطفى أرجو بذلك جواره وفي نيل ذلك اليوم أسعى وأجهد
 ٦ - وقال أيضاً يرثيه صلى الله عليه وسلم
 ما بال عينك لا تنام كأنما كحلت نأقهما بكحل الأرمد
 جزعا على المهدي أصبح ثاويأ ياخير من وطىء الحصى لا تبعد^(٣)
 وجهي يقيمك التراب لهني ليتنى غيبت قبلك في بقيق الغرقد
 بأبي وأمي من شهدت وفاته في يوم الاثنين النبي المهدي
 فظلت بعد وفاته متبلدا متلدا باليتنى لم أولد^(٤)
 أقيم بعدك بالمدينة بينهم باليتنى صبحت سم الأسود^(٥)

(١) يقول أقول قولي هذا ولا يمكن لأحد أن ينكره على الا ذاهب القول
 أى الذى لا يعتد به فهو سفيه رأى بعيد العقل وفي حديث عائشة :
 فهن هواء والحلوم عواذب - جمع عازب أى أنها خالية بعيدة العقول
 (٢) قوله نازعا عن ثنائه أى ليس ميل راجعاً عن مدحه وثنائه
 (٣) الأرمد هو الذى هاجت عينه من الرمذ وهو وجع العين وانتفاخها
 وانتصب جزعا على المصدر
 (٤) بقيق الغرقد مقبرة المدينة المنورة . وقوله في يوم الاثنين عن ابن عباس
 رضى الله عنهما قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبي يوم
 الاثنين وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين
 ورفع الحجر يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين نصف النهار لاثنتى عشرة ليلة خات
 من ربيع الأول سنة احدى بثشرة من الهجرة ضحى في مثل الوقت الذى دخل فيه
 المدينة . وقوله متبلدا متلدا أى نافذ الصبر مثلما حائرانى أمرى لأدرى كيف أصنع
 (٥) قوله أقيم بعدك لفظه لفظ الاستفهام والمعنى الانكار أى لم أقم بعدك
 بالمدينة الح . وقوله باليتنى ، يا حرف نداء والمنادى محذوف أى يا قوم أو غير
 ذلك وصبحت سم الأسود ، أى شربت الصبوح وهو ما شرب بالغداة فما
 دون القبالة من سم الأسود وهي الحية

أو حل أمر الله فينا عاجلا في روحة من يومنا أو في غد
فتقوم ساعتنا فنلقى طيباً محضاً ضرائبه كريم المحمد
يا بكر آمنة المبارك بكرها ولدته محصنة بسعد الأسعد (١)
نوراً أضاء على البرية كلها من يهدر للبور المبارك يهتدى
يا رب فاجعنا معاً ونينا في جنة تنبي عيون الحسد (٢)
في جنة الفردوس فاكتبها لنا ياذا الجلال وذا اللا والسودد
والله أسمع ما بقيت بهالك إلا بكيت على النبي محمد (٣)
ياويح أنصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد (٤)
ضاقت بالانصار البلاد فأصبحوا سودا وجوههم كلون الائم
ولقد ولدناه وفينا قبره وفضول نعمته بنا لم يجحد

(١) قوله فنلقى طيباً أي فنرى رسولا طيباً محضاً ضرائبه أي خالصة ونقية طبيعته وبجسده جمع ضريبة ويريد به النبي عليه الصلاة والسلام ، وبكرها فاعل المبارك وهو النبي ، ومحصنة حال من ضمير ولدته أي عفيفة . وبسعد الأسعد أي بطالع سعيد .

(٢) تنبي عيون الحسد أي تبعد عنا عيون الحسد (٣) تعلق الباء من قوله بهالك بأسمع وحذف حرف النبي الداخل على الفعل لأنه لا يلتبس بالاثبات لأنه لو كان اثباتاً لم يكن بد من اللام ونحو قول امره اقميس ه فقلت يمين الله أبرح قاعدا ه

وقوله ما بقيت ما مع الفعل في تقدير مصدر وحذف اسم الزمان معه أي مدة بقائي وفي الكلام نية الشرط والجزاء كأنه قال لا أسمع بهالك أن بقيت ومعناه أن بقيت حياً فلذلك وقع الماضي فيه في موضع المستقبل لأن ما بقيت في موضع ما أبقى وإن أبقى ه

(٥) ويح كلمة ترحم وتوجع وتضاف كما هنا ولا تضاف ويريد بالمغيب رسول الله أي المتوارى ، وسواء الملحد وسطه .

والله أكرمنا به وهدى به أنصاره في كل ساعة مشهد
صلى الاله ومن يحف يعرشه والطيون على المبارك أحمد

٧ - وقال أيضاً يرثيه صلى الله عليه وسلم

آليت ماني جميع الناس مجتهدا في آية بر غير إفساد (١)
تالله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل الرسول نبي الأمة الهادي
ولا برا الله خلقا من بريته أوفى بذمة جار أو بميعاد (٢)
من الذي كان فينا يستضاء به مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد
مصداقا للنيين الألى سلفوا وأبذل الناس لل معروف للجادي (٣)
يا أفضل الناس إني كنت في نهر أصبحت منه كمثل المفرد العاصي
أمسى نساؤك عطلان البيوت فسا يضرين فوق قفا سستر بأوتاد
مثل الرواهب بلسن المسوح وقد أيقن بالبؤس بعد النعمة البادي (٤)

٨ - وقال الحرث بن أبي شمر الغساني لحسان وكان النعمان بن المنذر اللخمي
يساميه : يا ابن الفريعة لقد نبئت أنك تفضل النعمان على فسال وكيف أفضله
عليك فوالله لقفالك أحسن من وجهه ولأملك أشرف من أبيه ولأبوك أشرف
من جميع قومه ولشمالك أجود من يمينه ولحرمانك أنفع من نداءه ولقليلك أكثر

(١) قول آليت آية برأى حلفت حلفة صادقة غير افناد أى تكذيب

(٢) قوله ولا برا الله من بريته أى ولا خلق الله من خلقه شخصا أو في
منه الخ .

(٣) الجادي طالب الجدوى وهى العطية .

(٤) المسوح جمع مسح وهو الكساء من الشعر جمع القلة أمساح قال
أبو ذؤيب .

ثم شرين بنبط والجمال كأن الرشح منهن بالآباط أمساح
وأيقن الخ أى تحققن بالشقاء الذى ظهر عليهن بعد النعمة السابقة .

من كثره ولثامك أشرع من غديره ولكرسيك أرفع من سريره ولجدولك أغور
من بحره وليومك أطول من شهره ولشهرك أمد من حوله ولحولك خير من
حقبه ولزندك أورى من زنده ولجندك أعز من جنده وإنك من غسان وإنه
من لحم فكيف أفضله عليك وأعدله بك فقال يا ابن الفريعة هذا لا يسمع إلا
في شعر فقال :

نبئت أن أبا منذر يساميك للحرث الأصغر (١)
قفاك أحسن من وجهه وأمك خير من المنذر
ويسرى يدبك على عسرها كيمنى يديه على المعسر
وشتان بينكما في الندى وفى البأس والخير والمنظر (٢)
٩ - وقال أيضا يرثى أهل مؤته عام ٨ هـ .

عين جهودى بدمعك المنذور واذكرى فى الرخاء أهل القبور
واذكرى مؤته وما كان فيها يوم ولوا فى وقعة التغوير
حين ولوا وغادروا ثم زيدا نعم مأوى الضريك والمأسور (٣)
حب خير الأنام طراً جميعاً سيد الناس حبه فى الصدور (٤)
ذاكم أحمد الذى لا سواه ذاك حزنى معاله وسرورى

(١) نبئت فيه الحرم

(٢) الخير بالكسر الكرم والجود .

(٣) الرخاء لعله يريد به أيام السلم والتغوير القائلة وذلك لما أصيبوا متتابعين
وأخذ الراية خالد بن الوليد خرج إلى الظهر من ذلك اليوم تعرف الكتابة فى
وجهه فخطب الناس بما كان من أمرهم . والضريك الشديد عصب الخلق فى جسم
وكذلك المأسور يقال فلان شديد أسر الخلق إذا كان معصوب الخلق غير مسترخ
وزيدا هو زيد بن حارثة .

(٤) حب خير الأنام صفة لزيد أى هو محبوب خير الأنام وكان زيد ابن
حارثة رضى الله عنه يدعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٠ - وقال رضى الله عنه يجيب رجلا من قريش حين أسروا سعد بن عبادة
يوم الاثنى عشر نقيبا ، قال القرشى .

تداركت سعدا عنوة فأخذته وكان شفاه لو تداركت منذرا
ولو نلته طلعت هناك جراحه وكانت جراحا أن تهان وتهدرا (١)

فقال حسان رضى الله عنه بجيبه وهو أول شعر قاله فى الاسلام

لست إلى عمرو ولا المره منذر إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا
ولولا أبو وهب لمرت قصائد على شرف البلقاء تهوين حسرا
فانا ومن يهدى القصائد نجونا كمستبضع تمرا إلى أهل خبيرا
فلاتك كالوشاة التي كان حثفها بقرية كسرى أو بقرية قيصر
ولاتك كالعاوى فأقبل نحره بحفر ذراصيها فلم ترض محفرا (٢)
ولم يخشيه سهمان النبل مضمرا (٣)

١١ - وكان وهب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بنى تميم سنة
الوفود بعد فتح مكة فيهم عطار بن حاجب بن زرارة وقيس بن عاصم وقيس

(١) أخذته عنوة أى قهرا وغلبة . وطلت جراحه أى أهدرت

(٢) قوله ولاتك كالوشاة النخ البيت يشير الى المثل العربى المشهور : حثفها
تحمل ضأن بأظلافها ، وأصله أن رجلا كان جائعا بالفلاة القفر فوجد شاة ولم
يكن معه ما يذبجها به فبحثت الشاة الارض فظهر فيها مديفة فذبجها بها فصار مثلا
لكل من أعان على نفسه بسوء تدبيره ولذلك يضربه الشاعر له . وقوله فلم ترض
محفرا هى المسحاة ونحوها مما يحتفر به أى فلم تقبل محفورا

(٣) قوله فأقبل نحرها سهمان أى جعله الضمير للنحر قبالة أى عرضه للسهم
وضمير يخشيه للسهم أى لم يخافه كأنه ألقى بنفسه للسهم . والسهم المضمحل الخفى

ابن الحارث ونعيم بن زيد وعتبة بن حصن بن حذيفة بن بدر والاقرع بن حابس في لفهم ولفيفهم ودخلوا المسجد ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته أن اخرج الينا يا محمد جئناك لنفاخرك فاذن لشاعرنا وخطيبنا قال قد أذنت لخطيبكم فليقل فقام عطار بن حاجب فقال الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما تفعل منها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عدداً واشده عدة فمن مثلنا في الناس ألسنا برؤس الناس وألى فظلمهم فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددناه وإننا لو نشاء لاكثرنا الكلام ولكننا تنجيننا من الاكثار وأقول هذا لأن تاتوا بمثل قولنا وأمر أفضلي من أمرنا ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس الخزرجي قم فاجب الرجل في خطبته فقام ثابت بن قيس فقال الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه قضى فين أمره ووسع كرسيه عليه ولم يكن شيء قط الا من فعله ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا وأصدقه حديثا وأفضله حسبا فانزل عليه كتابه واتممه على خلقه وكان خيرة من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان به فأمن برسول الله المهاجرون من قومه وذرى ربه أكرم الناس أحسابا وأحسنهم وجوها وخير الناس فعلا ثم كان أول الخلق لإجابة واستجاب الله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله متع بماله ودمه ومن كفر جاهدناه في الله أبدا وكان قتله علينا يسيرا أقول هذا واستعفر الله لي وللبؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم فقام الزبرقان بن بدر التميمي فقال .

نحن الكرام فلاحي يعادلنا منا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الأحياء كلهم عند النهاب وفضل العز يتبع^(١)

(١) وفيها تنصب البيع أي تقام والبيع جمع بيعه بالكسروهي كنيسة النصراني وقيل كنيسة اليهود قال تعالى وبيع وصلوات ومساجد . وقسرنا أي قهرنا وغلبننا والنهاب جمع نهبة وهي الغنيمة قال العباس بن مرداس
كانت نهابا تلافيتها بكري على المهر بالاجر

ونحن نظم عند القحط مطعمنا
ثم ترى الناس تائينا سرانهم
فبتحر الكوم غبطا في أرومتنا
فلاترانا إلى حى نفاخرهم
إنا أئينا ولم ياب لنا أحد
فن يقادرننا في ذاك يعرفنا
من الشواء إذا لم يؤنس القزع^(١)
من كل أرض هو يائهم نصطنع
للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا^(٢)
إلا استقادوا وكاد الرأس يقتطع
إنا كذلك عند الفخر نرتفع
فيرجع القول والأخبار تستمع

وكان حسان بن ثابت غائبا فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
حسان فلما جاءني رسوله فأخبرني إنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم خرجت
إلى رسول الله وأنا أقول :

منعنا رسول الله إذ حل وسطنا
منعاه لما حل بين بيوتنا
بجى حريد عزه وثرأوه
هل المجد إلا السودد والعود والندى
على كل باغ من معد وراغم
بأسيا فنا من كل عاد وظالم
بجأوية الجولان وسط الأعاجم
وجاه الملوك واحتمال العظام^(٣)

قال فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام شاعر القوم فقال
ما قال عرضت في قوله وقلت على نحو ما قال فلما فرغ الزبيرقان بن بدر من
قوله قال رسول الله لى ان قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال فقال حسان :
إن الذوائب من فخر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع^(٤) .

(١) إذا لم يؤنس القزع أى إذا لم يرج مطر

(٢) فتحر الكوم غبطا فى أرومتنا . الكوم القطعة من الابل . والغبط
حسن الحال . والارومة الاصل يفتخر الشاعر بكرم عشيرته .

(٣) بجى حريد أى بمنزل ومنفرد لذته . والعود الطريق القديم العادى
وكذلك السودد على المثل .

(٤) الذوائب جمع ذؤابة وهى الشعر المصفور استعارها هنا للاشراف وفى
حديث دغفل وأبى بكرانك لست من ذوائب قريش أى من أشرافهم .

يرضى بها كل من كانت سريرة
قوم إذا حاربوا ضرر واعدوهم
سجية تلك منهم غير محدثة
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم
إن كان في الناس سباقون بمدمهم
ولا يرضون عن مولى بفضلهم
لا يجهلون وإن حاولت جهلهم
أعفة ذكرت . في الوحي عفتهم
كم من صديق لهم نالوا كرامته
أعطوا نبي الهدى والبر طاعتهم
إن قال سيروا أجدوا السير جهدهم
ما زال سيرهم حق استفادتهم
خدمتهم ما أتى عفوا إذا غضبوا
فان في حربهم فترك عداوتهم
نسموا إذا الحرب نالتنا مخالبا

تقوى الاله وبالأمر الذى شرعوا
أو جاولوا النفع فى أشياءهم نفعوا
إن الخلاق فاعلم شرها البدع (١)
عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
فكل سبق لأذى سبقهم تبع
ولا يصيبهم فى مطمع طبع
فى فضل أحلامهم عن ذلك متسع
لا يطمعون ولا يردبهم الطمع (٢)
ومن عدو عليهم جاهد جدعوا
فما وانصرم عنه وما نزعوا
أو قال عوجوا علينا ساعه ربعوا
أهل الصليب ومن كانت له البيع
ولا يكن همك الأمر الذى منعوا
شرا يخاض عليه الصاب والسلع
إذا الزعانف من أظفارها خشعوا (٣)

(١) البدع جمع بدعة وهى كل محدثة وفى البيتين التقسيم ثم الجمع فقد قسم فى البيت الأول صفة المدوحين إلى الضرر بالاعداء والنفع للاولىاء ثم جمع فى الثانى بأن كلا منهم سجية لهم لا بدعة محدثة فيهم .

(٢) لا يردبهم طمع أى لا يطمعون فى شىء يؤدى بهم إلى الهلاك
(٣) عفوا أى بغير مسألة : ومنعوا أى منعه . شرا اسم إن . ويخاض عليه أى يخلط عليه الصاب والسلع كلاهما شجر مر . وقوله نسموا الخ فى البيت . تخييل لأن الشاعر لما شبه الحرب بالسبع فى الاغتبال أخذ الوهم يتخربع لها مخالبا وأظفارا كخالب وأظفار السبع فشبهم الصورة المتخييلة بالصورة المحققة واستعير لفظ الخالب والأظفار من المشبه به للمشبه . والزعانف من الناس سفلتهم

لاخر إن هم أصابوا من عدوهم وإن أصيبوا فلا خور ولا جزع
 كأنهم في الوغى والموت مسكتع أسد ببشة في أرساغها فدع
 إذا نصبنا لقوم لاندب لهم كما يدب إلى الوحشية الذرع (١)
 أكرم بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفرقت الأهواء والشيع
 أهدى لهم مدحى قلب يوازره فيما يحب لسان حائك صنع
 فانهم أفضل الأحياء كلهم إن جد بالناس جد القول أوسمعا

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله قال الأقرع بن حابس وأبى ان هذا الرجل
 المؤتى له لخطيبه أخطب من خطيبنا وأشاعره أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من
 أصواتنا فلما فرغ القوم أسلموا وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن
 جوائزهم

١٢ - ولما وقع يوم بعاث وهو بين الأوس والخزرج بسبب قتل سمير
 الأوسى لبجير مولى مالك بن العجلان سيد الحيين واقتلوا قتالا شديدا ثم ان
 رجلا من الأوس نادى يا مالك نشدتك الله والرحم أن تجعل علينا حكما من قومك
 فارعوى مالك وحكموا عمرو بن امرئ القيس فقضى للمالك بن العجلان بديعة
 المولى فأبى مالك وآذن بالحرب فخذلته بنو الحرث لرده قضاء عمرو وأنشد قصيدته
 التي يقول فيها :

(١) الخور الضعف يقال خار الرجل يخور خؤرا ضعفا وانكسر . والمسكتع
 الدانى القريب . والفدع زوال الرسغ في اليد الى وحشيتها . وقوله لاندب لهم
 أى لم نمس لهم رويدا وتمتجسس عليهم والذرع جمع ذريعة وهى الجمل يحتل به
 الصيد يمشى الصياد الى جنبه فيستتر به ويكون كالدرية ويرمى الصيد اذا أمكنه
 وذلك الجمل يسبب أولا مع الوحش حتى تألفه قال الشاعر .

إن سميراً أرى عشيرته قد حذبوا دونه وقد أنفوا (١)
إن يكن الظن صادقي ببني النجاشية لا يطعموا الذي علفوا
فقال عمرو بن امرئ القيس الأنصاري يخاطبه من قصيدته
يا مال والسيد المغمم قد يبطره بعض رأيه السرف (٢)
(نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف
يامال والحق إن قنعت به فالحق فيه لأمرنا نصف
خالفت في الرأي كل ذي حجر والحق يامال غير ما تصف (٣)
إن بجيرا مولى لقومكم والحق يوفى به ويعترف
إن سميراً أبت عشيرته أن يعرفوا فوق ما به نصف
أو تصدر الخيل وهي جافلة تحت هواها جماجم خفف
أو تجرعوا الغيظ ما بدا لكم فهارشوا الحرب حين تنصرف (٤)

(١) قوله قد حذبوا دونه أي عطفوا وأشفقوا عاياه . وأنفوا يقال أنف الشيء كرهه وشرفت عنه نفسه ويريد ههنا أخذتهم الحمية من الغيرة والغضب لاجل سمير

(٢) قوله يا مال هو منسأدى مرخم مالك بن العجلان والعمامة عند العرب لا يلبسها إلا الأشراف والعمائم تيجان العرب . والسرف اسم الأسراف وهو مجاوزة القصد

(٣) نحن ضمير منفصل مبتدأ والخبر محذوف جوازا أي راضون بدليل وأنت النخ . وعند ظرف مكان والرضا بالشيء اختياره والرأي العقل والتدبير أي نحن راضون بما عندنا ومختارون له وأنت كذلك والرأي بيننا مختلف لان كلامنا له عقل وتدبير مخالف لعقل الآخر وتدييره . والنصف العدل والاستقامة والفجر هو الجود الواسع والكرم من التفجر في الخير .

(٤) قوله أو تصدر الخيل النخ أو هنا بمعنى إلى . وخفف جمع خفيف . وقوله فهارشوا المرش هو التحريش وتحريك الفتنة .

وقال قيس بن الخطيم من قهيدة يجيبه .

(أبلغ بنى جمحبي وقومهم
وإننا دون ما يسومهم آل
نفلى بجد الصفيح هامهم
وفليننا هامهم بها عنف
خطمة إنسا وراهم أنف
أعداء من ضم خطة نكف (١)

فرد عليه حسان بقوله

ما بال عيني دموعها تكف
بانث بها غربة تؤم بها
ما كنت أدري بوشك يذنبهم
فغادروني والنفس غالبها
دع ذا وعد القريض في نفر
إن أدع في المجد ألقهم سلفاً
أو ندع في الأوس دعوة هرباً
كنتم عبيداً لنا نخولكم
من ذكر خود شطت بها قدف
أرضاً سوانا فالشكل مختلف
حتى رأيت الخوج قد عزفوا
ما شفها والهموم تعتكف
يدعون بجدى ومد حتى شرف (٢)
أهل فعال يبدوا إذا وصفوا (٣)
وقد بدا في الكتيبة النصف
من جاءنا والعبيد تضطعف

(١) بنى جمحبي وخطمة حيان لقبيلة قيس بن الخطيم لأنه أوسى والسوم التكليف . والخطة الشأن والأمر العظيم ونكف جمع ناكف من نكفت من كذا أى استنكفته وأنفت منه .

(٢) الخدوج هى مراكب النساء واحدها حدج . وعزفوا أى تهبثوا للرحيل . وقوله والنفس غالبها ما شفها أى متغلب عليها ما شفها من الحزن والتحل جسمها وهزلها . وتعتكف أى تقبل على من كل صوب . ودع ذا الخطاب لقيس بن الخطيم انتقال من ذكر الحبيبة الى الافتخار على قيس .

(٣) قوله ألقهم سلفاً السالف المتقدم أى متقدمون وفى التنزيل جعلناهم سافاً ومثلاً للآخرين أى جعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون . والفعال لاسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

كيف تعاطون يجدنا سفها وأتم دعوة لها وكف
شأنكم جسدكم وأكرمنا جد لنا في الفعال ينتصف (١)
نجعل من كان المجد محتده كأعبد الأوس كلنا وصفوا
هلا غضبتهم لأعبد قتلوا يوم بعثت أظلمهم ظلف
تقتلهم والسيوف تأخذهم أخذنا عنيفا وأتم كشف
وكم قتلنا من رانس لكم في فيلق يجتدى له التلف (٢)
ومن لثيم عبدا يحالفكم ليست له دعوة ولا شرف
إن سميرا عبد طغى سفها أجدها أعبد لنا تلف
بالكاهنين الذين جسددهم عبد العصا والتام إن أسفوا (٣)

(١) أو ندع في الأوس دعوة هربا أي تنادى من أدبر وتولى منهم . وقوله تعالى في ذكر لظى نعوذ بالله منها : تدعو من أدبر وتولى أي تنادى من أدبر وتولى وكان يوم بعثت موضع بقرب المدينة ويومه معروف وقع فيه حرب بين الأوس والنزرج وسببه قتل بجير مولى مالك بن العجلان والذي قتله سمير بن زيد بن مالك أحد بنى عمرو بن عوف من الأوس وكان ذلك في السنة السابعة من البوة . والنصف اعطاء الحق . والعبيد تضطامف أي تنسب إلى الضعف . والدعوة في النسب المدعى المنهم في نسبه . ولها وكف أي فيها وكف : عيب ونقص الضمير للدعوة . وشأنكم جسدكم أي أبغضكم جسدكم والفعال اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

(٢) هلا حرف حث، وتحضيض أي لم تغضبوا . وأظلمهم ظلف أي أقبل عليهم ودنا منهم ظلف وهو الشدة والبؤس ، وفي الحديث قد أظلمكم شهر عظيم أي أقبل عليكم ودنا منكم . والكشف الذين لا يصدقون القتال . وقوله رانس أي رئيس والفيلق الكتيبة العظيمة .

(٣) أن أسفوا أي خضعوا وذلوا ومة الأسيف العبد والأسير .

١٣ - وقال رضى الله عنه في يوم أحد يرد على عبد الله بن الزبيرى السهمى
قصيدته التى يقول فيها :

يا غراب البين أسمعك فقل إنما تنطق شيئا قد فعل
والعطيات حساس بينهم وسواء قبر مشر ومقل
كل عيش ونعيم زائل وبنات الدهر يبغين بكل (١)
أبلغنا حسان عنى آية فقريض الشعر يشفى ذا العلل
كم ترى بالجر من جنجمة وأكف قد أنزت ورجل
وسرايل حسان سريت عن كفاة أهلكوا فى المنزل (٢)
كم قتلنا من كريم سيد ما جدد الجدين مقدم بطل
صادق العجدة قرم بارع غير ملات لدى وقع الأسل
ليت أشياخى بيدر شهدوا جزع الخرج من وقع الأسل
فأسأل المهراس من ساكنه بعد أبدان وهام كالحجل (٣)
إن للخير والشر مدى ركلا ذلك وجه وقيل (٤)

(١) حساس بينهم أى شؤم وتكد ، وبنات الدهر صروفه . والسكل الأعيام
(٢) الجر سدفع الجبل ، وقد أنزت أى أصابتها جروح فنزيت منها وماتت
أصحابها ، ورجل لعله جمع تكسير لرجل والمشهور أرجل . وسريت أى نزعت
وكشفت .

(٣) المهراس ماء بأحد . والحجل صغار الابل وأولادها

(٤) مدى أى غاية اسم ان مؤخر ، وكلا مبتدأ مرفوع بضمه مقدرة للتعذر
وهو اسم لفظه مفرد ومعناه مثنى لعوده على الخير والشر وهو مضاف الى اسم
الإشارة ووجه أى جهة خبر كلا وقيل جهة أيضا معطوف على وجه عطف
تفسير يقول إن للخير والشر غاية ينتهيان اليها ويقفان عندها وكلا ذلك
صاحب جمه يصرفه الله فيها .

فقال حسان رضى الله عنه :

ذهبت بابن الزبيرى وقمة كان منا الفضل فيها لو عدل
ولقد نلتم ونلنا منكم وكذلك الحرب أحيانا دول
إذ شددنا شدة صادقة فأجا ناكم إلى سفح الجبل
إذ تولون على أعقابكم هربا في الشعب أشباه الرسل
أضع الخطى في اكتافكم حيث نهوى عللا بعد نهل (١)
فسدحنا في مقام واحد منكم سبعة غير المتحل (٢)
وأسرنا منكم أعدادهم فأنصرفت مثل أفلات الحجل (٣)
تخرج الأضياع من استاهم كسلاح النيب يأكلن العصل
لم يفوتونا بشيء ساعة غير أن ولوا بجهل وفشل
ضاق عنا الشعب إذ نجزعه وملائنا القرط منهم والرجل (٤)
برجال لستم أمثالهم أيدوا جبريل نصرا فنزل
وعلونا يوم بدر بالتقى طاعة الله وتصديق الرسل

(١) فأجاناكم أجاناكم والرسل القطيع من الابل ترسل الى الماء خمسا ونهوى عللا بعد نهل هو الشرب بعد الشرب تباعا ضربه مثلا أى مرة بعد مرة .

(٢) فسدحنا أى فصرعنا والمسدوح المصروع

(٣) الحجل من جنس القبيج وهو صغار يقول انهزتم وفررتم كما نقلت الحجل من الشرك فلا تلوى على شيء .

(٤) الأضياع هى الالبان الممدوقة . والعصل الحمض إذا رعمته النيب وهى مسان الابل . ولم يفوتونا أى لم يسبقونا والشعب الطريق النافذين الجبلين ونجزعاه نقتطعه . والقرط نشوز الأرض واكمه والرجل مجارى الماء واحده رجلة يريد ملائنا ذلك من قتلاتكم .

وتركنا في قريش عورة يوم بدر وأحاديث مثل (١)
وتركنا من قريش جمعهم مثل ما جمع في الخصب الحمل
فقتلنا كل رأس منهم وقتلنا كل جمع جاح رفل (٢)
كم قتلنا من أكريم سـ يد ماجد الجديدين مقدم بطل
وشريف لشريف ماجد لا نباليه لدى وقع الأسسل
نحن لا أتم بني أسـ تاهما نحن في البأس إذا البأس نزل

* * *

١٤ - وقال حسان بن ثابت قدمت على عمرو بن الحارث فاعتاص الوصول
اليه فقلت للحاجب بعد مدة أن أذنت لي عليه وإلا هجوت اليمين كلها ، ثم انقلبت
عنكم فاذن لي فدخلت عليه فوجدت عنده النابغة وهو جالس من يمينه وعاقمة
ابن عبدة وهو جالس عن يساره فقال لي يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك ونسبك
في غسان فارجع فاني باعت اليك بصلمة سنينة ولا أحتاج الى الشعر فاني أخاف عليك
هذين السبعين النابغة وعاقمة أن يفضحالك ويفضحتك فضيحتي وأنت والله لا تحسن
أن تقول :

رفاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباب

(١) الحمل : الابل التي ترعى بغير راع ليلا ونهارا ، يقال : هملت المشاة
سرحت بغير راع فهي هاملة ويقال بهير هامل وجمعه همل ، والجمع جاح السيد
الكريم ، ولحمل السيد .

(٢) قوله نحن في البأس النخ يقول نحن أصبر منك في البأس لستم لنا أشباها .

تحييم بيض الولائد بينهم وأكسية الأضريح فوق المشاجب
يصونون أجسادا قديماً نعيمها بخالصة الأردن خضر المناكب
ولا يحسبون الخير لا شر يعمده ولا يحسبون الشر ضربة لازب^(١)
حبوت بها غسان إذ كنت لاحقاً بقومى وإذا أعيت على مذاهي^(٢)

فأبيت وقلت لا بد منه فقال ذاك الى عميك فقلت لها بحق الملك الا قدمتا
عليكما فقالا قد فعلنا فقال عمرو بن الحارث هات يا ابن للفريضة فأشأت .

أسألت رسم الذار أم لم تسأل بين الجواني فالبيض فحومل
فالمرج مرج الصفرين فجاسم فديار سلى دارسا لم تحال

(١) قوله رفاق النعال أراد أنهم ملوك لا يخصصون نعالهم وإنما يخصص من
يمشى . وطيب حجراتهم أى هم أعفاه محضون وأصل الحجرة الوسط أى
يشدون أزهرهم على عفة . والسباسب يوم السعائين وهو يوم عيد النصرارى وكان
الممدوح نصرانياً . وقولة الولائد هى الاماء . والأضريح الخبز الأحمر والمشاجب
جمع مشجب وهو عود ينشر عليه الثوب قال الأصمعى هم ملوك أهل نعمة
تخدمهم الاماء البيض الحسان وثيابهم مصونة بتعليقها على الأعواد . والأردان
مقدم كم القميص والخالص الشديد البياض وقوله لازب أى ثابت يقول قد
عرفوا تصرف الزمان وتقلبه فاذا أصابهم خير لم يشقوا بدوامه فيضطروا واذا
أصابهم شر لم يرهقهم وأيقنوا أنه لا يدوم عليهم فلم يقنطوا فوصفهم بالاعتدال .

(٢) قوله حبوت أعطيت يقول حبوت بالقصيدة غسان إذ كنت لاحقاً
بقومى فكانوا أحق من أمدح . وقوله إذا أعيت يريد إذ كان هاربا من النعمان
فضاقت عليه مذاهي؛ يعنى أنه رأى أهلاً لمده في حال خوفه وأمنه وهذا من شعر
البنابغة يمدح به عمرو بن الحارث .

دمن تعاقبها الرياح دوارس
دار لقوم قد أراهم مرة
لله در عصاة نادتهم
يمشون في الخلل المضاعف نسجها
الضاربون الكباش يبرق بيضه
والخالطون فقيرهم بغنيم
أولاد جفنة حول قبر أبيهم
يفشون حتى ما تهر كلابهم

والمدجنات من السماء الأعزل (١)
فوق الأعره عزهم لم ينقل
يوما يجلق في الزمان الأول (٢)
مشى الجمال الى الجمال البزل
ضربا يطيح له بنان المفصل
والمنعمون على الضعيف المرمل
قبر ابن مارية السكرم الفضل
لا يسألون عن السواد المقبل (٣)

(١) قوله لمجواني الخ كلها مواضع ملوك الشام والحيرة الذين تفرقوا بعد
سيل العرم واستوطنوا بها . وجاسم اسم قرية بينهما وبين دمشق ثمانية فراسخ على
يمين الطريق الأعظم الى طبرية انتقل اليها جاسم بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام
أيام تلبلت الألسن ببابل فسميت به والمدجنات الغيوم الممطرة .

(١) قوله يجلق موضع بقرب دمشق والعصابة الجماعة من الناس .

(٢) قوله : أولاد جفنة قطعته للشاعر من قوله عصابة لما قصد من معنى المدح
والثناء ولو نصبه على هذا المعنى لكان حسنا ولو جره على البدل والنعت لجاز .
وجفنة هو أبو ملوك الشام وهو جفنة بن عمرو مزقياء بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس
بن ثعلبة ابن عمرو بن جفنة وأراد بأولاد جفنة أولاد الحرث الأعرج بن مارية
وهم النعمان والمنذر والمنذير وجبله وأبو شمر وهؤلاء كلهم ملوك وهم أعمام جبله
بن الإيهم ومارية هي بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة غسانية وهي أخت هند
أمرأة حجر والد امرئ القيس صاحب المعلقة وأراد بقوله حول قبر أبيهم انهم
في مساكن آباؤهم ورباعهم التي كانوا ورثوها عنهم ، وقوله يفشون بالبناء للمفعول
أى يتردد اليهم من غشيه اذا جاءه وهم السكب اذا صوت وهو دون الباح يبنى
أن منازلهم لا تخلو من الاضياف والفقراء فكلاهم لا تهر تلى من يقصد منازلهم
لاعتيادها بكثرة التردد اليها من الاضياف وغيرهم . وقوله لا يسألون أى هم في
سعة لا يسألون كم نزل بهم من الناس ولا يهولهم الجمع الكثير وهو السواد اذا
قصدوا نحوهم .

يسقون من ورد البريص نالهم	بردى يصفق بالرحيق السلسل
يسقون ذرايق الرحيق ولم تكن	تدعى ولا تدهم لتقف الخنظل
بيض الوجهه كريمة أحسامهم	شم الأنوف من الطراز الأول
فمبشت أزمانا طـ والافيهم	شم ادكرت كأننى لم أفعل
إما ترى رأسى نغسير لونه	شمطاً فأصبح كالثغام المحول ^(١)
ولقد يرانى موعدى كأننى	فى قصر دوامة أو سماء الهيكل
ولقد شربت الخمر فى حانوتها	صهباء صافية كقطع الفلفل
يسعى على بكاسها منتطف	فيعلنى منها ولو لم أنهل ^(٢)
إن التى ناولتنى فرددتها	قتلت قتلت فباتها لم تقتل
كثامها حلب العصير فعاطنى	بزجاجة أرخاها للمفصل ^(٣)

(١) ضمير يسقون عائد على أولاد جفنة ومن مفعوله . والبريص نهر يتشعب من بردى وهى نهر دمشق كالصراة من الفرات . وقوله بردى يريد ماء بردى لحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه وقوله يصفق أى يمزج . والرحيق الخمر والسلسل السهل أى كأنه مزوج بذلك أى أنهم لا يسقون المساء إلا بمزوج بالخمر لسعتهم وكرمهم وتعظيم من يرد عليهم . والدرايق خالص الخمر وجيده شبه بالدرايق الشافى والولاندى جمع وليدة وهى الخنظل . والنقف استخراج ما فى الخنظل يقول هم ملوك لا يتجتنى ولا تدهم الخنظل ولا تنتقفه . والطراز الجيد من كل شىء . وأذكرت تذكرت وقوله أما ترى يريد إن ترى رأسى يخاطب امرأة وهما زائدة ، والثغام نبت أبيض الثمر والزهر . وشمطاً أى اختلط . وادشورها ببياضها . والمحول . الذى قد أتى عليه الحول وبروى كالثغام الممحل .

(٢) قوله منتطف هو المقطر والنطقة بفتحات القوط . وقوله فيعلنى أى يسقنى سقياً بعد سقى والنهل هنا العطش أى يستقيها على كل حال عطشت أو لم أعطش .

(٣) قوله قتلت الجملة خبران وقتلت الجملة اعتراضية . وقوله كثامها أراد كلتا الممزوجة والصرف حلب العنب وأرخاها أشدها أرخاء أفضل تفضيل =

بزجاجة رقصت بما في قعرها رقص القلوص براكب مستعجل
نسبي أصيل في السكرام ومذودي تكوى مواسمه جنوب المصطلى
ولقد تقلدنا العشيبة أمرها ونسود يوم الثنابات ونعتلى
ويسود سيدنا ججاج سادة ويصيب قائلنا سواء المفصل
ونحاول الأمر المهم خطابة فيهم ونفصل كل أمر معضل (٢)
وتزور أبواب الملوك ركابنا ومتى نحكم في البرية نعدل
وفتى يحب الحمد يجعل ماله من دون والده وإن لم يسأل
باكرت لذته وما ما طلتها بزجاجة من خير كرم اهدل (٣)

١٥ - وقال ينزه عائشة عن الريبة .

حصان رزان مازن بريبة وتسبح غرثى من لحوم الغوافل

== من أرشى المزيد وهو سماعى عند قوم مقيس عند آخرين . ومعنى البيتين
يخاطب الساقى الذى كان نارله كأسا مزوجة لانه يقال قتلت الخمر اذا مزجتها
فكانه أراد أن يعلمه أنه قد قطن لما فعله ثم ما اقتنع بذلك منه حتى دعا عليه
بالتقتل فى مقابلة المزج وقد أحسن كل الاحسان فى تجنيس اللفظ ثم أنه
عقب الدعاء عليه بأن استعطى منه مالم يقتل بهى الصرف التى لم زتمج .
وقوله أرخاها للمفصل يعنى به اللسان لانه يفصل بين الحق والباطل

(١) قوله رقصت الرقص ضرب من الخبب يقال رقص رقصا وهو أحد
المصادر التى جاءت على فاعل فعلا نحو طرد طردا . والقلوص الفتية من الابل
بمنزلة الجارية الفتاة من النساء .

(٢) الأصيل ذو الأصل الثابت ومذوده لسانه ومواسمه هجاؤه الذى يسم
به من أراد وجنوب جمع جنب شق الانسان وغيره والمصطلى الذى يلزم النار .
ونسود نفضل بحسبنا وكرمنا وججاج جمع ججاج السيد السكريم ، والمفصل
أحد مفاصل العظام . والأمر المعضل الشديد .

(٣) السكرم الأهدل المتدلية أغصانه والسكرم العنب .

حليمة خير الناس ديناً ومنصباً نبي الهدى والمكرمات الفواضل (١)
عقيلة حى من لؤى بن غالب كرام المساعي مجدها غير زائل
مهذبة قد طيب الله جيبها وطهرها من كل سوء وباطل (٢)
فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم فلا رفعت سوطى إلى أأملى
وإن الذى قد قيل ليس بلائط بها الدهر بل قول امرى بماحل (٣)
فكيف وودى ما حيت ونصرتى لآل نبي الله زين المحافل
له رتب عال على الناس كلهم تقاصر عنه سورة المتناول (٤)
رأيتك وايفخر لك الله حرة من المحطئات غير ذات غوائل

ولما بلغ قوله * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل *
قالت عائشة لكينك يا حسبان ما تصبح غرثان من لحومهن وكان قد قال
فيها كلاماً

١٦ - وقال لابن الزبيرى حين هرب من النبي يوم فتح مكة :

لا تعد من رجلا أملك بغضه نجران في عيش أحد لئيم
بليت قناتك في الحروب أألقيت سخانة جوفاء ذات وصوم

(١) رزان أى ذات ثبات ووقار وعفاف ورزينة في مجلسها . وماتزن برية .
أى ماتهم والحليلة الزوجة .

(٢) قد طيب الله جيبها يعنى به قلبها وصدرها .

(٣) ليس بلائط بها أى ليس بلاصق بها الضمير لعائشة رضى الله عنها .

(٤) سورة المتناول : الدورة كل منزلة رفيعة والمتناول هو المستطيل على
الناس إذا هو رفع رأسه أى أن له عليهم فضلاً في القدر أى منزلة النبي صلى الله
عليه وسلم تفوق كل منزلة .

غضب الإله على الزبيرى وابنه وعذاب سوء فى الحياة مقيم ^(١)
فلمّا سمع ذلك ابن الزبيرى رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأسلم وقال :

منع الرقاد بلائيل وهموم	والليل معتلج الرواق بهيم
مما أتاني أن أحمد لامي	فيه فبت كأنى محوم
ياخير من حملت على أوصالها	عيرانة سرح اليدىن غشوم ^(٢)
لنى لمآتذر إليك من التى	أسديت إذ أنا فى الضلال أهيم
أيام تأمرنى بأغوى خطة	سهم وتأمرنى بها مخزوم ^(٣)
وأمد أسباب الهوى ويقودنى	أمر الغواة وأمرهم مشوم
فأليوم آمن بالنبي محمد	قلبي ومخطئ هذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها	وأنت أواصر بيننا وحلوم ^(٤)

(١) قوله تعد من الخطاب لابن الزبيرى ويريد بالرجل أباه . ونجران موضع معروف بين الحجاز والشام وأمين هرب إليه عبد الله ابن الزبيرى لما فتح رسول الله مكة وأخذ أى سريع اليد خفيفها . وقوله فألفيت سخانة أى ضعيفة والضمير للقناة وذات وصوم وصف ثالث لها أى ذات عيوب . والزبيرى هو ابن قيس بن عدى بن سعد القرشى السهمى وابنه عبد الله الشاعر كان من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية وعلى أصحابه بلسانه ونفسه ، وكان يناضل عن قريش ويهاجى المسلمين وكان من أشهر قريش

(٢) معتلج الرواق أى ملتطم الرواق ومرخى ظلته وأحمد يريد به المصطفى عليه الصلاة والسلام ، والعيرانة الناقة الصلبة تشبها بعير الوحش

(٣) أيام نصب على الظرفية الزمانية ، وهو مضاف إلى الجملة بعده وبأغوى خطة أى بأصيل أمر . وسهم ومخزوم قبيلتان

(٤) قوله وأنت أواصر جمع آصرة ، ما عطفك على رجل من رحم أو قرابه أو صهر معروف . والحلوم جمع حلم الإنانة والعقل

فاغفر فدا لك والذى كلاهما وارحم فانك وارحم مرحوم
وعليك من سمة المليك علامة نور أعز وخاتم محتوم
أعطاك بعد محبة برهانه شرفا وبرهان الاله عظيم (١)

١٧ - وقال يوم أحد :

منع النوم بالعشاء الهموم وخيال إذا تغور النجوم
بالقوم هل يقتل المسره مملى واهن البطش والعظام سؤم
مهما العطر والفراش ويعلو ها لجين ولؤلؤ منظوم
لو يدب الحولى من ولد الذر عليها لأندبتها السكولوم (٢)
لم تفقها شمس النهار بشيء غير أن الشباب ليس يدوم
إن غالى خطيب جابية الجوى لان عند النعمان حين يقوم
وأبى فى سميحة القسائل الفا صل يرم التقت عليه الخصوم
وأنا الصقر عند باب ابن سلمى يوم نعمان فى السكبول مقيم (٣)

(١) أعطاك الضمير لله عز وجل . والبرهان الحجة الفاضله البينة

(٢) قوله واهن البطش أى ضعيف القوة يريد بها المحبوبة التى يشبب بها
والاستفهام للتعجب . واللجين الفضة لا مكبر له جاء مصفرا مثل الشرايا
والكميت . والذر الذى أتى عليه سنة من صغار النمل يقول لو يدب الصغير من
ولد الذر على جلدها لأثر فيه وجرحه ولم يرد بالحولى ما أتى عليه حول ولكن
جعله فى صغره كالحولى من ولد الحافر والخف فى صغره .

(٣) الجولان من عمل دمشق على طريق مصر . والنعمان أراد بنى جفنة ابن
غسان . وسميحة بئر بالمدينة كانت للاوس والخزرج تحاكت عندها ال ابيه وقيل
الى جده المنذر بن حرام . وأراد بابن سلمى النعمان بن نذر اللخمي ونعمان هذا الذى
ذكر نعمان بن مالك ابن قوقل بن عوف بن عمرو بن عوف وكان حبسه النعمان
بن المنذر فوفد فيه وفى غيره حسان فاطلقوا

وأبى ووافد أطلقا لى ثم رحنا وقلهم محطوم
ورهنه اليدى عنهم جميعا كل كف فيها جز مقسوم
وسطت نسيبى الذوائب منهم كل دار فيها أب لى عظيم
رب حلم أضاعه عدم المسا ل وجهل شطى عليه النعيم (١)
ما أبى لى أنب بالحزن تيس أم الحسنى بظاير غية لثيم (٢)
تلك أقدالنا وفعل الزبيرى خامل فى صديقه مذموم
ولى البأس منكم إذ خضرتم أسرة من بنى قصى سميم
تسمة تحمل اللواء وطارت فى رعاغ من القناء مخزوم (٣)
لم يولوا حتى أبيدوا جميعاً فى مقام وكاهم مذموم
بدم عاتك وكان حفاظاً أن يقيموا إن الكريم كريم

(١) أبى هو ابن كعب بن قيس بن معاوية بن عمرو بن النجار، ووافد بن عمرو بن الاطنابة بن عامن بن زيد مناة بن مالك الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج والاطنابة أمه، ومحطوم مكسر، وقوله جز أراد جزءاً فترك الهمز ورهنه بديه ضمائه لهم كقول الرجل لصاحبه لك يدى بكذا وكذا، والذوائب الاشراف

ويقال غطى الليل اذا ستر كل شىء فهو غاط

(٢) ما أبى لى جملة من الفعل والفاعل وقد دخلها حرف النفى وأنب الهمزة فيه للاستفهام ونب فعل ماض وتيس فاعله والباء فى بالحزن للظرف يقول قد استوى عندى نيبب التيس بالحزن ونيل اللثيم من عرضى بظهر الغيب ونيبب التيس صوته عند هبابه للفساد والحزن ما غلظ من الارض رخصه لأن الجبال ثم أحفظ للعر من السهول

(٣) قوله لى البأس البيت يخبر بصبر بنى عبد الدار بن قصى يوم أسد وانمزام بنى مخزوم

وأقاموا حتى أزيروا شعوباً والفضا في نخورهم معطوم
وقريش تلوذ منا لوإذا لم يقيموا وخف منها الخلوم
لم تطلق حملة العواتق منهم إنما يحمل الالواء النجوم^(١)

(١) قوله لم يولوا أي لم يدبروا حتى أيدوا جميعاً . وكلهم مذموم
بدم حائك أي مدمغ بدم أحر يسيل من أبدانهم وقوله وكان حفاظاً أي وكان
محافظة على العهد والمحامات على الحرم ومنعها من العدو أن يقيموا ولا يولوا
وقوله حتى أزيروا شعوباً أي حتى أوردوا الملية فزاروها شعوب من أسماء المنية
وفي حديثك طلحة حتى أزرته شعوب أي أوردته المنية . وتلوذ منا لوإذا أي
يتسللون منا مستخفين ومستترين بعضهم ببعض من شدة هول ما أصابهم . وخف
منها الخلوم أي انذروا وتخبات عقولهم . وقوله لم تطلق النخ تهكم واستهزاء بهم
والعواتق جمع عاتق ولذلك جمع على فواعل إنما جاء مناساة أحرف على فواعل
ساجب وسواجب وهالك وهالك وشارب وشوارب وفارس وفوارس
وغارب وغوارب وحارك وحوارك . والنجوم الاشراف المعرقون واحدهم نجم

٩ - النابغة الجعدى

المتوفى عام ٨٠ هـ

هو عبد الله بن قيس بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة شاعر
مخضرم : وكان معمرآ نادم المنذر أبا النعمان بن المنذر : ويقال إنه أقدم من النابغة
الذي ياتي لأنه نادم المنذر ، والذي ياتي نادم ابنه النعمان بن المنذر ، ولذلك يقول
الجعدى :

تذكرت والذكرى تهيج للفتى ومن حاجة المخزون أن يتذكرا
ندا ماى عند المنذر بن محرق

أرى اليوم منهم ظاهر الحزن مقفرا

ثم أتى رسول الله (ص) وأسلم وأنشده رأيته فقال له النبي (ص) :
« لا يفضض الله فاك » . فغبر دهره لم تنقص له سن . وفي العقد الفريد لابن
عبد ربه :

قدم ابو ليلي النابغة الجعدى على رسول الله فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنما لنبغى فوق ذلك مظهراً

فقال له النبي : إلى أين يا أبا سلمى . فقال : إلى الجنة يا رسول الله بك فقال
النبي : إلى الجنة إن شاء الله ، فلما بلغ قوله

ولا خير فى حلم إذا لم يكن له بواذر تحمى صفوه ان يكدرنا

ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدر

قال النبي : لا يفضض الله فاك فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية

قال أبو جروال الجشمى وكان رئيس قومه . أسرنا النبي صلى الله عليه وسلم

يوم جنين فبينما هو يميز الرجال من النساء إذ وثبت بين يديه فأنشده

امنن علينا رسول الله فى حرم فانك المرء نرجوه ومنتظر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها يا أرجح الناس حلما حين يخبر

أنا لنشكر للنعماء إذا كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فذكرته حين نشأ في هوازن وارضعته فقال . أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب
فهو لله فقالت الأنصار . وما كان لنا فهو لله ولرسوله . فردت الأنصار ما كان
في أيديها من الذراري والأموال

وعاش طويلاً في الإسلام ، فأقام زمناً مهاجراً حتى أيام عثمان رضي الله عنه
فأحس بضعف في نفسه ، فارتأى عثمان في الرجوع إلى البادية فأذن له . ثم لما
كانت خلافته على (رضي الله عنه) شهد معه وقائع صفين ، وظاهره بيده ولسانه
ونال من معاوية وبني أمية .

وعند ما آلت الخلافة إلى معاوية كتب إلى مروان أن يأخذ النابغة ، فدخل
على معاوية وعنده مروان فأشدها أبياتاً منها :

فان تأخذوا أهلي ومالي بظنة فاني لحراب الرجال محرب
صبور على ما يكره المرء كله سوى الظلم لاني أن ظلمت سأغضب
فالتفت معاوية إلى مروان ، فقال ما ترى ؟ — قال أرى ألا ترد عليه
شيئاً — قال ما أهون والله عليك أن بنجح هذا في غار ثم تأخذه العرب فترويه
أما والله ان كنت لمن يرويه . اردد عليه كل شيء أخذته . ثم كان في شيعة
عبد الله بن الزبير ومدحه فأجزل له العطاء على بخل فيه . وبعد سكون الفتن خرج
مهاجراً إلى الأمصار المفتوحة .

وعمر الجعدي حتى أدرك الأخطل وهاجاه وتناساها الشعر فغلبه الأخطل
وهاجته ليل الأخيلىة انشاعرة فغلبته ومات بأصفهان وهو ابن عشرين وماتى سنة
نحو عام ٨٠ هـ .

كان النابغة قديماً شاعراً مغلقاً في الجاهلية والإسلام .
ولما هرم كان مختلف الشعر مغلباً حتى قال فيه الفرزدق : مثله مثل صاحب
الخلقان ترى عنده ثوب عصب وثوب خبز وإلى جانبه سميل كساء ، غلبه الأخطل
وأوس بن منراء وليل الأخيلىة . وغلبه من لم يكن إليه ولا قريباً منه مثل عقاب

ابن خالد العقيلي وكان مفعجا بكلام لا يشعر ، وهجاء سوار بن أوفى التشييري وفاخره ، ثم هجاء الأخطل آخر عمره

ويقول يونس فيه : كان الجعدي أوصف الناس لفرس وجعله ابن سلام

من الطبقة الثالثة مع أبي ذؤيب ولييد والشماخ

وكان النابغة الجعدي شاعراً مطبوعاً في الجاهلية والإسلام . وهو أول من

سبق إلى الكناية في الشعر عن اسم من يغنى إلى غيرها ، وتبعه الناس بعد ، قال :

أكنى بغير اسمها وقد علم الله خفيات كل مكتم

وكان ممن يصفون الخيل فلا يلحق لهم في ذلك غبار ، حتى ضرب به المثل ،

قال الأصمعي : ثلاثة يصفون الخيل فلا يقاربهم أحد . طفيل الغنوي وأبو دواد

الإيادي ، والنابغة الجعدي . وما كان ينتحى طريقة زهير والخطيئة وأشباههما من

يبالغون في تهذيب الألفاظ وتنقيح المعاني ، بل كان يلقي القول على عواهنه وكان

تهديه إليه بديهته ، فتارة يأتي جيداً متيناً ، وتارة يجيء ضعيفاً رديئاً .

فلم يعرف عنه أنه كان يهذب شعره في جاهلية ولا إسلام ، بل كان يقوله

عفو الخاطر لذلك كان منه الجيد والردى والمتوسط حتى قال الأصمعي : وكان

معجباً به لذلك عنده مطرف (١) بألاف . ونخار بواف (٢) فخالف بذلك زهيراً

والخطيئة . ووافق الذبياني .

ويقول بعض الباحثين : ولعل السبب في أنه كان مغلباً ما كان في طبعه من كرم

وإسجاج ، يتجلى ذلك في ميله إلى التوحيد أيام الجاهلية وإطلاقه عنان الشعر

لابتكاف له ، فلم يستطع مجازاة من غلب على نفسهم الشر ، واشتعلت صدورهم

بالأحقاد ، ولقد كان إذا عرف أن منافره أربى عليه أسرع بالاعتراف بالهزيمة ،

لا يكابر ولا يمارى ، فانه سمع قول أوس بن مغراء في منافرته .

(١) المطرف (مثلثة الميم) ثوب من خز مربع ذو أعلام .

(٢) الوافي : هو الدرهم قدر درهم وثلاث .

لعمرك ما تبلى سراويل عامر من اللؤم مادامت عليها جلودها
فقال : لقد غلب أوس .

هذا وفنون الشعر عند الجعدى كثيرة ، وقد أجادوا في الفخر والرثاء والهجاء
والمدح ووصف الخيل ، وكان أحد ثلاثة أجدادى وصفها ، وهم : طفيل الغنوى ،
وأبو ذؤاد ، والنابعة الجعدى .

نماذج من شعره :

من قصيدته التى مدح بها رسول الله ، وهى طويلة تبلغ مائتى بيت :
خيلى عوجا ساعة وتهجرا ولوما على ما أحدث الدهر أوزرا (١)
ولا تجزعا إن الحياة ذميمة نطفنا لروعات الحوادث أوقرا (٢)
وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه فلا تجزعا بما قضى الله واصبرا
ألم تريا أن الملامة نفعها قليل إذا ما الشئ ولى وأدبرا
تهيج البكاء والندامة ثم لا تغير شيئاً غير ما كان قدرا

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاب الله كالبحر نيرا
أقيم على التقوى وارضى بفعلها وكنت من النار الخوفة أحذرا (٣)
خيلى قد لاقيت ما لم تلاقيا وسرت فى الأحياء ما لم تسيرا
تذكرت والذكرى تهيج لذى الهوى ومن حاجة المحزون أن يتذكرا

(١) تهجر : سكن وقت الهجرة ، والمراد هنا مجرد اللبث .

(٢) قر بالكسر أمر من وقر (كوعد) بمعنى رزن وبالفتح أمر من قر
(كمر) وخففت بمحذف إحدى اليمين وبهما قرىء قوله تعالى : « وقرن فى
بيوتكن » .

(٣) أحذر : تفضيل من حذر .

ومنها في الفخر :

وننكر يوم الزوع ألوان خيلنا
ونحن أناس لا نعود خيلنا
وما كان معروفًا إلا أن نردها
وبما سبق إليه وأخذ منه قوله :

كان مقط شرا سيفه
لطن بترس شديد الصفا
أخذه ابن مقبل فقال :

كان ما بين جنبيه ومنتنه
بترس أعجم لم تنخر مناقبه
من جوزه ومناط الليث ملطوم
بما تخير في أطامها الروم

وقال :

أرأيت أن بكرت بلبل هامتي
هل تخمشن ابلي على وجوهها
أخذه الأخطل فقال :

أرأيت ان بكرت بلبل هامتي
هل تخمشن ابلي على وجوهها
وقال يذكر نساء سبين :

دعنا النساء اذ عرفن وجوهنا
حنين الهجان الادم نادى بوردها
دعاه نساء لم يفارقن عن قلي
سقاة يمدون الموانح بالدلا

(١) ننكر : نجهل . الجون هنا الأبيض . أشقر : أحمر .

(٢) المفرد صحيح وصحاح (بالفتح) والجمع صحاح (بالكسر) .

العقر : ضرب قوائم الدابة لتمنع عن الحركة مقدمة لذبحها . فارادة معنى الذبح من العقر مجاز .

فقلنا لهم خلوا طريق نساتنا
فنحن غضاب من مكان نساتنا
تفور علينا قدرهم فندبها
ويستجاد له قوله :

لبست أناسا فافئتهم
ثلاثة أهلين صاحبهم
وعشت بعيشين ان المنو
فحينأ أصادف غراتها
شهدتهم لا أرجى الحياة
وشعت يطارقن بالدارعين
فلما دنونا لجرس التباح
أضاءت لنا النار وجها أغر
يضى كضوء سراج السليط
بانسة غير أنس القراف
إذا ما الضجيع ثنى جيدها
ويستجاد قوله يرثى رجلا .

ففى كلمات خيراته غير أنه
ففى تم فيه ما يسر صديقه
وله : ومن يحرص على كبرى فاني
وقال الحمد لله لا شريك له

المولج الليل فى النهار وفى الليل
الحافظ الرافع السماء على الار
الخالق البارىء المصور فى ال
من نطفة قدرها مقدرها
ثم عظاما أقامها عصب
ثم كسا الرأس والعواتق وال
واللون والصوت فى المعاش وال

فقالوا لنا كلا فقلنا لهم بلى
ويسعفنا حر من النار بصطلى
ونفتوها عنا إذا حوؤها غلا

وأفئيت بعد أناس أناسا
وكان الاله هو المستاسا
ن تلقى المعاش فيها خساسا
وحينا أصادف منها شماسا
حتى تساقوا بسمر كاسا
طليق الكلاب يطان المراسا
ولا نبصر الحى الا التماسا
ملتبسا بالفواد التباسا
لم يحمل الله فيه نحاسا
وتخلط بالانس منها شماسا
تداعت وكانت عليه لباسا

جواد فما يبق من المال باقيا
على أن فيه ما يسوء الاعاديا
من الشبان ازمان الختان
من لم يقلها فنفسه ظلما
نهارا يفرج الظلما
ض ولم بين تحتها دعما
أرحام ماء حتى يصير دما
يخلق منها الايثار والنسا
ثم لحما كساه فالناسا
أبشار جلدنا نخاله أدا
أخلاق شنى وفرق الكلما

١٠ - معن بن أوس

المتوفى عام ٦٥ هـ

هو معن بن أوس بن نصر من مزيته من مضر شاعر فحل من المخضرمين عاش في الجاهلية في البادية وكذلك في الإسلام ووفد على عمر بن الخطاب وأنشده قصيدته :

تأوبه طيف بذات الجرائم ففسام رفيقاه وليس بناثم
ورحل إلى البصرة وتزوج منها ثم عاد إلى البادية . ويقال أنه لقي معاوية
أيضا وكان معاوية يفضل مزيته في الشعر ويقول كان أشعر أهل الجاهلية منهم
وهو زهير وأشعر أهل الإسلام منهم وهما كعب بن زهير ومعن بن أوس
ويمتاز في شعره بالحكمة الرائجة والممانى السامية والأفكار الاجتماعية الرفيعة
والدعوة إلى مكارم الأخلاق .

كما يمتاز بسلاسة الأسلوب وعضوبته وجماله وكثرة الألوان البيانية فيه ، وقد
أجاد في الحكمة وعتاب الأصدقاء والوصف والفخر ومن رائع شعره :
أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده (١) رماني
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني
وكان عبد الملك ذات ليلة في سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته ، فقال لهم :
ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل في الشعر ، وليفضل من رأى تفضيله ،
فأنتدوا وفضلوا ، فقال بعضهم . امرؤ القيس ، وقال بعضهم . النابغة ، وقال
بعضهم . الأعشى ، فلما فرغوا قال . أشعر رآته من هؤلاء جميعاً عندي معن
ابن أوس حيث يقول .

وذي رحم فلمت أظفار ضغته بحلمى عنه وهو ليس له حلم (٢)
إلى آخر القصيدة .

(١) ١٣٨ ج ٢ البيان والتبيين

(٢) ١٠٢ ج ٢ الأمانى

ومن مختار شعره قوله في ابن عمه :

وذى رحمة قلمت أظفار ضغنه
يحاول رغبى لا يحاول غيره
فإن أعف منه أغض عيناً على قذى
وإن انتصر منه أكن مثل رائش
صبرت على ما كان بينى وبينه
وبادرت منه النأى والمره قادر
ويشتم عرضى فى المتعيب جاهدا
إذا سمته وصل القرابة سامنى
وإن أدعه للنصف ياب ويعصنى
قلولا اتقاه الله والرحم التى
إذن لعلاه بارقى وخطمته
ويسعى إذا أبى ليهدم صالحى
يود لو أبى معدم ذر خصاصة

يحلى عنه وهو ليس له حلم
وكلوت عندى أن يحل به الرغم^(١)
وليس له بالصفح عن ذنبه علم^(٢)
سهام عدو يستهاض بها العظم^(٣)
وما تستوى حرب الأقارب والسلم
على سهمه ما دام فى كفه السهم^(٤)
وليس له عندى هوان ولا شتم
قطيعتها تلك السفاهة والإثم^(٥)
ويدعو لحكم جائر غيره الحكيم^(٦)
رعايتها حق وتعطيها ظلم
بوسم شنار لا يشاكره وسم^(٧)
وليس الذى يبنى كمن شأنه الهدم
وأكره جهدى أن يخالطه العدم^(٨)

(١) الرغم : القسر والاذلال .

(٢) أغضى عينه : أطبق جفنها ، القذى : ما يقع فى العين فيؤنيها .

(٣) راش السهم : وضع فيه الريش ليكون أسد له وأصوب ، هاض العظم :

كسره بعد جبر وذلك أشد وأنكى .

(٤) بادر الشئ : سبق إليه ، النأى : البعد

(٥) سامه الشئ : كلفه إياه

(٦) النصف ، ثلثة : العدل ، اسم من الانصاف

(٧) خطمه : ضرب خطمه ، أنفه ،

(٨) الخصاصة : الفقر أو كل خلل أو خرق فى باب أو نحوه ، الجهد بالفتح

المشقة وبالضم المشقة أو الطاقة .

ويعتد غنما في الحواث نكبتى
فما زلت في ليني له وتعطى
وخفض له منى الجناح نالفا
وقولى إذا أخشى عليه مصيبة
وصبرى على أشياء منه تريبنى
لاستل منه الضفن حتى استلته
رأيت اثلاماً بيننا فرقعته
وأبرأت غل الصدر منه توسعا
فداويته حتى أرفأن نفااره
وأطامأت نار الحرب بينى وبينه

وما إن له فيها سناء ولا غنم^(١)
عليه كما تحنو على الولد الأم
لتدنيه إمنى القرابة والرحم^(٢)
ألا أسلم فذاك الخال ذو العقد والعم^(٣)
وكظمى على غبظى وقد ينفع الكظم^(٤)
وقد كان ذا ضغن يضيق به الجرم^(٥)
برفقى أحياناً وقد يرقع الثلم
بجلى كما يشفى بالادوية الكلم
فعدنا كأننا لم يكن بيننا صرم^(٦)
فأصبح بعد الحرب وهولنا سلم^(٧)

* * *

وقال يتمدح بالعبقة ومكارم الاخلاق

لعمرك ما أهويت كفى لرينة
ولا قادنى سمى ولا بصرى لها
وأعلم أى لم تصبنى مصيبة
ولست - اش ما حييت لمسكر
ولا مؤثر نفسى على ذى قرابتى
ولا حماتى نحو فاحشة رجلى
ولا دلتى رأى عليها ولا عقلى
من الدهر لإلا قد أصابت فى قبلى
من الأمر ما يمشى إلى مثله مثلى
وأورث ضيفى ما أقام على أهلى

(١) السناء: الشرف، وبالقصير الضوء.

(٢) الرحم: بالكسر لغة فى الرحم.

(٣) الفداء: بالكسر مدود ويقصر، والفدا بالفتح مقصور لا غير فهى فى

البيت سالحة لها، العقد: العهد

(٤) رابنى الأمر: جعل فى قلبى ريباً أى شكاً

(٥) يروى اللحم والحزم وهما ظاهران، وأما الجرم فعمناه الجسم والخلق

(٦) أرفأن: سكن، صرم: قطيعة.

(٧) سلم: هى هنا بمعنى مسالم.

وقال معن بن أوس المزني يعاتب صديقا :

لعمرك ما أدري وإني لأوجل
وإني أخوك الدائم الورد لم أحل
أحارب من حاربت من ذى عداوة
وإن سؤتي يوما صبرت إلى غد
كأنك تشفى منك داء مساتق
وإني على أشياء منك تريبني
ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني
وفي الناس إن رئت حبالك واصل
إذا أنت لم تتصف أخاك وجدته
ويركب حد السيف من أن تضيمه
وكنت إذا ما صاحب رام ظنتي
قلبت له ظهر الحجن فـلم أدم
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكذب
على أيانا تعدو المنية أول (١)
أن ابراك خصم أو نيا بك منزل (٢)
وأحبس مالى إن غرمت فاعقل (٣)
ليعقب يوما منك آخر مقبل
وسخطى وما في ريبتي ما تعجل (٤)
قدما لذو صفح على ذاك بجمل (٥)
يمينك فانظر أى كف تبدل
وفي الأرض عن دار القلى متحول (٦)
على طرف الهجران إن كان يعقل
إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل (٧)
وبدل سوءا بالذى كنت أفعل
على ذاك إلا ريث ما أتحوّل (٨)
عليه بوجه آخر الدهر تقبل

(١) رجل وجل وأوجل : خائف .

(٢) حال : تغير . ويروي (لم أخن) وبزاه وأبزي به وبزاه : غلبه . وقد نقل الشاعر حركة الهزة إلى النون وحذفها وهي لغة جيدة قرأ بها ورش
(٣) عقل عنه : غرم ما لزمه من دية .

(٤) الريبة : التهمة . يقول : ليس في تهمتى وما يسوءنى منفعة يجب أن تتمجلها .

(٥) رابني الأمر وأرابني : رأيت منه ما أكره

(٦) رث الحبل وأرث : بلى .

(٧) ضامه : ظلمه ونقصه حقه . والمزحل : المتنجس والمهرب .

(٨) الحجن : الترس وقلب له ظهر الحجن مثل يضرب لمن كان لصاحبه على

مودعة ثم حال عن ذلك .

١١ - مالك بن الزيب

المتوفى عام ٤٥ هـ

شاعر فاضل جرى مقدم ، من لصوص العرب وشجعانها .
قال أبو عبيدة (١) : لما ولي أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان سعيد بن عثمان بن عفان خراسان ، سار فيمن معه فاخذ طريق فارس ، فلقبه بها مالك بن الزيب المازني وكان فيما ذكر من أجل العرب جمالا وأبينهم بيانا ، فلما رآه سعيد أعجبه . وقال غيره : بل مر به سعيد بالبادية وهو منحد من المدينة يريد البصرة حين ولاء معاوية خراسان ومالك في نفر من أصحابه ، فقال له . ويحك يا مالك ما الذي يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العداة وقطع الطريق ؟ قال . أصلح الله الأمير ، العجز عن مكافأة الاخوان . قال . فان أنا أغنيك واستصحبتك أتكف عما تفعل وتتبعني ، قال نعم ، أصلح الله الأمير أكف كما حسن ما كف أحد ، فاستصعبه وأجرى عليه خمسمائة دينار في كل شهر (٢) ، وكان معه حتى قتل بخرسان . قال ومكث مالك بخرسان فمات هناك ، فقال يذكر مرضه وغزائه . وقال بعضهم . بل مات في غزو سعيد ، طعن فـقط وهو باخرمق . فقال هذه القصيدة وهي هذه .

بجنب الغضى أرحى القلاص النواجيا	ألا ليت شعري هل أبين ايسلة
وليت الغضى ماشى الركاب ليليا	فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه
مزار ولكن الغضى ليس دانيا	لقد كان في أهل الغضى لودنا الغضى
وأصبحت في جيش ابن عفان غازيا	ألم ترني بعث الضلالة بالهدى
أراني عن أرض الاعادى (٣) قاصيا	وأصبحت في أرض الاعادى بعدما

(١) ذيل الامال .

(٢) و يروى خمسمائة دارهم .

(٣) الاعادى : الباء لتشديد فيه وفي الذي بعده لاقامة الوزن ، والتشديد

هو الاصل في الكلمة لانها جمع اعداء ، وجمع أفعال أفاعيل .

دعاني الهوى من أهل أودو صحبتي
أجبت الهوى لما دعاني بزفرة
أقول وقد حالت قرى السكرد بيننا
إن الله يرجفني من الغزو لا أرى
تقول ابنتي لمسرات طول رحلتى
لعمري لئن غالت خراسان هامتى
فإن أنج من بابي خراسان لا أعد
الله درى يوم أترك طائفا
ورد الظباء السمانحات عشية
ورد كبيرين اللذين كلاهما
ودر الرجال الشاهدين تفتكى
ودر الهوى من حيث يدعو صحابتي
تذكرت من يبكى على فلم أجسد
وأشقر محبوكما يحجر عنانه
ولكن باكتناف السمينية نسوة
صريع على أيدي الرجال بقفرة
ولما ترامت عند مرو منيتي
أقول لأصحابي أرفعوني فإنه
فيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا
أقيا على اليوم أو بعض ليلة
وقوما إذا ما استل روحي فهيتا
وخطا بأطراف الأسننة مضجعي
ولا تحسداني بارك الله فيكما
خذاني فجراني بشوقى اليسكا
وقد كنت عطافا إذا الخيل أدبرت
وقد كنت صبارا على القرن فى الوغى

بذى الطبسين فالتفت ورائيا
تقنعت من أن ألام ردائيا
جزى الله عمرا خير ما كان جازيا
وإن قل مالى طالبا ما ورائيا
سفارك هذا تاركى لا أباليا
لقد كنت عن بابي خراسان نائيا
إليها وإن منيتمنى الاماني
بني بأعلى الرقتين وماليا
يخبرن أنى هالك من ورائيا
على شفيق ناصح لونهائيا
بأمرى ألا يقصروا من وثاقيا
ودر لجاجاتي ودر انتهائيا
سوى السيف والرمح الرديني باكيا
إلى المساء لم يترك له الموت ساقيا
عزيز عليم العشية مايبا
يسورن لحدى حيث حم قضائيا
وخل بها جسمى وحانت وفائيا
يقر تعينى إن سهيل بداليا
برايه لى مقيم لياليا
ولا تمجلاني قد تبين شائيا
لى الصدر والأكفان عند فنائيا
وردا على عيني فضل ردائيا
من الأرض ذات العرض أن توسعاليا
فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا
سريعا لدى الهيجا الى من دعائيا
وعن شتى ابن العم والجار وانبا

فظورا ترانى فى طلال ونعمة
ويوما ترانى فى رجا مستديرة
وقوما على بئر السمينية أسمعا
بأنسكا خلفتأنى بقفرة
ولا تنسيا عهدى خليلى بعدما
وان ^(١) يعدم الوالون بئا يصيهم
يقولون لا تبعد وهم يدفوننى
غداة غد يالهف نفسى على غد
وأصبح مالى من طريف وتالد
فياليت شعرى هل تغيرت الرجا
إذا الحى حلوها جميعا وأنزلوا
رعين وقد كاد الظلام يحنها
وهل أترك العيس العوالى بالضحى
إذا عصب الركبان بين عنيزة
فياليت شعرى هل بكت أم مالك
اذ مت فاعتادى القبور وسلمى
على جدث قد جرت الريح فوقه
رهينة أحجار وترب تضمنت
فيا صاحبا إما عرضت فلذا
وعر قلوصى فى الركاب فانها
وأبصرت نار المازنيات موهنا
بعود ألنجوج ^(٢) أضاء وقودها
غريب بعيد الدار ثاو بقفرة

(١) فى معجم ياقوت بدل هذا الشطر : وان يعدم الوالون بئا يجنى .

(٢) ألانجوج والينجوج : عود الطيب يتبخر به .

أقلب طرفي حول رحلي فلا أرى به من عيون المؤنسات مراعيًا
وبالرمل منا نسوة لو شهدني بكين وفدين الطيب المداويا
وما كان عهد الرمل عندي وأهله ذميا ولا ودعت بالرمل قاليا
فمنن أمي وابنتاي وخالي وبأكية أخرى تهيج البواكيا
ويقول أبو الفرج عن أبي عبيدة ان الذي قاله مالك ثلاثة عشر بيتا والباقي
ولده الناس عليه .

وفي الأغانى أن سعيداً لقيه في طريق فارس . فقال له سعيد : ويحك ، تفسد
نفسك بقطع الطريق وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العبث والفساد وفيك
هذا الفضل؟ قال مالك : يدعوني إليه العجز عن المعالي ، ومساواة ذوي المروءات ،
ومكافأة الاخوان .

وينسب له .

لو كنتم تنكرون الغدر قلت لكم يا آل مروان جارى منكم الحكم
وأتقيكم يمين الله ضاحية عند الشهود وقد توفى به الذمم
'بحن الذبن إذا خفتم مجللة قلتم لنا إننا منكم لتعتصموا
حتى إذا انفرجت عنكم دجنتها صرتم (كجرم) فلا ال ولا رحم
ويقول .

وما أنا بالنائى الحفيظة في الوغى ولا المتأنى للعواقب في الذى
ولكننى مستوجد العزم مقدم على غمرات الحادث المتفاقم
قليل اختلاف الرأى في الحرب باسل جميع الفؤاد عند جل العظام
وله .

أدلت في مهمه ما إن أرى أحدا حتى إذا حان تعريس لمن نرلا
وضعت جنبى وقلت الله يكلأنى مهما تم عنك من ليل فإ غفلا
والسيف بينى وبين الثوب مشمرة أخشى الحوادث إنى لم أكن وكلا
وقد تقول وما تخفى لجارتها إنى أرى مالك بن الرب قد نحلا
من يشهد الحرب يصلها ويسرها تراه بما كسته شاجبا وجلا

ويقول :

أذنب الفضا قد صرت للناس ضحكة
فأنت وأن كنت الجروء جنانه
بين لا ينام الليل ألا وسيفه
ألم ترني يا ذئب إذ جئت طارقا
زجرتك مرات فلما غلبتني
فصرت لقي لما علاك ابن حرة
أغادى بك الركبان شرقا إلى غرب
منيت بضرفام من الأسد الغلب
رهينة أقوام سراع إلى الشعب
تخاتلني أنى امرؤ وافر اللب
ولم تنرجر نهنت غربك بالضرب
بأبيض قطاع ينجمي من الكرب

* * *

وكان مالك ابن الريب لصاً يقطع الطريق ، هو وأصحابه ومنهم غويث أحد
بنى كعب وأبو حردبة ، ومنهم شظاظ الضبي ، وقد ساموا الناس شرا ولم يكن
مالك بأقل أصحابه فتسكا وفجورا . وفي ذلك يقول الراجز

والله نجسك من القصيم ومن أبي حردبة اللثيم
ومن شظاظ فاتح العكوم ومالك وسيفه المسموم
ثم طال توحش مالك في البادية وفتسكه بها حتى كان عصره مماوية فغزا في جيش
سعيد بن عثمان بن عفان .

النقد الأدبي

في صدر الإسلام

والنقد الأدبي هو الحكم الذي تصدره على الشعر والنثر، وهو عند المحدثين تقدير النص الأدبي تقديرا صحيحا وبيان قيمته ودرجته الأدبية^(١)،

هو - كما أقول - تحليل الآثار الأدبية والحكم عليها وبيان قيمتها الأدبية العامة والموازنة بينها وبين ما يشابهها من الآثار. د وأصول النقد قراءة وفهم وتفسير وحكم والغرض منه دراسة الأساليب أو الكتاب أو الآراء والأفكار^(٢)

والخطابة والشعر لأرسطو هي المرجع الأول لسلك الدراسات في النقد والبلاغة^(٣)، وأرسطو أول من كتب في النقد الأدبي ووضع في كتابه د فنون الشعر، قواعد للبلاغة بنى عليها طريقته في النقد^(٤)، وعلى أساس مذهب أرسطو في النقد قامت مدارس النقد الحديثة في أوربا وعلى رأسها: سانت بوف [١٨٠٤ - ١٨٩٦]، وتين (١٨٢٨ - ٨٩٣ :)، وبروتشير (١٨٤٩ - ١٩٠٧)، وجول ليمترم ١٩١٧ (٣)

والنقد في الآداب العربية هو د شرح الشعر وتقرير طريقة الشعر الجاهلي

(١) أصول النقد الأدبي للشايب

(٢) ٩٠ وما بعدها مقدمة لدراسة بلاغة العرب

(٣) أصول النقد الأدبي

(٤) ١٠٠ مقدمة لدراسة بلاغة العرب ،

(٥) راجع : مقدمة لدراسة بلاغة العرب ، وأصول النقد الأدبي للشايب،

تشكون منهمجا للشعراء لاجركة العقول والأفكار (١) ، وأكبرهم مظاهره عندهم هو علم البلاغة (٢)

النقد في العصر الجاهلي :

نشأ النقد في الجاهلية مرتجلا ، وكان هينا يسيرا ملائما لروح العصر وللشعر العربي نفسه (٣) ، عربى النشأة كاشعر ، لم يتأثر بمؤثرات أجنبية ولم يقم إلا على الذوق العربي السليم (٤)

ووجد في أطوار تهذيب الشعر ، وفي اختيار المعلقات وتعليقها في الكعبة (٥) وفي حكومة أم جندب بن امرى القيس وعلقمة (٦) ، وحكومة النابغة على الشعراء ، وكان تضرب له قبة حمراء بعكاظ ويأتيه الشعراء فتثدده أشعارها ، (٧) ، وفي حكم ربيعة بن حذار الأسدي على الزبرقان والمخبل السعدي وعبد بن الطيب وعمرو بن الأهم (٨) . ووجد في نقد الشعراء للشعر ، مرمرؤ القيس بكعب

(١) ١٥٩ مقدمة لدراسة بلاغة العرب .

(٢) ١٦٨ المرجع

(٣) ٢٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب

(٤) ٢٥ المرجع .

(٥) راجع ٣٧٩ ج ٣ العقد .

(٦) راجع ١٢٨ ج ٧ الأغانى ، وقد نقد الرافعى هذه الحكومة ورأى أنها

جائرة (٢٢٥ - ٢٢٤ ج ٣ آداب العرب للرافعى) وتابعه فى ذلك محمد هاشم

(١٨٤ الأدب العربى فى العصر الجاهلى) ويرتاب باحث فى صحة هذه القصة ،

ويرى أن امرؤ القيس غير مقصر ويقول : ولعل ذلك ما حمل ابن المعتز على أن

ينكر هذه القصيدة فيما أنكره من شعر امرؤ القيس (٢١ ، ٢٢ تاريخ النقد الأدبي

عند العرب) .

(٧) ١٢٣ الشعر والشعراء

(٨) ١٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب

وأخويه : الضبان والقعقاع فأنشده فقال : إني لأعجب كيف لا تمتلئ عليكم
نارا جودة شعر كم ، فسموا بن النار ^(١) ؛ ويقول النابغة : أشعر الناس من
استجيد كذبه واضحك رديشه ^(٢) ، وسمى كعب الغزوى كعب الأمثال لكثرة
ما في شعره منها ^(٣) ، وطفيل الغزوى طفيل الخيل لكثرة وصفة إياها ، والنربن
تولب المحبر لحسن شعره ^(٤) ، وسموا قصيصة سويد بن أنى كاهل بسطت رابعة
الجلب لنا ، اليتيمة ، كما سموا بعد ذلك خطبة لسحبان الشوهاة لحسنها ^(٥)
ويقول زهير و يروى لحسان :

وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

ورأى لبيد بعد شيخوخته أن أشعر الناس امرؤ القيس ثم طرفه ثم نفسه ^(٦)
إلى غير ذلك من مظاهر النقد في الجاهلية .

النقد في صدر الإسلام :

وأخذ النقد في القرن الأول يسير في طريق النضوج والوضوح مع الفطرة
الحالصة والذوق السليم ، وكان كثير من الخلفاء والصحابة نقادا بفطرتهم وذوقهم ،
فأبو بكره يقدم النابغة ويقول هو أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا وأبعدهم قعرا ^(٧) ،
وكان عمر يتذوق الشعر وينقده ^(٨) ، وقدم زهيراً ولم يحكم بذلك فحسب بل شرح

(١) ٧٠ من المؤلف للامدى

(٢) ٢٥٦ سر الفصاحة و ٨٠٥٠ ، ج ٢ العمدة

(٣) ٣٤١ معجم الشعراء

(٤) ١٨٤ المؤلف و ١١٢ ج ١ العمدة

(٥) ٢٢٥ ج ١ البيان

(٦) ٣٠ جمهرة أشعار العرب .

(٧) ١ / ٧٨ العمدة .

(٨) راجع : ٩٩ إعجاز القرآن ، ١٦٩ ، و ١ / ١٧٠ و ٢٢٤ و ٢ / ٢٢٥

البيان والتبيين ، ٣٨ و ٥٩ و ٦٠ و ١ / ٧٦ العمدة .

سبب حكومته بأنه كان لا يعاقل في السلام وكان ينجب وحشى الشعر ولم يمدح
أحدا إلا بما فيه (١) ، وكان يرى أنه أشعر الناس (٢) ، وكان يجلس هو وأصحابه
فيتذاكرون الشعر والشعراء وأبهم أشعر (٣) ، وقال لوفد غطفان عن النابغة إنه
أشعر شعرائهم (٤) . وكذلك على بن أبي طالب وكان يقدم امرأ القيس على الشعراء
لأنه أحسنهم نادرة وأسبغهم بادرة (٥) ، وكان معاوية يفضل مزينة في الشعر
ويشيد بذكر شاعرها في الجاهلية زهير وشاعرها في الإسلام ابنه كعب .

وأشيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فقال : هذا من كلام النبوة .

وذكر امرؤ القيس والشعراء عند رسول الله فقال : هو قائدهم وصاحب

لوائهم .

وقال عمر بن الخطاب :

أفضل صناعات الرجل الإبيات من الشعر : يقدمها في حاجاته ، يستعطف بها

قلب الكريم ، ويستميل بها قلب اللئيم .

وقال عمر بن الخطاب للوفد الذين قدموا عليه من غطفان : من الذى يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ربية وليس وراء الله للمرء مطلب

قالوا : نابغة بنى ذبيان قال لهم : فمن الذى يقول :

(١) ١٢٥ الموازنة ، ٨٠ / ١ العمدة ، ٣٢ جمهرة أشعار العرب . والمعاظلة

وتفسيرها في الموازنة وسر الفصاحة و ٣٢ الجمهرة و ص ١٠٥ نقد الشعر .

(٢) ٣ / ٣٧٩ العقد وما بعدها .

(٣) ٣٢ الجمهرة .

(٤) ٣٤ الجمهرة .

(٥) ٢٧ و ٢٨ / ١ العمدة .

أنتيك عاريا خلة ا ثيابي على وجل تظن بي الظنون
فألفيت الأمانة لم تخنبا كذلك كان نوح لا يخون
قالوا . هو النابغة : قال هو أشعر شعرائكم . ولا بدع فعمز كان يعرف قدر
الشعر ويستمتع لآراء الشعراء .

سئل مالك بن أنس من أين شاطر ابن الخطاب عماله فقال . أموال كثيرة
ظهرت عليهم وأن شاعراً كتب إليه يقول

نحج ونغزو اذا غزوا فاني لهم وفر وكسنا بذى وقر
اذا التاجر الهندي جاء بفارة من المسك راحت في مغارقهم تجرى
فدونك مال الله حيث وجدته سيرضون أن شاطرتهم منك بالشرط
قال : فشاطرهم عمر أموالمهم .

وقال ابن عباس . قال عمر بن الخطاب ، أنشدني قول زهير فأنشدته قوله
في هرم بن سنان حيث يقول .

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم طابو وطاب من الأفلاذما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم باولهم أو مجدهم قعدوا
فقال له عمر . ما كان أحب إلي لو كان هذا الشعر في أهـ إلى بيت
رسول الله .

ودخل ابن هرم بن سنان على عمر بن الخطاب فقال له من أنت قال : أنا بن
هرم بن سنان قال : صاحب زهير قال : نعم قال : أما أنه كان يقول فيكم فيحسن
قال : كذلك كما نعطيته فنجزل قال : ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم .

وقيل للحطيئة . هن أشعر الناس ، فأخرج لسانه وقال . هذا إذا طمع .
وقيل : بنو هذيل من أشعر قبائل العرب وأشعرهم أبو ذؤيب وأمير شعره
وغرة كلامه قصيدته التي أولها د أمن المنون وريها تتوجع ،^(١)

إلى ما سوى ذلك من مظاهر النقد في هذا العصر بما لاداعي للافاضة فيه .

(١) ٨١ خاصاً للبعالي .

أشهر الشعراء الخضرمين

- مورد بن ضرار الذبياني .
- المخبل السعدي مات في خلافة عمر .
- عمرو بن الأهمم المنقري .
- لبيد بن ربيعة العامري .
- ربيعة بن مقروم .
- سويد بن أبي كاهل اليشكري وتوفي بعد عام ٦٠ هـ .
- عوف بن عطية بن الخرج التيمي من يتم الرباب — عبد الله بن عنمة الضبي .
- قيس بن الخطيم لاقى رسول الله ولم يسلم زيد الخيل وفد على الرسول عام ٥٩ هـ وتوفي في هذا العام .

شعراء الحماسة الخضرمون

- عمر بن الأهمم - الخنساء - عمرو بن أحر - زرعة بن عمرو - عامر بن الطفيل وفد على رسول الله — قيس بن الخطيم أدرك النبي — الحارث بن هشام توفي عام ١٥ هـ - الضرار السلمي — عمرو بن شاس — سلم بن دارة — غسان ابن وهلة — عبد الله بن عنمة الضبي — قبيصة بن جابر — عائكة بنت عبد المطلب أمية بن أبي — الصلت — أبو خراش الهذلي — عبدة بن الطيب — دريد ابن الصمة — الأسود بن يعقوب — قتيلة — النابغة الجعدي — سلمة الجعفي الشماخ — عمرة بنت الخنساء — معن بن أوس — حسان — أبو الطمحان القبي .

شعراء الحماسة الاسلاميون
أدرك بعضهم الرسول والآخرون عاشوا في عصرى
صدر الإسلام وبني أمية

أبو الأسد ، خنزر ، مالك بن أسماء ، مدرك الفقعسى ، عمرو بن الهذيل ،
عمرو بن كميل ، حميد بن ثور ، قريظ بن أنيف ، ربيعة ابن مقروم
الضبي وشهد القادسية ، أبو كبير الهزلى صحابى ، الحريش القرينى
صحابى ، الأشتر النخعى صحابى ، عبد الله بن الحشرج الجعدى ، الفضل بن العباس
هاشمى ، جرير بن كليب الفقعسى ، الراعى ، اسحاق بن خلف ، حطان بن المعلى ،
يحيى بن منصور الحنفى ، جزء بن ضرار أخو الشماخ ، القطامى ، موسى بن جابر ،
بشامة بن حزن ، مساور بن هند ، عباس بن مرداس صحابى ، غلاق بن مروان ،
عبد الله بن سبرة ، إياس بن مالك ، أدهم بن أبي الزعراء ، خلف بن ندبة صحابى ،
معبد بن علقمة صحابى ، شبيب بن عمر ، الكروس بن زيد ، حسان بن الجعد ،
أوس بن حنناء ، عمرو الخارجى ، سالم بن واصة ، تابعى ، هشام أخو ذى الرمة ،
متمم بن نويرة صحابى ، نهشل بن حرى ، عبد الملك الحارثى ، خلف بن خليفة ،
فاطمة الخزاعية (صحابية) - نهار بن توسعة شبيب بن عوانه - سليمان
العدوى « شيعى » - زينب الطثرية - يزيد بن الطثرية قتل فى خلافة بنى العباس
منظور بن سحيم - توبة بن الحبير الحنفاجى - ابو بكر الزهرى - ابن الطثرية
ابو الأسود الدؤلى

الحياة الأدبية

في العصر الأموي

٤١ - ١٢٢ هـ

تمهيد:

بدأت دولة بني أمية عام ٤١ هـ، على يد معاوية بن أبي سفيان بعد أن تنازل الحسن بن علي له عن الخلافة .

وتولى الخلافة عدة خلفاء كان لهم أثرهم الكبير في تشجيع اللغة والأدب والعلم وإعزاز شأن الأدباء والشعراء .

وهؤلاء الخلفاء هم :

معاوية بن أبي سفيان مؤسس دولة بني أمية ^(١) (٤١ - ٦٠ هـ) .

يزيد بن معاوية (٤٠ - ٦٤ هـ)

معاوية بن يزيد (٦٤ - ٦٤ هـ)

مروان بن الحسك ^(٢) (٦٤ - ٦٥ هـ)

عبد الملك بن مروان ^(٣) (٦٥ - ٨٦ هـ)

الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ)

سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩ هـ)

عمر بن عبد العزيز بن مروان (٩٩ - ١٠١ هـ)

يزيد بن عبد الملك بن مروان (١٠١ - ١٠٥ هـ)

(١) كان من أعظم ولاته وأثمرهم زياد بن أبيه المتوفى عام ٥٣ هـ

(٢) وقد بدأ في عهده حكم عبد الله بن الزبير في الحجاز من عام ٦٤ هـ

واستمر حتى قضى عبد الملك بن مروان على ثورته عام ٧٣ هـ

(٣) وأشهر ولاته الحجاج بن يوسف الثقفي (٤١ - ٩٥ هـ)

هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥) .

الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ - ١٢٦ هـ) .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦ - ١٢٦ هـ)

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم (١٢٦ - ١٣٢ هـ) .

ومروان هو آخر بني أمية قتلته بنو العباس وتولى السفاح الخلافة باسم العباسيين في الكوفة عام ١٣٢ هـ .

كانت دمشق مقر دولة بني أمية ، وبنوا فيها القصور والمساجد والدواوين والمنتزهات والقلاع والحصون فاتسع عمرانها وزادت حضارتها وكثرت مجالس الأدب ودور العلم فيها ، ووفد إليها الناس في مختلف أمورهم ومصالحهم وكانت دولة بني أمية تعتنز بالعرب وترفع من شأنهم ولا تنظر إلى الموالى نظرة رعاية أو تقدير ، وهكذا كانت دولة بني العباس أعجمية خرسانية ودولة بني أمية عربية أعرابية^(١) وكانت بنو أمية لا تستخلف بين الأمام^(٢) ولا تباع لبني أميات الأولاد^(٣) .

كما حافظ الخلفاء الأمويون على الصبغة والثقافة العربية ، فنشأوا أبناءهم بالبادية يتعلمون فيها الشعر والأدب واللغة ، ويكتسبون الملكة والفترة والطبع ، ويعتقدون المجالس الأدبية ويستدعون الرواة والأدباء والشعراء ويكافئونهم بجزيل العطاء وسنى المواهب فوق عطفهم وبرهم بالمرزب ، وقصر وظائف الدولة عليهم وحدهم من ولاية وقيادة جيوش وتنظيم دواوين إلى غير ذلك من كبرى المناصب في السياسة والقضاء والإدارة .

(١) ٣/٢٠٦ البيان والتبيين .

(٢) ٤ / ١٨٠ العقد

(٣) ٤ / ١٨١ العقد .

وهكذا شجعت دولة ابنى أمية الجنس العربى والقتت فى يده زمام أمور الدولة بعكس بنى العباس .
وقد تمت الحواضر الإسلامية الكبرى كالسكوفه والبصره والفسطاط ومكة والمدينة وسواها من الأمصار
وستنكلم بعون الله عن حياة الأدب واللغة والعلم والنقد فى هذا العصر الزاهر وما توفيقى إلا بالله .

سياسة الدولة الجديدة

١٠ - كان معاوية رأس الدولة الاموية ومنشؤها داهية أريبا حصيفا ؛ وكان يعتر بأسرتة الاموية اعترازا كبيرا لتؤيد دولته الجديدة وملكه الناشئ الفقى .
وكان أظهر أعماله أنه نقل الحكم الاسلامى من خلافة شورية الى ملك مستبد يحرص على تثبيتته ودعمه وإعلاء صرحه ، ولو فوق جثث الضحايا وأشلائهم .
واستعان معاوية فى هذا بأسرتة من بنى أمية وبنى عبد شمس ، كما استعان بالقبائل العربية المقيمة فى بلاد الشام وحواليها والتي أغدق عليها العطاء .
وهو وال لعمر وعثمان على الشام ، ثم وهو يتسارع على بن أن طالب ويجالده بالسيوف فى سبيل الملك ، ثم وهو خليفة وأمير للمسلمين بعد تنازل الحسن بن على له عن الخلافة .

وعمل معاوية على إيقاع الخلاف بين القبائل المختلفة وضرب بعضها ببعض ، وتحويل بعضها على الآخرين ، وبذلك أحيا العصبية القديمة التي حاربها الاسلام ورسوله وكتابه الكريم ، كما حاربها أبو بكر وعمر طول عهد خلافتها رضوان الله عليهما .

لم يكن معاوية يثق بأهل مكة والمدينة لانحياز زعمائها الى أهل بيت الرسول ، ولا بالعرب المقيمين فى الكوفة والبصرة لأن الكثير منهم شيعيون ، ولكنه جهد فى استمالة العرب القاطنين فى بلاد الشام وعلى مشارفها ؛ كما جهد فى استمالة القبائل

البنية ، وتزوج من إحدى بطونها من قبيلة كلب ، أم ابنه يزيد ، كما جهد في استئالة القبائل القيسية وبعض القبائل المضربية إليه .

وفي سبيل ذلك أكثر من الوعد والوعيد ، وبذل الأموال و فرق العطاء ، وأكثر من الاغداق على أهل الحجاز وخاصة مكة والمدينة لانهم أصحاب الرأي النافذ بين المسلمين ، وضاعف عطاء الحسن والحسين أضعافا كثيرة لجعله ألف ألف درهم وكان على عهد عمر خمسة آلاف .

وبذلك استتب الأمر لمعاوية الداوية العبقري ، وكان معاوية رضى الله عنه يقول تصورا لدهاته وسياسته . والله لو كان بيني وبين الناس شجرة ما انقطعت إن شدوا أرخيت وإن أرخوا شددت .

٢ - ولما مات معاوية لم يخلفه أحد في الملك يشبهه في الدهاء والسياسة ، فافترق المسلمون وشبت الثورات وكثرت الأحزاب : من شيعة أنصار بيت علي في الحجاز والعراق ، وزبيريين يشايهون آل الزبير في الحجاز وغيرها ، وخوارج خرجوا على الاستبداد والملك العضوض ، وأمويين يدافعون عن ملكهم ونفوذهم .

ووجد ملوك بني أمية أن لا شيء يعيد إلى دولتهم هيبتها واطمئنانها إلا الاستبداد والسف والطغيان ، فوكلوا بالعراق الحجاج بن يوسف الثقفي يملأ الأرض رعباً وخوفاً وجورا ، ووكلوا بالبلاد الأخرى ولادة بأمر ونهم بالقبضة والحزم والدهاء والمسكر والطغيان

وهكذا ظلت الدولة تموج بالعصبيات إلى عهد انقضائها ، بل إنها كانت السبب الأخير في القضاء عليها وتمهيد الأمر لبني العباس .

وكان الشعراء يغذون العصبيات ويلقون القصاصات الجيدة مشيدة بذكر الأحزاب التي ينتمون إليها ومدددة بمطالب الأحزاب الأخرى ، ومن ذلك أن الهاشميين أخذوا يحرزون الكمية الشاعر على إثارة العصبية بشعره ، جاء في مروج الذهب للمسعودي أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال

للحكيت ، إلى قد رأيت أن تقول شيئاً تغضب به بين الناس لعل فتنة تحدث
فيخرج من بين أصابعها بعض ما تحب ، فأشدد قصيدة ذكر فيها مناقب بنى نزار
من ربيعة ومضر وأظن في وصفهم وفضلهم على بنى قحطان وعرض بما كان من
شأنهم مع الاحباش وغيرهم من هذه القصيدة قوله

لنا قمر السماء وكل نجم تشير إليه أيدي المتهتديننا
وجدت الله إذ سمي نزارا وأسكنتم بمكة قاطنيننا
لنا جعل المكارم خالصات وللناس الفقا ولنا الجبيننا
وما ضربت هجائن من نزار فوالح من ثول الأعجميننا
وما وجدت بنات بنى نزار حلائل أسودين وأحمريننا

وقد نهي هذا القول في النزارية واليمينية فافتخر كل قبيل بما له من مآثر . وفي
العصر العباسي قال دعلج بن علي الخزازي ينتهز على للحكيت قصيدته ويذكر مناقب
اليمن ويعرض بل ويصرح بنقائص غيرهم في قصيدته التي أوطأ :

أفيق من ملامك يا ظهينا كفاك اللوم مر الأربعينا
ألم تحزنك أحداث الليالي يشيين الذوائب والقرونا
أحى الغر من سروات قومي لقد حبيت عنا يا مدينة
فان يك آل إسرائيل منكم وكنتم بالآعاجم فاخرينا
فلا تنس الخنازير اللواتي مسخن مع القرود الخاسئينا
بأيلة والخليج لهم رسوم وآثار قدمين وما يحينا
وما طلب الحكيت طلاب وتر ولكننا لنصرتنا هجيننا
لقد علمت نزار أن قومي إلى نصر النبوة فاخرينا

ونشأ عن إحياء هذه العصبية الممقوتة آثار كثيرة بعضها سياسي وبعضها اجتماعي
وبعضها أدبي

أما الآثار السياسية فقد كثرت الخلافات والثورات والحروب بين العرب
بعضهم وبعض وبين العرب والموالي وبين أبناء وفروع الأمويين أنفسهم

وأما الآثار الاجتماعية فانك تعلم أن إحياء العصبية معناه سيطرة التفكير الجاهلي على الناس والسياسة ، وبذلك انحرف الأمويون بل الناس كلهم عن منهج الإسلام الذي يجعل الناس إخوة متحابين ويفرض على الحاكم العدل والمساواة والحرص على حريات الناس جميعاً

وأما الآثار الأدبية فقد عادت الفنون الأدبية الجاهلية القديمة إلى الظهور . من انقحر السكاذب والمنافرات والمفاخرات المرة بين العرب في مجتمعاتهم الأدبية وعلى الأخص في المربد ، بظاهر البصرة وفي السكينة حوالى الكوفة . وبعد فعناصر سياسة الدولة الجديدة هي :

١ - دعم الملك الأموي بأى ثمن كان ؛ والقضاء على الأحزاب المنافسة لهم من شيعة وزبيريين وخوارج

٢ - إحياء العصبية العربية محافظة على مجد بنى أمية وسلطانهم

٣ - رفع شأن العرب كافة والاعتزاز بالعنصر العربي وعدم إدخال أحد من الموالى فى مناصب الدولة وخاصة كبارها إلا للضرورة الملحة

٤ - إحياء الآداب العربية القديمة وخاصة الشعر الجاهلي وتشجيع الثقافة والعلوم على وجه عام .

٥ - تشجيع العمران والحضارة والاقتباس من مدينتى الامم القديمة كل ما هو صالح ومفيد

٦ - وأكبر مآثرة للأمويين هى إتمام سلسلة الفتوحات الإسلامية العظيمة فى الشرق والغرب والشمال والجنوب

إلى غير ذلك من العناصر البارزة فى سياسة هذه الدولة الجديدة

وأهم الآثار الكبيرة لهذه السياسة :

١ - كثرة ألوان الاضطهاد والعسف فى سياسة الدولة ومعاملة الناس وما يتبع

ذلك من سخرى للحريات واستهانة بالأرواح والدماء

٢ - تدمير الموالى وانضمامهم لأعداء بنى أمية وعلى الأخص الشيعة بما كان سببها

للقضاء على الدولة نفسها

- ٣ - انتشار الترف واللهو في الشام وحيث الأموال الكثيرة والعطاء الضخم في الحجاز وعلى الأخص مكة والمدينة
- ٤ - عودة عادات وألوان التفكير والشعور ومظاهر المعيشة الجاهلية إلى الحياة في هذا العهد
- ٥ - انتشار اللغة العربية في شتى أرجاء العالم
- ٦ - سير الحياة الإسلامية إلى الحضارة والمدنية وال عمران
- ٧ - ظهور الموالى في ميادين الثقافة والأدب والعلم لا في ميدان السياسة إلى غير ذلك من هذه الآثار

الموالي

في الدولة الأموية

١ - اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهد بني أمية ، فشملت الأندلس وشمال افريقية والشام وجزيرة العرب والعراق وفارس وجزءا من الهند ، كما وصلت الفتوحات الإسلامية إلى سوى ذلك من النواحي والبلاد

وخضعت هذه الأمم كلها للحكم العربي ، سواء منها الدول ذات الحضارة والدول التي لم تصطبغ بصفتها ، فوجدوا في الإسلام العدل والأمن والسلام ، وأخذوا يتعلمون اللغة العربية لأنها لغة الدين والقرآن ولحاجتهم إليها في التفاهم مع الولاة والحكام والعمال ، وهي فوق ذلك اللغة الأولى في العالم كله آنذاك فهي لغة الثقافة والآداب والعلوم والفنون والسياسة .

٢ - وكان بعد الموالى عن سياسة الدولة وشؤونها العمامة باقصاء الأمويين لهم كما كان لانحذارهم من عناصر متحضرة أخذت بقسط من الثقافة والمدنية والمعرفة ، أتركبير في تفوقهم في ميدان العلم والآداب .
فجلسوا في مجالس الصحابة يدرسون القرآن وعلومه والحديث وروايته والتاريخ وأيامه ومفاخر العرب وآثارهم . كما جلسوا في مجالس الأدباء والشعراء والرواة يثقفون أنفسهم بالشعر ويتأدبون بروايته وينظمه أحيانا
فكان من الموالى الشعراء كزياد الأعجم واسماعيل بن سيار وأخيه موسى شهوات .

وكان منهم العلماء في علوم الدين والشريعة كنافع وربيعة الراى شيخ الامام مالك وسليمان بن يسار وكان من أعلم الناس وفقهم وكانوا بالمدينة ومنهم مجاهد وعكرمة وعطاء بمكة
والحسن بن يسار والحسن البصرى وابن سيرين بالبصرة . يزيد بن حبيب شيخ الليث بن سعد في مصر . مكحول بن عبد الله في الشام .

إلى غير هؤلاء من الأعلام في الدين والشريعة والحديث والتفسير واللغة من الموالى في عصر بى أمية

٣ - ولما كانت اللغة القبطية ولغة الروم وآدابها وثقافتها ماتزال باقية في مصر والشام . واللغة الفارسية ماتزال ذاتمة في بلاد فارس وبعض جهات من العراق .

فقد كانت دواوين الدولة ومصالحها الحكومية واعمالها تكتب في مصر باللغة القبطية وفي الشام باللغة الرومية وفي العراق وفارس بالفارسية . وكان لابد من الاستعانة بالموالى في هذه الدواوين للكتابة فيها وظل الأمر على ذلك مسدة حتى حوات دواوين (١) العراق إلى اللغة العربية بأمر الحجاج ودواوين الشام في عهد عبد الملك ودواوين مصر في عهد الوليد بن عبد الملك وبذلك انفسح المجال للعرب في هذه الناحية أيضا .

وكان الذى نقل دواوين الخراج في العراق إلى العربية صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج وكان صالح من الموالى . أما دواوين الشام فكانت بالرومية وكان يتولى أمورها سرجون بن منصور من عهد معاوية إلى أيام عبد الملك ثم نقلت إلى العربية على يد سليمان بن منصور أماديوان مصر فقد كان بالقبطية وحول في عهد الوليد بن عبد الملك إلى العربية على يد عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر وبذلك خلصت أعمال الدولة للعرب إذ كان ديوان الخند والرسائل وجمع مرافق الدولة عربية ماعدا ديوان الخراج فلما حول صارت سائر أعمال الدولة مصطبغة بالصبغة العربية الخالصة .

٣ - ومن المعلوم أن الموالى كانوا من عناصر مختلفة واجنثاس متباينة

(١) الديوان الكتاب الذى يكتب فيه أهل العطية والمرتبات ، ثم نقل الى المسكان الذى يجتمع فيه الكتاب لذلك وأول من وضعه عمر فهو أول من دون الدواوين في الاسلام وكانت مقصورة على الضرورى منها لمسكان البداوة من الامة

فمنهم الفارسيون ومنهم من هو من عنصر زرمي أو قبطي أو تركي أو سوي ذلك ذلك وكان بعضهم ينحدرون من أمم متحضرة ذات مدنية وثقافة والبعض الآخر ليسو كذلك الأولون هم الذين أفادوا الأمة العربية بما حملوه معهم من ذكاء ومعرفة وثقافة ونظام ومدنية .

وكان من أفذاذ الموالى في العصر الاموي سـ الم مولى هشام بن عبد الملك وعبد الحميد الكاتب الذي كان أصله من الأنبار .

٤ - على أن من الثابت أن الموالى لم يكونوا موضع تقدير في العصر الاموي لبعدهم عن سياسة الدولة وتصريف شئونها وتولى مناصبها وكانوا يعملون في حقل الثقافة والأدب أو في بيوت العظمة والأثرياء أو في الحرف الصغيرة المهمة

انتشار اللغة

وقيامها بمقتضيات الملك والسياسة

١ - علمت مما سبق أن الفتوحات الاسلامية كثرت في العصر الاموي حتى وصلت جيوش المسلمين إلى الهند والاندلس وحكم العرب هذا البلاد المفتوحة وأخضعوها لنفوذهم وسلطانهم وصاروا حكامها وأمرائها ونشروا فيها دينهم ولغتهم وآدابهم ونزح العرب إلى هذه البلاد المفتوحة فأقاموا فيها وعمروها وغالطو أهلها ونشروا اللغة العربية في كل مكان .

وأخذ أهل هذه البلاد المفتوحة يتعلمون العربية ويدرسونها ويتخذونها لغة لهم يتفاهمون بها مع حكامهم وولاتهم من العرب ولم يقفوا عند هذا الحد بل التخطاطب باللغة والتفاهم بها بل أجادوا العربية ودرسوا آدابها ونظموا الشعر وتفقهوا في شتى العلوم سواء منها العلوم الاسلامية الاصلية أم علوم ومعارف أممهم القديمة المتمدنية التي أذاعوها ونشروها في البيئمة العربية الاسلامية الجديدة .

يقول ابن خلدون : ولما هجر الدين اللغات الأعجمية وكان لسان القاطنين بالدولة الاسلامية عربيا هجرت كلها في جميع مما لكها ، لأن الناس تبع للسلطان وعلى وعلى دينه ، قصار استعمال اللسان العربي من شعائر الاسلام وطاعة العرب ،

وهجر الأسم لغاتهم وألسنتهم في جميع الأقطار والممالك ، وصار اللسان العربي
لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم وصارت الألسنة دخيلة
فيها وغريبة .

٢ - ولا ضير على اللغة إذا كان قد دخلها بعض اللحن واصاب ملكاتها
شئ من العي والعجز والقصور فان القرآن الخالد قد حفظ اللغة العربية وخلدها
إلى ما شاء الله .

نعم لقد كان من آثار الفترحات الإسلامية وانتشار اللغة العربية في كل
مكان أن :

١ - خالط العربي أهل هذه البلاد المفتوحة وسمع لسانهم وعيهم وتحريفهم
في ألفاظ اللغة فأصاب ملكته العربية الأصلية شئ من العدوى واعتراها
بعض القصور .

ب - وتزوج العربي من الموالى كما تزوج بعض الموالى من العربيات وإن
كان ذلك قليلا نادرا فنشأت ذرية ملقحة بعضها من الأولاد الهجن الذين
أبائهم من العرب وأمهاتهم من الموالى وبعضها الآخر من المقرنين وهم الذين كان
أبائهم من الموالى وأمهاتهم من العرب ومن غير شك أن لغة هذه السلالات
لا تصل إلى لغة العرب الخالص الأحرار .

ج - كما كثرت الجوارى والقيان والمربيات الروميات والفارسيات
والقبطيات في قصور الخلفاء والأمراء والأثرياء فنشأ أبنائهم ضعاف الملمكة
مضطربى اللهجة واللغة كثيرى اللحن والتحريف .

ولكن جد الخلفاء والعلماء في المحافظة على اللغة العربية ، دفع عادية هذا
الفساد وأضغف من شأن هذه العدوى

٣ - ولقد قامت اللغة العربية في العصر الأموى بمقتضيات الدين والمملك
والسياسة إلى حد بعيد مما يتجلى لك فيما يأتي :

١ - حولت دواوين الخراج إلى اللغة العربية في شتى البلاد الإسلامية ،
وكانت من قبل تكتب بلغة الأقاليم التي هي فيه ، فهي في العراق بالفارسية ؛ وفي

الشام بالرومية ، وفي مصر بالقبطية ، لحولت دواوين العراق إلى العربية في عهد الحجاج وعبد الملك ، كما حولت دواوين الشام من الرومية إلى العربية في عهد عبد الملك أيضا بعد أن رأى من إدلال كاتبه سرجون ، وكان الذي حولها له في الشام إلى العربية هو سليمان بن مسرور فدب الحزن إلى قلب سرجون حتى قال لمن معه من كتاب الروم :

اطلبوا الرزق من غير هذه الصناعة ، فقد قطعها الله عنكم . ولما حول صالح ابن عبد الرحمن السجستاني للحجاج دواوين العراق إلى العربية (١) ، أراد الكتاب الفرس أن يحولوا بالمال بينه وبين ذلك ، فبدلوا له مئتا ألف درهم على ألا يفعل فآبى فقالوا :

قطع الله أصلك من الدنيا بعد أن قطعت أصل الفارسية . وتم منذ ذلك الحين نقل ديوان العراق ، وكان الذي يتولى الكتابة فيه الفارسية زادن فروج بن بيدي

وأما ديوان مصر فقد حوله عبد الله بن عبد الله ابن مروان أمير مصر من قبل الوليد بن عبد الملك وكان يقوم بالكتابة فيه بالقبطية انتناش القبطي فصرفه عبد الله وأقام مكانه ابن يربوع الفزاري

ب - كما قامت اللغة بالتعبير عن ألوان الحياة الجديدة الناشئة على العرب في دولة بني أمية فالقصور الباذخة والجيش العديدة والغلمان والعبيد والحجاب والقهارم والموسيقى والغناء والجيش والأساطيل والقلاع والبريد وسك النقود وديوان الخاتم وديوان الرسائل وديوان الجند غير ذلك من مظاهر الملك والوان المدنية الجديدة ومشاهد العمران والترف ، قد راض العرب لتفهم على التعبير عنها وعمما تتطلبه شتى ألوان الحياة ، فلم تعجز اللغة بل نهضت بكل ذلك دون وناة أو فتور ، سواء بما فيها من الفاظ ومفردات وأساليب وثروة لغوية

(١) وفي العقد الفريد : أن قحذم جد الوليد بن همام القحذي هو

الذي قلب اللواوين من الفارسية إلى العربية (١١ - ٣ العقد)

ضخمة أم بما عربه العرب من الألفاظ الأعجمية. فوضعوا أسماء للتسميات الجديدة؛ بقل بعض الألفاظ العربية عن معانيها الأصلية إلى معانٍ أخرى؛ أو بالتعبير عنها بالألفاظ المعربة؛ فن الفاظ في تمييز الجند وأنواع أسلحتهم إلى مصطلحات الدواوين وما تقتضيه الحضارة وال عمران والثقافة

ومن الألفاظ المعربة: الطست والطبق والبلور واللوز والطنبور والفرسخ والبريد والمارستان وسواها

ج - ونهضت اللغة بشق ألوان العلوم والثقافات وتدوينها دون تفصيل أو عجز؛ فبدأت النهضة العلمية والفكرية وقام العلماء بتدوين آرائهم في شتى علوم الدين والدنيا تساعدهم على ذلك لغة طيبة مرنة واسعة الجوانب

د - كما عبرت اللغة عن شتى نظم الملك والسياسة والقضاء والادارة والأدب وانفن حتى ورثنا ثروة ضخمة من آثار هذا العصر الأدبية الرائعة وحسبنا ذلك الآن

طرفة اللحن ووضع النحو والنقط والشكل

اللحن ونشوء العامية

١ - علمت أن العرب فتحوا كثيرا من البلاد والأمصار ودخل أهلها في دين الله أفواجا وتعلموا القرآن ودرسوا اللغة العربية وتكلموا بها فبدأت اللفظة تظهر في كلامهم كما بدأ اللحن واضحا في نطقهم ولا شك أن العربي بمخالطة للدخلاء على العربية ولسانها قد أصابته عذاهم وانتقلت إليه آثار من لسانهم ولحنهم

كما أن نشأة أولاد الأمراء والخلفاء والأثرياء بين أمهات أو مربيات أعجميات كان له أثره في إفساد طباعهم وفطرتهم الأدبية الموروثة

كما أن الذين أسلموا من الموالى والعجم و تعلموا اللغة العربية ونطقوا بها لم يخل كلامهم من لحنه و لحن مما بدأ في الظهور في عهد الدولة الأموية متمثلا في اللحن

والعنى وفساد الملكات وظهور الكسنة حتى كان الخلفاء والأمراء يدفعون هذه العدوى بتربية أولادهم في البادية وتثقيفهم على يد الأساتذة والمعلمين حتى يتعودوا البلاغة والفصاحة من صغرهم

وكان اللحن عيباً كبيراً وهجئة للرجل ووصمة شديدة

وكان اللحن يقع في محادثتهم وحوارهم ومعتاد كلامهم وقد أسرعوا بوضع

اللحن ثم الشكل ثم الاعجام حفظاً للألسنة من الفساد وللمسكات من العنى

٢ - واللحن لم يقع في العصر الجاهلي لأن الإعراب جزء من لهجة العربي

الفصيحي لا ينفصم عنها .

كما انه لم يقع في عصر النبوة وما بعده من العرب إلا نادراً وذلك لسلامة الملكات وقلة اختلاط العرب بغيرهم وقرب عهدهم بالبدواة . روى أن كاتب أبي موسى الأشعري كتب عنه كتاباً إلى عمر فلحن فأرسل إليه عمر أن قنع كاتبك صوتاً وكان ما لحن فيه قوله في أول الكتاب : « من أبو موسى الأشعري » . ولحن رجل في مجلس النبي « ص » فقال : أرشدوا أخاكم فقد ضل .

نعم وقع لحن من الموالي المسلمين في عهد النبوة كما وقع من سلبان الفارسي وكان يرتضخ لكسنة فارسية وبلال وكان يرتضخ لكسنة حبشية وصهيب وكان يرتضخ لكسنة رومية ولكن عذر هؤلاء واضح لأنهم حديثو عهد بالاسلام واللغة وشتان بين هذا وبين ما وقع في العصر الأموي

٣ - ومن اللحنين خالد القسري وكان متقدماً في الخطابة ومتأهياً في البلاغة

فخرج عليه المغيرة بن سعيد بالكوفة وهو على المنبر فقال : أطمعوني ماء^(١) وكانت أمه نصرانية

ومن اللحنين أيضاً الوليد بن عبد الملك أشفق عليه أبوه فلم يرسله إلى البادية فترى في دمشق وتعلم العربية صناعة فعرض لكلامه اللحن فهو مع بلاغته يقول لآبيه : اقتل بني فديك ويقول لغلामه : رد الفرسان الصادان وقرأ : يا ليتها

كانت القاصية برفع القاضية ، ويقول عبد الملك : أضر بالوليد حبنا له فلم نوجهه إلى البادية^(١)

ومن اللحنين أيضاً عبيد الله بن زيادو كانت فيه لكنة لانه نشأ بالاساور مع أمه مرجانة . قال مرة : افتحوا سيوفكم قتال : يريد بن مفرغ
ويوم فتحت سيفك من بعيد أضعت وكان أمرك للضياع

٤ — ويقول عبد الملك بن مروان : اللحن هجنة على الشريف ، وقال غيره : تعلموا النحو كما تعلمون السنان والفرائض ، ويقول أيوب السختياني : تعلموا النحو فانه جمال للوضيح وتركه هجنة للشريف .
وأول لحن سمع بالبادية : هذه عصاتي ، وأول لحن سمع بالعراق : حى على الفلاح .

وقد وقع اللحن الكثير في هذا العصر يقول رؤبة وأبو عمر بن العلاء إنهما لم يرنا قزوين أفصح من الحسن البصرى والحجاج ، وغلط الحسن في حرفين من القرآن ، كما نسب للحجاج لحن في بعض المواطن ،

وأمانة اللحن واللكنة كثيرة، ويقول المبرد في اللكنة هي أن تعترض على الكلام اللغة الأجمعية^(٢) وتكون من العجم ، ومن نشأ من العرب مع العجم كما يقول الجاحظ^(٣) ، ويقال في لسانه لكنة ، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب ، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول^(٤) ، فهم العجم عن وضوح اللهجة وصحة مخارج الحروف .

(١) ١٥٤ ج ٢ البيان والتبيين

(٢) ٣٦٩ ج ١ الكامل

(٣) ٦٩ ج ١ البيان

(٤) ٤٨ ج ١ البيان

٥ - وبعد فآثار اختلاط العرب بالعجم والموالي ظهرت في الألسنة في مظاهر كثيرة هي : اللحن والسكنة وضعف الملكة والطبع .

وللاحتراز عنه وضعوا كما قلنا النحو والشكل والاعجام .

وكان الخلفاء يكرهون اللحن ويحذرونه للغاية حتى قال عبد الملك بن مروان :

شيبني صعود المنابر والخوف من اللحن .

وضع النحو :

١ - والنحو هو العلم الذي يرشد الى معرفة حركة آخر الكلمة ، وقد كان ذلك ضرباً ورياً للسان العربي بعد أن دب اللحن الى الملكات والألسنة ، ولقد كان العرب في جاهليتهم يعتمدون على سلبقتهم السليمة وفطرتهم العربية الصادقة ، فلم يقع منهم لحن ، ولكن اختلاط العرب بالعجم والموالي بعد الفتوحات الاسلامية جعل وضع النحو ضرورة لا بد منها للمحافظة على القرآن الكريم ولغته الشريفة . والناس يختلفون في الداعي الذي حفز القدماء الى وضع النحو ، فبعض وضعه اختلافاً كثيراً ، مما سنفصل القول فيه .

٢ - أما سبب وضع النحو ففيه روايات كثيرة :

١ - قيل إن معاوية كتب الى زياد يطلب عبد الله ابنه فلما قدم عليه وجده يلحن فردده الى زياد وكتب إليه كتاباً يلومه فيه على ذلك فبعث زياد الى أبي الأسود وطلب منه أن يضع شيئاً يصلح الناس به كلامهم ويعرفون كلام الله تعالى فأبى ذلك أبو الأسود فوجه زياد رجلاً وقال له أقعد في طريق أبي الأسود فاذا مر بك فاقرأ شيئاً من القرآن وتعهد اللحن فلما مر أبو الأسود رفع الرجل صوته وقال إن الله برىء من المشركين ورسوله بالجر فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال عز وجه الله أن يتبرأ من رسوله ثم رجع من فوره الى زياد وقال له قد أجبك الى ما سألت

ب - وقيل إن أبا الأسود كان يعلم أولاد زياد وهو والى العراقيين يومئذ فجاءه يوماً وقال له : أصاح الله الأمير إنى أرى العرب قد خالطت الاعاجم

وتغيرت ألسنتهم أفأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون أو يقيمون به كلامهم؟ قال : لا ، فجاء رجل إلى زياد وقال : أصلح الله الامير توفي أبانا وترك بنون ، فقال زياد : ادع لي أبا الاسود ، فلما حضر قال : ضع للناس الذي نهيئك عنه .

ج - وقيل إن ابنة لآبي الاسود تحدثت إليه فقالت : يا أبت ما أحسن السماء فقال نجومها . فقالت إنما أردت أن السماء حسنة فقال لها قولي : ما أحسن السماء ثم غدا على علي رضي الله عنه فحدثه حديث ابنه وقال إنى أخاف أن يفسد لسان العرب بمخالطة هذه الحمر ، فأملى علي رضي الله عنه بعض قواعد الكلام وقال له انح هذا النحو ، فكان أبو الاسود كلما عتمد فصلا راجعه فيه أمير المؤمنين فأقره أو هذبه .

د - وقيل إن أبا الاسود دخل على علي رضي الله عنه فوجد في يده رقعة حمر فقال له ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال : إنى تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمر فأردت أن أضح شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه ثم ألقى الرقعة إلى أبي الاسود فأنذا فيها : الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى الفعل ما أنبأ به والحرف ما أفاد معنى . ثم قال لآبي الاسود : انح هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك ، وأعلم يا أبا الاسود أن الاسماء كلها ثمثة : ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر ، وإنما يتفاضل الناس يا أبا الاسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر وأراد بذلك المهمات . قال أبو الاسود ثم وضعت بابي العطف والنعته ثم بابي التعجب والاستفهام إلى أن وصلت إلى باب إن وأخواتها فلم أذكر لكن فلما عرضتها على علي عليه السلام أمرني بضم لكن اليها . وكنت كلما وضعت بابا عرضته عليه إلى أن حصلت ما فيه الكفاية فقال لي ما أحسن هذا النحو الذي نحوت .

وقيل إن أبا الاسود هو الذي ابتكر التقسيم الاول للكلام وأراه عليا عليه السلام فأقره .

ه - ويروى أيضا أنه قدم أعرابي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

فقال من يقرئني شيئاً مما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فأقرأه رجل
سورة براءة فقال إن الله برئ من المشركين ورسوله بالجر فقال الأعرابي أو
قد برئ الله من رسوله أن يكن الله تعالى برئ من رسوله فأنا أبرأ منه ،
فبلغ عمر عليه السلام مقالة الأعرابي فدعا فقال يا أعرابي أتبرأ من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ؟ فقال يا أمير المسلمين إنى قدمت المدينة ولا أعلم بالقرآن
فسألت من يقرئني ؟ فأقرأني هذا سورة براءة فقال إن الله برئ من المشركين
ورسوله فقلت له أوقد برئ الله تعالى من رسوله إلا أن يكن الله تعالى برئ من
رسوله فأنا أبرأ منه ، فقال عمر رضى الله عنه ليس هكذا يا أعرابي فقال كيف
هى يا أمير المؤمنين ؟ فقال ان الله برئ من المشركين ورسوله فقال الأعرابي
وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم ، فأمر عمر رضى الله عنه أن لا يقرئ
القرآن إلا عالم باللغة ، وأمر أبا الأسود الدؤلى أن يضع النحو^(١)
٣ — وأما واضع النحو ، فأغلب الروايات متضافرة على أنه أبو الأسود
الدؤلى العالم الخالد المتوفى عام ٦٩ هـ سواء كان هو الذى ابتكره من نفسه أم أن
الإمام على بن أبى طالب أرشده إلى الأساس الذى يبنى عليه
ويقول عبد القادر البغدادي : وهو واضع علم النحو بتعليم على رضى
الله عنه^(٢)

وكان أبو الأسود غاية فى الذكاء والحدق والعبقرية وكان من سادات التابعين
وصحبه على بن أبى طالب وشهد معه صفين ثم أقام فى البصرة واتصل بزياد
فكان أثيراً لديه وتوفى عام ٦٩ هـ

٤ وبعد فسواء كان أبو الأسود وضع النحو بنفسه أم أن علياً وضع له
الأساس فبنى هو عليه ، فإن لأبى الأسود فضلاً عظيماً خالداً فى هذا المجال ، وكان
أبو الأسود يقيم بالبصرة ، فأخذ عنه تلاميذ كثيرون منهم : نصر بن عاصم ، وعبد

(١) نزهة الألبا ص ٧ وما بعدها .

(٢) خزنة الأدب ج ١ ص ٢٥٦

الرحمن بن هرمز ، ويحيى بن يعمر ، وعيسة البهليل . وميمون الأقرن . وكلهم من البصرة . وعن هذه الطبقة أخذ الخليل ثم سيوبه الذي كان من أساتذته الخليل وعيسى بن عمر والأخفش الأكبر ، ولما كانت نشأة النحو في البصرة على يد أبي الأسود وتلامذته فقد نشأ بصريا ودرس في مساجدها ورجع علماءؤه إلى اللهجات العربية حول البصرة ، ولم تذبغ الكوفة في النحو إلا بعد العصر الأموي فظهرت فيه طبقة الكسائي والفراء ويونس من أخذوا عن أبي عمرو بن العلاء ومعاصريه من البصريين : ويعتمد البصريون اعتمادا كبيرا على القواعد المستنبطة من القرآن والحديث وفصح الشعر وماخالف ذلك يعتبر ساقطا ، أما الكوفيون فكانوا يدونون كل ماخالف لغة قریش من لغات القبائل الأخرى ويعتبرون ذلك فرعا من اللغة وكانوا يعتبرون ماخالف الفصيح شواذ لا تقبل في الاستعمال

٥ - ومهما يكن من شيء فإن بدء تدوين النحو والكتابة فيه وانتشاره ذهب البصريين النحويين ودراسته إنما كان في عهد بني أمية

وضع الشكل :

وزيد بالشكل : الحركات وهي علامات الضم والفتح والكسر ، والسكون . ولم يكن في اللغة العربية في العصر الجاهلي ولا في صدر الإسلام شكل .

فلما انتشر الإسلام واتسعت الفتوحات واختلط العرب بالعجم وخيف على القرآن الكريم واللسان العربي من آواز اللحن وضع النحو ، فكان عملا جليلا من أبي الأسود .

ولكن النحو لم يصد هذا السيل المتدفق وتلك العدوى المفسدة ، لأن فائدته اقتصر على الدارسين والباحثين والمتعلمين فقط ، أما أكثر الناس وجمهورهم فلم يكن يعصمهم من اللحن عاصم واحتيج إلى أمر أكثر من النحو فائدة وأسرع حفظا لالسنة الناس من الخطأ في قراءة القرآن الكريم

لذلك كلف زياد والى البصرة من قبل معاوية أبا الأسود الدؤلي أن يضع طريقة

لأصلاح اللسان لأن الحراء^(١) قد كثرت وأفسدت من ألسنة العرب، قال زياد
لأبي الأسود: فلو وضعت لنا شيئاً يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله
فقال أبو الأسود أو أزيد على المصحف شيئاً لم يزد السامع فقال زياد لقد كتبت
عثمان المصاحف وما كانت مكتوبة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
من شيء تعلمه وفيه صلاح للمسلمين إلا وهو خير كله، أباي أبو الأسود وقال أولى
بذلك غيري. وأحب زياد أن يحمل أبا الأسود وأن يحفره إلى العمل فأرصد له
في طريقه من يرفع صوته بالقرآن ويلحن فيه ففعل الرجل وقرأ وأذن من الله
ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برؤء من المشركين ورسوله (بكسر
اللام) فحزن لذلك أبو الأسود وعاد من فوره إلى زياد وقال له لقد نظرت
فرايت أن من الخير أن أجيبك إلى ما تطلب فابغى كاتباً فأرسل إليه زياد ثلاثين
كاتباً اختارهم فاختار منهم أبو الأسود أفضلهم وقال له خذ صبغاً أحمر فاذا رأيتني
فحمت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه وإذا كسرت فانقط واحدة أسفله وإذا
وإذا ضمنت فاجعل النقط بين يدي الحرف فاذا أتبعته شيئاً من هذه الحركات غنة
فانقط نقطتين وأخذ يملئ، والكاتب يكتب وهو يتفقده حتى أتم المصحف

ولم يضع أبو الأسود علامة للسكون مكتفياً بان إهمال الشكل هو السكون
وانتشرت طريقة أبي الأسود وزاد فيها الناس علامة للتون فوضعوا عليه نقطتين
واحدة فوق واحدة وزاد أهل المدينة علامة التشديد فجعلوها قوساً ووضعوه فوق
المشدد المفتوح وتحت المكسور وعن يسار المضموم ووضعوا نقطة الفتحة داخل
القوس والكسرة تحت حذبه، والضمة على شماله ثم استغنوا عن النقطة وقابوا
القوس مع الضمة والكسرة وأبقوه على أصله مع الفتحة.

وزاد أهل البصرة السكون فجعلوا السكون جرة أفقيه فوق الحرف منفصلة

عنه هكذا [-]

(١) هم الإعجام.

ولم تتداول طريقة أبي الأسود إلا في المصحف الشريف ، فلم تتجاوزه إلى غيره ثم جاء الخليل بن أحمد في عهد الدولة العباسية فغير صور الشكل وجعله على هيئة قريبة مما هو عليه الآن .

وضع النقط

كانت الحروف العربية خالية من النقط فالضاد والضاد ، والذال والذال ، والراء والراء كل منها تكتب على صورة واحدة من النقط والأعجام

فاحتيج إلى تمييز الحروف المتشابهة بعضها عن بعض فجعل بعضها منقوطة بنقطة أو نقطتين أو ثلاث والبعض الآخر خاليا من النقط وذلك هو الأعجام ، فهو تمييز الحروف المتشابهة بالنقط منعا للبس بينها ، والأعجام من أعجمت الحرف إذا أزلت عجمته وبينته ولهذا تسمى حروف الهجاء العربية حروف المعجم ، وقد يخصص الأعجام بالحرف المنقوطة إذا شاركة في صورته الخطية حرف آخر مهمل فيقال نهاء فعجمه وحاء مهمله

واختلف في الزمن الذي وضع فيه الأعجام ، فالبعض يقولون إنه كان في الجاهلية للأدلة الآتية .

- ١ - عثر على كتب قبل زمن عبد الملك بن مروان فيها إعجام بعض الحروف
- ٢ - روى عن ابن عباس أن عامر بن جذرة هو الذي وضع الأعجام
- ٣ - على أنه لا يعقل أن تبقى الحروف العربية على صورة التباسها هذا إلى عهد بني أمية فإن ذلك يؤدي إلى الأفساد واللبس في الكلام ويقول آخرون إنه وضع في عهد معاوية

ويقول سواهم إنه وضع في عهد عبد الملك بن مروان ، ويروى أن الذي وضع الأعجام نصر بن عاصم وتبعه غيره فاتهم وانتشر بأمر الحجاج قبل أزجج الحجاج ما كان يحدث من لبس في تمييز حروف القرآن (١)

(١) كانوا يقرأون « خنار كفور » « جبار كفور » ، ويحرفون أشاء إلى أساء ، وعزة إلى غرة ، و « إياه » فيجعلونها أباه =

ففرع إلى كتابه ليضعوا علامات تميز الحروف المتشابهة بعضها عن بعض ، وذلك
لذلك نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر تليذى أبى الأسود، فنقطوا المصحف بصيغ
من لون المداد الذى استعمل فى كتابة المصحف ، أما نقط الشكل فبقيت بالمداد
الأحمر كما صنع أبو الأسود الدؤلى رحمه الله
ويقال إن النقط كان موجودا من قديم ولكن الناس أهملوه فظهر التصحيف
فى القرآن حتى فزع الحجاج إلى نصر بن عاصم فوضع الأعلام

بدء تدوين العلوم

تمهيد :

١ - فى العصر الجاهلى لم تدون علوم ولا ثقافات لامية العرب وبدأوثم
وبعدهم عن الحضارة والعلوم والمعرفة
وفى عصر صدر الاسلام جمع القرآن الكريم أول مرة فى عهد أبى بكر،
فكان أول كتاب يكتب فى تاريخ العرب ، وشغلهم الفتوحات وحرصهم على
المحافظة على القرآن الكريم ودفع اللبس عنه عن التدوين كما صرفهم عنه قرب
عهدهم من البدأة
فلما جاء العصر الاموى دعا المسلمين إلى تدوين العلوم دواع كثيرة وساعدهم
على ذلك :

١ - بدء محضرم والحضارة تستلزم العلم دائما

== وفى ابن خلكان :

د ففرع الحجاج إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الأحرف المختلفة علامات
تميزها بعضها عن بعض فيقال إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفرادا
وأزواجا وخالف بين أما كتبها فعبى الناس بذلك أزمانا لا يكتبون
إلا منقوطا ،

- ٢ - قريتهم من الأمم المتحضرة ذات الثقافات القديمة كالفرس والروم
ووصول بعض آثار حكمتهم وفلسفتهم وتاريخهم إلى المسلمين مسكتوبة
٣ - وجود عناصر كثيرة - تعرف نظام التدوين - داخل الدولة
الإسلامية ، كالسريان والفرس وسواهما من العناصر الرومانية والأغريقية
٤ - انتشار الكتابة بينهم

وكان من أهم الأسباب في تدوين العلوم المختلفة مايلي :

- ١ - حاجتهم إلى حفظ الشريعة وكتابها وعلومها
٢ - حاجتهم إلى المعارف القديمة سواء في الطب أم في الفلك أم في غير
ذلك من ألوان المعرفة

٣ - حاجتهم إلى العلوم المختلفة في حفظ نظام الملك وسياسته ، ولرغبتهم في
الوصول بدولتهم إلى حد بعيد ، من الحضارة والرقى والثقافة ، يحفزهم على ذلك
القرآن الكريم ودينهم المجيد

ب . وكانت مراكز الثقافة الإسلامية في هذا العصر كثيرة وأهمها المدينة
ومكة والبصرة والكوفة ودمشق والفسطاط
وكان بظاهر الكوفة والكيناسة ، وبظاهر البصرة والمربد ، وهما سوقان
أديان وعليمان رائجان ، وكان الربد مآل الأشراف (١) وستكلم عليه
بعد قليل

العلوم المدونة في العصر الأموي :

سنحدثك عن أهم ما دون في العصر الأموي من العلوم وهي :

- ١ - التفسير ، وقد رويت فيه روايات كثيرة عن رسول الله والصحابة

(١) ٢١٠ / العقد وروى عن الجارود قال : عليكم بالمربد فانه يطرد
الفتنر ويجلو البصر ويجلب الخبر ويجمع بين ربيمة ومضر [٢٢٣ / ١ البيان
والتبيين للجاحظ]

رضوان الله عليه وكانوا يتناقلون ذلك ، وأول تفسير دون هو تفسير ابن عباس
رحمه الله المتوفى عام ٦٨ هـ في الطائف وطبع في مصر في المطبعة الاميرية عام ١٢٩٠
في سفر واحد ، وهو مجموع روايات دونها ابن عباس

ويتصل بالتفسير قراءات القرآن وقد كثرت العناية بها في العصر الاموي الذي
عاش فيه كثير من القراء كابن كثير م ١٢٠ هـ وعاصم م ١٢٨ هـ ويزيد
ابن القعقاع م ١٢٢ هـ .

هذا وللشيعة تفسير قديم ينسبونه إلى محمد الباقر بن علي بن الحسين ، ويقال إن
أول من دونه في التفسير مجاهد م ١٠٤ هـ وهو غير موجود .

ولم ينضج هذا العلم إلا في العصر العباسي .

٢ - الحديث : لم تكن تدون أحاديث رسول الله في عهده ولا في
عهد أصحابه .

فلما كثرت الفتوحات والحروب الاسلاميه وكثرت الثورات والأحزاب
السياسية والفرق الدينية ووضع بعض الناس أحاديث على رسول الله ويقال
إن المهلب بن أبي صفرة كان يضع الاحاديث ليشد بها أمر المسلمين ويضعف
أمر الخوارج (١) .

أخذ المسلمون في التمييز بين الاحاديث الصحيحة والموضوعة ، واشتهر من
المحدثين في عصر بني أمية : عاصم بن سليمان م ١٤٩ بالكوفة ، وخالد الخذاء مولى
قريش المتوفى عام ١٤٦ هـ ، وشعبة بن الحجاج م ١٦١ ، وسواهم .

وأمر عمر بن عبد العزيز — بعد أن استخار الله أربعين يوماً — ابن شهاب
الزهري أو ابن جريج أو أبا بكر بن حزم بجمع الحديث وتدينه ، فتم ذلك وبعث
بنسخ منها إلى الامصار .

٣ — النحو وقد سبق ذكر أمر وضعه وتدوينه وقد وضع الحضرمي كتابا في الهمز .

٤ — الشعر الجاهلي ، أخذ الرواة والمؤدبون في رواية الشعر الجاهلي وتدوين آثار منه ويقال إن أول من جمعه حماد الراوية ، ثم ألف فيه بعد ذلك المفضل كتابة « المفضليات » .

٥ — التاريخ ويقال إن معاوية استكتب رجلا من أهل اليمن اسمه عبيد ابن شربة الجرهمي . بعض أخبار الأوائل فكتبها له . فكان هذا أول كتاب دون في التاريخ . وعنى الأمويون كذلك بعلم الانساب .

٦ — الفقه وقد اشتغل به في العصرى الأموى جملة الصحابة والتابعين ، ويقال إن زيد بن علي بن الحسين أملى كتابا في الفقه وأنه أقدم كتاب في هذا العلم في الاسلام .

٧ — أو أصول الدين فيقال إن واصل بن عطاء ألف كتابا في المرجئة وآخر في التوبة وآخر في معاني القرآن

٨ — وألف يونس بن حبيب كتابا في الاغاني دون فيها أصول الألحان عن معبد وابن سريج .

٩ — وترجموا في الطب والكيمياء ، فقد رأى عبد الملك بن مروان وهو أعلم الأمويين بالأدب وأفقههم في الدين أوراقا في الكيمياء نقلها خالد بن يزيد فقال له أفلك أنسب الملوك وهمة الموالي ؟ وكان خالد قد عنى بالكيمياء والطب وقيل أنه درس كتبهما عن رجل من السريان يدعى مريانوس وأنه أمر اسطفان القديم بترجمة هذه الكتب إلى العربية .

وبعد فلم تكن العلوم المدونة في هذا العصر إلا بمجموعة روايات لا أثر للتحقيق والدرس والبحث فيها ، ولكن لاضرير من ذلك ، فقد كانت النواة الأولى لتدوين العلوم في الاسلام .

وعلى الجملة ، فقد كان العرب ينظرون إلى تدوين العلوم نظرهم إلى صناعة
الحضر والموالي الصغيرة التي لا يصح لهم أن يحترفوها ، ويأنفون من الاشتغال
بالكتب والأخذ بالتأليف والتدوين لأنه صناعة المرالي في أيامهم .

أشهر مجامع العلم والأدب :

١ - كانت أهم مجامع العلم والثقافة في الدولة الأموية هي : المدينة ومكة
والبصرة والكوفة والفسطاط ودمشق .

أما المدينة فهي البلد الحرام وموطن رسول الله ومكان نشأته ومقر القرشيين
وأبنائهم ، ولقد كانت في العصر الأموي حافلة بالعلماء كعازب بن جبل وعبد الله
ابن عباس وسفيان بن عيينة الذي أخذ عنه الشافعي قبل أن يتحول إلى المدينة .
وكانت من أهم مراكز الثقافة العربية الإسلامية منذ الهجرة ، فقد
هاجر إليها النبي صلى الله عليه وسلم وعلم بها أكثر تعاليم الإسلام ، وكانت مقام
كثير من الصحابة الذين تلقوا عن النبي وزروا أحاديثه ، وكان بها كثير من الموالى
الذين أتى بهم أسرى من الممالك المفتوحة وأسلموا وتلقوا العلم من الصحابة ، وقد
اشتهرت المدينة بالعلوم الدينية من تفسير القرآن ومدارسة للحديث واستنباط
الأحكام منها ، واشتهر من علمائها زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر بن الخطاب من
من الصحابة ، ثم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير بن العوام من التابعين ، ومن
بعدهم كان الامام مالك بن أنس صاحب المذهب المشهور .

ولم تقتصر المدينة على الشهرة في المسائل الدينية بل نبغ فيها كثير من رجال
التاريخ كمحمد بن اسحاق والواقدي ، وهما يعدان من أشهر المصادر الأولى للسير
والمغازي . وقد ساعد المدينة على بلوغها هذه المازلة أنها كانت مقر الخلافة في عهد
الراشدين وجمتمع الموالى الذين سبوا من مختلف البلاد الإسلامية وأغلبهم من
عناصر متحضرة .

وأما البصرة والكوفة : فهما أشهر مدن العراق ، والعراق قطر شهر من
قديم بالحضارة ا تداولت عليه أمم كثيرة متمدنة وتركت فيه آثارها العلمية والفنية

وهو إلى ذلك قطر غنى خصب كثرت مياهه وخيراتة ؛ وقد أسست هاتان المدينتان في عهد عمر بن الخطاب ونزل بهما كثير من الصحابة ، واختلط فيها العرب بالموالي بالتزواج والسكنى ، وأصبحتا بعد قليل من أكبر مراكز الحياة العلمية ؛ فسكان في الكوفة عبد الله بن مسعود من الصحابة ، وشريح والشعبي وسعيد بن جبير من التابعين ، ثم أبو حنيفة النعمان إمام المذهب المنسوب إليه ، واشتهر من علماء البصرة أبو موسى الأشعري وأنس بن مالك من الصحابة ، ثم الحسن البصري وابن سيرين من التابعين ، واشتهرت هاتان المدينتان أيضاً بالنبوغ في علوم النحو واللغة ، وتفوقت البصرة في ذلك فكان من علمائها أبو عمرو بن العلاء ، والحليل بن أحمد ، والأصمعي ، واشتهر من الكوفيين الكسائي ، وكان بين المدينتين تنافس في اللغة والأدب والصرف وعلم الكلام ، ولكل علماء يتعصبون لمذهبهم وينصرونه بحججهم ، وكان الكوفيون ، على الجملة ، أكثر استعمالاً للقياس ، والبصريون أكثر إيثارة للسمع .

وأما الفسطاط : فكانت في مقدمة المدن الإسلامية التي أزهرت فيها علوم العرب الدينية واللغوية ، وأول من اشتهر بها من العلماء عبد الله بن عمرو بن العاص أحد كبار الصحابة ؛ ثم عبد الله بن طيبة وهو من أكبر المصادر الذين يروى عنهم كثير من الأحداث التاريخية في فتح العرب لمصر ، ثم الليث بن سعد أحد الأئمة الذين يقرنون بمالك وأبي حنيفة لولا أن تلاميذه أضاعوا مذهبه ، ثم نزل بها الإمام الشافعي ودرس فيها ووضع مذهبه الجديد . هذا وقد وفد على الفسطاط من الشعراء : جميل وكثير ونصيب وسواهم من الشعراء .

وأما دمشق فهي عاصمة الأمويين ومنازة العلم والثقافة ومقصد الناس من كل حدب وصوب ، وبها كثير من العلماء والأدباء والشعراء فوق من كانوا يفتنون إليها من كل صوب رغبة في الثقافة أو حرصاً على مال الخلفاء والأمراء

وكان في الشام. معاذ وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وعمر بن عبد العزيز
والأوزاعي ورجاء بن حيوة وسوامم .

وقد امتازت العراق بنشاط الأحزاب السياسية فيه وكثرة الفرق
الدينية الناشئة .

واشتهرت مجامع العراق بتبريزها في علوم اللغة وذلك :

١ - لشدة الاحتياج إليها في العراق لفساد المملكات فيه بالاختلاط وكثرة
عناصر الموالى بين ربوعه .

٢ - ولأنه موطن السريانية وكان للسريان قواعد منظمة في اللغة والنحو .
وكان بين البصرة والكوفة منافسة شديدة في الأدب والعلم ، ولكن شهرة
البصرة كانت باللغة وعلومها من نحو وغيره وذلك لتبحرها في العمران وقرنها
من البادية التي عرف أهلها بالفصاحة وصدق اللهجة أما الكوفة فقد ذهبت شهرتها
بعلوم الشعر وروايته .

وكانت مجامع المدينة أرق المجامع وأحفلمها بالترف والغناء واللهاو .

ب - وأما مجامع الأدب فكانت هي مجالس الخلفاء والأمراء والشعراء
والآدباء ، واشتهر من بين ذلك كئناس الكوفة ومرابد البصرة خاصة ، وسنجدئك
عن مرابد البصرة .

مرابد البصرة :

ولمرابد (١) البصرة أثر غير قليل في اللغة والأدب والشعر في العصر الأموي
ولا بأس بالأطالة في حديثه .

(١) هو على وزن منبر .

هو ضاحية من ضواحي البصرة ، في الجهة الغربية منها بميل البادية ، بينه وبين
البصرة نحو ثلاثة أميال . كان سوقا للابل ، قال الاصمعي : « المربد كل شيء
حبست به الابل والغنم ... وبه سميت مربد البصرة ، وإنما كان موضع سوق الابل
وهو واقع على طريق من ورد البصرة من البادية ومن خرج من البصرة اليها .
ويظهر أنه نشأ سوقا للابل ، أنشأه العرب على طرف البادية يقضون فيه شؤونهم
قبل أن يدخلوا الحضرة او يخرجوا منه . »

وفي اللسان - في مادة ب ص ر - وقال ابن شميل : البصرة ارض كأنها
جبل من جص وهي التي بنيت بالمربد وإنما سميت البصرة بصرة بها ، فكان
المربد كان موجودا في الجاهلية

ولكن أخباره في الجاهلية معدومة مما يدل على قلة خطره إذ ذاك ، إنما كان
له الخطر بعد أن فتح العرب العراق وسكنوه وخططوا البصرة ، فقد أنشئت فيه
المساكن بعد أن كان مربداً للابل فقط . وأتت العمارة بينه وبين البصرة حتى
قالوا فيه : « العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمربد عين البصرة ،
وقد كان المربد في الاسلام كما يقول أحمد أمين صورة معدلة لعكاظ ، كان سوقا
للتجارة ، وكان سوقا للدعوات السياسية . وكان سوقا للأدب - جاء في كتاب
« ما يعول عليه » : المربد كل موضع حبست فيه الابل ... ومنه سمي مربد البصرة
لاجتماع الناس وحبسهم النعم فيه - كان يجتمع العرب من الأقطار ، يتناشدون
فيه الأشعار : ويبيعون ويشترون وهو « كسوق عكاظ » . وقال العميني : « مربد
البصرة ... محلة عظيمة فيها (أى في البصرة) من جهة البرية في ، كان يجتمع العرب
فيها من الأقطار ويتناشدوا الأشعار ويبيعون ويشترون »

كانت أم أخبار المربد ما كان بعد قتل عثمان بن عفان من سير عائشة أم المؤمنين
الى البصرة ، فانها نزلت بفناء البصرة ورأت أن تبقى خارجها حتى ترسل الى أهلها
تدعوهم بدعوتها ؛ وهي المطالبة بدم عثمان وكان معها طلحة والزبير ، ثم سارت الى
المربد معهما وخرج اليها من قبل دعوتها ، وخرج الى المربد كذلك عامل على على
البصرة ، وهو عثمان بن حنيف ومن يؤيده ، وأصبح المربد وهو يهوج بمن أتى

الحجاز ومن خرج من البصرة ، حتى ضاق المربرد بمن فيه ، ورأينا المربرد مجالا للخطباء من يؤيد عائشة ومن معها ، ومن يؤيد عليا وعامله . أصحاب عائشة في ميمنة المربرد وأصحاب علي في ميسرته : ويخطب في المربرد طلحة ويمدح عثمان بن عفان ويعظم ماجنى عليه ويدعو الى الطلب بدمه ، ويخطب الزبير كذلك وتخطب عائشة أم المؤمنين بصوتها الجمهوري ويؤيدهم من في ميمنة المربرد ، ويقولون صدقوا وبروا وقالوا الحق وأمروا بالحق ، ويؤثر قول عائشة في أهل الميسرة فينحاز بعضهم اليها ويبقى الآخرون على رأيهم وعلى رأسهم عثمان بن حنيف ، ويخطبون كذلك يبينون خطأ هذه الدعوة وأن طلحة والزبير بايعا عليا فلا حق لهما في الخروج عليه ، ويؤيدهم أبو الاسود الدؤلي وأمثاله
وهكذا انتقل المربرد الى مجمع حافل ، كبير

وكان العصر الاموي ازهى عصور المربرد ، ، ذلك لأن العرب كانوا قد هدموا من الفتح واستقرت المياليك في ايديهم ، واصبح العراق مقصد العرب يؤمه من اراد الغنى وخاصة البصرة جاء في الطبرى ، ان عمر بن الخطاب سأل أنس بن حجة ركان رسولا الى عمر من العراق فقال له عمر كيف رأيت المسلمين ؟ فقال اثالث عليهم الدنيا فهم يميلون الذهب والفضة ، فرغب الناس في البصرة فأثروها ، وكان المربرد باب البصرة يمر به من ارادها من البادية . ويمر به من خرج من البصرة الى البادية ، ويقطنه قوم من العرب كرهوا معيشة المدن ويقصدوه سكان البصرة يستشقون منه هواء البادية ، فكان ملتقى العرب ، وكانوا يحيون فيه حياة تشبه حياة الجاهلية من مفاخرة بالانساب وتعظيم بالكرم والشجاعة ، وذكر لما كان بين القبائل من أحن ، فالفرزدق يقف في المربرد ينهب أمواله ففعل كرماء الجاهلية وحكى في النفاض أن زياد بن أبي سفيان كان ينهى أن ينهب أحدا مال نفسه ، وأن الفرزدق أنهب أمواله بالمربرد ، وذلك أن أباه بعث معه ابلا لبييعها فباعها وأخذ ثمنها فعمد عليه مطرف خز كان عليه ، فقال قائل لشد ما عقدت على دراهمك هذه ، أما والله لو كان غالب ما فعل هذا الفعل لخلها ثم أنهبها . وقال من أخذ شيئا فهو له وبلغ ذلك زيادا فبالغ في طلبه فهرب . . . فلم يزل في هربه يطوف في القبائل والبلاد حتى مات زياد .

وأراد عرب البصرة أن يكون لهم من مربد البصرة ما كان لهم في سوق عكاظ في الحجاز فبلغوا غايتهم ، وأحيوا العصبيّة الجاهلية ، وساعد الخلفاء الأمويين أنفسهم على إحيائها لما كانوا يستفيدون منها سياسيا ، فرأينا ظل ذلك في الأدب والشعر ، ورأينا المربد في العصر الأموي يزخر بالشعراء يتهاجون ويتفاخرون ، ويعلى كل شاعر من شأن قبيلته ومذهبه السياسي ، ويضع من شأن غيره من الشعراء ومذاهبهم السياسية .

ومن أجل هذا خلف المربد أجل شعر أموى من هذا النوع ، فكثير من نقائض جرير والفرزدق والأخطل كانت أثرا من آثار المربد قيلت فيه وصدرت عما كان بينهم من منافرة وخصومة ، يروى الأغاني أن جريرا والفرزدق اجتمعا في المربد فتنافرا وتهاجيا وحضرهما العجاج والأخطل وكعب بن جعيل .

كان كل من جرير والفرزدق يلبس لباسا خاصا ويخرج الى المربد ويقول قصائده في الفخر والهجاء ، والرواة يحملون إلى كليهما ما قاله الآخر فيرد عليه . قال أبو عبيدة : « وقف جرير بالمربد وقد لبس درعا وسلاحا تاما ، وركب فرسا أعاره إياه أبو جهضم عباد بن حصين . فبلغ ذلك الفرزدق فلبس ثياب رشي وسوارا وقام في مقبرة بني حصن ينشد بجرير والناس يسمعون فيما بينهما بأشعارهما فلما بلغ الفرزدق لباس جرير السلاح والدرع قال :

عجبت لرأى الضأن في حطمية وفي الدرع عبد قد أصيبت مقاتله
ولما بلغ جرير أن الفرزدق في ثياب وشى قال :

لبست سلاحى والفرزدق لعبة عليه وشاحا كرج وجسلا جله (١)

وما زال كذلك يتهاجيا ويقولان القصائد الطويلة الكثيرة حتى طبع والى البصرة فهدم منازلها بالمربد فقال جرير :

فما في كتاب الله تهديم دارنا بتهديم ماخور خبيث مداخله

وكان لسلك شاعر من شعراء المربد حافلة ينشد فيها شعره وحوله الناس
يسمعون منه ، جاء في الأغانى « وكان لراعى الابل والفرزدق وجلساتهما حلقة
بأعلى المربد بالبصرة .

وكان الناس يخرجون بكل يوم الى المربد ، يعرف كل فريق مكانه فيجلس
فيه ينتظر شاعره ، فقد روى الاغانى أيضا أن جريرا بات يشرب باطية من نبيذ
ويهمهم بالشعر وهجاء الفرزدق والراعى ، فما زال كذلك حتى كان السحر وقد
قالها ثمانين بيتا فى بنى نمير فلما ختمها بقوله :

ففض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا
كبر ثم أصبح حتى عرف أن الناس قد جلسوا فى مجالسهم بالمربد - وكان
يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق دهاهن ولف رأسه ودعا غلامه فأسرج له حصانا
وقصد مجلسهم وأنشدها فنكس الفرزدق وراعى الابل .

ونرى بجانب هؤلاء الفحول أعنى جريرا والفرزدق والأختل طائفة أخرى
من كبار الرجاز يقصدون المربد وينشدون رجزهم ، فاهجاج الراجز يخرج الى
المربد عليه جبة خز وعمامة خز على ناقة له قد أجاد رحلها ويقف بالمربد على الناس
مجتمعين ، يقول رجزه المشهور :

« قد جبر الدين الآله لجبر ،

ويهجو شاعر ربيعة فأتى رجل من بكر بن وائل الى أبى النجم ويستحثه على الرد
عليه فيخرج أبو النجم الى المربد ويقول رجزه :

« تذكر القلب وجهلا ما ذكر ،

ورؤية الرجاز ينشد رجزه :

« وقاتم الاعماق حاوى المحترق ،

ويجمع حوله فتيان تميم فيرد عليه أبو النجم فى رجزه :

« اذا اصطبحت أربعا عرفتنى ،

كذلك نرى ذا الرمة يقف بالمربد وعليه جماعة مجتمعة وهو قائم وعليه برد قيمة
ما تتادينار ، وينشد دموعه تجرى على لحيته .

• ما بال عينك منها الماء ينسكب ،

وينشد كذلك بعض قصائده فيقف خياط فينقد شعره نقدا شديدا ويستخف
بعض تشبيهاته ، فيمتنع ذو الرمة عن الذهاب الى المربد حتى يموت الخياط .
والامراء والولاة قد يتدخلون فيسكتون بعض الشعراء . وقديهيجون بعضهم
على بعض خدمة لاغراض حزبية أو سياسية فعبد الملك بن مروان أبا النجم
بالمفاخرة مع الفرزدق وعباد بن حصين . ويعين جريرا على الفرزدق ويعير جريرا
الدرع والفرس والسلاح .

وهكذا كان المربد في العهد الاموي معهدا كبيرا أنتج أدبا غزيرا من جنس
خاص . وكان هذا الشعر امتدادا للشعر الجاهلي . لاتحاد الاسباب والبواعث
فأما الشعر الغزلي كشعر عمر بن أبي ربيعة وأمثاله فليس له كبير أثر في المربد لانه
فوق والمهاجاة والمفاخرة . فليس مجاله حياة المربد التي وصفناها .

وبقي المربد في العصر العباسي . ولكنه كان يؤدي غرضا آخر غير الذي كان
يؤدي في العهد الاموي . ذلك أن العصبية القبلية ضعفت في العصر العباسي بمهاجمة
الفرس للعرب . وأحس العرب بمآهم فيه جئما من خطر من حيث هم أمة لافرق
بين عدنانهم وقحطانهم ، فقوى نفوذ الفرس وغلبوا العرب على أمرهم .
وبدأ الناس في المدن كالبصرة يحمون حياة اجتماعية هي أقرب الى حياة الفرس من
حياة العرب ؛ وانصرف الخلفاء والامراء عن مثل النزاع الذي كان يتنازعه جرير
والفرزدق والأخطل وظهرت العلوم تراجم الأدب والشعر ، وفشا اللحن بين
الموالي الذين دخلوا في الاسلام ، وأفسدوا حتى على العرب الخالصة لغتهم ، فتحول
المربد يؤدي غرضا يتفق وهذه الحياة الجديدة . كما يقول أحمد أمين

أصبح المربد غرضا يقصده الشعراء لا ليتهاجوا ، ولكن ليأخذوا عن أعراب
المربد المسكوة العربية ، يحتذونهم ويسيروا على منوالهم ، فيخرج الى المربد بشار
وأبونواس وأمثالها ، ويخرج الى المربد اللغويون يأخذون اللغة عن أهله ويدونون
ما يسمعون ، روى القالي في الامالي عن الاصمعي ، قال : « جئت الى أبي عمرو

ابن العلاء فقال لي من أين أقبلت يا أصمعي ؟ قال جئت من المربد ، قال هات ما معك ، فقرأت عليه ما كتبت في ألواحى ، ففرت به ستة أحرف لم يعرفها ، فخرج يعدو في الدرجة وقال : شمرت في الغريب - أى غلبتى .

والنحوين يخرجون إلى المربد يستمعون من أهله ما يهجع قواعدهم ويؤيد مذاهبهم ، فقد اشتد الخلاف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة في النحو وتعصب كل لمذهبه ، وكان أهم مدد لمدرسة البصرة هو المربد وفي تراجم النحاة تجد كثيراً منهم كان يذهب إلى المربد يأخذ عن أهله . ويخرج الأدباء إلى المربد يأخذون الأدب من جمل بليغة وشعر بليغ وأمثال وحكم ، مما خلفه عرب البادية وتوارثوه عن آبائهم ، كما فعل الجاحظ ، يقول ياقوت : أن الجاحظ أخذ النحو عن الأخفش وأخذ الكلام عن النظام وتلقف الفصاحة من العرب شفهاها بالمربد (٦/٥٦ ياقوت) وبذلك كان المربد مدرسة من نوع آخر تغير برنامجها في العصر العباسى عن برنامجها في العهد الأموى وأدت رسالة في هذا العصر تخالف رسالتها في العصر السابق .

وفي ثورات الزنج التي ظهرت في فرات البصرة والتي بدأت سنة ٢٥٥ هـ حدث قتال بالمربد بين الزنج وجيش الخليفة ، فاحترق المربد ويقول ياقوت : إن المربد كان سوقاً للابل ، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وهو الآن : باثن عن البصرة ، بينها نحو ثلاثة أميال ، وكان ما بين ذلك كله عامراً وهو الآن خراب ، فصار المربد كبلدة المفردة في وسط البرية ، :
ثم عما أثر المربد ، ولم نعد نجد له ذكراً ذا قيمة ، وأخنى عليه الذى أخنى علي عكاظ ؛ كما يقول الأستاذ أحمد أمين

عناية الخلفاء والأمراء باللغة والأدب

ولقد اشتدت في هذا العصر عناية الخلفاء والأمراء باللغة والأدب وتجلت في مظاهر شتى .

١ - إحياء الأدب الجاهلي . إحياء للعصية وبعثها أو بدافع منها ، وإرواء لغاتهم الأدبية . وبذل الأموال للبناء اللغة والأدب في سبيل ذلك

٢ - عقد المجالس الأدبية الدامة التي تمس الأدب والشعر والنقد ، ويكون خط كل ذلك من رعايتهم موفوراً .

٤ - كما بذلوا الكثير من عنايتهم في سبيل المحافظة على اللغة وتدوين النحو ووضع النقط والشكل ونقل دواوين الخراج إلى العربية .

٥ - اتخاذ الخليفة شاعراً له يقربه منه ويصطفيه .

٦ - رعاية الكتابة واتخاذ أعلامها كتاباً في ديوان رسائل الخلفاء .

٧ - تسامحهم مع الشعراء وإطلاق الحرية لهم .

٨ - تشجيع الشعراء ورعايتهم ، جلباً لمديحهم ، ونشراً لمناقبهم ، وتوطيداً لملكهم وإحياء لمفاخرهم ومآثر آبائهم .

٩ - إغداق العطاء على الشعراء دون حساب

فقد أعطى عبد الملك اعرابياً وصف ناقته مائة بعير وأعطى آخر وصف المطر ألف درهم وأعطى الوليد بن عبد الملك امرأة وصفت الغيم بعد المحل مائة دينار ، وأعطى سليمان فرسه ومحملة ويتجمل به لرجله أحسن وصف الفرس وأشباه ذلك كثير .

وكان للشعراء النصيب الأوفى من عناية هؤلاء الخلفاء لأنهم كانوا أشد الناس إذكاء للعصية وتأليفا لقلوب العرب وسيوفهم على نصرة بني أمية فكان لهم إعطيات في بيت المال كل حسب طبقتهم ومنزلته وأثره في مدح الدولة والذود عنها . كل ذلك بينما شعراء بني هاشم وشيعتهم يستلمون وحي الشعر من حب أبناء الرسول صلى

الله عليه وسلم أكثر مما كانوا يستمدونه من أموالهم وأفعالهم ومن هذين الممددين :
المال والمودة ازدهر هذا العهد بالشعر أكثر مما ازدهر به أى عهد سواه
كان خلفاء بنى أمية يذكرون العصيبة الدرية بكل ما لديهم من قوة ومال
وكان من أكبر وسائل الإذكاء أحياء ما خلفه العرب من شعر وحكمة وخطب
وكان أكثر هؤلاء الخلفاء من أقطاب العلم والأدب فكانوا يستقبلون فى كل آونة
رؤساء العشائر وخطباءها وشعراءها ومن إلى هؤلاء ممن يؤيدون بهم الملك ،
ويؤازرون بهم الجماعة ، ويشيدون بهم الأعضاء وكانوا يستمعون لما يلقيه هؤلاء
وما يتقولونه من أسلافهم من مآثور القول ، وينديون عليه ثوابا كريما .
كما كان من الأمراء والرؤساء والقادة والولاة من كانوا يغالون فى هبات
الشعراء والخطباء إلى أبعد حد عرف من كرم العطاء .

ومن هؤلاء عيد الله بن العباس ، وعرابة الأوسى وطالحة الخزاعى ، والحجاج
الثقفى ، ومحمد القسرى ، والمهلب بن أبى صفرة الأزدي . وسواهم
ولا بدع فى ذلك فهم عرب يهزم البيان وتسحرهم البلاغة ، ومنهم من كان
يتذوق الشعر ويفهمه ويتقدمه كعبد الملك بن مروان ، فوق البراعث السياسية
والاجتماعية والدينية ، التى كانت تدعوهم الى العناية بالأدب والشعر واللغة
وقد كان الخلفاء والأمراء رغيرهم يحثون الناس على طلب الأدب
والشعر واللغة .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : عليكم بطالب الأدب فانكم إن احتجتم إليه
كان لكم مالا وإن استغثتم عنه كان لكم جمالا وقال شبيب بن شيبه : اطلبوا
الأدب فانه مادة العقل ودليل عن المرومة . وقل معاوية . اجعلوا الشعر أكبر
همكم وأكثر آدابكم ٤١ / ٢ وفيان الأعيان
بماذج لعنايتهم فى الأدب .

١ — قال هشام بن عبد الملك لشبته بن عمارة ، وعنده جرير والفرزدق والأخطل
وهو يومئذ أمير : ألا تخبرنى عن هؤلاء الذين قدمزقوا أعراضهم ، وهتكوا
أستارهم ، وأغروا بين عشائرتهم فى غير خير ولا بر ولا نفع ، أيهم أشعر ؟

فقاله شبة : أما جرير فيغرف من بحر ، وأما الفرزدق فينحت من صخر ،
وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر .

فقال هشام : ما فسرت لنا شيئاً نحصله ا فقال : ما عندي غير ما قلت ا

فقال لخالد (١) بن صفوان : صفهم لنا يا بن الأهم ، فقال : أما أعظامهم
نغراً ، وأبعدهم ذكراً ، وأحسنهم عنراً : وأسيرهم مثلاً ، وأقلهم غزلاً ، وأحلامهم
عللاً ، الطامى (٢) إذا زخر ، والحامى إذا زار ، والسامى إذا خطر ، الذى إن
هدر (٣) قال وإن خطر صال : الفصيح اللسان ، الطويل العنان ، فالفرزدق .
وأما أحسنهم نعتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلهم فوتاً الذى إن هجا وضع (٤) ،
وإن مدح رفع ، فالأخطل .

وأما أغزرهم بحراً ، وأرقهم شعراً ، وأدبتهم لعدوه سترأ ، الأغر الأبلق ،
الذى إن طلب لم يسبق ، وإن طلب لم يلاحق ، لجرير . وكلامهم ذكى الفواد ، رفيع
العقاد ، وارى الزناد .

فقال له رسالة بن عبد الملك : ما سمعنا بمثلك ياخالد فى الأولين ، ولا رأينا
فى الآخرين ، وأشهد أنك أحسنهم وصفاً ، وألينهم عطقاً ، وأعفهم مقالاً ،
وأكرمهم فعالاً .

فقال خالد : أتم الله عليكم نعمه ؛ وأجزل لديكم قسمه (٥) ، وآنس بسكم

ه الأغانى ص ٨١ ج ٨ ، معجم الأدباء ص ٢٥ ج ١١

(١) أحد فصحاء العرب وخطبائهم ، وهو مشهور برواية الأخبار ، وكان

يجالس هشام بن عبد الملك والسكينة كان بخيلاً ، وتوفى سنة ١٣٥ هـ

(٢) الطامى : من طمى الماء إذا ارتفع وملا النهر ، وزخر البحر : امتلاء

(٣) هدر البعير : ردد صوته فى حنجرتة ، وهدر الحمام : كثر صوته

(٤) خفض

(٥) القسم : جمع قسمة ، وهى الرزق وما قسم

الغربة ، وفرج بكم الكربة . وأنت ، والله - ما علمت أيها الأمير - كريم
الغراس ، عالم بالناس ، جواد في المحل ، بسام عند البذل ، حلیم عند الطيش ، في
ذروة (١) قریش ولباب (٢) عبد شمس ، ويومك خير من أمس .

فضحك هشام وقال : ما رأيت كنتخالصك يا بن صفوان في مدح هؤلاء ووصفهم
حتى أرضيتهم جميعاً وسألت منهم !

٢ - وقحطت (٣) البادية في أيام هشام بن عبد الملك ، فقدمت العرب من أحياء
القبائل ، فجداس هشام لرؤسائهم فدخلوا عليه ، وفيهم درواس بن حبيب وله أربع
عشرة سنة ، عليه شملتان وله ذؤابة . فأحجم القوم وهاجوا هشاماً ووقعت عين
هشام على درواس فاستصره ، فقال لحاجبه : ما يشاء أحد أن يصل إلى إلا وصل
حتى الصبيان !؟

فعلم درواس أنه يريد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن دخولي لم يخل بك شيئاً
ولقد شرفني ، وإن هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه ، وإن الكلام نشر ،
والسكوت طي ، ولا يعرف الكلام إلا بنشره . فقال هشام : فانشرا أبا لك !
وأعجبه كلامه .

فقال : أصابتنا ثلاث سنين ، سنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة
نقت (٤) العظم ، وفي أيديكم فضول أموال : إن كانت لله فقر قوها على عباده
المستحقين لها : وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم ؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها
عليهم ، فإن الله يجزي المتصدقين ، ولا يضيع أجر المحسنين ، وأعلم يا أمير
المؤمنين أن الوالي من الرعية كالروح من الجسد ، لا حياة للجسد إلا به .

فقال هشام : ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذراً . وأمر أن يقسم في
باديته مائة ألف درهم ، وأمر لدرواس بمائة ألف درهم . فقال : يا أمير المؤمنين ،

(١) ذروة : أعلى (٢) لباب : خلاصة .

(٣) لباب الآداب ص ٣٥٣

(٤) النقي : مخ العظام وشحمها ، ونقي العظم : استخراج نقيه .

أرردها إلى أخطية أهل باديتي ، فاني أكره أن يهجر ما أمر لهم به أمير المؤمنين
عن كفايتهم . قال : فمالك من حاجة تذكرها لنفسك ؟ قال : مالي من حاجة دون
عامة المسلمين ١١

ولما عاد درواس إلى منزله بعث إليه هشام بمائة ألف درهم ، ففرقها في تسعة
أبطن من العرب ، لكل بطن عشرة آلاف ، وأخذ هو عشرة آلاف ، فقال
هشام : إن الصنيعة عند درواس لتضعف على سائر الصنائع (١) ١

٣ - وسأل (٢) يوماً عبد الملك (٣) بن مروان : من أشجع الناس شعراً ؟ فقيل :
عمرو بن معد يكرب . فقال : كيف ا وهو الذي يقول :

لجاشت (٤) إلى النفس أول مرة . فردت على مكروهما فاستقرت
قالوا : فعمرو بن الاطنابة . فقال : كيف ا وهو الذي يقول :

وقولي كلما جشأت (٥) رجاشت مكانك تجمدى أو تستريحي
قالوا : فعمار بن الطفيل . قال كيف ا وهو الذي يقول :

أقول لنفس لا يجاد بمنلها أقلى مراحاً إنني غير مدبر
قالوا : فمن أشجعهم عند أمير المؤمنين ؟ قال : أربعة ، عباس بن مرداس
السلبي ، وقيس بن الخطيم الأوسي ، وعنترة بن شداد العبسي ، ورجل من بني
مزينة ، أما عباس فلقوله :

أشد على السكتيبة لا أبالي أفيها كان حتى أم سواها

(١) جمع صنيعة ، وهي المعروف والاحسان .

(٢) مجمع الأمثال ص ٢٢ ج ٢

(٣) كان عبد الملك بن مروان ليبياً عاقلاً جباراً ، قوى الهيبة ، شديد السياسة
حسن التدبير تولى الخلافة سنة ٦٥ هـ فوطد أركانها ، وقتل ابن الزبير وأخاه
مصعباً ، وكافح حتى استقرت له الأمور ومات سنة ٨٦ هـ

(٤) جاشت النفس : اضطربت من الفزع وأصل جاشت : غثت وفاضت

(٥) ارتفعت ، من حزن أو فزع .

وأما قيس بن الخطيم فلقوله :
ولاني لدى الحرب العوان موكل
بإهداء نفسي لا أريد بقاءها
وأما عنتر بن شداد فلقوله :
لإذ تبتهون بي الإسنة لم أخم (١)
عنها ولكن قد تضايق مقدمي (٢)
وأما المزني فلقوله :
دعوت بني قحافة فاستجابوا
فقلت : ردوا فقد طاب الورود
٤ - وحدث أحد الرواة فقال (٣) :

دخل علينا كثير (٤) يوماً وقد أخذ بطرف رباطه (٥) ، وألقى طرفها الآخر
وهو يقول : هو والله أشعر الناس حيث يقول :
وخبرن نمانى أن تيماء (٦) منزل
لليلي إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف غنى قد انقضت
فما لاوى ترمى بليلى المراميا ؟
ويجر رباطه حتى يبلغ إلينا ، ثم يولى عنا ويجرها ويقول : هو والله أشعر
الناس حيث يقول :
وأنت التي إن شئت كدرت عيشي
وإن شئت بعد الله أنعمت باليا
وأنت التي مامن صديق ولا عدأ
يرى نضوما أبقيت إلا رثى ليا
ثم يرجع إلينا ويقول : هو والله أشعر الناس ، فقلنا : من تعنى يا أبا صخر ؟
فقال : ومن أعنى سوى جميل ! هو والله أشعر الناس حيث يقول هذا .

-
- (١) أخم : أجن
(٢) تضايق مقدمي : تضايق الموضع الذي هو قدامي من أن يدنوه أحد .
(٣) الأغانى ص ١٢٥ ج ٨
(٤) كثير بن عبد الرحمن شاعر من أهل الحجاز ، أخباره مع عزة كثيرة ،
توفي سنة ١٠٥ هـ
(٥) الربطة : كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة
(٦) تيماء : منزل لبني عدرة .

ه - وقال^(١) عبد الملك بن مسلم : كتب عبد الملك بن مروان إلى الحاجب : إنه لم يبق شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه ، ولم يبق لي إلا مناقلة^(٢) الإخوان الأحاديث ، وقبلك عامر الشعبي^(٣) ، فابعث به إلى يحدثنى .

فدعا الحاجب بالشعبي وجمهره ، وبعث به إليه ، وأطراه في كتابه .
فخرج الشعبي ، حتى إذا كان بياب عبدا الملك قال للحاجب : استأذن لي ، فقال : ومن أنت ؟ قال : عامر الشعبي ، قال : حياك الله أيم نهض ، وأجلسه على كرسیه ، فلم يلبث أن خرج الحاجب إليه فقال : أدخل .

قال الشعبي : فدخلت فإذا عبد الملك جالس على كرسی ، وبين يديه رجل أبيض الرأس والحية على كرسی ، أسلمت فرد السلام ، ثم أومأ لي ، فقمعدت عن يساره ثم أقبل على الذي بين يديه فقال : ويحك ! من أشعر الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين فأظلم على ما بيني وبين عبد الملك ، ولم أصبر أن قلت : ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس ! فهجم عبس الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حال ، ثم قال : هذا الأخطل ! فقلت : يا أخطل أشعر منك الذي يقول^(٤) :

هذا غلام حسن وجهه مقتبل الخير سريع التماسه
الحارث الأكبر والحارث الأصغر والحارث خير الأنام
ثم لهند وهند ، فقد أسرع في الخيرات منه إمام

(١) أمالي المرتضى ص ١٠١ ج ٣ ، خزانه الأدب ص ١١٨ ج ٢ ، الأغاني

ص ١٦٢ ج ٩

(٢) المناقلة في المنطق : أن تحدثه ويحدثك

(٣) هو عامر بن شراحيل كوفي المنشأ ، تابعي جليل القدر وافر العلم ، يقال

أنه أدرك خمسمائة من الصحابة توفي سنة ١٠٣ هـ

(٤) قال النابغة - ذا الشعر حين نظر إلى النهان بن الحارث أخى عمرو بن

الحارث الأصغر ابن الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر ابن أبي شمر (مهدب

الأغاني ص ٢٣٠ ج ٢) .

خمسة آباء هم ما هم هم خير من يشرب حروب الغمام
 فقال عبد الملك : رددتها على ، فرددتها حتى حفظها ، فقال الأخطل : من
 هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا الشعبي ، قال : صدق ، والله التابعة
 أشعر مني !

قال الشعبي : ثم أقبل على عبد الملك فقال : كيف أتت يا شعبي ؟ قلت : بخير -
 لا زلت به - ثم ذهبت لأصنع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع
 عبد الرحمن بن محمد الأشعث .

فقال : ما ا فانا لا نحتاج إلى هذا المنطق ، ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى
 تفارقنا ، ثم أقبل على فقال : ما تقول في التابعة ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، قد فضله
 عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء ؛ وذلك أنه خرج يوماً وبياحه
 وفد غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، أي شعرائكم الذي يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك رية وليس وراء الله للرم مذهب
 ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
 كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب
 لأن كنت قد بلغت عنى خيانة لمبلغك الواشي أغش وأكذب
 ولست بمستبق أخا لا تلمسه على شعبي ، أي الرجال المهذب !
 قالوا : التابعة ، قال ، فأيكم الذي يقول :

فانك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتأى عنك واعم
 خطاطيف الحجن في جبال متينة تمد بها أيد إليك نوازع
 قالوا : التابعة ، قال : أيكم الذي يقول

إلى ابن محرق أعمت نفسي وراحتي وقد هدت العيون
 أتيتك عارياً خلقاً ثيابي على خوف تظن بي الظنون
 فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

(١) الخطاف : حديدة حجناء تعقل بها البكرة والحجن . الاعوجاج (اللسان

مادة خطف)

قالوا : النابغة ، قال . هذا أشعر شعرائكم . ثم أقبل عبد الملك على الأخطل فقال : أنتجب أن لك قياضاً ^(١) بشعرك شعر أحد من الغرب ، أو تجب أنك قلته فقال . لا والله ، إلا أنى وددت أنى كنت قلت أبياناً قالها رجل منا ، كان والله مغدف ^(٢) القناع ، قليل السماع ، قصير الذراع ، قال وما قال ؟ فأنشده .

إننا محيوك فاسلم أيها الطلل وإن بليت وإن طالت ^(٣) بك الطول
ليس الجديد به تبقى بشاشته إلا قليلاً ولا ذو خلة يضل
والعيش لا عيش إلا ما تقر به عين ولا حال إلا سوف تنتقل
والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهى ولا م الخطى الهبل
قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
قال الشعبي : قد قال القطامي أفضل من هذا ، قال . وما قال ؟ قلت : قال .

طرفت جنوب رحالنا من مطرق ما كنت أحسبه قريب المعنق
حتى أتيت على آخرها ، فقال عبد الملك : شككت القطامي أمه ، وهذا والله الشعر ، ثم قال : يا شعبي ، أى شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء ؟ قلت : خنساء قال : ولم فضلتها على غيرها ؟ قلت . اتولها :

وقائلة والنعمش قد فات خطـ وها لتدركه يالطف نفسى على صخر
ألا شككت أم الذين غدوا به إلى القبر ، ماذا يحملون إلى القبرا
فقال عبد الملك : أشعر والله منها ليل الأخيالية حيث تقول :
مهيف الكشح والسربال منخرق عنه القميص لسير الليل محتقر
لا يأمن الناس بمساء ومصبحه فى كل حى وإن لم يغز ينتظر
ثم قال عبد الملك : يا شعبي لعله شق عليك ما سمعته ، فقلت : أى والله يا أمير المؤمنين أشد المشقة . لى قد حدثتكم فلم أفدك إلا أبيات النابغة فى الغلام .

(١) المعاينة . المبادلة والمعارضة

(٢) أغدف قناعه : أرسله على وجهه

(٣) يقال . طال طولك ، أى عمرك .

ثم قال عبد الملك : يا شعبي ! إنما أعلنك هذا ، لأنه بلغني أن أهل العراق يتطلعون على أهل الشام ويقولون . إن كانوا غلبونا على الدولة ، فلن يغلبونا على العلم والرواية ، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق . ثم ردد على أبيات ليلى حتى حفظتها ، وأذن لي فأنصرفت ، فكنت أول داخل وآخر خارج .

٦٤ - وقال * الشعبي . دخلت على عبد الملك بن مروان في علته التي مات فيها فقلت : كيف تجددك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : يا شعبي : أصبحت كما قال عمرو بن قبيصة (١) :

كأنني وقد جاوزت سبعين حجة خلعت بها عنى عنان (٢) لجامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بن يرمى وليس برام
فلو أننى أرمى بنسبل رميتها ولكنني أرمى بفسير سهام
وأهلكني تأميل يوم والسيلة وتأميسل عام بعد ذلك وعام
على راحتين تارة وعلى العصا أنه ثلاثاً بعدهن قبامى
فقلت : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال لبيد ، وقد بلغ
سبعين حجة :

كأننى - وقد جاوزت سبعين حجة - خلعت بها عن منكبي رداً
فلمسا بلغ سبعا وسبعين قال :
باتت تشسكى إلى النفس مجشدة (٣) وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

* الأغانى ص ١٥٩ ج ١٦ ، مذهب الأغانى ص ٦٢ ج ٢ ، العقد الفريد ص ١٤٨ ج ١ طبعة المطبعة الأميرية .
(١) فى العقد الفريد دزهير .
(٢) عنان اللجام . السير الذى يشد به
(٣) الجشش والاجهاش : أن يفرغ الإنسان إلى غيره ، وهو مع ذلك كأنه يريد البكاء .

فان تزدى ثلاثا تباغى أملا وفي الثلاث وفاء للثمانيا
فلمسا بلغ مائة سنة قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الخلق كيف ليبد؟
فلمسا بلغ مائة سنة وعشرا قال :

أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التي خلت أدب كاتني كلما قمت راكم

فلمسا بلغ ثلاثين ومائة سنة ، وقد حضرته الوفاة قال .

تمنى ابتئائى أن يعيش أبوهمسا وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
فان حان يوما أن يموت أبوكما فلا تخمشا وجهها ولا تحلقا الشعر
وقولا . هو المرء الذى لا صديقه أضع ولا خان الخليل ولا غدر
إلى الحول ثم أسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر^(١)

قال الشعبي . فتبسم عبد الملك وقال . لقد قويت من نفسى بقولك يا عامر ، وإني
لأجد خفا وما بي من يأس ، وأمر لي بصلمة . وقال لي اجلس يا شعبي فحدثني
ما بينك وبين الليل . فجالست فحدثته حتى أمسيت وخرجت من عنده ، فأ أصبحت
حتى سمعت الواعية^(٢) في داره .

٧ وقال^(٣) حماد^(٤) الراوية . كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك . فكان
هشام يحفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد ، فلم مات

(١) اعتذر . أتى بعذر (٢) الواعية . الصراخ والصوت .

(٣) ثمرات الأوراق ص ١٨٢ ج ١ ، الأغاني ص ٧٥ ج ٦

(٤) هو حماد بن ميسرة ، كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها
وأنسابها ولغاتها ، كانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره ، وتستزيره ، فيسألونه
ويجزلون صلته .

يزيد، وأفضت الخلافة إلى هشام خلفته، فسكثت في بيتي سنة، لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سرأ.

فلما لم أسمع أحدا يذكرني سنة أمنت فخرجت فصليت الجمعة، ثم جلست عند باب الفيل، فاذا شرطيان قد وقفوا علي فقالا لي يا حماد، أجب الأمير يوسف^(١) بن عمر. فقلت في نفسي. من هذا كنت أحذر، ثم قلت للشرطيين. هل لي كما أن تدعاني آني أهلي فأودعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبدا ثم أصير معكما إليه؟ فقالا. ما إلى ذلك من سبيل.

فاستسلمت في أيديهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان^(٢) الأحمر. فسلمت عليه فرد علي السلام؛ ورمى إلى كتابا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر أما بعد فاذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غيرها مروع ولا تمتنع^(٣)، وأدفع إليه خمسمائة دينار وجملا مهربا (٤) يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق.

فأخذت الخمسمائة الدينار ونظرت فاذا جمل مرحول^(٥)، فوضعت رجلي في الغرز^(٦)، وسرت اثنتي عشرة ليلة، حتى وافيت باب هشام، قاستأذنت فأذن لي، قد خلعت عليه في دار قوراء^(٧) مفروشة بالرخام، وهو في مجالس مفروش

(١) لم يكن يوسف بن عمر واليا على العراق بعد ولاية هشام بسنة، وإنما كان واليا عليها خالد القسري حتى سنة ١٢٠ هـ ثم ولي يوسف بعده

(٢) الإيوان: البيت يبني طولا.

(٣) غير متنع. من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويرعجه.

(٤) مهرة بن حيدان. أو قبيلة بهم حي عظيم، ولإبل مهربية. منسوبة إليهم.

(٥) مرحول. الرجل (١) الغرز. ركاب الرجل من جلد، فاذا كان من

خشب أو حديد فهو ركاب

(٧) دار قوراء. واسعة.

بالرخام ، وبين كل رخامتين قضيب ذهب ، وحيطانه كذلك ، وهشام جالس على طنفسة حمران ، وعليه ثياب خز حر . وقد تضح بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يقبله بيده فتفوح روائحه ، فسلبت فرد على ، واستدانى فذفوت حتى قبلت رجله ؛ وإذا جاريتان لم أر قبلهما ، مثلهما ، في أذنى كل واحدة منهما حلقتان من ذهب ، فيها لؤلؤتان توقدان .

فقال لى . كيف أنت يا حماد ؟ وكيف حالك ؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين ، قال أتدرى فيم بعثت إليك لبيت خطر يبالي لم أدر من قاله . قلت . وما هو ؟ فقال .

فدعزنا بالصبح يوماً فجاءت قينة في يمينها لمبريق قلت . هذا يقوله عدى بن زيد في قصيدة له . قال : فأنشدها ، فأنشده .

يكر العاذلون في في وضع الصبح يقولون لى . ألا تستفسيق ويلومون فيك يا بنة عبد الله ، والقلب عندكم موهوق »

لست أدري إذا أكثروا العذل عندي أعدو يلومنى أم صديق

فطرب ، ثم قال أحسنت والله يا حماد ، أعد ، فأعدت فاستخفة الطرب حتى نزل عن فرشه ، فقال : سل حوائجك ، فقلت : كائنة ما كانت ؟ قال نعم ، قلت : لأحد الجاريتين ، فقال لى ؛ هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما .

ثم قال الأولى اسقيه فسقتنى شربة سقطت معها فلم أعقل حتى أصبحت فاذا بالجاريتين عند رأسى وإذا عدة من الخدم مع كل واحد منهم بكرة ، فقال لى أحدهم أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ، ويقول لك خذ هذه فاتنغ بها فأخذتها والجاريتين وانصرفت .

٨ — ودخل رجل من بنى ضنة على عبد الملك بن مروان فقال :

والله ما ندري إذا ما فاتنا طاب اليك من الذى نتطلب ؟
فلقد ضربنا (١) في البلاد فلم نجد أحدا سواك الى المسكارم ينسب

(١) الموهوق . المشدود بالوهق ، وهو الجبل

(٢) ضرب في الأرض . سافر .

فأصبر لعادتنا التي عودتنا أولاً فأرشدنا إلى من نذهب
فقال عبد الملك . إلى ! إلى وأمر له بألف دينار ، ثم أتاه في العام المقبل فقال
يرب (١) الذي يأتي من الخير أنه إذا فعل المعروف زاد وتمما
وليس كعبان حين تم بناؤه . تنبئه بالنقض حتى تهتما
فأعطاه ألفي دينار ، ثم أتاه في العام الثالث فقال
إذا استمطروا كانوا مغازير (٢) في الندى يجودون بالمعروف عودا على بدء
فأعطاه ثلاثة آلاف دينار .

٩ - وقال عامر الشعبي . وفدت سودة بنت عمار بن الاشر الهمدانية
على معاوية بن أبي سفيان فاستأذنت عليه فأذن لها ، فلما دخلت عليه سلمت ، فقال
لها كيف أنت يا ابنة الأشر ؟ قالت ؛ بخير يا أمير المؤمنين ، قال لها : أنت
القائلة لأخيك .

شمر لفعل أبيك يا ابن عسارة يوم الطعام وملتقى الأقران
وانصر عليا والحسين ورهطه واقصد همد (٣) وابنها بهوان
إن الامام أخا النبي محمد علم الهدى ومنارة الايمان
فقد الجيوش وسر أمام لوانه قدماً بأبيض صارم وسانان
قالت . يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب ، فدع عنك تذكارة ما قد نسي
قال . هيات ، ليس مثل مقام أخيك نسي . قالت صدقت والله يا أمير المؤمنين
ما كان أخى خفي المقام ذليل الميكان ، ولكن كما قالت الخنساء

(١) رب . زاد وأصلح .

(٢) أغزر المعروف . جعله غزيراً . والمغازير لا يكون إلا جمعاً لمغزار
أو مغزير من صيغ المبالغة ولم أجد ههما في اللسان والقاموس وفي المخصص : سخابة
مغزار . غزير فيكون جمعاً لمغزار حتماً
(٣) همد هي أم معاوية .

وإن صخرنا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
وبالله أسألك يا أمير المؤمنين إعفائي بما استعفيت به ، قال قد فعلت ، فقولى
حاجتك قالت :

يا أمير المؤمنين انك للناس سيد ولا مورهم مقلد . والله ما أملك عما افترض
عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط بسططناك فيحصدنا
حصاد السنبيل ويدوسنا دياس البقر ويسرنا الخسيسه (١) ويسألنا الجليلة . وهذا
ابن أزرطة قدم بلادى وقتل رجلى وأخذ مالى ، ولولا الطاعة لكان فينا عرومنعة ،
فقال معاوية : أإيأى تهددين بمومك ؟ والله هممت أن أردك اليه على قتب
أشرس (٢) فينفذ حكمه فيك . فسكتت ثم قالت .

صلى الاله على روح تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغى به ثمنا فصار بالحق والايمان مقرونا
قال . ومن ذلك ؟ قالت . على بن أبى طالب رحمه الله . قال . ما أرى عليك
له أثر ، قالت . بلى ، أتيته يوما فى رجل ولاه صدقتنا فكان بيننا وبينه ما بين
الغث والسمين . فوجدته قائما يصلى فانقتل (٣) عن الصلاة ثم قال برأفة وتعطف :
ألك حاجة ؟ فأخبرته خبر الرجل فبكى ثم رفع يديه إلى السماء فقال : اللهم إني لم
أمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقلك . ثم أخرج من جيبه قطعة . من جراب فكتب
فيه . بسم الله الرحمن الرحيم . قد جاءكم بينه من ربكم فأوفوا الكيل والميزان
ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعشوا فى الأرض مفسدين . بقية الله خير لكم إن
كنتم مؤمنين . وما أنا عليكم بحفيظ . إذا أتاك كتابى هذا فاحتفظ بما فى يديك
حتى يأتى من يقبضه منك والسلام ، فعزله يا أمير المؤمنين ما خزمه بخزام ولا
ختمه بختام بختام . فقال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها .
فقال : ألى خاصة أم لقومى عامة ؟ قال . وما أنت وغيرك ؟ قالت : هى والله

(١) سامه الأمر : كلفه إياه . تقول ، يحشمنا دنايا الأمور
(٢) القتب . الرجل الصغير . والأشرس . الخشن الغليظ . (٣) انقتل . انصرف

إذن الفحشاء واللوم ، إن كان عدلا شاملا ، والا يسعني ما يسع قومي . قال هيبات ، لمظيكم ^(١) ابن أبي طالب الجرأة وغركم قوله .

فلو كنت بوأبا على باب جنة لقلت لهمذان ادخلوا بسلام
وقوله .

ناديت همدان والأبواب مغلقة ومثل همدان سني فتحة الباب
كالهندواني لم تقلل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجاب
اكتبوا لها بحاجتها .

١٠ - وحبس مروان وهو والى المدينة غلاما من بني ليث في جنابة جناها
فأتهه جد الغلام وهي أم سنان بنت جشمه اللذجية فكلمته في الغلام فأعلط
مروان لها ، فخرجت إلى معاوية فدخلت عليه فانتسبت فعرفا . فقال لها : مرحبا
بأبنة جشمه ما أقدمك أرضنا وقد عهدت لك تشتميننا وتحضين علينا عدونا ؟ قالت :
إن لبني عبد مناف أخلاقا طاهرة ، وألاما زافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا
يسفهون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو ؛ وإن أولى الناس باتباع ما سن
آباؤه لأنت . قال . صدقت نحن كذلك . فكيف قولك .

عزب الرقاد فقلتي لا ترقد والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لا مقام فشمروا إن العدو لآل أحمد يقصد
هذا على كالهلال تحفه وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق وابن عم محمد إن يهدكم بالزور منه تهبدوا
ما زال مذشهد الحروب وظفرا والنصر فذوق لوائه ما يعقد ^(٢)
قالت . كان ذلك يا أمير المؤمنين وأرجو : أن تكون لنا خلفا . فقال رجل من
جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين ؟ وهي القائلة .

لما هلكت أبا الحسين فلم تزل بالحق تعرف هاديا مهديا

(١) لمظنه الشيء : منحه إياه

(٢) ما مصدرية ظرفية ، تقول . إن النصر لا يفارق لوائه مادام بمقودا .

فأذهب عليك صلاة ربك مادعت فوق الغصون حمامة قريبا
قد كنت بعد محمد خلفا كما أوصى اليك بنا فكنت وفيها
واليوم لا خلف يؤمل بعده هيمت نامل بعده إنسيا

قالت : يا أمير المؤمنين لسان نطق وقول صدق . واثن تحقق ما ظننا لحظك
الأوفى . والله ماورئك الشنآن ^(١) في قلوب المسلمين إلا هؤلاء فأدحض ^(٢)
مقاتلهم وأبعد منزلتهم ، فانك أن فعلت ذلك تردد من الله قريبا ومن المؤمنين حبا
قال . وانك لتقواين ذلك . قالت : سبحان الله والله ما مثلك مدح يباطل ولا
اعتذر اليه بكذب ، وانك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا . كان والله على أحب
اليينا منك وأنت أحب اليينا من غيرك . قال : ممن ؟ قالت : من مروان بن الحكم
وسعيد بن العاصي . قال . وهم استحققت ذلك عندك قالت بسعة حليمك وكريم
عفوك قال . فما حاجتك قالت . يا أمير المؤمنين ان مروان تبتك ^(٣) بالمدينة تبتك
من لا يريد منها البراح ، لا يحكم بعدل ولا يقضى بسنة ، يتبع عثرات المسلمين
ويكشف عورات المؤمنين ، حبس ابن ابني فأنتبهت فقال ، كنت وكنت ، فأسمعته
أخشن من الحجر وأقمته أمر من الصاب ^(٤) ثم رجعت الى نفسي باللائمة وقلت
لم لا أصرف ذلك الى من هو أولى بالقوم منه فأنتبهت يا أمير المؤمنين لتسكون في
أمرى ناظرا وعليه معديا ^(٥) قال ، صدقت لا أسألك عن ذنبه والقيام بحجته .
اكتبوا لها بأطلاقه ، قالت ، يا أمير المؤمنين وأنى لي بالرجعة وقد نفذت اذى وقلت
راحلتى ؟ فأمر لها براحلة وميعة .

(١) الشنآن . العداوة .

(٢) أدحض حجته : أبطلها .

(٣) تبتك بالمسكان : أقام .

(٤) الصاب : شجر مر

(٥) أعداه عليه : نصره وأعانه

١١ - وكانه لبيد^(١) بن ربيعة جوادا شريفا في الجاهلية والإسلام، وكان آلى في الجاهلية أن يطعم ما هبت الصبا . ثم أدام ذلك في إسلامه ، وكان له جفتان يغدو بهما ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم ، ونزل لبيد الكوفة ، وأميرها الوليد بن عقبة ، فبينما هو يخطب الناس إذ هبت الصبا ، فقال أوليد في خطبته على المنبر : قد علمتم حال أخيكم أبي عقيل ، وما جعل على نفسه : أن يطعم ما هبت الصبا ، وهذا يوم من أيامه ، وقد هبت ريحها : فأعينوه ، وأنا أول من فعل .

ثم انصرف الوليد ، فبعث إليه بمائة من الجزر وبهذه الأبيات :

أرى الجزار يشحد شفرتيه	إذا هبت رياح أبي عقيل
أشم الأنف أصيد ^(٢) عامرى	طويل الباع كالسيف الصقيل
وفي ابن الجعفرى بما نواه	على العلات ^(٣) والمال القليل
ببحر الكرم ^(٤) إذ سحبت إليه	ذيول صبا تجاذب بالأصيل

فلما وصات الهدية إلى لبيد شكره ، وقال : لى تركت الشعر منذ قرأت القرآن ، ثم قال لابنته . أجيبيه ، فلعمرى لقد عشت دهرأ وما أعيسا بجواب شاعر ،

* الجهرة ص ٣٩ ، المستطرف ص ٥٠ ج ٢ ، الأغانى ص ٩٣ ج ١٤ ، بلوغ

الأرب ص ٩٢ ج ٣

(١) لبيد بن ربيعة العامرى . أحد أشراف الشعراء المجيدين والقواد الفرسان المعمرين وهو من أصحاب المعلقة ، ولما ظهر الإسلام أسلم وحسن إسلامه ، ومات سنة ٤١ هـ .

(٢) الأصيد . رافع رأسه كبيرا

(٣) على العلات . على كل حال

(٤) الكوم : القطعة من الإبل

١٢ — وكان أسيد بن عنقاء الفزاري من أكبر أهل زمانه وأشدهم عارضة
ولسانا وطال عمره وتكبه دهره واختلت حاله ، فخرج عشية يتقبل (١) لاهله فربه
عميلة الفزاري فسلم عليه وقال : يا عم ما أشارك الى ما أرى ؟ قال . بئجل مثلك بماله
وصون وجهي عن أموال الناس . فقال . لئن بقيت الى غد لأغدين ما أرى
من حالك . فرجع ابن عنقاء الى أهله فأخبرها بما قال له عميلة . فقالت له : لقد
حرك كلام غلام جنح ظلام (٢) . فكأما ألقمت فاه حجرا ، فبات تمللا بين
وجاء ويأس ، فلما كان السحر سمع رغاء الابل وثغاء الشاه وصهيل الخيل ولجب
الأموال (٣) فقال ، ما هذا ؟ فقالوا : هذا عميلة ساق اليك ماله : فخرج ابن عنقاء
له فقسم عميلة ماله شطرين وساهمه (٤) عليه ، فأثنى ان عنقاء يقول

رأني على ماني عميلة فاشتكي	الى ماله حالي أسرى كما جهر
دعاني فآساني ولو ضن لم يلم	على حين لا بد ويرجى ولا حضر
فقلت له خيرا وأثيت فعله	وأوفاك . ألبيت من ذم أو شكر
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه	ترى رداء سابغ الذيل وانزرت
غلام رماه الله بالخير مقبلا	له سيمياء (٥) لا تشق على البصر
إذا قلت العوراء (٦) أغضى كأنه	ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر

(١) يتقبل ، خرج يطلب البقل

(٢) جنح الليل أو الظلام ، الطائفة منه

(٣) اللجب : الجلبة والسياح واضطراب موج البحر .

(٤) ساهمه . قارعه أى ضرب القرعة .

(٥) السيماء والسيام والسيميا والسيمياء العلامة : يقول : يفرح به من

يراه للعنف محياه .

(٦) العوراء : الكلمة القبيحة

١٣ - ووفدت بكاره الهلالية على معاوية :

فاستأذنت فأذن لها وهو يومئذ بالمدينة فدخلت عليه وكانت أسنبت (١) وعشى بصرها (٢) وضعفت قوتها ترعش بين خادمين لها (٣) فسلبت وجلست فرد عليها معاوية السلام وقال كيف أنت يا خالة فقالت بخير يا أمير المؤمنين قال غيرك الدهر قالت كذلك هو ذو غير (٤) من عاش كبير ومن مات قبر فقال عمرو بن العاص هي والله القائلة يا أمير المؤمنين

يا زيد دونك فاحتضر (٥) من دارنا سيفا حساما في الزراب دفينا
قد كنت أذخره (٦) ليوم كريمة فالآن أبرزه الزمان مصونا
قال مروان وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين

أترى ابن هند للخلافة مالكا هيات ذاك وإن أراد بعيد
منتك نفسك في الخلاء ضلالة أغراك عمرو للشقا وسعيد
قال سعيد بن العاص هي والله القائلة

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أمية خاطبا
فألته آخر مدتي فتناولت حتى رأيت من الزمان عجائبا
في كل يوم لا يزال خطيبهم بين الجميع لآل أحمد عابئا
ثم سكتوا فقالت يا معاوية كلامك أعشى بصرى وقصر حجتي (٧) أنا والله
قائلة ما قالوا وما خفي عليك مني أكثر فضحك وقال ليس بمننا ذلك من برك
أذكرى حاجتك قالت أما الآن فلا

(١) طعنت في السن (٢) ضعف نظرها

(٣) أي تمشى مستندة على خادمين وهي ترعش لكبر السن

(٤) أي صاحب أحوال متغيرة

(٥) أي احفر الأرض في دارنا لتخرج منها السيف المدفون

(٦) في رواية (قد كان مذخورا)

(٧) أعشى بصرى أضعفه وقصر حجتي أضعفها

١٤ - ودخل حمزة (١) بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب ، فوعده أن يصنع به خيراً ، ثم شغل عنه ، فاختلف عليه مراراً ثم لم يصل إليه ، وأبطلت عليه عدته ، فقال ابن بيض :

أخلد (٢) إن الله ما شاء يصنع	يجود فيعطى ما يشاء ويمنع
وإني قد أمات منك سخابة	بجادات سراباً فوق بيداء تلمع
فأجمعت صرماً ثم قلت لعله	يثوب إلى أمر جميل ويرجع
فأياسني من خير مخلد أنه	على كل حال ليس لي فيه مطمع
يجود لأقوام يودون أنه	من البغض والشنان أمسى يقطع
ويبخل بالمعروف عمن يوده	فوالله ما أدرى به كيف أصنع
أأصرمه ؟ فالصرم شر مغيبة	ونفسي إليه بالوصول تطلع
وشتان بيني والوصول وبينه	على كل حال أستقيم ويطلع (٣)
فأعقبني صرماً على غير إحنة	وبخلا وقدماً كان لي يتبرع
وغيره ما غير الناس قبله	فنفسي بما يأتي به ليس تقنع

ثم كتبها في قرطاس ، وختمه ، وبعث به مع رجل ، فدفعه إلى غلامه ، فدفعه الغلام إليه .

(١) الأغانى ص ٢٣ ج ١٥

وحمزة بن بيض . شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كوفي خليع ماجن وكان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة ووالده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبي بردة واكتسب بالشعر من هؤلاء مالا عظيماً ، ولم يدرك الدولة العباسية توفي سنة ١٢٠ هـ

(٢) أمير من بيت إمارة ورياسة وبطولة ، ولي إمارة خراسان على عهد عمر بن عبد العزيز نائباً عن أبيه ثم رحل إلى الشام وأفدأ على الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فأعجب به ، مات سنة ١٠٠ هـ

(٣) الظلع : العرج .

فلما قرأه سائل الغلام : من صاحب الكتاب ؟ قال لا أعرفه ، فأدخل إليه الرجل ، فقال : من أعطاك الكتاب ؟ ومن بعث به معك ؟ قال : لا أدري ، ولكن من صفته كذا وكذا ، ووصف صفة ابن بيض . فأمر به فضرب عشرين سوطاً على رأسه ، وأمر له بخمسة آة درهم وكساه ، وقال : إنما ضربتك أذبالك ، لأنك حملت كتاباً لا تدري ما فيه لمن لا تعرفه ، فأياك أن تعود لمنهبا . فقال الرجل . لا والله ، أصلحك الله لا أحمل كتاباً لمن أعرفه ولا لمن لا أعرف ، قال : أحذر فليس كل أحد يصنع بك صنيحي .

وبعث إلى ابن بيض ، فقال له : أتعرف مالق صاحبك الرجل ؟ قال . لا ؛ لحديثه مخلد بقمته ، فقال ابن بيض : والله — أصلحك الله — لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين سوطاً مع الخمسة آة أبدأ ؛ فضحك مخلد ، وأمر له بخمسة آلاف درهم وخمسة أثواب ، وقال : وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبدأ ، قال أجل والله ، ولكن من لي بمثلك يمتبني ^(١) إذا استعنته ، ويفعل بي مثل فملك ثم قال :

وأبيض بهلول إذا جئت داره كفياني وأعطاني الذي جئت أسأله
ويمتبني يوماً إذا كنت عاتباً وإن قلت زدي قال حقاً سأفعل
تراه إذا ما جئته تطلب الندي كأنك تعطيه الذي جئت تسأل
فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب

١٥ — وأقبل على سليمان ^(٢) بن عبد الملك فتي من بني عبس ، وسيم ، فأعجبه

(١) يقال . أعتبني فلان ، إذا ترك ما كنت أجد عليه ، ورجع إلى ما أرضاني عنه ، بعد إسقاطه إياي عليه .

(٢) ابن أبي الحديد ص ٣٢٢ ج ١

وكان سليمان ملكاً غيوراً ، نهماً يحب الطعام ، كما كان فصيحاً لسناً ، توفي

فقال ما اسمك ؟ قال : سليمان ، قال ابن من ؟ قال ، ابن عبد الملك ، فأعرض عنه ؛
وجعل يفرض « ٢ » لمن دونه ، فعلم للفتى أن كره موافقة اسمه واسم أبيه
فقال : يا أمير المؤمنين ، لا عدمت اسمك ، ولا شققت اسمي يوافق اسمك ،
فارض ، فانما أنا سيف بيدك ، إن ضربت به قطعت ، وإن امرتني أطعت ، وسهم
في كينانتك أشد إن أرت ، وأنفذ حيث وجهت
فقال له سليمان وهو يختبره ، ما قولك يا فتى لو لقيت عدوا ؟ قال ، أقول :
حسبي الله ونعم الوكيل اقال سليمان . أكنت مكنتغياً بهذا لو لقيت عدوك دون
ضرب شديد

قال الفتى : إنما سألتني يا أمير المؤمنين ، ما أنت قائل ؟ فأخبرتك ، ولو
سألتني ، ما أنت فاعل ؛ لأنبأئك ، إنه لو كان ذلك ، لضربت بالسيف حتى
يتعقف (٢) ، ولطعنت بالرمح حتى يتقصف ا
فأعجب سليمان به ، وألحقه في العطاء بالأشراف وتمثل
إذا ما اتقى الله الفتى ثم لم يسكن على قومه كلا فقد كمل الفتى

-
- (١) يقال أفرض له ، إذ جعل له فريضة ، والفريضة ، البعير المأخوذ في
الزكاة ، ثم اتسع فيه حتى سمي البعير فريضة من غير الزكاة
(٢) التعقيب ، التعويج

تأثر الأدب بالحياة الجديدة

في عصر بني أمية

- ١ - وبعد فقد نهض الأدب نهضة عظيمة في هذا العصر ، الذي نبغ فيه كثير من أشهر أعلام الأدباء والكتابة والشعراء في اللغة العربية فالشعر والخطابة والكتابة وسائر ألوان الأدب قد أدت رسالتها الأدبية في هذا المعترك الحافل بأسباب النشاط وجماع العلم والأدب قد تعددت وكثرت وأثمرت وخدمت التراث الإسلامي والأدب العربي بخدمات جلي وأغدق الخلفاء على الشعراء والأدباء والرواء والعلماء إغداقا كبيرا وساعد على بلوغ الأدب هذه المنزلة أسباب كثيرة .
 - أ - قائلفاء والأمراء والولاءة كلمهم من عنصر عربي وهم يحبون البلاغة ويظربون للأدب ويهزون لسباح الشعر الجيد
 - ب - والبواعث السياسية كان لها أثرها البعيد في هذه النهضة الأدبية الجليلة
 - ج - وإحياء بني أمية للعصية كان باعثا على نهضة الأدب والشعر
 - د - فوق تأثير بلاغة القرآن والحديث في نفوس القوم من حكام ومحكومين ومدوحين ومادحين الى غير ذلك من شتى الأسباب :
- ٢ - والأدب على أى حال قد تأثر تأثرا بعيدا بهذه الحياة الجديدة في العصر الأموى ، مما يمكن تلخيصه فيما يأتى
 - ١ - نهضة الشعر والأدب واللغة نهضة كبيرة
 - ٢ - ذبوع الخطابة ورقى الكتابة والرسائل بتأثير الحياة السياسية الجديدة
 - ٣ - تأثر الأدب عند أهل الأمصار بصورة حياتهم ، فكان لكل حرب

سياسى أو طائفة مذهبية بين الخوارج والشيعة والرويرية والموارنة والمضرية
والقحطانية والشعوية شعراء وخطباء ينظمون الشعر ويخطبون في تأييد نحلتهم
وخلف مرشد البصرة وكناسة الكوفة عكاظ في اجتماع الشعراء والخطباء بهما
كما تآثر الأدب في الحجاز بحياة المترفين من شبانه ، فنشأ فيه نوع من الغزل
الرقيق ومقطعات الغناء ، وما زال يستفحل أمره حتى تحول على لسان بعض مجان
الشعراء إلى مجون ولهو

وتآثر في البوادي بحياة أهلها من أصحاب الجدد والتوقر والجفاء منهم فبرز في
ثوب الفجر والتباهى والتهاجى والتفاض والمدح والثناء ونحو ذلك
وتأثر عند العذريين بنزعة نفوسهم فخطر في حلة الشعر العفيف الذى يعتبر
من أجل ما قيل من الشعر العربى .

٤ - ذبوع فنون أدبية جديدة كالتوقيعات وفن القصص التاريخى الذى
كتبت به السيرة

٥ - انتشار الأدب العربى فى كثير من الحواضر الاسلاميه البعيدة عن
الجزيرة العربية كعصر والعراق وشمال أفريقية والأندلس
إلى غير ذلك من مظاهر التأثير بهذه الحياة الجديدة مما سنتكلم عنه بكثير من
الأفاضة والتحليل

على أنه قد حدث فى النصف الأول للقرن الثانى الهجرى أن الحياة الاجتماعية
والعقلية للعرب ، وخاصة حياة العرب فى العراق ، كان يتورها التغيير فى كل
ناحية من نواحيها ، فسياسة الشدة التى كان يتبعها حكام الدولة الأموية كانت ،
بقضائها على الروح الحربى لأهل القبائل ، قد مهدت السبيل إلى الانقلاب بتأسيس
حياة مستقرة ونمو جماعة متحضرة ، تشتغل بأعمال سلمية ، وتعنى فى طبقاتها العليا
بالبحوث العقلية ، ولم يجد مثل هذا المجتمع فى الأفكار القديمه وأساليب البيان
السابقة ما كان يجمده فيها من القوة والسلطان فقد أصبح هذا المجتمع يبحث عن
مواد وصور للتعبير جديدة ، تكون أكثر ملاءمة لأحواله الجديدة وما
فيها من مجالات عقلية أبعد شأوا ، وقد زاد هذه الميول قوة زيادة امتزاج

العناصر الفارسية والآرامية وغيرها بالحياة العربية ، الاجتماعية والأدبية .
والواقع أن الأدب العربي كان يدنو من عصر انتقال شبيه بتلك العصور الانتقالية
التي مرت بها أمم أخرى في مراحلها الأدبية الأولى . غير أن قيام الخلافة
العباسية منح الحركة نشاطا قويا لأنه جلب معه تحولا نهائيا في النفوذ السياسي
والاجتماعي من عناصر الحياة البدوية إلى عناصر الحياة الحضرية .

وقد سلك مثل التيارات الجديدة للتفكير العربي ، في تلك الظروف ، نفس
المسلك ، كما اتحلوا نفس الخطى ، التي سلكتها وانتحلتها من قبلهم ومن بعدهم
الأمم التي اجتازت مثل تلك الظروف في أول الأمر فقد سدوا حاجتهم بالاستعارة
أو الترجمة من الآداب السابقة ومن أشهر المترجمين ابن المقفع الفرسى الأصل
المتوفى عام ١٤٣ هـ

النثر الفنى

فى عصر بنى أمية

نماذج له :

١ - صفة الإمام العادل :

كتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه - لما ولى الخلافة - إلى الحسن (١) البصرى ، أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل فكتب إليه الحسن رحمه الله : اعلم يا أمير المؤمنين ان الله جعل الإمام العام قوام (٢) كل مائل ، وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفرج كل ملهوف . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله . الرفيق الذى يرئد (٣) لها أطيب المرعى ويدودها عن مراتع الهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكنفها من أذى الحر والقر . والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده يسعى لهم صفاراً ؛ ويعلمهم كباراً ، يكتسب لهم فى حياته ويؤخر لهم بعد مماته ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها ، حملته كرها وربته طفلاً ، تسهر بسهره وتسكن بسكونه ؛ ترضعه تارة ؛ وتفطمه أخرى ، وتفرح بعافيته وتقم بشكايته . والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالتاب بين

(١) هو أبو سعيد بن يسار مولى زيد بن ثابت الأنصارى ، وكان الحسن من سادات التابعين ركباتهم وكان نسيج وحده فى الفصاحة والعلم والعبادة والورع وتوفى بالبصرة سنة ١١٠ هـ .

(٢) قوام الأمر : عماده ونظامه .

(٣) الارتياح : طلب السكلا فى مواضعه .

الجوارح ؛ تصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده . والامام العادل يا أمير المؤمنين ، هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويسمعهم ، وينظر إليه ويربهم وينقاد إلى الله ويقودهم .

فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما مالكك الله كعبداً اتتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرده^(١) العيال فانتقر أهله وفرق ماله . واعلم يا أمير المؤمنين ان الله أنزل الحدود^(٢) ليزجر بها عن الحسانت والفواحش ، فكيف إذا أتاه من إياها ، وان الله أنزل القصص حياة لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم .

واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه فتزود له ولما بعده من الفرع الأكبر . واعلم يا أمير المؤمنين انك منزل غير منزلك الذي أنت فيه ، يطول فيه ثوابك^(٣) ويفارقك أجاؤك ويسلوك في قبره فريداً وحيداً ، فتزود له ما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه . واذكر يا أمير المؤمنين اذا بعث^(٤) ما في القبور وحصل^(٥) ما في الصدور ، فالأسرار ظاهرة والكتاب لا يغير صغيرة ولا كبيرة إلا أوصافها . فالآن يا أمير المؤمنين - وأنت في مهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل - لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين ، فانهم لا يرقبون في مؤمن إلا^(٦) ولا ذمة ، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك . ولا يغرنك الذين يتعمون بما فيه بؤسك وبأكلون الطيبات في دنياهم باذئاب طيباتك في آخرتك ، فلا تنظر الى قدرتك اليوم ولكن انظر الى قدرتك غداً وأنت مأسور

(١) التشريد : التفريق والطرده .

(٢) الحدود : العقوبات الرادعة

(٣) الثواب : الإقامة أو طولها . (٤) يعثر : أثير وأخرج .

(٥) حصل : جمع . (٦) الإل : العهد .

في حبال الموت وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبیین والمرسلین وقد عزت (١) الوجوه للحی القيوم .

إني يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعظي ما بلغه ألو النهي من قبلي فلم آلك (٢) شفقة ونصحاء، فأنزل كتابي اليك كداوى حبيبه يستقيه الأذوية الكريمة لما يرجوه في ذلك من العافية والصحة . والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

٢ - لطارق بن زياد المتوفى سنة ٩٢ هـ

خطبة يحث بها جيشه على الجهاد ويرغبهم في فتح الأندلس

حمد الله وأثنى عليه ثم قال

أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم (٣) والعدو أما مكتم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيق من الأيتام في ماء دبة اللثام (٤) وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة (٥) وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم (٦) ولا أقوات إلا ما استخلصونه من أيدي عدوكم وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهب ويحكم (٧) وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم (٨) فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية (٩) فقد ألفت به إليكم مدينته الحصينة

(١) عنا : خضع .

(٢) اني لا آلوك نصحاء : أى لا أفتقر ولا أقصر .

(٣) وذلك لأنه أحرق السفن التي وصلوا بها إلى بلاد اسبانيا

(٤) لا ينالون شيئا إلا إذا قاتلوا عليه

(٥) كثيرة

(٦) لا ناصر لكم غيرها

(٧) ضاعت قوتكم وغلبتكم

(٨) تجاسرت عليكم بدل خوفكم منكم

(٩) بمقاتلة ذلك الجبار

وإن انتهز الفرصة فيه لممكن إن سمعتم لأنفسكم بالموت وإني لم أحذركم أمرا
أنا عنه بنجوة^(١) ولا حملتكم دوني على خطوة أرخص متاع فيها النفوس ، أبدأ
بنفسي واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرامة^(٢) الألد
طويلا فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه^(٣) باؤفر من حظي وقد
بلغكم ما أنشأت و^(٤) هذه الجزيرة من الخيرات العميمة وقد انتخبكم الوليد
ابن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانا ورضيكم للملك هذه الجزيرة أصهارا
وأختانا^(٥) ثقة منه بارتياحكم للطعان وساحمكم بمجالدة الأبطال والفرسان و^(٦)
ليكون حظهم منكم ثواب الله على إتيانهم كلته وإظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون
مغنمها خالصة لكم^(٧) من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولي
النجادكم^(٨) على ما يكون لكم ذكرا في الدارين واعلموا أني أول مجيب إلى
ما دعوتكم إليه وأنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طائفة القوم لذريق فقاتله
إن شاء الله تعالى فاحلوا معى فإن هلكت بعده فقد كنفتيم أمره ولم يعوزكم بطلان
عاقل و^(٩) تسندون أموركم إليه وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي
هذه واحلوا بأنفسكم عليه واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله

(١) أنا منه بمكان حصين بمعنى أنا منه خالص

(٢) الأراغدة الألبان

(٣) فيه أى الأمر الأشق

(٤) ما أخرجت

(٥) الصهر القريب المحرم للزوج أو الزوجة كالأخ والعم والختن

القريب المحرم للزوجة

(٦) وتكرمكم بمقاتلة الشجعان

(٧) وليكون غنمها لكم حالة كونها خالصة لكم

(٨) نصركم واعانتكم

(٩) لا تجدون عوزا وحاجة في وجود بطل عاقل بمعنى أنكم تجدون كثيرا

من الأبطال الذين تولونهم أموركم

٣ - وللأحنف بن قيس المتوفى سنة ٦٧ هـ :

آفة الملوك سوء السيرة ^(١) وآفة الوزراء خبث السريرة ^(٢) وآفة الجند مخالفة القادة ^(٣) وآفة الرعية مخالفة السادة ، وآفة الرؤساء ضعف السياسة ، وآفة العلماء حب الرياسة ، وآفة القضاة شدة الطمع ، وآفة العدول قلة الورع ، وآفة القوى استضعاف الخصم ، وآفة الجريء إضاعة الحزم ^(٤) ، وآفة المنعم قبيح المن ^(٥) ، وآفة المذنب حسن الظن ^(٦) .

٤ - ولعمرو بن العاص المتوفى سنة ٦٣ هـ في وصف مصر :

مصر تربة غبراء ^(٧) وشجرة خضراء ^(٨) طولها شهر وعرضها عشر ^(٩) يكنفها جبل أغبر ^(١٠) ، ورمل أعفر ^(١١) يخط وسطها نهر ميهون والغدوات مبارك الروحات ^(١٢) يجرى بالزيادة النقصان كجرى الشمس والقمر له أو ان ^(١٣) تظهر به عيون الأرض وينابيعها حتى إذا أصلح عجاجه ^(١٤) ، وتعظمت أمواجه ^(١٥) ، لم يكن وصول بعض أهل القرى إلى بعض إلا في خفاف القوارب وصغار المراكب ، فاذا تكاملت تلك كذلك تكص ^(١٦) على عقبه كأول ما بدأ في شدته وطها في حدته ^(١٧) فعند ذلك يخرج القوم ليحرقوا بطون أوديته وروايبه ^(١٨) يبذرون الحب ويرجون

(١) قبح السلوك (٢) رداءة النية

(٣) القواد (٤) عدم التدبير في الأمور

(٥) المن الامتنان وذكر المعروف (٦) حسن الظن فيمن يسده العقاب

فيتبادى في الذنوب (٧) سهلة الانبات (٨) بمعنى أنها كثيرة الشجر الأخضر .

(٩) لعله يريد أن الماشي يقطعها طولاً في شهر وعرضاً في عشرة أيام

(١٠) يحيط بها جبل ضارب إلى السواد (١١) أبيض مائل إلى الحمرة أو الصفرة

(١٢) محمود الذهاب والاياب (١٣) يزيد وينقص في أزمنة معينة .

(١٤) معظم مائه (١٥) تقطعت وتسربت في الاراضى .

(١٦) رجوع وذهب (١٧) أى نقص بشدة كما زاد بقوة

(١٨) أعلى الأرض وأسافلها .

الثمار من الرب حتى إذا أشرق وأشرف (١) سقاه من فوقه الندى وغذاه من تحته
الثرى فعند ذلك يدر حلابه (٢) ويغنى ذبابه (٣) فينما هي يا أمير المؤمنين درة بيضاء
إذا هي عنبرة سوداء ، وإذا هي زبرجدة خضراء فتعالى الله الفعال لما يشاء .

وصف النثر الفنى

في العصر الأموى

- ١ - ظهر في هذا العصر أثر الثقافة الأديبية في النثر الفنى ظهورا واضحا
لاخفاء فيه ؛ وهذه الثقافة متنوعة تشمل :
 - أ - القرآن الكريم الذى أثر في ملكات العرب وهذب من ألسنتهم ورقق
من مشاعرهم وطباعهم وملكاتهم في البيان في عصر صدر الإسلام
ثم زاد هذا التأثير في العصر الأموى ؛ بحفظ العرب له ، وقراءتهم إياه بعد
أن انتشرت مصاحف عثمان في الأمصار ، وللفراغ الذى وجدوه بعد الفتوحات
الإسلامية ، والفترة الطويلة التى قضوها في الأفاذة من بلاغة القرآن
 - ب - حديث رسول الله ، وكانوا يحفظون منه الكثير ، ثم دون ووزع
على الأمصار في عهد عمر بن عبد العزيز ، فاتسعت لإفادة الناس منه وتأثرهم ببلاغته
 - ج - الشعر والأدب الجاهلى ، وقد علمت ما كان من إحياء بنى أمية له ،
وتقريبهم الرواة والأدباء منهم
 - د - مجالس القصص والوعظ ، وقد كان فيها البلغ والخطيب والإديب الذى
يسحر القوم بلاغة وبيانا

ه - أدب البلغاء والفصحاء في العصر الأموى ، وهو كثير جدا ، وكان له
أثره في تقويم الألسنة وتهذيب الملكة ، وكانت خطب الوفود التى تفد على قصور
الخلفاء والأمراء دروسا كبيرة في البلاغة والبيان ، ويروى أن شباب الكتاب

(١) ظهر وبان (٢) يعظم محصوله (٣) يكثُر عليه

كانوا إذا حضر وفد هشام حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم^(١) ومجالس المؤدبين والرواة والشعراء والنقاد وكانت حافلة بالكثير من ألوان الأدب والشعر والقدرة لها أثر كبير في تقويم الأذواق وإرهاق المشاعر وتهذيب الممسات .

٢ - وقد أفاد العرب من اختلاطهم بالموالي والناصر الأجنبية ، فسمعوا عن ثقافات الأمم القديمة ، ورويت لهم ، وتحدثوا بها في مجالس سمرهم مما أكسب العقول عمقا وفهما ومعرفة وعلما وثقافة ومدنية ، وظهر أثر ذلك في تقدم العلوم ونهضة الفنون والآداب وأخذ العرب بقسط من الحضارة ، وبمضى الزمن ترجوا هذه العلوم والفنون إلى العربية .

ولا يضير ما كان للاحتياط من أثر في الألسنة بما دخل عليها من اللحن والسكنة والى ، فقد قاوموا هذه التيارات الجديدة بوضع العلوم ونشر الأدب وتقييم الألسنة والطباع .

٣ - وبإحياء الآداب الجاهلية ظهر أثرها ل الأدب والنثر الأموي ، فعادوا إلى جزالة الجاهلية وصلابتها وشدة أسرها ، وكثر في أسلوبهم الأدبي في النثر الفني ظهور خصائص غلبت على أسلوب النثر الأموي يمكن أن نلخصها فيما يلي :

(١) إثارة خيال السامع باستعمال المجازات القوية ،

(٢) السيطرة على وجدان السامع وعواطفه وميلهم إلى الموسيقى الصوتية باستعمال الالفاظ الطنانة البالغة التأثير .

(٣) التحدث إلى عقل السامع ، لا عن طريق ادقة في التعبير بحسب ، بل كذلك عن طريق التعبيرات والمجازات ومزجها بعضها ببعض .

(٤) تفرغ الصور العتامية والمعاني وتنويعها باستخدام الازدواج في الفواصل استخداما قد يزيد قوة استعمال السجع أو ما يشبه السجع من الفواصل . غير أن التزام السجع في الكلام كان متجنبيا . إما لأنه كان يشعر بشيء من التكلف ،

ولما لأن التقفية كانت كانت ميزة خاصة بالشعر ، وسجع السكمان وما أشبه ذلك من الانتاج الأدبي .

ونجد في خطبة الحجاج أنه بينما يتجنب السجع ، يستخدم التليجات الشعرية والافتباسات ويكثر من استعمال المجاز كما نرى في الجملة الآتية مثلا .

« إني والله يا أهل العراق ، ما يقمق لي بالشنان ، ولا يغمز جانبي كشمزاز التين ، ولقد فررت عن ذكاه ، وفتشت عن تجرية ، وإن أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - نثر كنتاجته بين يديه ، فهجم عيدانها ، فوجدني أمرها عودا ، وأصلبها مكسرا ، فرما كم بي لآز نكم طالما أوضعتم في الفتنة ، واضطجتم في مرآقد الضلال :

ولنقارن الآن بين تلك الجملة والجل الآتية من رسالة عبد الحميد الكاتب .
« وأعلم أن كل أعدائك لك عدو يحاول هلكتك ، ويتعرض غفلتك ، لأنها خدع إبليس ، وحبائل مكره ، ومصايد مكيدته ، فأحذرنا مجانبا ، توقها محترسا منها ، واستعد بالله من شرها وجاهدها إذا تناصرت عليك بعزم صادق لاؤنية فيه ، وحزم نافذ لا مشوية لرأيك بعد إصداره عليك ، وصدق غالب لا مطمع في تكذيبه ، ومضادة صارمة لا أناة معها ، ونية صالحة لا خلجة شك فيها . فن المؤكد أن ليس ثمة صعوبة في أن ندرك أن في القطعة السابقة نفس الخصائص الأساسية التي في خطبة الحجاج ؛ ولكنها ذلتها وعبثتها الطلاقة التي يمتاز بها الكاتب وهي في الحقيقة تلك الصفة التي وصف بها مؤلف كتاب « الفهرست » عبد الحميد حينما قال : « هو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل ،

(٥) ظهور الروح الديني في كثير من الوان النثر في هذا العصر

ألوان النثر الفنى

أولا - الخطابة

نماذج للخطابة فى العصر الاموى .

١ - خطبة معاوية بالمدينة عام الجاعة

وقدم معاوية عام الجماعة (سنة ٥٤١ هـ) فتلقاها رجال قريش فقالوا : الحمد لله الذى اعز نصرك ، وأعلى كعبك ، فأرد عليهم شيئا حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال .

« أما بعد ، فإني والله ما وليتها (١) بمحبة علمتها منكم ، ولا مسرة بولائى ، ولكنى جالدتكم بسيفى هذا بجالدة ، ولقد رضت (٢) لكم نفسى على عمل ابن (٣) أبى قحافة وأردتها على عمل عمر ، فنفرت من ذلك نفارا شديدا ، وأردتها على سنيات (٤) عثمان ، فأبت على ، فسلكت بها طريقا لى ولكم فيه منفعة ، مؤاكلة حسنة ، ومشاركة جميلة ، فإن لم تجدونى خيركم فإني خير لكم ولاية ، والله لأحمل السيف على من لا يصف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه ، فقد جعلت ذلك له دبر أذنى (٥) وتحت قدمى ، وإن لم تجدونى أقوم بحقوقكم كله ، فاقبلوا منى

(١) أى الخلافة .

(٢) من راض المر : إذا ذلله .

(٣) هو أبو بكر الصديق .

(٤) سنية : مصغر سنة ، والمراد حكم عثمان .

(٥) جعل كلامك دبر أذنه ، لم يصغ اليه ولم يعرج عليه .

بعضه ، فان أتاكم منى خير فاقبلوه ، فان السيل إذا جاد يثرى ، وإذا قل أغنى ،
وإياكم والفتنة ، فانها تفسد المعيشة ، وتكدر النعمة ، .
ثم نزل .

٢ - وصيته لابنه يزيد

ولما حضرت معاوية الوفاة ؟ ويزيد غائب ، دعا معاوية مسلم بن عقبة المري
والضحاك بن قيس الفهري ، فقال : أبلغا عنى يزيد رقولا له :
« يا بنى لى قد كيفيتك الشد والترحال ، ووطأت (١) لك الامور ، وذلك لك
الأعداء ، وأخضعت لك رقاب العرب ، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد :
فانظر أهل الحجاز ، فانهم أصلك وعترتك (٢) ، فمن أتاك منهم فأكرمه ،
ومن قعد عنك فتهده .

وأنظر أهل العراق ، فان سألوك أن تزل عنهم كل يوم عاملا فافعل ، فان
عزل عامل أهون عليك من سل مائة ألف سيف ، ثم لا تدري علام أنت
عليه منهم ؟

ثم انظر أهل الشام ، فأجعلهم الشعار (٣) دون الدثار ، فان رأبك من عدوك
ربب فارمهم (٤) بهم ، فان أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم ،
ولا يقيموا فى غير بلادهم ، فيتأدبوا بغير أدبهم .

ولى لست أخاف عليك أن ينازعك هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش :
الحسين بن على ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر .
فأما عبد الله بن عمر . فرجل قد وقده (٥) الورع ، وإذا لم يبق أحد
غيره بايعك .

(١) وطأ : مهد . (٢) تمة الرجل : عشيرته الأذنون .

(٣) الشعار : الثوب يلبس على شعر الجسد ، والدثار : الذى يلبس فوق الشعار .

(٤) الضمير للعدو ؛ وهو للواحد والجمع ، والذكر والأنثى ، وقد يثنى

ويجمع ويؤنث . (٥) وقده : صرعه وتركه عليلًا كواقده .

وأما الحسين بن علي : فإنه رجل خفيف ، وأرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه ، وخذل أخاه ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فإن خرج وظفرت به ، فأصفع عنه ، فإن له رحماً (١) ماسة ، وحقا عظيما ، وقرابة من محمد صلوات الله عليه وسلامه .

وأما ابن أبي بكر : فإن رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثلهم ، ليست له همة إلا في النساء واللهو .

وأما ابن الزبير : فإنه خب صب (٢) فإن ظفرت به فقطعه لإربا (٣) وأو قال : وأما الذي يجثم لك جثوم الاسد ، ويراوغك مرواغة الثعلب . فإن أمكنته فرصة وثب . فذاك ابن الزبير . فإن هو وثب عليك . فظفرت به . فقطعه لإربا لإربا ، واحقن دماء قومه ما استطعت .

٣ - خطبة عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل أخيه مصعب :

ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير (سنة ٧١ هـ) وانتهى خبر مقتله إلى عبد الله بن الزبير ، أضرب عن ذكره أياما . حتى تحدث به إمام مكة في الطريق . ثم صعد المنبر فجلس عليه ملياً لا يتكلم . والكآبة على وجهه . وجبينه يرشح عرقا . فقال رجل من قريش لرجل إلى جانبه : ماله لا يتكلم ؟ أتراه يهاب المنطق ؟ فوالله إنه للبيب الخطباء ، قال : لعله يريد أن يذكر مقتل مصعب سيده العرب ، فيشتد ذلك عليه ، وغير ملوم ، ثم تكلم فقال :

والحمد لله الذي له الخلق والأمر ، وملك الدنيا والآخرة ، يؤتى الملك من

يشاء ، وينزع الملك من يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء .

أما بعد : فإنه لم يعز الله من كان الباطل معه ، وإن كان معه الأنعام طراً (٤) ولم يذل من كان الحق معه ، وإن كان مفردا ضعيفا ، ألا وإنه قد أتانا خبر من

(١) الرحم : القرابة .

(٢) رجل خب صب : خداع مرواغ .

(٣) أى عضوا عضوا .

(٤) طرا جميعا .

العراق ، بلد الغدر والشقاق ، فسادنا وسمرنا : أتانا أن مصعباً قتل رحمة الله عليه
ومغفرته ، فأما الذي أجزنا من ذلك ، فإن لفراق الحميم لذعة ولوعة لمجدما حميمه
عند المصيبة ، ثم يروعني من بعد ذو الرأي والدين إلى جميل الصبر ، وكريم العزاء ،
وأما الذي سرنا منه فإنا قد علمنا أن قتله شهادة له ، وأنه عز وجل جاعل لنا وله
في ذلك الخيرة إن شاء الله تعالى .

أسلمه الطغام (١) ، انضم الآذان ، أهل العراق ، لإسلام النعم المخطمة (٢) ،
وباعوه بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه . فإن يقتل فقد قتل أبوه وعمه
وأخوه (٣) . وكانوا الخيار الصالحين .
إنا والله لا نموت حتف آنا فنا (٤) ، ولكن قمصا (٥) بالرماح ، وموتنا تحت

(١) الطغام : الاوغاد .

(٢) خطم البعير بالخطام : جعله على أنفه ، والخطام كسكتاب : ما وضع في
أنف البعير ليقناده به .

(٣) بعد أن اعتزل الزبير بن العوام أصحاب الجمل . انصرف إلى وادي
السباع ، وقد تبعه عمرو بن جرموز فقتله في الصلاة .

ويعنى بعمه عبد الرحمن بن العوام بن خويلد . وقد استشهد يوم اليرموك . وفي
رواية هو ابن عمه ، ويعنى به عبدالله بن عبد الرحمن بن العوام . وقد قتل يوم الدار .
وأما أخوه فهو المنذر بن الزبير . وذلك أن جيش يزيد بعد أن أوقع باهل
المدينة في وقعة الحرة ، سار إلى مكة لغزو عبد الله بن الزبير ، فقال لآخيه المنذر :
ما لهذا الامر ولدفع هؤلاء القوم غيبرى وغيرك - وكان أخوه المنذر ممن شهد
الحرة ثم لحق به - فجرد اليهم أخاه في الناس ؛ فقاتلهم ساعة قتالا شديدا ؛ ثم إن
رجلا من أهل الشام دعا المنذر إلى المبارزة ؛ ففرج إليه ؛ فضرب كل واحد منهما
صاحبه ضربة خر صاحبه لها ميتا ؛ وكان مقتله سنة ٦٤ هـ .

(٤) الحنف : الموت ، ويقال : مات حتف أنفه : أى على فراشه من غير قتل

ولا ضرب ، ولا غرق ، ولا حرق ، وخص الأنف لأنه أزد أن روحه تخرج =

ظلال السيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قتل منهم رجل في زحف في جاهلية ولا إسلام قط ، ألا وإنما الدنيا عارية ^(١) من الملك القهار الذي لا يزول سلطانه ، ولا يبديد ملكه ، فان تقبل الدنيا على لم آخذها أخذ الأشر ^(٢) البطر ، وإن تدبر عنى لم أبك عليها بكاء الخرق الممين ^(٣) ، أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ، ثم نزل .

٤ — خطبة عبد الملك بن مروان لما دخل الكوفة بعد قتل مصعب :

ودخل عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير ، فصعد المنبر لحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :
« أيها الناس : إن الحرب صعبة مرة ، وإن السلم أمن ومسرة ، وقد زبنتنا الحرب وزبناها ^(٤) ، فمرفناها وألفناها ، فنحن بنوها وهى أمنا .

== من أنفه بتتابع نفسه ، أو لأنهم كانوا يتخيلون أن المريض تخرج روحه من أنفه والجريح من جراحته .

(٥) القمص : الموت السريع ، ومات قمصا : أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه ، وفي رواية : « إنا والله ما يموت حبجا كهيئة آل أبي العاص ، والحبج كسبب انتفاخ بطن البعير من أكل لحاء العرفج » كجعفر ، وربما قتله ذلك ، يعرض ببني مروان ، لكثرة أكلهم وإسرافهم فى ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالتخمة .

(١) العارية ويخفف : الشيء المستعار . (٢) الأشر : البطر

(٣) الخرق وصف من الخرق كسبب : وهو الدهش من خوف أو حياء ، أو أن يهبت فاتحا عينيه ينظر . والمهين : الحقير . ويروى : « بكاء الخرف المهتر » والخرف بفتح فكسر : من فسد عقله فى السكر ، والمهتر : من ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن ، من الهتر بضم الهاء ، وقد اهتر فهو مهتر بضم الميم وفتح التاء ، شاذ ، وقد قيل اهتر بالبناء للجهول

(٤) أى دفعتنا ودفعناها ، والزبن : الدفع ومنه اشتقاق الزبانية « جمع زبانية أو زبنى بكسر الزاى وسكون الباء ، لأنهم يدفعون أهل النار إلى النار ، ومنه أيضا : حرب زبون بفتح الزاى .

أيها الناس : فاستقيموا على سبيل الهدى ، ودعوا الأهواء المردية وتجنبوا
فراق جماعات المسدين ، ولا تكلفونا أعمال المهاجرين الأولين ، وأنتم لا تعملون
أعمالهم ، ولا أظنكم تزدادون بعد الموعظة إلا شرا ، ولن نزداد بعد الإغذار
إليكم والحجة عليكم إلا عقوبة ، فمن شاء منكم أن يعود بعد مثلها فليعد ، فإنما
مثلي ومثلكم كما قال قيس بن رفاعة الأنصاري :

من يصل نارى بلا ذنب ولا ترة	يصل بنار كريم غير غدار (١)
أنا النذير لكم منى مجاهرة	كى لا الأام على نهى وإنذار
فان عصيتم مقالى اليوم فاعترفوا	أن سوف تلقون خزبا ظاهر العار
لترجعن أحاديثا ملعنة	طو المقيم والهو المدلج السارى (٢)
من كان فى نفسه حوجاء يطلبها	عندى فانى له رهن باصحار (٣)
أقيم عوجته إن كان ذا عوج	كما يقوم قدح النبعة البارى (٤)
وصاحب الوتر ليس الدهر مدركه	عندى ، وإنى لذالك بأوتار

٥ - خطبة عمرو بن سعيد فى مجلس معاوية يوم عقد البيعة ليزيد :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد :

١٠ الترة والوتر : الثأر .

٢٠ أدلج : نثار من أول الليل : فان سار من آخره فقد ادلج بالتشديد ،

والسارى . السائر بالليل .

٣٠ الحوجاء : الحاجة ، وقوله : باصحار أى لا أسترعنه ولا أمتنع فى

الأماكن الحصينة ، من أصحح القوم . برزوا إلى الصحراء .

٤٠ العوج بفتح العين . فى كل ما كان منتصبا مثل الإنسان والعصا

والعود وشبهه ، والعوج بالكسر : ما كان فى بساط أو أرض أو معاش أو

دين ، وقيل بالفتح مصدر ، وبالكسر اسم منه . والقدهح : السهم قبل

أن يراش وينصل وجمعه قداح ، والنبعة واحدة النبع وهو شجر القسى والسهم .

فان يزيد بن معاوية أمل و تأملونه و أجل تأملونه ، إن استضفتهم الى حمله
وسمكم وإن احتجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن افتقرتم إلى ذات يده أشناكم ، جدد
قارح ، سوبق فسبق ، و موجود فوجد ، و قورع فغاز سهمه ، فهو خلف أمير المؤمنين
ولا خلاف منه (١)

٦ - وصية عبد الملك بن مروان لولده عند وفاته :

و نظر عبد الملك عند وفاته إلى ابنه الوليد وهو يبكي عليه عند رأسه فقال :
« يا هذا : أحنين الحمامة ؟ إذا أنا مت فشمروا وتر ، والبس جلد نمر : وضع
سيفك على عاتقك . فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه : ومن سسكت
مات بدائه . »

ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا . فقال : « إن طويلك تقصير ، وإن كثيرك
لقليل ، وإن كئنا منك لفي غرور ، »

ثم أقبل على جميع ولده فقال : « أوصيكم بتقوى الله . فانها عصمة باقية . وجنة
واقية . فالتموى خير زاد ؛ وأفضل في المهاد . وهي أحسن كهف . وليعطف
الكبير منكم على الصغير . وليعرف الصغير حق الكبير . مع سلامة الصدور .
والإخذ بجميع الأمور . وإياكم والبنى والتحاسد . فهما هلك الملوك الماضون
وذوو العوامسكين :

يا بني : أخوكم مسلمة . نايكم الذى تفرون (٢) عنه . وجمنكم (٣) الذى
تستجنون به ، اصدروا عن رأيه ، وأكروا والحجاج ، فانه الذى وطأ لكم
هذا الأمر :

كونوا أولاداً أبرارا ، وفي الحروب أحرارا وللمعروف منارا وعليكم السلام

(١) ٢ / ٧١ الامالى

(٢) فر الدابة : كشف عن أسنانها لينظر ما سنها والمعنى أنه أخوكم المحرب

الحنك الذى تستفيدون بتجربته ويكشف لكم الأمور بمحذوقه وبصيرته

(٣) المجن : النرس

٧ - وصيه عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده :

وقال عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده :

« وليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ، الاستحسان ، والقبوح عندهم ما استقبحت ، وعابهم كتاب الله ، ولا تكررهم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، ثم روهم من الشعر أعنفه ، ومن الحديث أشرفه ، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحسبوه ، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم ، وتهديم بني ، وأدهم دوني ، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، وجنبهم محادثة النساء ، وروهم سير الحكماء ، واستزدني بزيادتك إياهم أزدك ، وإياك أن تتشكل على عذر ذي لك ، فقد اتكلت على كفاية منك ، ورد في تأديبهم أزدك في برى إن شاء الله تعالى

٨ - خطبة زياد البتراء :

« وقدم زياد ابن أبيه البصرة سنة ٤٥ هـ ، واليا لمعاوية بن أبي سفيان ، والنسق بها كثير فاش ظاهر ، فخطب خطبة بترأ لمحمد الله فيها ، وقيل بل قال :
« ووالحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه ، اللهم كما زدتنا نعماً ، فألهمنا شكراً ،

وأما بعد . فإن الجبهة الجهلاء (١) ، والضلالة العمياء ، والغنى الموفى بأهله على الأار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم (٢) ، من الأمور العظام ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير : كأنتكم لم تقرأوا كتاب الله . ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته . والعذاب الأليم لأهل معصيته . في الزمن السرمدي (٣) الذي لا يزول .

أتكئون كمن طرفت (٤) عينيه الدنيا ، رسدت مسامعه الشهوات . واختار

١٠ . هذا الوصف تأكيد للمبالغة . كقولهم . ليلة ليلاء .

٢٠ . الجلاء . العقلاء .

(٣) السرمدي : الدائم .

(٤) طرف بصره : أطبق أحد حافته على الآخر ، وطرفه عنه كضربه :

صرفه ورده .

الفانية على الباقية . ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه ، من تركم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله ، هذه المواخير (١) المنصوبة ؛ والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر . والعسدد غير قليل . ألم يكن منكم نهاية (٢) تمنع الغرأة عن دلج (٣) الليل وغارة النهار؟ قربتم القرابة . وباعدتم الدين . تعتذرون بغير العذر . وتفضون على المختلس . كل امرئ منكم يذب عن سفيفه صنيع من لا يخاف عاقبة . ولا يرجو معادا . ما أتمم بالجلساء . ولقد اتبعت السفهاء فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم . حتى انتهكوا حرم (٤) الإسلام ثم أطرقوا وراءكم . كنوسا (٥) في مكاس الربيب . حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماً وإحراقاً .

لإني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله . لين في غير ضمف ، وشدة في غير عنف ، وإني أقسم بالله لأخذن الولي بالمولى (٦) ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدير ، والمطيع بالعاصي ، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم ، حتى

(١) المواخير جمع ماخور : وهو بيت الريبة .

(٢) نهاية جمع ناه ، وغواة جمع غاو .

(٣) الدلج : السير من أول الليل .

(٤) الحرم جمع حرمة : وهي ما لا يحل انتهاكها ، روى الشعبي قال . ولما خطب زياد خطبته البتراء بالبصرة ونزل ، سمع تلك الليلة أصوات الناس يتحارسون ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : إن البلد مفتون ، وإن المرأة من أهل المصر لتأخذها الفتيان الفساق ؛ فيقال لها . نادى ثلاثة أصوات ، فإن أجابك أحد ، وإلا فلا لوم علينا فيما نصنع !

(٥) كنوس جمع كانس . أي مستتر كجلوس جمع جالس ، وأصله من كنس الظبي كضرب : دخل في كتابه (ككتاب) وهو مستتره من الشجر ، ومكاس الربيب : مكانها المستتره جمع مكنس كجلوس .

(٦) الولي . السيد والمولى هنا : العبد

يلقى الرجل منكم أخاه ، فيقول : انج سعد فقد هلك سعيد (١) ، أو تستقيم لي قناتكم .

إن كذبة المنبر ببقاء (٢) مشهورة . فإذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي (٣) فإذا سمتموها مني فاغتمزوها (٤) في . واعلموا أن عندي أمثالها . من نقب منكم عليه فانا ضامن لما ذهب منه (٥) . فايأى ودلج الليل . فاني لا أوتي بمدلج إلا سفكت دمه . وقد أجالكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم . وإيأى ودعوى (٦) الجاهلية ، فاني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه .

وقد أحدثتم أحداثا لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة : فمن غرق قوما غرقناه ، ومن أحرق قوما أحرقناه ، ومن نقب بيتنا نقبنا عن قلبه ، ومن

(١) سعد وسعيد هما ابنا ضبة بن أد ، خرجا في طلب لإبل لأبيهما فوجدهما سعد فردها وقتل سعيد فكان ضبة إذا رأى سوادا تحت الليل قال سعد أم سعيد ؟
(٢) من البلق بالتحريك وهو ارتفاع التحجيل في الفرس إلى الفخذين والتحجيل : بياض في قوائم الفرس ، والفرس البلقاء مشهورة لتمييزها عما سواها بيلقها .

(٣) في تاريخ الطبرى ، وقال الشعبي فوالله ما تعلقتنا عليه بكذبة ولا وعدنا خيرا ولا شرا إلا أنفذه ،

(٤) أى عدوها من عيوبى واغتمزه طعن عليه .

(٥) في تاريخ الطبرى ، وكان زياد أول من شد أمر السلطان ؛ وأكد الملك لمعاوية ، وألزم الناس الطاعة ، وتقدم في العقوبة وجرّد السيف بالظنة وعاقب على الشبهة وخافه الناس في سلطانه خوفا شديدا حتى أمن الناس بعضهم بعضا حتى كان الشيء يسقط من الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه وتبيت المرأة فلا تغلق عليها بابها وكان يقول لو ضاع جبل بينى وبين خراسان علمت من أخذه ،

(٦) قولهم . يا فلان ، والغرض : مناصرة العصبية .

نبتش قبرا دفناه حيا فيه . فكفوا عنى أيديكم وألسنتكم ، أكفف عنكم يدي
ولساني ، ولا تظهر من أحد منكم رية بخلاف (١) ما عليه عامتكم ، إلا
ضربت عنقه .

وقد كانت بيني وبين أقوام لاحق (٢) فجمعت ذلك دبرا (٣) أذنى وتحت قدمي ،
فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا ، ومن كان منكم مسيئا فليززع عن إساءته .
لأنى لو علمت أن أحدا قد قتل السل من بغضى لم أكشف له قناعا ، ولم أهتك
له سترأ ، حتى ييدى لى صفحته (٤) ؛ فإذا فعل ذلك لم أناظره ، فاستأنفوا أموركم ،
وأعينوا على أنفسكم ، فرب مبتس بقدمنا سيسر ؛ ومسرور بقدمنا سيبتس .
أيها الناس : إنا أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة (٥) ، نسوسكم بساطان
الله الذى أعطانا ونذود عنكم بنى الله الذى حولنا (٦) ، فلنا عليكم السمع والطاعة
فيا أحبينا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ، فاستجبوا عدلنا وفيئنا بما صححتكم لنا ،
واعلموا أنى مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حاجة
منكم ولو أتانى طارقا ليليل ، ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن إبانه (٧) ، ولا
بجرا (٨) لكم بعثا .

(١) أى تخالف ما اجتمع عليه عامة القوم .

(٢) جمع إحنة . وهى الحقد والضغينة .

(٣) أى خلف أذنى ، وقد اقتبسها من كلام معاوية

(٤) أى حتى يجاهرنى بالعداوة

(٥) جمع ذائد أى مدافع

(٦) حولنا ، ملكنا ، والنوى : ما كان شمسا فينسخه الظل ، والخراج ، أى

ندفع عنكم بطل الله ونعمته التى وهبنا ، أو ندفع عنكم بما صار فى أيدينا من
أموال الخراج

(٧) أى وقته وموعده

(٨) جهر الجند حسبهم فى أرض العدو ولم يرجعهم

فادعوا الله بالصالح لأئمتكم ، فانهم ساستكم المؤدبون لكم ، وكهفكم الذى
إليه تأرون ، ومتى يصلحوا تصلحوا ، ولا تشرىوا قلوبكم بغضهم ، فيشتد لذلك
غيظكم ، ويطول له حزنكم ، ولا تدركوا له حاجتكم ، مع أنه لو استجيب
لكم فبهم لكان شبر اليم ، أسأل الله أن يعين كلا على كل ، وإذا رأيتونى أنفذ
فيكم الأمر فانفذوه على أذلاله (١) ، وأبم الله إن لى فيكم لصرعى كثيرة ،
فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاى .

فقال لإليه عبد الله بن الأهم فقال : « أشهد أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة
وفصل الخطاب ، فقال له « كذبت ، ذاك نبي الله داود صلوات الله عليه ، فقام
الأخنف بن قيس فقال . « إنما الثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وإنما لن نثنى
حتى نبلى ، فقال له زياد . صدقت . فقام أبو بلال مرداس (٢) بن أديه وهو
يهمس ويقول . أنبأنا الله بغير ما قلت ، قال الله تعالى « وإبراهيم الذى وفى ، ألا
تزر وازرة وزرى أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأنت تزعم أنك
تأخذ البرىء بالسقيم ، والمطيع بالعاصى ، والمقبل بالمدير ، فسمعا زياد فقال .
« إنما لا نبليغ ما نريد فيك وفى أصحابك حتى نخوض لإيكم الباطل خوفاً .

٩ . - خطبة الحجاج وقد قدم البصرة

وخطب الحجاج بن يوسف الثقفى لما قدم البصرة يتهدد أهل العراق
ويتوعدهم فقال .

أيها الناس . من أعياه داؤه ، فعندى دواؤه ، ومن استطال أجله فعلى أن
أعجله ، ومن ثقل عليه رأسه ، وضعت عنه ثقله ، ومن استطال ماضى عمره ، قصرت
عليه باقيه ، إن للشيطان طيفاً ، وللسلطان سيفاً ، فمن سقمت سريرته ، صحت

(١) أى على وجوهه وطرقه جمع ذل بالكسر ، وذال الطريق محجته ،
وأمر الله جارية على أذلالها ، أى بجاريها
(٢) هو من رؤساء الخوارج

عقوبته ، ومن وضعه ذنبه ، رفعه صلبه ، ومن لم تسعه العافية ، لم تضيق عنه الهلكة
ومن سبقته بأدرة (١) فنه ، سبق بدنه بسفلك دمه .

إني أنذر شم لا أنظر (٢) . وأحذر شم لا أعذر وأتوعد شم لا أعفو . إنما
أفسدكم ترنيق (٣) ولا أنكم . ومن استرخى لبيه (٤) . ساء أديه . إن الحزم
والعزم سلباني سوطي . وأبدلاني به سبني (٥) فقائمته في يدي . ونجاده (٦) في عنقي
وذبابه (٧) قلادة لمن عصاني . والله لا آمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب
المسجد فيخرج من الباب الذي يايه . إلا ضربت عنقه

١٠ — من خطبة لآبي حمزة الشاري

ويبلغ أبا حمزة (٨) الشاري أن أهل المدينة يعيرون أصحابه ، بحداثة أسنانهم ،
وخفة أحلامهم ، فصعد المنبر وخطبهم خطبة منها :

(١) بدرت منه بأدرة سبقت منه سقطه

(٢) أنظره : أمهله

(٣) الترنيق : الضعف في الأمر .

(٤) اللبب . ما يشد في صدر الدابة لينبع استئخار الرجل ، والمراد أن الهوادة

أو اللين تفسد أدب الرعية .

(٥) أي أنه رأى من الحزم والعزم المبالغة في استعمال الشدة والقوة في التأديب

فطرح السوط واستبدل به ما هو أشد منه وهو السيف .

(٦) النجاد : علاقة السيف .

(٧) ذباب السيف : حده

(٨) هو أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي السلمي من أهل البصرة ، وهو من

رؤساء الخوارج (ويسمون الشراة كتهنئة جماع شار كقماض ، من شرى يشرى

كرمى أى باع ، سموا بذلك لقولهم شرينا أنفسنا في طاعة الله أى بعناها ووهبناها

أخذنا من قوله تعالى : ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ، أو لقولهم

شرينا الآخرة بالدنيا ، أى اشتريناها . وقد قاتل أهل المدينة ودخلها سنة ١٣٠ هـ

« وقد بلغنى أنكم تنتقصون أصحابي أقلامهم هم شباب أحداث وأعراب جفافة ،
ويحكم بأهل المدينة أو هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله
المذكورون في الخير إلا شبابا أحداثا ؟ أما والله إنى لعالم بتتابعكم فيما يضركم
في مآدمكم ، ولولا اشتغالي بغيركم عنكم ما تركت الأخذ فوق أيديكم .

شباب والله مكتهلون (١) في شبابهم ، غضبيضة عن الشر أعينهم ، تقيضة عن
الباطل أرجلهم ، أنضاء (٢) ، عبادة ، وأطلاح (٣) شهر ، باعوا أنفسهم تموت غدا
بأنفس لا تموت أبدا ، قد نظر الله إليهم في جوف الليل ، منحنية أصلاهم على
أجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها ، وإذا مر
بآية من ذكر النار شقق شفقة كأن زفير جهنم بين أذنيه ، قد أكلت الأرض
ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم ، ووصلوا كلال (٤) الليل بكلال النهار ،
مصفرة أولانهم ، ناحلة أجسامهم . من طول القيام : وكثرة الصيام . مستقلون
لذلك في جنب الله ، وفوق بههد الله منجزون لوعده الله

حتى إذا رآهم العدو وقد فوقت (٥) ، ورماحهم وقد أشرعت (٦) ،
وسيوهم وقد انتضيت (٧) ، وبرقت السكتية ورعدت بصواعق الموت ،

(١) أى قد أحرزوا رزاة الكهول وسداد رأيهم

(٢) أنضاء جمع نضو بكسر النون : وهو المهزول

(٣) أطلاح جمع طالح وهو ك: نضو وزنا ومعنى

(٤) الكلال ، التعب والاعياء

(٥) فوق السهم جعل له فوقا (بالضم) وهو موضع الوتر من السهم أى

أعدت للرمى

(٦) أشرعت : سددت

(٧) انتضيت : استلمت

استخفوا بوعيد الكتبية لوعيد الله؛ ولم يستخفوا بوعيد الله لوعيد الكتبية ،
واقواشبا (١) الأسته، وشائك السهام ، وظبات السيوف ، بنحورهم ووجوههم
وصدورهم ، فضى الشباب منهم قدما ، حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ،
واختضبت عاسن وجهه بالدماء ، وعفر (٢) جبينه بالثرى ، وانحطت عليه طير
السماء ، وتمرقته سباع الأرض . فطوبى لهم وحسن مأب .

فكم من عين في منقار طائر طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله ،
وكم من يد قد أبيضت (٣) عن ساعدها ، طالما اعتد على صاحبها راكما وساجدا ،
وكم من وجه رقيق ، وجبين عتيق (٤) ، قد فلق بعمد الحديد . ثم بكى وقال :
آه آه على فراني الإخوان ، رحمة الله على تلك الأبدان ، وأدخل أرواحهم الجنان ،

١١ — خطبة قطرى (٥) بن الفجاءة في ذم الدنيا

صعد قطرى بن الفجاءة منبر الأزارقة (٦) لحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد فاني أحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل

(١) الشبا جمع شباة؛ وهى حد كل شيء؛ والظبات جمع ظبة؛ وهى حد السيف

(٢) أصابه العفر بالتحريك وهو التراب .

(٣) أبيضت : فصلت .

(٤) عتيق : كريم .

(٥) هو أبو نعامة قطرى بن الفجاءة النديمى كان رئيس الخوارج مدة طويلة

ولذلك يقول الحريرى فى المقام السادسة : فقلدوه فى هذا الامر الزعامة . تقليد

الخوارج أبا نعامة . وكان مقداما قوى النفس من الخطباء المشهورين وهو القائل .

وما الدرء خير فى حياة إذا ماعد من سقط المتاع

قتل سنة ٧٨ هـ ♦

(٦) الأزارقة . طائفة من الخوارج ينسبون الى صاحب مذهبهم (عبيد الله

بن الأزرق) .

وتحبت بالعاجلة وعمرت بالأمال وتحات بالآمانى وازينت بالغرور ، لاندوم (١)
حبرتها ولا تؤمن بجمعها ، غدارة ضرارة ، وحائلة زائلة ، ونافذة بائدة ، أكالة
غواللة ، بذاللة نقالة ، لانعدو اذا هي تناهت الى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا عنها
أن تكون كما قال الله تعالى : كما أنزلناه من السماء فاخترنا به نبات الأرض فأصبح
هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا) مع أن امرأ لم يكن منها
في حبرة ، إلا أعقبته بعدها عبرة ، ولم يلق من سرائها بطنا ، إلا منجته من ضررتها
ظهورا ، ولم تطله (٢) فيها ديمة رخاء إلا هطلت عليه مزنة بلاء . وحرى اذا أصبحت
له منتصرة ، أن تسمى له خاذلة متكررة . وإن جانب منها اعتدوذب واحلولى أمر
عليه جانب وأوبى ، وإن لبس امرؤ من غضارتها (٣) ورفاهيتها (٤) نعا ، أرهقته
من نواتها نغما ولم يمس امرؤ منها في جناح أمن ، إلا أصبح منها على قوادم
خوف ، غرارة غرور ما فيها ، فان ما عليها . لاخير في شيء من زادها إلا التقوى .
من أقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه (٥) ؛ كم واثق
بها قد فجعته وذى طمانينة اليها قد صرعه وذى احتيال فيها قد خدعته ، وكم ذى
ذى أبهة فيها قد صبرته حقيرا ؛ وذى نخوة فيها قد رذته ذليلا ؛ وذى تاج قد كسبه
للبيدين وللقم . سلطانها دول ؛ وعيشها رنق (٦) ؛ وعذبتها أجاج ، وحلواها مر
وغذاؤها سمام (٧) ، وأسبابها رمام ، وقطانها سلع (٨) . حينها بعرض موت ،

(١) الحبرة : النعمة

(٢) ظل المطر الارض . نزل عليها ، والديمة . مطر يدوم في سكون بلا رعد
ولا برق . والمزنة . المطرة أو السحابة ذات الماء .

(٣) الغضارة . النعمة والسعة والخصب .

(٤) الرفاهة والرفاهية . لين العيش .

(٥) أوبقه . أهلكه . (٦) الرنق . السكر .

(٧) السمام . جمع سم ٩ الرمام . البالى من الجبال

(٨) السلع : بقلة خبيثة الطعم أو شجر مر أو سم

وصحيحها بعرض سقم ، ومنيعها بعرض احتضام . مليكها مسلوب ، وعزيرها مغلوب . وسليمها منكوب . وجامعها محروب (١) . مع أن من وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع والوقوف بين يدي الحنك العدل . ليحزى الذين أساءوا بما عملوا ويحزى الذين أحسنوا بالحسنى ، ألسنم في مساكن من كان أطول منكم أعمارا ، وأوضح آثارا ، وأعد عديدا . وأكثر جنودا . وأعتد عتادا ، وأطول عمادا ؟ تعبدوا (٣) للدنيا أى تعبدوا وآثروها أى إيثروا وطمعوا عنها بالكره والصغار . فهل بانكم أن الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية وأغنت عنهم فيما قد أصلتهم بحيلة ؟ بل قد أرهقتهم (٤) بالفوادح . وضمعتهم بالنوائب . وعقرتهم بالمصائب . وقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وآثرها واخلد (٥) إليها حتى ظعنوا عنها لفراق الأبد . الى آخر الامس . هل زودتهم إلا الشقاء وأحلتهم إلا الضنك أو نورت لهم إلا الظلمة أو أعقبتم إلا الندامة ؟

١٢ - نصيحة رجل لهشام

وخرج الزهرى يوما من عند هشام بن عبد الملك ، فقال : ما رأيت كاليوم ولا سمعت كاربعة كلمات تكلم بهن رجل عند هشام . دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين احفظ عنى أربع كلمات فيهن صلاح لمسلكك واستقامة رعتك . قال : ما هن ؟ قال : لا تعد عدة لا تتق من نفسك بانجازها ؛ ولا يغرنك المرتق وإن كان سهلا إذا كان المنحدر وعرا ، واعلم أن للأعمال جزاء فائق العواقب ، وأن للأمور بنتات (٦) فكان على حذر . قال عيسى بن دأب : لحدثت بها الحديث المهدي وفي

(١) المحروب . المسلوب المال

(٢) القتاد : العدة وعدت : صار عتادا حاضرا .

(٣) يريد . خضعوا

(٤) أرهقتهم . حملة مالا يطيق

(٥) أخلد إليه . مال

(٦) البنتات : جمع بنتة وهى الفجأة .

يده لقمه قد رفعها الى فمه فأمسكها: وقال ويحك اعد على فقات: يا أمير المؤمنين أسغ (١) لقمتهك . فقال : حديثك أعجب الى .

١٣ — نصيحة أعرابي لسليمان بن عبد الملك

قال أعرابي لسليمان بن عبد الملك . اني أكلتك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله فان ورأه إن قبلته ما تحبه . قال . هاته يا أعرابي فنحن نجود بسعة الاحتمال على من لا نأمن غيبته ولا نرجو نصيحته وأنت المأمون غيبا الناصح جيبا (٢) . قال فاني سأطلق لساني بما خرست عنه الآسن تأدية لحق الله تعالى ، إنه قد اكتسبك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا (٣) دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم وخافوك في الله ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب للأخرة وسلم للدنيا فلا تأمنهم على ما أتمنك الله عليه

١٤ — وخطب الحسين لما عزم على الخروج إلى العراق :

الحمد لله . وما شاء الله ولا قوة إلا بالله . وصلى الله على رسوله ، خط الموت على ولد آدم ، لخط القلادة على جيد الفتاة ، وما أولهني على اسلاف اشتياق يعقوب الى يوسف . وخير لي مصرع أنا لأقيه . كآني بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوان بين النواويس وكر بلا فتملان مني أكر اشا جوقا . وأجرية شعنا . لا يحيص عن يوم نخط بالقلم رضا الله . ورضانا أهل البيت فنصبر على بلائه . ويوفينا أجور الصابرين لن يشذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمة هي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه . وينجز لهم وعده ، ومن كان باذلافينا مهجته ، وموطننا على لقائنا نفسه فايرحل فاني راحل مصيحا إن شاء الله

(١) أساغ اللقمة . ابتلعها .

(٢) فلان ناصح الجيب : يراد به قلبه وصدره أي أمين ، قال الشاعر .

وخشنت صدرا جيبه لك ناصح

(٣) ابتاع . اشترى .

وخطب غداة اليوم الذي استشهد فيه

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر فان الدنيا لو بقيت على أحد
أو بقي عليه أحد لكانت الانبياء أحق بالبقاء ، وأولى بالرضا ، وأرضى بالقضاء ،
غير أن الله تعالى خلق الدنيا للفناء فجيدها بال ، ونعيمها مضجحل وسورها
مكفهر ، والمنزل تلة : رالدار قلعة ، فتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقوا الله
اعلمكم تفاحون

وصف الخطابة

في العصر الأموي

- ١ - كانت كل الظروف السياسية والاجتماعية والأدبية تساعد إلى حد بعيد على ازدهار الخطابه ورقمها في العصر الأموي
- ١ - فالثورات السياسية والحروب والخلافات بين الأحزاب^(١) والميادى والعقائد كل ذلك عمل عمله في نهضة الخطابة وسموها
- ٢ - وقربهم من العصر الجاهلي أمدهم بسلامة الملكات وبلاغته القول وحصافة الرأي مما كان له أثره في الخطابة الأموية، وساعد على ذلك أثر القرآن وبلاغته في نفوسهم وألسنتهم
- ٣ - وغلبة الشعور الديني، وكثرة مجالس الوعظ وقوة العصبية؛ مما دعا إلى الخطابة واستنزامها
- ٤ - وكثرة الفتوحات الإسلامية في خراسان وشمال أفريقيا والاندلس كانت، عاملا من عوامل رفعة شأن الخطابة وكثرتها ونمصتها
- ٥ - وكثرة الوفود على الخلفاء والأمراء والولاة جعل الخطابة أداة القول ووسيلة البيان في هذه المقامات والأحوال، وبعث فيها روح الفتوة والقوة والحصافة إلى غير ذلك من الأسباب التي حفزت على الخطابة وساعدت على نموها وبلوغها هذه المنزلة العالية بين ألوان الأدب في العصر الأموي الخافل
- ب - وموضوعات الخطابة أو أغراضها في هذا العصر كانت كثيرة متشعبة، ولقد زادت موضوعاتها بما استجد في شؤون الدين والسياسة والاجتماع، ومن أهمها:

(١) وقد تعددت الأحزاب في العصر الأموي فمن شيعة وأمويين وخوارج

- ١ - استعمال الخطابة في الدعاية السياسية عند الفرق والأحزاب
- ٢ - استعمالها في الجدل الديني عند الخوارج والشيعية وسوام
- ٣ - استعمالها عند الخلفاء والولاة والأمراء أداة للوعيد والانذار
- ٤ - استعمالها في المناقشات والمفاخرات والمحاورات التي كانت تدور بين العصبية المختلفة في السياسة والاجتماع والآداب
- ٥ - استعمالها فوق ذلك في أغراض الجاهلية وصدر الاسلام من وصية معروف ونصيحة بخير وتحريض على القتال وتهمة بنصر وفي صلاة الجمعة والعديد والحج إلى غير ذلك من المواقف

ج - وتمتاز الخطابة في العصر الأموي بما يأتي :

- ١ - ظهور النزعة الدينية في الكثير منها كما في خطبة قطري من الفجاءة وأبي حمزة الشامي وسواهما
- ٢ - كثرة أساليب التهديد والتوبيخ والوعيد والانذار في الخطابة
- ٣ - اقتباسها من القرآن الكريم نارة ومن الشعر الجاهلي أحيانا أخرى
- ٤ - التزامهم سب آل علي في خطب الأمويين السياسية والدينية ماعدا عمر بن عبد العزيز الذي أبدل ذلك وجعل مكان تنقص علي وآل بيته قوله تعالى وإن الله يأمر بالعدل والإحسان ،
- ٥ - ظهور أثر البلاغة الجاهلية بما فيها من إغراب وشدة وصلابة في خطابة هذا العصر (١)

(١) وكانت الخطب في هذا للعهد تفتتح دائما بحمد الله والصلاة والسلام على نبيه وعابوا على زياد بن أبيه تجريد خطبته التي خطبها أول دخوله البصرة والياء عليها من حمد الله والصلاة على نبيه وسموها : « البراء » ، لذلك .
ثم يفيض الخطيب في موضعه ثم يحتتمها بقوله : « أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ووربما أعاد بعد ذلك الحمد لله والصلاة على النبي والثناء للخليفة في الجمع والمواسم .

د - وقد بقيت هيئة الخطيب وعادات الخطابة كما هي وكما كانت في العصر الجاهلي وصدر الاسلام وكان من سنة الخلفاء والولاة أن يخطبوا الناس بأنفسهم يوم الجمعة حتى جاء الوليد وكان كثير اللحن عي اللسان فأناوب عنه من يخطب الناس ومن ذلك الحين أخذت الخطابة تنزل عن مكاتها العالية وبدأت الكتابة تحتل مكانها الضخم وكانوا يحرصون في خطابهم على الزين بزي العرب والخطبة من قيام والاعتماد على قوس أو قائم سيف أو مخضرة ، وخطب الوليد بن عبد الملك جالسا فلم تستحسن منه ولا من حاكاه من بني أمية

هـ - وعلى الجملة فقد بلغت الخطابة في هذا العصر منزلة عالية وحفلت بها النوادي والجماع وقصور الخلفاء والأمراء وأماكن القضاء وميادين الحروب وذلك كله يرجع إلى سلامة المملكة وكثرة دواعي الخطابة وانتشار العصبية وما يشعر به العربي من أنفة وكبرياء

ونبع في الخطابة الكثير من البلغاء والفصحاء والمقاول المصاقع من بني هاشم وفصحاء القواد والبلغاء كالحسين بن علي ، وحفيده زيد ، وكعاوية وعبد الملك وسليمان وعمر بن عبد العزيز ، وكالحجاج ، وقتيبة بن مسلم وخالد القسري والمهلب بن أبي صفرة من ولاتهم ، وكعبد الله بن الزبير والمختار وابن الأشعث من الخارجين عليهم ، وكعمران بن حطان وقطرى بن الفجاءة وأبي حمزة الاباضي من الخوارج ، وكصه سمعة بن صوحان وسحبان بن وائل من رؤساء القبائل ، ومن خطباء الأمصار من أدرك الدولتين الاموية والعباسية كخالد بن صفوان وعقال بن شبة .

ثانيا - الكتابة

في عصر بني أمية

نماذج للكتابة .

١ - كتب معاوية بن أبي سفيان الى ابنه يزيد وقد بلغه مقارفته ^(١) للذات وانهما كه في الشهور .

أما بعد فقد أدت السنة التصريح الى أذن العناية بك ، ما فجح الأمل فيك ، وباعد الرجا منك ؛ إذ ملأت العيون بهجة ، والقلوب هيبه ، وترامت ^(٢) إليك آمال الراغبين ، وهمم المنافسين ، فسخت بك فتیان قريش وكهول أهلك ، فما يسوغ لهم ذكرك إلا على الجرة الموهوعة ^(٣) ، والكظ الجشء ^(٤) ، اقتحمت البوائق ^(٥) ، وانقدت إلى المعابر ، واعتضتها من سمو الفضل ، ورفيع القدر ، فليتك - يزيد - إذا كنت لم تككن ، سررت يافعا ناشئا ؛ وأثقلت كهلا ضائعا ^(٦) . فواحوناه عليك يزيد ا وياحرصدر المشكل بك ، ما أشمت فتیان بني هاشم ا وأذل فتیان بني عبد شمس عند تفاوض المفاخر ودراسة المناقب ا فن

(١) قارف الذنوب ، قاربها وخالطها

(٢) ترامت إليه العيون تطلعت

(٣) الجرة ما يفيض به البعير فيأكله ثانية وكذا غيره من النعم والموهوعة

من دوعه أى قياه وهذا تمثيل يقول إنهم يستثقلون ذكرك

(٤) الكظ الامتلاء من الطعام والجشء الكثير وهذا تمثيل أيضا

(٥) البوائق جمع بائقة وهى الداهية

(٦) الضائع والضليع القوى

اصلاح ما أفسدت ، ورتق ما فتقت ؟ هيأته ، نخشت (١) الدربة (٢) وجه التصير بك ، وأبت الجناية إلا تحذرا على الألسن وحلاوة على المناطق ، ما أربح فائدة نالوها ، وفرصة انتهزوها انتبه ، ويريد ، للعظة ، وشاور الفكرة ، ولا تكن الى سمعك أسرع من معناها إلى عقلك ، واعلم أن الذى وطأك وسوسة الشيطان ، وزخرفة السلطان ، بما حسن قبجه واحلولى عندك مره ، أمر شركك فيه السواد (٣) ونافسكه الأعبد ، فاضعت به من قدرك وأمكننت به من نفسك فن لهذا كله :

اعلم يا يزيد أنك طريد الموت وأسير الحياة . بلغنى أنك اتخذت المصانع والمجالس للدهى والمزامير كما قال تعالى . أتبنون بكل ربيع آية تعشون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون (٤) وأجهرت الفاحشة حتى اتخذت سريرتها عندك جهرا اعلم يا يزيد أن أول ما سلبك السكر معرفة مواطن الشكر لله تعالى على نعمه المتظاهرة وآلائه المتواترة ، وهى الجرحه العظمى ، والفجعة الكبرى ترك الصلوات المفروضات فى أوقاتها ؛ وهى من أعظم ما يحدث من آفاتنا ، ثم استحسان العيوب ، وركوب الذنوب ، وإظهار العورة ، وإباحة السر . فلا أمن نفسك على سر ، ولا تعقد (٥) على فعلك فما خير لذة تعقب الندم ؛ وتعنى (٦) الكرم ؟ وقد توقف أمير المؤمنين بين شطرين من أمرك لما يتوقمه من غلبة الآفة واستهلاك الشهوة فكن الحاكم على نفسك ، واجعل المحكوم عليه ذهنك ، ترشد إن شاء الله تعالى وليبلغ أمير المؤمنين ما يرد شاردا من نومه فقد أصبح نصب (٧) الاعترال من كل مؤانس ، ودريئة (٨) الألسن الشامته . وفقك الله فأحسن

(١) نخش لعلم (٢) الدربة التجربة

(٣) السواد العامة

(٤) تقدم شرح غريب الآية فى خطبة قطرى

(٥) يقول تفقد بالشراب الارادة والعزيمة

(٦) تعنى تذهب (٧) النصب هنا الغرض والهدف

(٨) الدريئة الحلقة التى يتعلم الرامى الطعن والرمى عليها

٢ - كتاب الحجاج إلى المهلب بن أبي صفرة
ولما ولى الحجاج العراق ، استنفر الناس لقتال الخوارج منع المهلب بن أبي
صفرة ، وخرج المهلب في آثارهم ، ونسب بينه وبينهم القتال فأنكشفوا وقد كثر
فيهم القتل والجراح .

وكتب الحجاج إلى المهلب من قبل الوقعة :

« أما بعد : فانه بلغني أنك أقبلت على جباية الخراج ، وتركت قتال العدو ،
ولاني وليتك وأنا أرى مكان عبدالله بن حكيم المجاشعي ، وعباد بن حصين الحبطي ،
واخترتك وأنت من أهل عمان ^(١) ، ثم رجس من الأزد ، فآلهم يوم كذا في
مكان كذا ، وإلا أشرعت ^(٢) إليك صدر الرمح ، .

فشاور بنييه ، فقالوا : إنه أمير ، فلا تغاظ عليه في الجواب .

فكتب إليه المهلب :

« ورد على كتابك تزعم أني أقبلت على جباية الخراج ، وتركت قتال العدو ،
ومن عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجز ، وزعمت أنك وليتي
تري مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي ، وعباد بن حصين الحبطي ، ولو وليتهما
لكانا مستحقين لذلك ، في فضلهما وغنائهما ^(٣) وبطشهما ، واخترتني وأنا رجل
من الأزد ، ولعمري إن شرا من الأزد لقبيلة ^(٤) تازعها ثلاث قبائل لم تستقر
في واحدة منهن ، وزعمت أني إن لم آلقهم في يوم كذا في مكان كذا ، أشرعت
إلى صدر الرمح ، فلو فعلت لقلت إليك ظهر المجن ^(٥) ، والسلام ، .

(١) عمان : بلد باليمن .

(٢) أشرعت : سددت .

(٣) أي كفايتهما .

(٤) يعني قبيلة ثقيف . قبيلة الحجاج ، فهي متنازعة بين هوازن وإباد وثمود .

(٥) المجن : الترس ، وقلب له ظهر المجن : كلمة تضرب مثلا لمن كان لصاحبه

على مودة أو رعاية ثم حال عن ذلك ، أي أسقط الحياء وفعل ماشاء .

٣ - كتاب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان

وكان عروة بن الزبير عاملاً على اليمن لعبد الملك بن مروان ، فاتصل به أن
الحجاج يجمع على مطالبته بالأموال التي بيده وعزله عن عمله ، ففر إلى عبد الملك
وعاذه به تخوفاً من الحجاج ، واستدافعاً لضرره وشره ، فلما بلغ ذلك الحجاج
كتب إلى عبد الملك بن مروان :

« أما بعد : فإن لوأذ^(١) المعترضين بك ، وحلول الجائحين إلى المكث بساحتك
واستلاتهم دمك^(٢) ، أخلاقك ، وسعة عفوك ، كالعارض^(٣) المبرق لأعدائه لا
يعدم له شائماً^(٤) ، رجاء استمالة عفوك ، وإذا أدنى الناس بالصفح عن الجرائم
كان ذلك تمريناً لهم على إضاعة الحقوق مع كل ضال ، والناس عبيد العصا ، هم على
الشدّة أشد استباقاً منهم على اللين ، ولنا قبل عروة بن الزبير مال من مال الله ،
وفي استنخراجه منه قطع لطمع غيره ، فليبعث به أمير المؤمنين إن رأى ذلك والسلام
فلما قرأ الكتاب بعث إلى عروة ثم قال له ، إن كتاب الحجاج قد ورد فيك
وقد أبى إلا لإشخاصك^(٥) إليه ، ثم قال لرسول الحجاج ، شأنك به ، فالتفت إليه
عروة مقبلاً عليه وقال ،

« أما والله ما ذل وخزى من مات ، ولكن ذل وخزى من ملكتهوه ! والله لئن
كان الملك بجواز الأمر ونفاذ النهي إن الحجاج لساطان عليك ، ينفذ أموره دون

-
- (١) لاذ به لوذا ولوأذا وليأذا : لجأ إليه وعأذ به ، وفي الأصل ولوذان ، ولم
نجد في كتب اللغة مصدراً ؛ وإنما الذي فيها « ويقال هو بلوذان كذا بفتح اللام
وسكون الواو أى بناحية كذا ، ومعناه هنا غير مناسب ، ولذا جعلناه (لوأذا) .
- (٢) دمه دمماً كترح فهو دمك : لان وسهل ، والدماثة : سهولة الخلق .
- (٣) العارض . السحاب المعترض في الأفق .
- (٤) شام البرق نظر إليه أن يقصد وأن يخطر
- (٥) أى إرسالك .

أمورك إنك تريد الأمر يزنيك عاجله ، ويبقى لك أكرومة (١) آجله ، فيجذبك
عنه ، ويلقاه دونك ، ليتولى من ذلك الحكم فيه ، فيحظى بشرف عفو إن كان ، أو
بجرم عتوية إن كانت ، وما حاربك من حاربك إلا على أمر هذا بعضه ،
فنظر في كتاب الحجاج مرة ، ورفع بصره الى عروة تارة ، ثم دعا بدواة
وقرطاس ، فكتب اليه :

و أما بعد فإن أمير المؤمنين رآك - مع ثقته بنصيحتك - خاطبا في السياسة
خبط عشواء (٢) الليل ، فإن رأيك الذي يسول لك ان الناس عبيد العصا ، هو
الذي أخرج رجال العرب إلى الوثوب عليك ، وإذا أخرجت العمامة بعنف
السياسة وكانوا أوشك (٣) وثوبا عليك عند الفرصة ، ثم لا يلتفتون الى ضلال
الداعي ولا هدها ، إذا رجوا بذلك ادراك النار منك ، وقد وليت العراق قبلك
ساسة ، وهم يومئذ أحى أنوفا ، وأقرب من عمياء الجاهلية ، وكانوا عليهم أصلح
منك عليهم ، وللشدة واللين أهلون ، والافراط في العفو أفضل من الافراط في
العقوبة ، والسلام ؟

٤ - وكتب بشر إلى عبد العزيز بن مروان يعتذر عن كتاب
بسم الله الرحمن الرحيم :

لولا الهفوة لم أحتج إلى العذر ولم يكن لك في قبوله مني الفضل ولو احتمل
الكتاب أكثر بما ضمته لودت فيه وبقية الأصغر على الأكبر من شيم الأكارم
ولقد أحسن مسكين الدرهم حين قال

أخاك أخاك أن من لا أخ له كساع إلى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهص البازي بغير جناح

(١) الأكرومة أفعل الكرم ، أفعولة من الكرم كأن عجوبة من العجب
(٢) العشواء ، النساقة التي لا تبصر أمامها ، فهي تخبط بيديها كل شيء
(٣) أى أسرع

وصف الكتابة في العصر الأموي

١ - علمتم أن العرب في الجاهلية لم يكن لهم الف بالكتابة ولا معرفة لها وفي "صدر الاسلام انتشرت الكتابة بتشجيع الرسول وخلفائه للحاجة إليها في تصريف شئون الدولة ومرافقتها وتنظيم الدواوين المختلفة وأول من غنى بالكتابة في أعمال الخلافة والدولة عمر بن الخطاب فاتخذ ديوان الجيش يدون فيه أسماء الجند وأنسابهم وأعطيانهم فكان أول من دون الدواوين من الخلفاء وكان يقول لكتابه: «إن القوة على العمل لا تؤخروا عمل اليوم لغد فانكم إذا فتم ذلك تذايبت عليكم الأعمال فلا تدرون بأبها تبدهون أو أيها تؤخرون». كما أنشأ عمر ديوان الخراج ويشبهه وزارة المالية الآن وكان كل عمله حساب إيراد الدولة أو الأقليم ومصروفاتها وليس فيته عناية بأسلوب الكتابة ويلاغتها

وكانت الكتابة في ظهورها في عصر صدر الإسلام بسيطة يغلب عليها عدم الصنعة أو التكلف وتشيع فيها السهولة ويغلب عليها الإيجاز. لا أثر فيها للتوق وتهديب الأساليب والحرص على الصنعة. وقد سبق تفصيل ذلك

٢ - وجاء العصر الأموي والكتابة على ما عادت فأنشأ معاوية ديوان الخاتم لتسجيل رسائل الخلافة حتى لا يطلع عليها أحد سوى المرسل إليه كما أنشأ ديوان الرسائل ويشبهه نظام الديوان الملكي الآن وكان خاصاً بكتابة رسائل الخليفة وكان يكتب له على الرسائل عبید الله بن أوس الغساني ويكتب له على ديوان الخراج سرجون الرومي بالخط الرومي إلى أن نقلت دواوين الخراج من الفارسية إلى العربية على يد صالح بن عبد الرحمن في أيام الحجاج، ومن الرومية

(١) وفي الأغانى ٢ / ١٦٤: كان الرجل في الجاهلية اذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً ساجحاً رامياً سموه الكامل، وأظن أن هذه الرواية مختلفة لندرة الكتابة في العصر الجاهلي.

إلى العربية على يد سليمان أيام عبد الملك ثم نقلت في مصر من القبطية إلى العربية زمن الوليد فأصبحت لغة الدواوين كلها عربية وبعد فلا يعنينا هنا الكتابة في ديوان الخراج أو ديوان الخاتم لأن الكتابة فيهما ليست موضع بحث الأدب وعنايته لأنها لا تعتمد على الأسلوب الفني البليغ .
ولما الذي يعنينا من الكتابة هو :

١ - ما كان يصدر عن ديوان الرسائل من الكتب البليغة الصادرة عن قصر الخلافة أو الإمارة إلى الولاة والقواد ورجال الدولة والعمال .

٢ - ما كان يكتبه الكتاب والأدباء من الرسائل البليغة المختلفة في الأدب والاجتماع والسياسة والرسائل الاخوانية .

٣ - ما كان يصدر من الخلفاء والولاة من توقعات أدبية بليغة .

فهذه الألوان هي من أهم مظاهر الكتابة الفنية التي يعنى الأدب بالحديث عنها والكتابة في العصر الأموي تنقسم إلى عهدين .

أ - العهد الأول من قيام الدولة إلى أيام الوليد بن عبد الملك وكان الكتابة فيه تسير على نمط صدر الاسلام من الابدان ووضوح والسهولة والبساطة وقلة التكلف أو الصنعة . وكانت تصدر غالباً عن ديوان رسائل الخليفة ودواوين رسائل الولاة .

ب - العهد الثاني من أيام الوليد إلى آخر حياة الدولة وقد أخذت الكتابة في هذا العهد تتدرج في التأنق وأساليب البيان والصنعة والاطناب وكان زمام الكتابة بأيدي الموالى وأولهم سالم مولى هشام بن عبد الملك وآخرهم عبد الحميد بن يحيى الكاتب وابن المقفع فاحتفلوا بالكتابة وتأنقوا فيها وظهرت عليها الصنعة وغلب عليها الاطناب وأخذت الكتابة تحتل المنزلة الرفيعة التي كانت للخطابة والفضل في ذلك راجع إلى ما يأتي :

أولاً . اتساع أعمال الدولة وديوان الرسائل مما استدعى العناية بالكتابة والكتاب .

ثانيا : ضعف الملكات من أثر الاختلاط فقل الحرص على الخطابة وأخذت الكتابة في الظهور والذبول :

ثالثا : عناية الكتاب بالكتابة وجعلها صناعة فنية عديدة مع تعدد ثقافتهم الدينية والعربية والأدبية والأجنبية .

رابعا : ذبول الكتابة والثقافة وألوان من المدنية .

٥ - وأنواع الكتابة في هذا العصر هي كتابة الرسائل السياسية التي تصدر عن ديوان الرسائل ، والرسائل الاخوانية في العتاب والشوق والشكر والتهنئة وسواها ، والتوقيعات .

تحول الكتابة إلى صناعة فنية .

كان كثير من الكتاب والموالي يعرفون اللغة الفارسية وبعضهم كان يعرف الرومية أو اليونانية أو السريانية مما كان له أثره في النثر ، من عهد الرسول صلوات الله عليه . فزيد بن ثابت تعلم كما يقال الفارسية من رسول كسرى والرومية من صاحب النبي والحشبية من خادم النبي والقبطية من خادمه (١) ، وتعلم السريانية بأمر الرسول (٢) ، وأبو العلاء سالم كاتب هشام بن عبد الملك وأستاذ عبد الحميد الكاتب وأحد الواضعين لنظام الرسائل ونقل رسائل أرسطو إلى الاسكندر (٣) مما يدل على معرفته بلغة غير اللغة العربية ، وكان جبلة بن سالم كاتب هشام أحد النقلة من الفارس إلى العربي (٤) ، وكذلك كان عبد الحميد الكاتب يعرف الفارسية فقد استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان

(١) ٦ > ٣ العقد

(٢) ٧٣ الادب الاسلامي لمحمود مصطفى

(٤) ٣٤٢ فهرست

(٣) ١٧١ فهرست

العربي ، (١) ، وهو أول من نقلتة ليدالفرس إلى الكتابة العربية ، (٢) ؛ وكذلك كان ابن المقفع وهو من سلالة فارسية عريقة . ومن ذلك يظهر بوضوح أثر التقافات والأدب الفارسي على الخصوص في تطور الكتابة والنثر الفني في أدب لغتنا العربية .

وعبد الحميد الكاتب هو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل وعنه أخذ المترسلون (٣) ، وهو أحد كتاب القرن الثاني الذين فهموا (العصول) كما كان يفهمها علماء البيان من اليونان (٤) ، وهو أول من فتح أكام البلاغة وسهل طرقها وفك رقاب الشعر (٥) ، وآلت إليه زعامة الكتابة فهد سبيلها ووضح معالمها ورسم لها رسوما خاصة في بدئها وختامها والأطناب فيها مرة والايجاز أخرى فكان بذلك شيخ الكتاب (٦) وبحق لقد بدأ فن الكتابة بعبد الحميد كما يقولون (٧) ثم ازداد أثر الفارسية في النثر الأدبي فنقل الفرس إلى العربية القصص الغرامية والغزل بالمذكر (٨)

(١) ٦٩ صناعتين ، ٢/٨٩ ديوان المعاني

(٢) ١/٥٧ النثر الفني وما بعدها (٣) ٧٠ : فهرست

(٤) ص ١٠ مقدمة نقد النثر (٥) ٣/ العقد

(٦) ٢٩ العصر العباسي اللاكهندي ، راجع في ذلك ١١٣ تاريخ الأدب

العربي للزيات ، وقد توفي عبد الحميد عام ١٣٢ هـ ، وله من الآثار الأدبية : رسالة

إلى الكتتاب [١٧٢ - ١٧٥ رسائل البلغاء] ، ورساله في الشطرنج [١٦٤ -

١٦٦ المرجع ، ورسالة في نصيحة ولي العهد [١٣٩ - ١٦٤ المرجع] ، وكلمات

ورسائل أخرى [١٦٦ - ١٧٢ المرجع]

(٧) راجع ١٩٤ التوجيه الأدبي ، والنقاد يقولون فتحت الكتابة بعبد الحميد

وختمت بابن العميد

(٨) راجع ١٤٧ - ١/١٦٢ النثر الفني والغزل بالمذكر أظهر في الشعر منه

في النثر

ثم ظهر ابن المقفع م ١٤٣ هـ ، وأحدث أثره في النثر الأدبي وفي تطوره
كان ابن المقفع من عنصر فارسي ، وهو أحد النقلة من الفارسية ^(١) إلى العربية
وذاع أنه ترجم كتب أرسطو من الفارسية ^(٢) إلى العربية ، والصحيح أن الذي
قام بذلك هو ابنه محمد بن عبد الله بن المقفع وهو الذي كان كاتب المنصور لأبوه ^(٣)
و ابن المقفع هو إمام المنشئين في آخر الدولة الأموية وأول الدولة العباسية ،
وكان إمام الكتاب بعد عبد الحميد : وقد آخى ابن المقفع في طريقته بين التفكير
الفارسي والبلاغة العربية ، وكان مقدما في بلاغة اللسان والزم والترجمة واختراع
المعاني وإبداع السير : فأدبه وإن كان عربى اللفظ والاسلوب فهو أجمعى الفكر والتأليف
فقد استخلص من الاسلوب الفارسي والعربي طريقة عرفت به وأخذت عنه ^(٤)
وتظهر مرتبه في ترتيب أفكاره وحسن تقسيمها ، ويغلب على أسلوبه القياس
المنطقي وتصوير الأفكار الدقيقة ، في حين يغلب على أسلوب عبد الحميد الصبغة
العربية كما تشيع في آثاره الحكمة يروضها بعذوبة ألاماظه وسلاسة أسلوبه ، وحقا
لقد كان أمة في البلاغة ورصانة القول وشرف المعاني مع وضوح الغرض وسمو
الاسلوب وهو أكثر كتاب عصره تأقفا في في صوغ الجملة ، وكان يقوم في
النثر بما كان يقوم به زهير في الشعر ، وهو أحد الكتاب الذي لم يلتزموا
السجع ^(٥) فكان في كلامهم قليلا ولكنهم لا يكادون يخلون بالمناسبة بين الالفاظ

(١) ٧٢ فهرست

(٢) ويقول ابن النديم : وكتاب المقولات لأرسطو فسرّه ابن المقفع (٣٤٨
فهرست) ، ويقول : وكتاب العبارة لأرسطو اختصره ابن المقفع (٣٤٨ فهرست ،
١٠ ابن المقفع لمردم بك) ، ويقولون : وابن المقفع أول من أعتنى في المسألة
الاسلامية بترجمة الكتب المنطقية للمنصور (٣٨ ابن المقفع لمردم بك)

(٣) ١٠٥ - ١٢٠ التراث اليوناني لعبد الرحمن البديوي

(٤) ٢٢٢ الزيات

(٥) ١/٧١ النثر الفنى

في الفصول والمقاطع إلا في مواضع يسيرة^(١)، وقد اهتموا ببسط المعاني وتأكيدهما وتركوا مذهب الأيجاز الذي كان شائنا في القرن الأول إلى الاطناب والايضاح وتنويع العبارة وتقطيع الجملة وازاوجة بين الكلمات وتوخي الأفهام، وابن المقفع أول من افسح مجال الأدب العربي بالترجمة، فهو الذي ترجم كلية ودممته ترجمته، ثم عن جهد بذله المترجم في تحرير الخصائص الهندية الصميمة التي للكتاب الأصلي (بنتشا تنترا) ليجعله ملائما للذوق العربي وأضاف إليه فصولا جديدة في مواضع مختلفة^(٢)

ومع أن ابن المقفع فارسي الأصل إلا أنه كان يبلغ البلغاء وكان معدودا من أساطين الفصاحة العربية. على أن هناك فوارق واضحة بين أسلوبه وأسلوب من قبله من الخطباء لغمته وتركيب جملة كلاهما أدنى إلى البساطة، وأسلوبه أكثر مباشرة واستقامة وأقل تليجا وإشارة، والاتجاه إلى ما في القساريء من القوة الخيالية والمقدرة اللغوية يصل في كتابته إلى ما يقرب من العدم، كما أن ازدواج الفواصل يكاد يكون ليس له عنده وجود. وبدلا من التصوير اللفظي القوي والألفاظ الطنانة؛ يعتمد ابن المقفع في استحداث روعة أسلوبه على استخدام العبارات المصقولة الجلية

وعلى الرغم من أن ابن المقفع كان يبنى على الأساس الذي وضعه الكتاب، لم يكن أسلوب النثر العربي قد تطور بعد تطورا كاملا، حينما كان يعالج

(١) ١٦٧ سر الفصاحة. ولا تكاد تجد كتابا في القرن الأول والثاني وأوائل الثالث يتخذ السجع طابعا ملازما لنثره، وقد كان السجع كثيرا في الجاهلية وغلب على النثر في عصر النبوة ثم أخذ سلطانه يضعف قليلا في العصر الأموي ولكنه عاد يسترد قوته في أوائل القرن الثالث

(٢) ولابن المقفع آراء كثيرة متفرقة في البلاغة (راجع: ١/٩١ البيان، ١٥ - ١٧ صناعتين، ويرى له: البلاغة كشف ما غمض من الحق وتصوير البساطل في صور الحق (٥٣ ضاعتين) والصحيح أن ذلك للعتابي (١/٩٠، البيان)

موضوعات جديدة ويعبر عن المعاني المجردة التي لم يكن لها بعد اصطلاحات ثابتة في اللغة المتداولة كان مضطرا إلى ابتكار ألفاظ ومصطلحات من عنده لتؤدي تلك المعاني. على مثال ما يفعل كثير من كتابنا المعاصرين إذ يحاولون التعبير عن الأفكار الحديثة باستخدام تراكييب جديدة. ويدل تاريخ جمع الآداب على أن ابتكار أسلوب نثرى متصرف قوى التعبير أصعب بكثير من ابتكار أسلوب شعري وأن الأول يحتاج إلى وقت طويل وبعد فإن الموالى من أبناء الفرس والروم ومن ورثة الثقافة الفارسية والاعريقية والرومية

كان لهم أثرهم البعيد في تحويل الكتابة إلى صناعة فنية عتيقة لها منهجها وأسلوبها وطريق أدائها ولها نظامها في البدء والختام وتكرار التجميل في فصول الكتاب والتوسع في الأسلوب والإطناب فيه بالترادف وغيره من ألوان الإطناب وفي عهد سبالم وعبد الحميد قلل الكتاب من استعمال الغريب والوحشى من الألفاظ في كتابة الرسائل، وتجنبوا التعقيد وتباعد الأفكار، فاشتدت الصلة بين كل جملة وما يليها، فقلل الاقتضاب والاعتراض بين أجزاء الكلام بأجنبي؛

ثانياً - التوقيعات

هو لون ألوان الكتابة الأدبية دعت حاجة الدولة والخلافة اليه وكان مظهره هذه التوقيعات الموجزة التي يكتبها الخليفة أو الوالي أو عمالهما على ما يرفع اليهم من شكايات ومظالم أو مطالب وحاجات .
وقد وجد التوقيع في عصر صدر الاسلام وسبق أن ذكرنا لك أمثلة من توقيعات أبي بكر وعمر وعثمان وعلي (١)

ولما زاد عمران الدولة اتساعا وكثرت مطالب العيش والحياة والسياسة في عصر بني أمية كثر ما يرفع إلى الخلفاء والولاة من شكايات ومطالب وكثرت التوقيعات تبعاً لذلك وصار فيها القوم على نهج البلاغة والذوق مع الإيجاز .
نماذج من التوقيعات :

وقع معاوية : نحن الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع
وكتب اليه الحسن بن علي فأغلاظ فوقه في كتابه : ليت طول حللنا عنك
لا يدعوا لي جهل غيرنا إليك
وقع سعيد بن العاص في كتاب لزياد يخطب اليه فيه : كلا إن الانسان ليطغى
أن رآه استغنى

(١) ويروي أن أول توقيع عرف كان لعمر حين كتب اليه سعد بن د ابن ما يكتك من الهواجر وأذى المطر . ووقع لعمر بن العاص : « كن لرعيك كما تحب أن يكون لك أميرك . والصحيح أن لابي بكر توقيعات مروية عنه
هذا ومن معاني التوقيع في اللغة : الأصابة ، والرمى لاتباعده ، كأنك تريد أن توقعه على شيء .

والدبر الذي يكون في ظهر الدابة ويقال بعير موقع ، ولإقبال الصيقل على السيف بميقمته يجلوه . وفي الاصطلاح أن يكتب على حواشي الكتاب أو القصة المرفوعة إلى السلطان ما يفيد الاطلاع عليها وإيراد الرأي فيها

ووقع يزيد في كتاب لعبد الله بن جعفر يستوهبه جماعة من أهل المدينة : من
عرفت فهو آمن

ووقع عبد الملك في كتاب للحجاج يكافيه أهل العراق إلى الخليفة : أرفق بهم
فانه لا يكون مع الرق ما تكره ومع الخرق ما تحب
ووقع في كتاب رجل استصحه : إن كنت صادقاً أميناك وإن كنت كاذبا
عاقبتك وإن شئت أقتلك

ووقع معاوية بن أبي سفيان لما كتب إليه ربيعة بن عسل اليربوعي يسأله أن يعينه
في بناء داره بالبصرة بأثنى عشر ألف جذع : أدراك في البصرة أم البصرة في دارك
ووقع يزيد بن معاوية لما كتب إليه مسلم بن عقبة المري بالذي صنع أهل
الحرة فوقع في أسفل كتابه : فلا تأس على القوم الفاسقين

ووقع عبد الملك بن مروان لما كتب إليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل
العراق وما يقاسى منهم ويستأذنه في قتل أشرفهم فوقع له : إن من يمن السائس
أن يتألف به المختلفون ومن شؤمه أن يختلف به المؤتلفون ، وفي كتاب الحجاج
يخبره بقوة ابن الأشعث : بضعفك قوى

ووقع سليمان بن عبد الملك لما كتب قتيبة بن مسلم إليه يتهدده بالخلع
فوقع في كتابه

زعم الفرزدق أن سيقتل مريعا أبشر بطول سلامة يا مريع
ووقع عمر بن عبد العزيز لما كتب بعض العمال إليه يستأذنه في مرمة مدينته
فوقع أسفل كتابه : ابنها بالعدل ونق طرقها من الظلم ، وإلى بعض عماله
في مثل ذلك : حصنها ونفسك بتقوى الله ، وإلى عامله على الكوفة وكتب إليه
أنه فعل في أمر كما فعل عمر بن الخطاب : أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده

ووقع زياد في قصة منظم : كفيت
وفي قصة رجل شكل إليه عقوب ابنته : ربما كان عقوب الولد من سوء
تأديب الوالد

الاجوبة والمجاوبات والملفاخرات

بماذج لها :

١ - أبو الأسود الدؤلى وزوجه :

كان أبو الأسود الدؤلى من أكبر الناس عند معاوية بن أبي سفيان ، وأقربهم مجلسا ، وكان لا ينطق إلا بعقل ، ولا يتكلم إلا بعد فهم .

فبينما هو ذات يوم جالس ، وعنده وجوه قريش وأشراف العرب ، إذ أقبلت امرأة أبي الأسود حتى حاذت معاوية وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، إن الله جعلك خليفة في البلاد ، رقيبا على العباد ، يستسقى بك المطر ، ويستنبت بك الشجر وتؤلف بك الأهواء ، ويأمن بك الخائف ، ويردع بك الجانف (١) ، فأنت الخليفة المصطفى والامام المرتضى ، فأسال الله لك النعمة في غير تغيير ، والعافية من غير تعذير (٢) ، قد ألتأى إليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق على فيه المنهج ، وتفاقم على منه المخرج ، لأمر كرهت طاره (٣) ، لما خشيت إظهاره ، فليتصفى أمير المؤمنين من الخصم ، فإني أعوذ بعقوته (٤) من العار الوبيل ، والأمر الجليل ، الذى يشتد على الحرائر ، ذات البعول الأجاثر (٥) .

فقال لها معاوية : ومن بملك هذا الذى تصفين من أمره المنكر ، ومن فعله المشهر (٦) ؟ فقالت أبو الأسود الدؤلى .

(١) الجانف : المسائل . (٢) تعذير : نقص .

(٣) تسكى بذلك عن طلاقها .

(٤) العقوة : ما حول الدار .

(٥) البعول . جمع بعول وهو الزوج والأجاثر . جمع أجور تفضيل من جار .

(٦) شهره كمنعه وشهره : أظهره في شنة .

فالتفت إليه وقال : يا أبا الأسود ، ما تقول هذه المرأة ؟ فقال أبو الأسود :
هي تقول من الحق بعضاً ، وإن يستطيع أحد عليها نقضا ، أما ما ذكرت من
طلاقها فهو حق ، وأنا مخبر عنه أمير المؤمنين بالصدق ، والله يا أمير المؤمنين
ما طلقتها عن ريبة ظهرت ، ولا لآي هفوة حضرت ، ولكن كرهت شمائلها ،
فقطعت عنى حباتها .

فقال معاوية : وأى شمائلها يا أبا الأسود كرهت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ،
إنك مهبجها على بجواب عتيد ^(١) ، ولسان شديد .

فقال معاوية : لا بد لك من محاورتها ، فاردد عليها قولها عند مراجعتها ، فقال
أبو الأسود يا أمير المؤمنين ، إنها كثيرة الصخب ، دائمة الذرب ^(٢) مهينة للاهل
مؤذية للبعل ، مسيئة لى الجار ، مظهرة للعار ، إن رأيت خيراً كتمته ، وأن رأيت
شراً أذاعته .

فقالت : والله لولا مكان أمير المؤمنين ، وحضور من حضره من المسلمين ،
لرددت عليك بوادر كلامك ، بنوافذ أقرع بها كل ^(٣) سهامك ، وإن كان لا يجمل
بالمرأة الحرة أن تشتم بعلا ، ولا أن تظهر لأحد جهلاً

فقال معاوية : عزمت عليك لما أجبته ، فقالت : يا أمير المؤمنين ما علمته إلا
سئولاً جهولاً ، ملحاً بخيلاً ^(٤) ، إن قال فشر قائل ، وإن سكت فنذو دغائل ^(٥)
ليث حين يأمن ، وثعلب حين يخاف ؛ شحيح حين يضاف ، إذا ذكر الجود انقمع
لما يعرف من قصر رشائه ؛ ولؤم آباهه ، ضيفه جائع ، وجاره ضائع ؛ لا يحفظ

(١) عتيد : حاضر .

(٢) الذرب : حدة اللسان .

(٣) يقال كل السيف إذا لم يقطع ، فهو كل وكليل .

(٤) اشتهر أبو الأسود بالبخل ، وله في ذلك نوادر .

(٥) الدغائل : جمع دغيلة ، والدغيلة دخل في الأمر مفسد .

جاراً ، ولا يحمي ذماراً ، ولا يدرك ثاراً ، أكرم الناس عليه من أهانه ، واهونهم عليه من أكرمه .^(١)

فقال معاوية : سبحان الله لما أتى به هذه المرأة من السجيم فقال أبو الأسود أصلح الله ألبير المؤمنين ، إنها مطلقة ، ومن أكثر كلاماً من مطلقة ؟ ثم قال لها معاوية : إذا كان رواحاً^(٢) فتعالى أفضل بينك وبينه بالقضاء .

فلسا كان الرواح جاءت ومعها ابناً قد احتضنته ، فلما رآها أبو الأسود قام إليها لينزع ابنه منها ، فقال له معاوية . يا أبا الأسود ، لا تمجّل المرأة أن تنطق بحجتها .

قال : يا أمير المؤمنين ، أنا أحق بحمل ابني منها ، فقال له معاوية . يا أبا الأسود دعها تقل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، حملته قبل أن تحمله . فقالت . صدق والله يا أمير المؤمنين ، حمله خفياً ، وحملته ثقلاً ، إن بطني لوعاؤه ، وإن ندي لسقاؤه وإن حجرى لفناؤه . فقال معاوية . سبحان الله لما أتت به ، ثم قال لأبي الأسود إنها قد غلبت في الكلام ، فتكلف لها آياتاً لعلك تغلبها ، فأنشأ يقول .

مرحباً بالتي تجور علينا
أغلقت بابها على وقالت :
شغلت نفسها على فراغاً
فأجابته .

ثم سهلاً بالحامل المحمول
إن خير النساء ذات البعول
هل سمعتم بالفارغ المشغول

ليس من قال بالصواب وبالخس
كان ندي سقاه حين يضحى
لست أبعي بواحدى يا بن حرب
ففضى لها معاوية عليه ، واحتملت ابناً وانصرفت .

كمن جار عن منار السبيل
ثم حجرى فناؤه بالأصيل
بدلاً ما عليه والخليل^(٣)

(١) الرواح : العشى .

(٢) نريد بالخليل محمد رسول الله .

٢٤- ودخل (١) صعصعة (٢) بن صوحان على معاوية رضي الله عنه أول ما دخل عليه ، وقد كان يبلغ معاوية عنه ، فقبل له معاوية : من الرجل ؟ قال من نزار . قال : وما نزار ؟ قال : إذا غزا احترش (٣) ، وإذا انصرف انكش ، وإذا لقي افرش .

قال : فن أي ولده أنت ؟ قال : من ربيعة ، قال : وما ربيعة ؟ قال . كان يغزو بالخليل ، ويغير بالليل ، ويجود بالليل .

قال : فن أي ولده أنت ؟ قال : من أسد . قال : وما أسد ؟ قال : كان إذا طلب أفضى (٤) ، وإذا أدرك أرضى ، وإذا أنضى (٥) .

قال . فن أي ولده أنت ؟ قال . من جديلة . قال . وما جديلة ؟ قال . كان يطيل النجاد (٦) ، ويعد الجياد ، ويحميد الجلاد .

قال . فن أي ولده أنت ؟ قال . من دعى . قال . وما دعى ؟ قال . كان ناراً ساطعاً ، وشراً قاطعاً ، وخيراً نافعاً .

قال . فن أي ولده أنت ؟ قال : من أفصى : قال . وما أفصى ؟ قال . كان ينزل القارات (٧) ، ويكثر الغارات ، ويحمي الجارات .

قال . فن أي ولده أنت ؟ قال . من عبد القيس ، قال : وما عبد القيس ؟ قال . أبطال ذادة ، ججاججة (٨) قادة ، صناديد سادة .

(١) بلوغ الأرب ص ٢٠٥ ج ٣ ، صبح الأعشى ص ٢٥٤ ج ١ ، مروج

الذهب ص ٧٧ ج ٢ ، الأمانى ص ٢٣٠ ج ٢

(٢) صعصعة بن صوحان . كان خطيباً بليغاً عاقلاً له شعر ، شهد صفين مع

على وله مع معاوية مواقف ، ومات نحو سنة ٦٠ هـ

(٣) احترش . جمع وكسب

(٤) أفضى إلى الشيء . وصل

(٥) أنضى بعيره . هزله ، وثوبه أبلاه

(٦) النجاد . حائل السيف ؛

(٧) القارات ، جمع قارة ، وهي الجبيل الصغير

(٨) ججاججة . جمع ججاجج . السيد

قال : فن أى ولده أنت ؟ قال من أفصى . قال : وما أفصى ؟ قال . كان
ذا رماح مشرعة ، وقدور مترعة (١) ، وجفان وفرغة

قال . فن أى ولده أنت ؟ قال . من لسكين . قال وما لسكين ؟ قال : كان يباشر
القتال ، ويمانق الأبطال ، ويبدد الأموال

قال : فن أى ولده أنت . قال . من عجل قال . وما عجل ؟ قال . اللبوث
الضراغمة (٢) ، الملوك (٣) القباقة ، القروم القشاعمة (٤)

قال . فن أى ولده أنت ؟ قال من كعب ، قال . وما كعب ؟ قال . كان
يسعر (٥) الحرب ، ويحميد الضرب ، ويكشف الكرب

قال . فن أى ولده أنت ، قال . من مالك . قال . وما مالك ؟ قال اللهمام
للهمام ، والقمقام للقمقام .

قال معاوية . والله ماتركت لهذا الحى من قريش شيئاً ؟ قال . بل تركت
أكثره وأحبه . قال . وما هو ؟ قال . تركت لهم الوبر والمدر (٦) والأبيض
والأصفر ، والصفاء المشعر (٧) والقمبة والفخر ، والسريير والمنسبر ، والمملك
إلى المحشر .

فقال . أما والله لقد كان يسوءنى أن أراك أسيراً . فقال ، وأنا والله لقد كان
يسوءنى أن أراك أميراً ، ثم خرج ، فبعث إليه فرده ، ووصله وأكرمه

(١) مترعة . مملوءة

(٢) جمع ضرغام . الأسد

(٣) جمع ققام . السيد

(٤) القرم السيد والقشعم . الأسد أو الرجل المسن (ويقصد المجرب)

(٥) سعر الحرب . أو قدها

(٦) كناية عن البادية والمدن

(٧) المشعر . موضع مناسك الحج

وقال: عبد الملك (١) بن مروان يوماً لجلسائه . خبروني عن حى من أحياء العرب فيهم أشد الناس ، وأسخى الناس ، وأخطب الناس ، وأطوع الناس فى قومه ، وأحلم الناس ، وأحضرهم جواباً .

قالوا : يا أمير المؤمنين ؛ ما نعرف هذه القبيلة ، ولكن ينبغى أن تكون فى قریش اقال : لا اقالوا ؛ فى حمير وسلوكها اقال : لا . قالوا : فى مضر ا قال . لا .

قال مصقلة بن رقيه العبدي . فهى اذن فى ربيعة ؛ ونحن هم . قال . نعم . قال جلساؤه . ما نعرف هذا فى عبد القيس ، إلا أن نخبرنا به يا أمير المؤمنين .

قال . نعم ! أما أشد الناس لحكيم (٢) بن جبلة ؛ كان مع على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقطعت ساقه ، فضمها إليه ، حتى مر به الذى قطعها فرماه بها ، فألقاه عن دابته ، ثم جثا إليه فقتله ، واتكأ عليه ، فر به الناس ، فقالوا . يا حكيم ، من قطع ساقك ؟ قال . وسادى هذا وأناشأ يقول :

يا ساق . لا تراعى
إلى معنى ذراعى

أحى بها - كراعى (٣)

وأما أسخى الناس فعبد الله بن سوار ، استعمله معاوية على السند فسار إليها فى أربعة آلاف من الجند ، وكانت توقد معه نار حينئذ سار فيطعمهم الناس ، فبينما هو ذات يوم ، إذا أبصر ناراً ، فقال : ما هذه ؟ قالوا . أصلح الله الأمير

ه العقد ص ٢٣٢ ج ٢

- (١) عبد الملك بن مروان من أعظم الخلفاء ودهانهم ، استعمله معاوية على المدينة ، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٨٦ هـ
- (٢) حكيم بن جبلة صحابى ، اشترك فى الفتنة أيام عثمان ، ولما كان يوم الجمل قاتل مع أصحاب على وقتل فى هذه الواقعة سنة ٣٦ هـ
- (٣) الكراعى : اسم يجمع الخيل والسلاح .

اعتل بعض أصحابنا ، فاشتبهى خبيصاً (١) ، فعلنا له ؛ فأمر خبازه ألا يطعم الناس إلا الخبيص ، حتى صاحوا ، وقالوا : أصاح الله الأمير ، ردنا إلى الخبز واللحم ، فسمى مطعم الخبيص !

وأما أطوع الناس في قومه فالجارود (٢) بن بشر بن العلاء ، لأنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وارتدت العرب ، خطب قومه فقال . أيها الناس ، إن كان محمد قد مات فإن الله حي لا يموت ؛ فاستمسكوا بدينكم ، فنذهب له في هذه الردة دينار أو درهم ، أو بعير أو شاة ، فله على مثلاه ، فما خالفه منهم رجل .

وأما أحضر الناس جواباً فصعصعة بن صوحان ، دخل على معاوية في وفد أهل العراق ، فقال معاوية . مرحباً بكم يا أهل العراق ، قدمتم أرض الله المقدسة ، منها المنشر وإليها المحشر . قدمتم على خير أمير يبر كبيركم . ويرحم صغيركم . ولو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلياء عقلاء .

فأشار الناس إلى صعصعة ، فقام ، فحمد الله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أما قولك يا معاوية : إنا قدمنا الأرض المقدسة ، فلعمري ما الأرض تقدس الناس ، ولا يقدر الناس إلا أعمالهم ، وأما قولك : منها المنشر وإليها المحشر فلعمري ما ينفع قربها ، ولا يضر بعدها مؤمننا ، وأما قولك : لو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلياء عقلاء ، فقد ولدهم خير من أبي سفيان آدم صلوات الله عليه ، فمنهم الحليم والسفيه ، والجاهل والعالم !

وأما أحلم الناس فإن وفد عبد القيس قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم بصدقاتهم ، وفيهم الأشج ، ففرقه رسول الله ، وهو أول عطاء فرقه في أصحابه ،

(١) الخبيص : الطعام من التمر والسمن

(٢) هو ابن بشر بن عمرو سيد عبد القيس ، كان شريفاً في الجاهلية وأدرك

الإسلام فأسلم وقتل شهيداً سنة ٢٠ هـ

ثم قال : يا أشجع ، أدن مني ؛ فدنا منسه ، فقال : إن فيك خلتين يحبهما الله :
الإنابة والحلم ، وكفى برسول الله شاهداً !

٤ وروى (١) أن عبد الملك بن مروان لما قدم السكوفة بعد قتله مصعب بن
الزبير جلس لعرض أحياء العرب ، فقام إليه معبد بن خالد الجدي وكان قصيراً
دهياً . فتقدمه إليه رجل حسن الهيئة .

قال معبد : ف نظر عبد الملك إلى الرجل وقال : ممن أنت ؟ فسكت ولم يقل
شيئاً . وكان منا ، فقلت من خلفه : نحن يا أمير المؤمنين من جديلة ، فأقبل على
الرجل وتركني فقال : من أيكم ذو الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدري ، قلت : كان
عروانيا ، فأقبل على الرجل وتركني وقال : لم سمى ذا الإصبع ؟ قال الرجل :
لا أدري ، فقلت : نهشته حية في إصبعه فبيست فأقبل على الرجل وتركني ، فقال : وهم
كان يسمى قبل ذلك ؟ قال الرجل : لا أدري ، قلت كان يسمى حرثان ، فأقبل على
الرجل وتركني ، فقال : من أي عدوان كان ؟ فقلت من خلفه : من بني ناج الذين
يقول فيهم الشاعر :

وأما بنو ناج فلا تذكرهم ولا تتبع عينيك ما كان هالكا
إذا قلت معروفاً لأصلح بينهم يقول وهيب لا أسالم ذلكا
فأضحى كظهر الفجل جب سنامه يدب إلى الأعداء أحذب باركا
فأقبل على الرجل وتركني وقال : أنشدني قوله : عذير الحى من عدوان ،
قال الرجل : لست أروها ، قلت : يا أمير المؤمنين : إن شئت أنشدتك . قال :
أدن مني ، فاني أراك بقومك عالماً . فأنشدته :

وليس المرء في شيء من الإبرام والنقض
إذا أبرم أمراً خا له يقضى وما يقضى
يقول اليوم أمضيه ولا يملك ما يمضى
عذير الحى من عدوا ن كانوا حية الأرض

بني بعضهم بمنياً فلم يبقوا على بعض
 فقد صاروا أحاديث برفع القول والخفض
 ومنهم كانت السادا ت والموفون بالعرض
 ومنهم حكم يقضى فلا ينقض ما يقضى
 ومنهم من يمين النا (١) س بالسنة والفرض
 وهم من ولدوا اشبوا (٢) بسر الحسب المحض
 ومن ولدوا عامر ذو الطول وذو العرض
 وهم بووا (٣) ثقيفاً ذا ر لا ذل ولا خفض
 فأقبل على الرجل وتركنى وقال . كم عطاؤك ؟ فقال . ألفان . فأقبل على
 كاتبه وقال . اجعل الألفين لهذا والخمسةائة لهذا . فانصرفت بها ا
 ه - ودخل (٤) رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان ، فقال له : بمن
 الرجل ؟ قال : من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
 فقال . فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول فيهم القائل .
 يزيد بنو سعد على عدد الحصى وأثقل من وزن الجبال حلوهما
 قال . فمن أيهم أنت قال . من الذين يقول لهم الشاعر .
 ثياب بنى عوف طهارى نقيه وأوجهم بيض المشافر غران (٥)
 قال . فمن أيهم أنت ؟ قال . من الذين يقول لهم الشاعر .

-
- (١) كانت إجازة الحج لخزاعة . ثم انتقلت إلى عدوان . يقف ويسم في
 أيام الحج يخطب في الناس . ثم ينفر ويتبعونه بعد ذلك
 (٢) يقال . أشبي فلان إذا ولد له ولد كيس
 (٣) بووا . أنزلوا .
 (٤) نهاية الأرب ص ٣٠٠ ج ٣
 (٥) يقال . رجل أعر الوجه إذا كان أبيض الوجه . من قوم غر وجران .
 والبيت لامرئ القيس (اللسان مادة غر)

فلا وأبيك ما ظلمت قريع بأن يذنوا المكارم حيث شاءوا
قال . فمن أيهم أنت ؟ قال . من الذين يقول لهم الشاعر .
قوم هم الأتف والأذئاب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الدنيا ؟
قال . أجلس لا جالس ! والله لقد خفت أن تفخر على !

٦ - بين معاوية وعقيل بن أبي طالب .

لما اعتزل عقيل بن أبي طالب أخاه نليما كرم الله وجهه ، إلى معاوية يطلب
عنده الدنيا ، قال له معاوية . أنا خير لك من أخيك على ، فقال عقيل . صدقت ،
إن أخي آثر دينه على دنياه ، وأنت قد آثرت دنياك على دينك ، فأنت خير لي من
أخي ، وأخي خير لنفسه منك .

٧ - بين معاوية وعبد الله بن عباس

اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية يوماً وفيهم عبد الله بن عباس فقال
رحم الله أبا سفيان والعباس ، كانا صفيين دون الناس ، لحفظت الميت في
الحى ، والحى في الميت ، استعملك على ابن عباس على البصرة ، واستعمل عبيد
الله أخاك على اليمن ؛ واستعمل أخاك على المدينة (١) فلما كان من الأمر ما كان
هناكم (٢) ما في أيديكم ، ولم أكشفكم عما وعت غرائركم (٣) ، وقلت آخذ اليوم
وأعطى غدا مثله ، وعلمت أن بدء اللوم يضر بعاقبة الكرم ، ولو شئت لأخذت
بمخلاقكم وقيادتكم ما أكلتم ، لا يزال يبلغنى عنكم ما تبرك له الأبل ، وذنوبكم إلينا
أكثر من ذنوبنا إليكم ، خذلتم عثمان بالمدينة ؛ وقتلتم أنصاره يوم الجمل ، وحاربتموني
بصفين ، ولعمري لئنو تيم وعدى (٤) أعظم ذنوبا منا إليكم ، إذ صرفوا عنكم

(١) هو تمام ، كما استعمل أخاه قثم على مكة

(٢) هنا كذا من بابي منع وضرب ، أطعمه إياه

(٣) جمع غراره بالكسر وهى الحقيقة

(٤) يعنى بنى تيم آل أبى بكر فهو من تيم بن مرة بن كعب بن لؤى ، ويعنى

بنى عدى آل عمر فهو من عدى بن كعب بن لؤى

هذا الأمر ، وسنوافيكم هذه السنة ، حتى متى أغضى الجفون هلى القذى (١)
وأصبح الذبول على الأذى (٢) وأقول لعل الله وعسى ، ماتقول يابن عباس ؟
فتكلم ابن عباس فقال

رحم الله أبانا وأباك ، كانا صفيين متفاوضين (٣) لم يكن لأبى من مال إلا
ما فضل لأبيك ، وكان أبوك كذلك لأبى ، ولكن من هنا أباك باخاء أبى أكثر
من هنا أبى باخاء أبيك ، نصر أبى أباك فى الجاهلية ، وحقن دمه فى الاسلام (٤)
وأما استعمال على إيانا فلنفسه دون هواه ، وقد استعملت أنت رجالا لهواك
لا لنفسك . منهم ابن الحضرمى على البصرة فقتل ، وبسر بن أرطاة على العين شقان
وحبيب بن مر على الحجاز فرد ، والضحاك بن قيسى الفهرى على الكوفة لمصعب ،
ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا ، رليس الذى يبلغك عنا بأعظم من الذى يبلغنا
عذك ، ولو وضع أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لمحققها ، ولو وضع أدنى
عذرنا إليكم على مائة سيئة لحسنها ، وأما خذلنا عثمان فلو لزمنا نصره لنصرناه (٥) ،
وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم بما دخلوا فيه ، وأما حربنا إياك بصفيين
فعلى تركك الحق وادعائك الباطل ، وأما إغراؤك إيانا بديم وعدى فلو أردناها ما
غلبونا عليها (٦) وسكت (٧)

(١) القذى ما يقع فى العين وفى الشراب فيعكرهما

(٢) الأذى المسكروه اليسير وما بالطريق من قدر

(٣) التفاوض الاشتراك فى كل شىء والمساواة

(٤) يشير إلى ما كان من خروج العباس مع أبى سفيان يوم بدر ، ثم إلى ما كان

من شفاعته له يوم فتح مكة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) يعرض ب معاوية إذ كان أولى من بنى هاشم ببصرة عثمان لأنهما أمويان .

(٦) الضمير للخلافة . (٧) فى هذه المحاوره يقول ابن أبى لهب :

كان ابن حرب عظيم القدر فى الناس حتى رماه بما فيه ابن عباس
ما زال يهبطه طورا ويصعده حتى استقاد وما بالحق من باس
لم يترك خطة مما يذلله إلا كواه بها فى فروة الرأس

٨ - بين خالد بن يزيد وعبد الملك بن مروان
جاء عبد الله بن يزيد بن معاوية إلى أخيه خالد في أيام عبد الملك فقال : لقد
هممت اليوم يا أختي أن أفتك بالوليد بن عبد الملك ؛ فقال له خالد : بئس والله
ما هممت به في ابن المؤمنين وولي عهد المسلمين ، فما ذاك ؟

قال : إن خيلى مرت به فعبث بها وأصغرتني ، فقال له خالد : أنا أكفيك ؛
فدخل على عبد الملك والوليد عنده فقال : يا أمير المؤمنين إن الوليد ابن أمير
المؤمنين وولي عهد المسلمين ، مرت به خيلى ابن عمه عبد الله بن يزيد فعبث بها
وأصغره ، وكان عبد الملك مطرقا ، فرفع رأسه وقال : « إن الملوك إذا دخلوا
قرية أسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ، فقَالَ خالد : « وإذا
أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ؛ لحق عليها القول فدمرناها
تدميراً ، فقال عبد الملك : أفي عبيد الله تكلمني ؟ والله لقد دخل أمس على ، فما
أقام لسانه لنا ، فقال خالد : أفعلى الوليد تعمل يا أمير المؤمنين ؟

قال عبد الملك : إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان ، فقال خالد : وإن كان
عبد الله يلحن فإن أخاه خالد ؛ فالنفت الوليد إلى خالد وقال له : اسكت يا خالد
فوالله ما تعد في العير ولا في النفير ، فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ، ثم انفت
إلى الوليد فقال له : ويحك فمن صاحب العير والنفير غير جدى أبو سفيان
صاحب العير ، وجدى عتبة صاحب النفير (١) ؟ وإيكن لوقات غنيمات وحبيبات ،
والطائف ، ورحم الله عثمان ، لقلنا صدقت (٢) .

٩ - بين عبد الملك وخالد بن عبد الله بن أسيد

(١) العير : الأبل تحمل الميرة ، والمراد هنا عير قریش التي كان يقودها
أبو سفيان ، وترصدها رسول الله فساخل بها أبو سفيان وترك بذرا يسارا .
والنفير القوم ينفرون للحرب ، وهم هنا مشركو مكة الذين خرجوا يستنقذون العير
تحت رياسة عتبة بن ربيعة جد معاوية لأبيه ولم يتخاف إلا بنو زهرة ، فقيل فيهم
المثل : لافي العير ولا في النفير ، .

(٢) يشير إلى ما كان من طرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم بن =

جلس عبد الملك بن مروان يوماً وعند رأسه خالد بن عبد الله بن أمسيه بن أبي العاص بن أمية ، وعند رجله أمية أخو خالد ، وأدخلت عليه الأموال التي جاءت من قبل الحجاج فوضعت بين يديه فقال :

هذا والله التوفير وهذه الأمانة ، لا ما فعل هذا ، وأشار إلى خالد ، استعملته على العراق فاستعمل كل ملط فاسق (١) ، فأدوا إليه العشرة واحداً ، وأدى إلى من العشرة واحداً . وأستعملت هذا على خراسان ، وأشار إلى أمية فأهدى إلى برذونين حطمين (٢) فان استعملتكم ضيعتم ، وإن عزلتكم قلتم استخف بنا وقطع أرحامنا . فقال خالد :

استعملتني على العراق وأهله رجلاً ، سامع مطيع مناصح ، وعدو مبغض مكاشح (٣) فأما السامع المطيع المناصح فانا جزيناها ليزداد ودأ إلى وده ، وأما المبغض المكاشح فانا داريناها ضغننا ، وسللنا حقدنا ، وكثرتنا لك المودة في صدور رعيتك ، وإن هذا (٤) ، جبي الأموال ، وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال ، فيوشك أن تنبت البغضاء فلا أموال ولا رجال .

فلما خرج ابن الأشعث على عبد الملك قال عبد الملك : هذا والله ما قال خالد .

١٠ - بين عبد الملك وأحد عماله :

بلغ عبد الملك أن عاملاً من عماله قبل هدية فأمر باشخاصه إليه ، فلما دخل

العاص جد عبد الملك بن مروان بن الحسك إلى الطائف ، وإقامته هناك طريداً يأوى إلى حبيبات أي كريمات يستظل بهما ويرعى غنيمات يشرب لبنها إلى أن آلت الخلافة إلى عثمان فرده للرحم بينهما ، وقيل بأمر كان قد حصل عليه من رسول الله لو آلت إليه الخلافة .

(١) لظ حقه وألظه ججده .

(٢) يقال فرس حطم كقفرح إذا هزل وأسن فضعف وتهدم .

(٣) المكاشح الذي يضمرك العداوة بين كشحيه ومثله الكاشح .

(٤) يعني الحجاج .

عليه قال له : أقبلي هدية منذ وليتك ؟ قال يا أمير المؤمنين ، بلادك عامرة ، وخراجك موفور ، ورعيتك على أفضل حال ، قال ، أجب فيما سألتك عنه ، أقبلي هدية منذ وليتك ؟ قال . نعم فقال له .

لئن كنت قبلي ولم تعرض لإنك للثيم ، ولئن أنلت مهديك لا من مالك أو استكفيته ما لم يكن يستكفاه ، إنك لجائر خائن ، ولئن كان مذهبك أن تعوض المهدي إليك من مالك وقبلي ما اتهمك به عند من استكفأك وبسط لسان عاتبك وأطمع فيك أهل عملك ، إنك لجاهل ، وما فيمن أتى أمرا لم يحل فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع ، ثم نحاه عن عمله .

١١ - بين عبد الملك والعجاج الراجز

دخل العجاج بن ربيعة على عبد الملك مروان فقال عبد الملك ، يا عجاج بلغني أنك لا تقدر على الهجاء ، فقال . يا أمير المؤمنين . من قدر على تشييد الأبنية أمكنه إخراج الأخبية قال . فما يمنعك من ذلك ؟ قال إن لنا عزا يمنعنا من أن نظلم . وإن لنا حلما يمنعنا من أن نظلم ، فسلام الهجاء ؟ فقال . لكلماتك أشعر من شعرك ، فاني لك عز يمنعك من أن تظلم ؟ قال . الأدب البارع والفهم الناصع . قال . فما الحلم الذي يمنعك من أن تظلم ؟ قال . الأدب المستطرف والطبع التالذ . قال . يا عجاج لقد أصبحت حكيمًا . قال . وما يمنعني وأنا نجي أمير المؤمنين .

١٢ - بين العجاج وكمب الأشقري .

لما هزم المهلب بن أبي صفرة الأزرقة وقتل خليفتهم عبد ربه الصغير أو فد بذلك إلى العجاج كمب بن معدان الأشقري ، فلما دخل عليه قال له العجاج . أخبرني عن بني المهلب ، فقال . المغيرة فارسهم وسيدهم ، نار ذاكية ، وصعدة عالية (١) ، وكنى يزيد فارسا شجاعا ، ليث غاب ، وبجز جم عباب ، وجوادهم وسخيم قبيصة ، ليث المغار (٢) ، وحامى الذمار ، ولا يستحي الشجاع أن يفر

(١) الصعدة القناة تثبت مستوية مثقفة .

(٢) المغار مصدر ميمى أى الاغارة .

من مدرك ، وكيف لا يفر من الموت الحاضر ، والأسد الخادر ، وعبد الملك سم
ذاق ؛ وسيف قاطع ؛ وحبيب الموت الزعاف (١) ، إنما هو طود شامخ ، ونفر
باذخ ، وأبو عيينة البطل الهام ، والسيف الحسام (٢) ؛ وكفالك بالفضل نجدة ،
ليث هذار ، وبحر موار (٣) ، ومحمد ليث غاب ؛ وحسام ضراب . قال . فكيف
كانوا فيكم ؟ قال . كانوا سماء السرح نهارا فاذا ألبوا ففرسان البيات (٤) . قال .
فأيهم كان أنجد ، قال . كانوا كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها ، قال . فكيف
كان لكم المهلب وكنتم له ؟ قال : كان لنا منه شقيقة الوالد وله منا بر الولد . قال .
فكيف كان جماعة الناس ؟ قال . على أحسن حال ، أدركوا مرجوا ، وأمنوا بما
خافوا ، وأرضاهم العدل وأغناهم النقل ، قال : فكيف كنتم أنتم وعدوكم ؟ قال
كنا إذا أخذنا عفونا ، وإذا أخذوا يئسنا منهم ، وإذا اجتهدوا واجتهدنا بطمنا
فيهم ، فقال الحجاج : إن العاقبة للمتقين ، كيف أفلتكم قطرى ؟ قال كدناه
ببعض ما كادنا به فصرنا منه إلى الذي نحب ، قال : فهلا اتبعوه اقال : كان الحد
عندنا أثر من الفل . قال : أكنت أعددت لي بعض هذا الجواب ؟ قال : لا يعلم
الغيب إلا الله ، فقال الحجاج : هكذا تكون والله الرجال ، المهلب كان أعلم بك
حيث وجهك ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وحمله على فرس ، وأوفده إلى
عبد الملك ، فأمر له بعشرة آلاف أخرى .

١٣ - وقال سفيان الثوري (٥) :

كنا عند هشام (٦) بن عبد الملك ، وقد وفد عليه وفد أهل الحجاز - وكان

(١) الزعاف وبالذال أيضا السم القاتل لساعته .

(٢) الحسام القاطع من حشم الشيء قطعته .

(٣) الموار المضطرب بأمواجه .

(٤) السرح السائمة تسرح المرعى ، وألبوا دخلوا في الليل .

(٥) العقد ص ١٧٦ ج ٣ ، الأمال ص ١٤٧ ج ١ ، صبح الأعشى ص ٢٦٤ ج ١

(٦) تولى الخلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ ، وكان غزير العقل حليما

عفيقا ، امتدت أيامه ، وجرى فيها كثير من الوقائع توفي سنة ١٢٥ هـ .

شباب الكتاب إذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم - لحضرت كلامهم
وكان محمد بن أبي الجهم أعظم أعظم القوم قدراً ، واكبرهم سناً وأفضلهم
رأياً وحلياً ، فقال : أصلى الله أمير المؤمنين ، إن خطباء قريش قد قالت فيك
ما قالت ، وأكثرت وأطنبت ، والله ما يبلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى خطيبهم
فضلك ، وإن أذنت في القول قلت . قال : تكلم ، قال . أفأوجز أم اطنب ؟ قال .
بل أوجز .

قال تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالنعوى ، وجمع لك خير
الآخرة والأولى ، إن لي حوائج أفأذكرها ؟ هاتها ، قال . كبرت سنى ، ونال
الدهر منى ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسرى ، وينفى فقري فعل !
قال : وما الذى ينفى فقرك ، ويجبر كسرك ؟ قال . ألف دينار ، وألف دينار ،
وألف دينار !

فأطرق فأهشام طويلاً ، ثم قال . هيات يا بن أبي الجهم ، بيت المال لا يحتمل ما ذكرت
فقال . إن الله أشرك لمجلسك ، فإن تعطينا لحنما أدبت ، وإن تمنعنا فنسأل الذى بيده
ما حويت . يا أمير المؤمنين ، إن الله جعل العطاء محبة ، والمنع مبغضة ، والله لأن
أحبك أحب إلى من أن أبغضك !

قال : فالله دينار لماذا ؟ قال . أفضى بها ديناً فدحنى ^(١) قضاؤه ، وقد عنانى
حملة ، وأضربى أهله . قال . فلا بأس ، تنفس كربة ، وتؤدى أمانة . وألف دينار
لماذا ؟ قال . أزوج بها من أدرك من ولدى . قال نعم المسلك سلكك ، أغضضت
بصراً ، وأعففت ولداً ، ورفعت نسلاً . وألف دينار لماذا ؟ قال . أشترى بها
أرضاً يعيش بها ولدى ، واستعين بفضلها على نوائب دهري ، وتكون ذخراً
لمن بقى .

قال . فانا قد أمرنا لك بما سألت . قال . فالحمد لله على ذلك ، وجزاك
الله يا أمير المؤمنين والرحم خيراً ، ثم خرج

(١) فدحنى : أثقلنى .

فاتبعه هشام بصره ، وقال : تالله ما رأيت رجلا أظف في سؤال ، ولا أرفق في مقال من هذا ، هكذا فليكن القرشي . أما والله إنا لنعرف الحق إذا نزل ، ونسكرة الأسراف والبخل ، وما نعطي تديرا ولا نمنع تقديرا ، وما نحن إلا خزان الله في بلاده ، وأمناؤه على عباده ؛ فإذا أذن أعطينا ، وإذا منع أبينا ، ولو كان كل قائل يصدق ، وكل سائل يستحق ، ما جبهنا (١) قائلا ، ولا ردونا سائلا ، ونسال الذي بيده ما استحفظنا أن يجره على أيدينا ، فانه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر (٢) ، إنه كان بعباده خيرا بصيرا . فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لقد تكلمت فأبلغت ، وما بلغ في كلامه ما قصصت . قال إنه مبتلى ؛ وليس المبتلى كالمعتلى .

١٤ - وفد عروة (٣) بن أذينة الشاعر على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء ، فلما دخلوا عليه عرف عروة ؟ فقال له . ألسن القائل :
لقد علمت وما الإسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسمى له فيعيني تطلبه ولو قعدت أتاني لا يعينني

(١) جبهه : لقيه بما يكره . يقدر . يقسم .
الشعر والشعراء ص ٢٢٥ ، المستطرف ص ٧ جزء أول ، ابن خلسكان

ص ٢١٢ ج ١

(٢) عروة بن أذينة : كان من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله شعر في الغزل عفيف رائق ، وقفت عليه سكينه بنت الحسين مرة فقالت له : أنت القائل :
إذا وجدت أوار الحب في كبدي ذهب نحو سقاء القوم أتبرد
هبنى بردت ببرد الماء ظاهره فن نار على الأحشاء تنقد .
فقال لها نعم . فقالت . وأنت القائل .
قالت وأبشئتها سرى وبحت به قد كذت عندي تحت الستر فاستتر
ألسن تبصر من حولي فقلت لها غطى هواك وما ألقى على بصري ا
قال : نعم ، فالتفتت إلى جواربها وقالت : من حرائر إن كان خرج هذا من
قلب سليم قط

وأراك قد جئت من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق ا فقال له : يا أمير المؤمنين، زادك الله بسطة في العلم والجسم، ولا رد وافدك خائباً. والله لقد بالغت في الوعظ، وأذكرتني ما أنسانيه الدهر !

وخرج من فوره إلى راحلته، فركبها وتوجه راجعاً إلى الحجاز، فلما كان في الليل ذكره هشام، وهو في فراشه، فقال : رجل من قريش قال حكمة، ووفد إلى، لجهته ورددته عن حاجته، وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول.

فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه، وقال : لا جرم، ليعلم أن الرزق سيأتيه. ثم دعا مولى له، وأعطاه ألفي دينار، وقال : الحق بهذه ابن أذنية، وأعطه لياها، فأدركه وقد دخل بيته، ففزع الباب عليه، فخرج إليه، فأعطاه المال.

فقال : أبلغ أمير المؤمنين قولي : سمعت، فأكدت، ورجعت إلى بيتي

فأتاني رزق

١٥ - - وورد أبو النجم^(٢) على هشام بن عبد الملك في الشعراء، فقال لهم هشام صفوا لي إبلا فقطروها وأوردوها وأصدروها حتى كاثني أنظر إليها، فأنشده، وأنشده أبو النجم :

الحمد لله الوهب المجلول،

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال : « وهي على الأفق كمين . . . » وأراد أن يقول « الأحول »، ثم ذكر حولة هشام، فلم يتم البيت، وأرتج عليه .
فقال هشام : أجز البيت، فقال : « كمين الأحول، وأتم القصيدة، فأمر هشام فوجيء^(٣) عنقه، وأخرج من الرصافة، وقال لصاحب شرطته : ياربيع إياك وأن أرى هذا ! فكلم وجوه الناس صاحب الشرطة أن يقره ففعل .

(١) الكامل ص ٣٩ ج ٢، الأغاني ص ١٤٥ ج ١٠، رغبة الأمل

ص ٢٢٩ ج ٦ .

(٢) اسمه الفضل بن قدامه أحد رجال الإسلام الفحول المتقدمين، وفي الطبقة

الأولى منهم وتوفي سنة ١٣٠ .

(٣) وجيء . وجاءه باليد وبالسكين إذا ضرب به .

قال أبو النجم : ولم يكن أحد بالرصافة يضيف إلا سليم بن كيسان الكلابي ،
وعمر بن بسطام التغلبي ، فكنت آتي سليبا فأتعدى عنده ، وآتي عمراً فأتعشى
عنده ، وآتي المسجد فأبيت فيه .

قال : فاهتم هشام ليلة ، وأمسى لقس النفس ، وأراد مجدثاً يحدته ، فقال
لخادم له : ابغني مجدثاً أعرابياً يروي الشعر :
فخرج الخادم إلى المسجد فإذا هو بأبي النجم ، فضربه برجله ، وقال له : قم
أجب الأمير . قال : لاني رجل غريب : قال : لإياك أبغني ، فهل تروي الشعر ؟
قال : نعم ، وأقوله .

فأقبل به حتى أدخله القصر ، وأغلق الباب ، قال : فأيقن بالشر ، ثم مضى
به ، فأدخله على هشام في بيت صغير ، والشمع بين يديه تزهو (١) .
فلما دخل قال له هشام : أبو النجم ! قال : نعم يا أمير المؤمنين طريديك اقال :
اجلس ، فسأله وقال له . أين كنت تأوى ، ومن كان ينزلك ، فأخبره الخبر .
قال . وكيف اجتمعاً لك ، قال . كنت أتعدى عند هذا ، وأتعشى عند هذا . قال .
وأي كنت تبيت ، قال . في المسجد حيث وجدني رسولك . قال . ومالك من
الولد والمال ، قال . أما المال فلا مال لي ، وأما الولد فلي ثلاث بنات وبني يقال له
شيبان .

فقال . هل زوجت من بناتك أحداً ، نعم ، زوجت اثنتين ، وبقيت
واحدة تجمز (٢) في أبياتنا كأنها نعامة .
قال . وما وصيت به الأولى ، نعامة .

أوصيت من برة (٣) قلبا حرا . يالكلب خيرا والحياة شرا
لا تسأمي ضربا لها وجرا حتى ترى حلو الحياة مرا
وإن كستك ذهبا ودرا والحى عميم بشر طرا

(١) تزهو : تتلألا (٢) تجمز . تعدو وتسرع .

(٣) كان اسمها برة

فضحك هشام، وقال : فما قلت للاخرى ؟ قال قلت :

سبي الحماة وابنتي^(١) عليها وإن دنت إليها فازدلني إليها
وأوجعي بالفهر^(٢) ركبتيها ومرقبيها واضربي جنبها
وظاهري النذر لها عليها لا تخبري الدهر به ابنتها

قال : فضحك هشام حتى بدت نواجذه ، وسقط على قفاه . فقال : ويحك !
ما هذه وصية يعقوب ولده ! فقال : وما أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين . قال فاقلت
لثلاثة ؟ قال : قلت :

أوصيك يا بنتي فاني ذاهب أوصيك أن تحمدك القرائب
والجار والضيف الكريم الساغب لا يرجع المسكين وهو خائب
ولاتني أظفارك السلاه^(٣) منهن في وجه الحماة كاتب
والزوج إن الزوج يشس صاحب

قال : فكيف قلت لها هذا ولم تنزوح ؟ وأي شيء قلت في تأخير تزويجها قال
قلت فيها :

كان ظلالة أخت شيبان يتيمة ووالدها حيوان
الرأس قل كله وصئبان^(٤) وليس في الرجلين إلا خيطان
فهى التي يدعر منها الشيطان

فقال هشام لحاجبه : ما فعلت الدنانير المختومة التي أمرتك بقبضها ؟ قال :
هى عندي ، ووزنها خمسمائة ا قال : فادفعها إلى أبي النجم ؛ ليجعلها في رجلى ظلالة
مكان الخيطين !

(١) بهته : قذفه بالباطل ، وقال عليه ما لم يفعل

(٢) الفهر . الحجر . بلاد الكف

(٣) السلاه : الطويلة .

(٤) الصئبان : الصؤابة : بيضة القمل جمعه صئبان .

١٦ - واستودع^(١) رجل رجلاً مالا ثم طأ به فبجده، فخاصمه إلى إياس^(٢) بن معاوية القاضي، وقال، دفعت إليه مالا في مكان كذا وكذا، قال، فأى شيء كان في ذلك الموضع، قال، شجرة.

قال، فانطلق إلى ذلك الموضع، وانظر إلى تلك الشجرة، فإله الله يوضح لك هناك ما تبين به حقا أو لعلك دفنت مالك عند الشجرة، فنسيت، فتذكر إذا رأيت الشجرة.

فضى وقال إياس للمطلوب منه: اجلس حتى يرجع صاحبك، فجلس وإياس يفضى وينظر إليه بين كل ساعة. ثم قال. ترى صاحبك بلغ موضع الشجرة؟ قال لا فقال: يا عدو الله أنت الخائن! قال: أفتأى أقالك الله! فأمر بحفظه حتى جاء خصمه، فقال له. خذ منه بحقك فقد أقر!

ومن ذكاء إياس^(٣) أنه استودع رجل أمين إياس مالا، وخرج المودع إلى الحجاز؛ فلما رجع طلبه فبجده، فأتى إياساً فأخبره، فقال له إياس. أعلمته أنك أتيتني؟ قال. لا، قال. أفنازعته عند غيري. قال لا قال. فانصرف، وأكرمك سر، ثم عد إلى بعد يومين.

فضى الرجل؛ ودعا إياس أمينه، فقال. قد حضر عندنا مال كثير، أريد أن أسلمه إليك، أفحصين منزلك. قال. نعم اقال. فاعد موضعاً للمال، وقوماً يحملونه.

وعاد الرجل إلى إياس، فقال: انطلق إلى صاحبك، فإن أعطاك المال فذاك، وإن جحد فقل له. إنى أخبر القاضي بالقصة.

(١) المحاسن والمساوىء ص ٤٣ ج ١

(٢) هو من مزينة، ولاء عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة وكان صادق

الظن لطيفاً في الأمور، ومات سنة ١٢٣ هـ.

(٣) ثمرات الأوراق ١٤٤

فأتى الرجل صاحبه ، فقال ، تعطينى الوديعة أو أشكوك إلى القاضى ا وأخبره
بالحال ، فدفع إليه المال ، فرجع الرجل ، وأخبر إياسا
ثم جاء الامين إلى إياس ليأخذ المال الموعود به ، فوجره ، وقال له ، لا تقربنى
بعد هذا ياخائن ا

أجوبة إياس بن معاوية المتوفى سنة ١٢٢ هجرية

كان إياس بن معاوية المزنى لسنا بليغاً يضرب به المثل في الزكـن والفتنة
وصحة الفراسة والأجوبة القاطعة . ويروى أنه دخل الشام وهو قتي فقـدم
خصماً له إلى بعض القضاة ، وكان الخصم شيخاً فصال عليه إياس بالكلام ،
فقال له القاضى : خفض عليك فانه شيخ كبير . فقال إياس : الحق أكبر منه .

فقال له القاضى : اسكت . قال : فن ينطق بحجتي ؟ ا

قال القاضى : ما أراك تقول حقاً .

فقال إياس : لا إله إلا الله فأخـم القاضى .

ويروى أن عدى بن أرطاة والى البصرة دخل على إياس وهو قاضيا وكان
عدى أعرابى الطبع .

فقال لإياس : يا هناة أين أنت ؟ قال : بينك وبين الخائط .

قال : فاسمع منى . قال : للاستماع جلست .

قال أنى تزوجت امرأة . قال : بالرفاء والبنين .

قال : وشرطت لأهلها أن أخرجها من بينهم . قال : أوف لهم بالشرط .

قال : فانى أريد الخروج . قال : فى حفظ الله .

قال : فاقض بيننا . قال ، قد فعلت .

قال . فعلى من حكمت ؟ قال . على ابن أخى عمك .

قال . بشهادة من ؟ قال . بشهادة ابن أخت خالتك .

خاتمة الكلام على المحاورات والأجوبة

١ - وبعد فالحوار فن من فنون الأدب عرفه الجاهليون في المنافرات والمفاخرات والمساجلات

وفي عصر صدور الإسلام كان فن الحوار قائما يستعان به في رد حجج المشركين والمخالفين والزائغين وفي إقناع المكابرين من رجال الفرق والأحزاب وكانت قریش في الحوار أحضر جوابا وأسرع بديهية وأكثر إصابة وفي العصر الأموي ازدهر فن الحوار وانتشر ونما وساعد على ذلك

١ - كثرة الخلافات بين الأحزاب السياسية

٢ - كثرة الخصومات بين الفرق الدينية ، بل بين طوائف الفرقة الواحدة كالخوارج والشيعة الذين انقسموا طوائف وشميعة كثيرة

٣ - انتشار الحجاج في مسائل اللغة والنحو والعربية وآدابها

٤ - سلامة الملامك وخصب التفكير وحضور البديهة والقدرة على الارتجال .

٥ - كثرة العصبية وتناحرها وتناحرها إلى حد بعيد وبخاصة في عهد معاوية .

٦ - الجوائز الكثيرة التي كانت يكافأ بها الفائز في مجال هذه المنافسات والخصومات .

ب - وألوان المحاورات كثيرة :

فن جدل إلى أجوبة إلى مفاخرة وقد سبق نماذج لهذه الألوان كلها

الشعر في عصر بني أمية

نماذج للشعر:

وقال ابن الدمينه:

ألا يا صبا نجد متى هجيت من نجد

لقد زاد في مسراك وجد اعلى وجدى (١)

أ أن هتفت ورقاء في رونق الضحى

على فنن غض النبات من الرند

بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن

وقد زعموا أن المحب إذا دنا

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا

على أن قرب الدار ليس بنافع

إذا كان من تهواه ليس بندى عهد

...

وقال أبو صخر الهذلي:

أما والذي أبكى واضحك والذي

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى

فياحيا زدني جوى كل ليلة

عجيت لسمي الدهر بيني وبينها

وما هو إلا أن أراها فجاءة

فأهت لا عرف لدى ولا نكر

(١) الصبا . ربح القبول . هاجت . ثارت .

(٢) الورقاء . الحمامة التي مال سوادها إلى البياض . الرونق الضياء . الرند

نوع من الطيب والفرن الغصن الناعم الغض . الطرى .

وقال الصمة القشيري (١):

حننت إلى ربا ونفسك باعدت مزارك من ربا ، وشعبا كما معا (٢)
فاحسن أن تأتي الأمر طائعا وتجزع أن داعي الصباية أسما (٣)
قفنا ودعا نجدنا ومن حل بالحي وقل لنجد عندنا أن يودعا (٤)
بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا وما أحسن المصطاف والمتربعا (٥)

(١) شاعر أموي بدوي مقل بليغ

خطب ابنة عمه فاشتط عليه في مهرها فسأل أباه أن يعاونه وكان كثير المال فلم يعنه بشيء فسأل عشيرته فاعطوه فاني بالأبل عمه فقال له لا أقبل هذه في مهر ابنتي فسأل أياك أن يبدلها لك فسأل ذلك أباه فإني عليه فلما رأى ذلك من فعلهما قطع عقلها وخلها فماد كل يعبر إلى أهله وسافر الشاعر مرتحلا عن بلاده وقومه فخرت ابنة عمه حزنا شديدا ، ثم مضى إلى الشام فلما طال مقامه حن إلى أهله وبلاده ومحبوبته فنظم هذه القصيدة

والقصد آسيل بلاغة وروعة وجزالة لفظ ونظامه معنى ومثانة تركيب وصياغة
بديعة وديباجة حسنة

(٢) الحنين : شدة الشوق . ربا : اسم محبوبته . باعدت : ابتعدت ، والواو في الوضعين للحال ، الشعب الحي
بلوم نفسه في بعده عن محبوبته لأنه كان السبب في ذلك بهجرته عن بلاده وبلاد ربا وقد كان قومه وقومها مجتمعين

(٣) امر : يريد الفراق . أن الثانية بتقدير اللام
المعنى : ليس يحسن أن تنقاد أولا للحب محتارا فادا سمعك داعي الصباية
نداه جوعت

(٤) النجد كل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق
(٥) الربا : ما ارتفع من الأرض . المصطاف : مكان الصيف . المتربع :
مكان الربيع . المعنى : أفدى تلك الأرض بنفسى لطيب رباها العجيب وحسن
فصيلها صيفا وربيعها

وليسك عشيائ الحى برواجع عليك ولكن خل عينيك تدمعا
رلما رأيت البشر أعرض دوننا وجالك بنات الشوق يحن نزعا (١)
بكك عيني اليسرى فلما زجرتها عن الجبل بعد الحلم أسبنا معا
تلفت نحو الحى حتى وجدتني وجعت من الأصغاء ليتنا وأخذنا (٢)
وأذكر أيام الحى ثم أنثنى على كبدى خشية أن تصدعا (٣)

وقال يزيد بن الحكم الثقفي (٤) يعظ ابنه بدرأ .

يا بدر والامثال يضمر بها لذى اللب الحكيم
دم للخليل بـوده ما خير ود لا يدوم
واعرف لجارك حقه والحق يعرفه الكريم
وأعلم بان الضيف يوماً سوف يحمد أو يلام
وأعلم بسنى فانه بالعلم ينتفع العليم
إن الامور دقيقتها مما يبيح له العظيم
والبغى يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم
ولقد يكون لك البعيد أختا ويقطعك الحميم
والمرء يكرم للغنى ويهان للعدم العديم
وتخرب الدنيا فلا يؤس يدوم ولا نعيم

* * *

وقال سالم بن وابصة الاسدى وهو شاعر إسلامى تابعى :

- (١) البشر : جبل بالجزيرة . اعرض : ابدى عرضه وجانبه . جالت : تحركت .
بنات الشوق : نوازع الحنين . نزع : جمع نازع أى مشتاق
(٢) الليت : صفحة العنق . الأخذع عرق فيها . الأصغاء : الميل
(٣) تصدع : أى تشقق
(٤) شاعر أموى مقل بليغ

أحب الفنى ينفى الفواحش سمعه كان به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعى الصدر لا باسطا أذى ولا ما نعا خيرا ولا قاتلا هجرا
إذا شئت أن تدعى كريما مكرما أديبا ظريفا عاقلا ماجدا حرا
إذا ما أنت من صاحب لك زلة فسكن أنت محملا لزلته عذرا
غنى النفس ما يكفيك من سد خلة فان زاد شيئا عاد ذلك الغنى فقرا
وقال المقتنع السكندى وهو شاعر أوى مقل شريف كريم :

يعاتبني في الدين قومي ونما ديوني في أشياء تكسبهم حدا
أسد به ما قد أخذوا وضيعوا تغور حقوق ما أطاقوا لها سدا
وإن الذى بينى وبين أبى وبين بنى عمى لمختلف جدا
فإن أكلوا لحمى وفرت لحومهم وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم وإن هم هووا غيبي هو بت لهم رشدا
وإن زجروا طيرا بنحس تمرى زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقددا
لهم جل مالى إن تتابع لى غنى وإن قل مالى لم أكلفهم رفدا
وإنى لعبد الضيف مادام نازلا وما شيمة لى غيرها تشبه العبددا

* . *

وقال القطامى (١)

من تكن الحضارة أعجبته فأى رجال بادية ترانا
ومن ربط الجحاش فأن فينا قنا سلبا وأفراسا حسانا (٢)

(١) شاعر اسلامى مقل كانا نصرانيا وكان حسن التشبيص بالنساء رقيقه وكان يمدح زفر بن الحرث السكلاي ، وكان القطامى شاعرا في الشعر رقيق الحواشى كثير الامثال

(٢) قنا سلبا : أى تسلب النفوس جمع سلوب . يريد انا لانرضى الا بالدفاع عن الحرم والاغارة على الاعداء وغيرنا يرضى بالمال والدعة

وكن إذا أغرن على جناب وأعوزهن نهب حيث كانا (١)
أغرن من الضباب على حلول وضبة لأنه من حان حانا (٢)
وأحيانا على بكر أختينا إذا مالم نجد إلا أاخانا

وقال حطان بن المعلى (٣)

أنزلى الدهر على حكمه من شاخ عال إلى خفض (٤)
وغالني الدهر بوفر الغنى فليس لي مال سوى عرضي (٥)
أبكاني الدهر ويا ربما أضحكني الدهر بما يرضى
لولا بنيات كزغب القطا رددن من بعض إلى بعض (٦)

(١) وكن : أى الخليل . أعوزهن : تعسر عليهم . النهب : ما ينهب يقول :
وكان أرباب الخليل منا إذا أغاروا على ناحية وتعسر عليهم النهب والغنيمة
(٢) الضباب : أحياء من العرب . الحلول : الذين يكونون في مكان واحد .
المعنى أنهم : لاعتيادهم الغارة لا يصبرون عنها حتى إذا أعوزهم الأبعاد عطفوا على
الأقارب فأغاروا عليهم : وقوله « حان حانا ، أى من ذلك بغزونا فقد هلك
(٣) شاعر إسلامي .

(٤) الشاخ : العالى . الخفض : أى الخفوض

المعنى : كنت قويا فصيرني الدهر ضعيفا وكنت مالكا فجعلني مملوكا
(٥) غالني : أهلكني . الوفر : المال وإضافته إلى الغنى من إضافة السبب
إلى المسبب لأن المال سبب الغنى . والمعنى : غلبني الدهر على كثرة المال فلم
يبق لي سوى نفسى

(٦) بنيات : تصغير بنات . الزغب : الشعر اللين الصغير ، وكنى بهذا عن
الضعف والصغر . رددن الخ : أى تتابعن وكثرن كل واحدة جنب الأخرى .
والمعنى : لولا بنيات لي صغيرات كفراخ القطا التى عليها الزغب لصغرهن اجتمعن
لي في مدة يسيرة

لكان لى مضطرب واسع فى الارض ذات الطول والعرض (١)
ولمما اولادنا بيننا اكبادنا تمشى على الارض
لو هبت الريح على بعضهم لا متعت عينى من الغمض (٢)

وقال سعد بن ناشب (٣)

سأغسل عى العار بالسيف جالبا على قضاء الله ما كان جالبا (٤)،
وأذهل عن دارى وأجعل هدمها لعرضى عن باقى المذمة حاجبا (٥)
ويصغرفى عينى تلاميذا انثنت يمينى بادراك الذى كنت طالبا (٦)
فان تهدموا بالغدر دارى فانها تراث كريم لا يبالى بالعواقب (٧)

(١) المضطرب : الاضطراب والحركة. المعنى : لولا خوفى من ضياعهم لكان لى مجال واسع فى الارض وانما لومت مكافى بسبهم

(٢) المعنى : انه لا يطمئن إلا إذا كانوا سالمين بأجمعهم

(٣) شاعر اسلامى فى الدولة المروانية من بنى مازن بن مالك من تميم وهذه القصيدة مشهورة فى البلاغة وسبب نظمها أنه كان قد اصاب دما فهدم بلال بن أبى بردة داره بالبصرة وحرقها فقال هذه القصيدة

(٤) اغسل : ازيل. العار : كل شئء لزم به عيب

المعنى : سأزيل العار عن نفسى باستعمال السيف فى اعدائى مهما جلب على قضاء الله ما أراد ،

(٥) ذهول عن الشئء : شغل عنه ونسيه

المعنى : سأتناسى دارى وأجعل هدمها حاجبا وواقيا لعرضى عن العار الباقى إذ رأيتها دار هوان

(٦) التلاذ : المال القديم . اى انه يخف على قلبه لإنفاق المال القديم عند إدراك المطلوب

(٧) الهدم : التخريب . الغدر : عدم الوفاء . التراث : الميراث

المعنى : ان تهدموا بالغدر دارى وأنا غائب فلا أبالى بذلك ولا أغضب لأنها ملك رجلى كريم لا يبالى بالعواقب

فيا لرزام رشوا بى مقدا الى الموت خواضا اليه الكتائب (١)
لذا هم القى بين عينيه عزمه ونكسب عن ذكر العواقب جانبا (٢)
وقال أبو بكر بن عبد الرحمن الزهرى وهو شاعر إسلامى مقل :
ولما نزلنا منزلا طله الندى أنيقا وبستانا من النور حاليا
أجدلنا طيب المكان وحسنه متى فتمنينا فكنت الامانيا
وقال آخر : وهو لبعض الحجازيين وهو عمر بن أبى ربيعة كما فى ديوانه :
خبروها بأننى قد تزوجت فظلت تكاتم الغيظ سرا
ثم قالت لاختها ولاخرى جزعا ليته تزوج عشرا
وأشارت إلى نساء لديها لاترى دونهن للسرا سترا
مالقبا كأنه ليس منى وعظامى كأن فيهن فترا
من حديث نعى إلى فظيح خلعت فى القلب من تظليه جبرا

وقال خلف بن خليفة وهو شاعر إسلامى مقل عاصر جريرا والفرزدق يمدح :
عدلت إلى نثر العشيبة والهوى إليهم وفى تعداد مجدهم شغل
إلى هضبة من آل شيبان أشرفت لها الذروة العليا والكاهل العبل
إلى نفر البيض الذين كأنهم صفائح يوم الروح أخلصها الصقل
إلى معدن العز المؤيد والندى هناك هناك الفضل والخلق الجزل
أحب بقساء القوم للناس أنهم متى يظعنوا عن مصرهم ساعة يخل
عذاب على الأفواه مالم يذقهم عدو وبالأفواه أسماؤهم تحلو

(١) رزام : حى من تميم . الترشيح : التربية والتأهيل . الكتائب :
الجيوش المجتمة .

(٢) . النكيب عن الشيء : الانحراف عنه . المعنى : إذا عزم على شئ جعله
نصب عينيه ولا يفتل عنه كما أنه لا يميل الى ذكر العواقب بل ينحرف عنها جانبا

عليهم وقار الحلم حتى كأنما
إذا استجهلوا لم يعزب الحلم عنهم
هم الجبل الأعلى فإذا ماتنا كرت
ألم تر أن القتل غال إذا رضوا
لنا منهم حصن ومقل
مواعيدهم فعل إذا ما تسكادوا

وليدهم من أجل هيئته كهل
وأن آثروا أن يجهلوا عظم الجهل (١)
ماوك الرجال أو تخاطرت البزل (٢)
وإن غضبوا في موطن رخص القتل
إذا حرك الناس المخاوف والأزل
بتلك التي إن سميت وجب الفعل

وقال قطري بن النجماء من الحماسة والفخر وهو من رؤساء الخوارج زمن

بني أمية وتوفي عام ٧٩ هـ

إلى كم تعاديني السيوف ولا أرى
أقارع عن دار الخلود ولا أرى
ولو قرب الموت القراع لقد أنى
أغادى جلال المعلمين كأننى
وأدعو السكاة للنزال إذا القسا
ولست أرى نفسا تموت إذا دنت
إذا استلب الخوف الرجال قلوبهم

مضار بها تهدي الى حماميا
بقاء على حال لمن ليس باقيا
لموق أن يدنو لطول قراعي (٣)
على العسل الماذى أصبحت غاديا (٤)
تحطم فيما بيننا من طعانيا (٥)
من الموت حتى يبعث الله داعيا
حبسنا على الموت النفوس الغواليبا

(١) الجهل هنا معناه الغضب

(٢) البزل جمع بازل البالغ تسع سنين .

(٣) أنى : حان وقرب .

(٤) المعلمون : الذين يعلمون أنفسهم في الحروب بشارة ظاهرهم ليعرفوا إذ

لا يخافون الأعداء لشجاعتهم .

(٥) السكاة : جمع كى وهو الشجاع المستتر بالسلاح .

وقال جواس بن القمطل الكلبي من شعراء العصر الأموي :

صنعت أمية بالدماء رماحا وطوت أمية دوننا دنياها
أأمى رب كتيبة مجهولة صيد (١) السكاة عليكم دعواها
كنا ولالة طعانا وضرابها حتى تجلت عنكم غماها
فأله يجرى لا أمية سعينا وعلا شددنا بالرماح عراها
جتم من الحجز البعيد نياطه والشام تنكر كهلهما وفتاها
إذ أقبلت قيس كأن عيونها حدق الكلاب وأظهرت سنيها

ولما عزم معاوية على جمع الناس على البيعة ليزيد ابنه من بعده أشده مسكين

الدارمي في محفل كبير قصيدة يحثه فيها على البيعة ليزيد ومنها :

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ومران أم ما ذا يقول سعيد
بني خلفاء الله مهلا فأنما يبوئها الرحمن حيث يريد
إذا المنبر الغربي خلاد ربه فان أمير المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجد صاعد لنكل أناس طائر أو حدود
فلازلت أعلى الناس كعبا ولا تزل وفود تساميهما إليك وفود
ولا زال بيت الملك فوقك عاليا تشيد أطناك له وعمود
قدور ابن حرب كالجوازي وتحثها أئاف كأمثال الرئال ركود

فلما انتهى منها قال معاوية ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله

وقال أيضا :

نارى ونار الجسار واحدة وإليه قبلى تنزل القدر
ما ضرا جارا لى أجاوره ألا يكون لبابه ستر

(١) أى كاتها صيد جمع أصيد وهو الأسد أو الرفع رأسه كبيرا .

أعمى إذا ما جارتي خرجت حتى يوارى بجارتي الخدر

وقال قطري بن الفجاءة الخارجي
أقول لها وقد طارت شعاعا
فانك لو طلبت بقاء يوم
فصبرا في مجال الموت صبرا
وما ثوب البقاء بثوب عز
سبيل الموت غاية كل حي
ومن لا يعتبط يسأم ويهرم
وما للمرء خير في حياة

من الإبطال ويحك لن تراعى (١)
على الأجل الذي لك لن تطاعى
فما نيل الخلود بمستطاع
فيطوى عن أخى الخنع اليراع (٢)
وداعيه لأهل الأرض داع
ويسله المنون الى انقطاع (٣)
إذا ما عد من سقط المتاع

وقال نصر بن سيار (٤) يخاطب اليمانية والمضرية من العرب حين اتقدت نار
العداوة في خراسان والفرس لهم بمرصد :

أبلغ ربيعة في مرو واخوتهم
ولينصبوا الحرب إن القوم قد نصبوا
ما با لكم تلحقون الحرب بينكم
وتتركون عدوا قد أظلمكم
ومن يكن سائلا عن أصل دينهم

فليغضبوا قبل الأينفع الغضب
حربا تحرق في حافاتهما الحطب
كأن أهل الحجاعن رأيتكم غرب
بما تأشب (٥) لادين ولا حسب
فان دينهم أن تقتل العرب

(١) شعاعاً أى متفرقة

(٢) الخنع والخنوع . الذل والضميم ، واليراع الجبان المستطار القلب .

(٣) يعتبط بمت شابا

(٤) أمير خراسان من قبل بني أمية

(٥) تأشب : اختلط

وقال ابن الدمينه (١)

قفي يا أميم القلب نقض لبانة ونشك الهوى ثم أفعلى ما بدالك
سلى البانة الغناء بالأبطح الذى به الماء هل حبيت أطلال دارك
وهل قتت فى أظلالهن عشية مقام أخى البأساء واخترت ذلك
ول ككفكفت عيناى فى الدار عبرة

فرادى ككنظم اللؤلؤ المتهاك

لهنك امساكى بكفى على الحشا ورقراق عيني خشية من زيالك
أبني أفى يمينى يديك جعلتني فأفرح أم صيرتني فى شمالك
فيا بانه الوادى أجيبى متبيا أجا سقم أنشبتني فى حبالك
تعاللت كى أشجى وما بك علة تريدن قتلى قد ظفرت بذلك

وقال الأحوص (٢)

وانى لآنى البيت ما أنت أحبه وأكثر هجر البيت وهو حبيب وأدعى إلى ما سر كم فأجيب
وأغضى على أشياء منكم تسوفنى أميم بأفناء الديار سليب
وما زلت من ذكراك حتى كأنى لها بين جلدى والعظام ديب
أبتك ما ألتى وفى النفس حاجة واما مسيئا مذنباً فيتوب
هينى امراً إما برياً ظللتني لك الله انى واصل ما وصلتنى
ومثن بما أوليتنى ومثيب وآخذ ما أعطيت عفوا واننى
لأزور عما تكرهين هيب فلا تتركى نفسى شعاعا فانها
من الحزن قد كادت عليك تذوب

(١) هو عبد الله بن عبيد الله من بنى عامر بن تيم الله : شاعر غزل من شعراء

الدولة الاموية .

(٢) هو عبد الله بن محمد الانصارى شاعر أموى غزل رقيق ، ولقب بالأحوص

لحوص فى عينيه : أى ضيق فى مؤخرتهما

∴

وقال الأخطل^(١) يصف سير الصحراء :

خليلي ليس الرأي أن تدراني بدوية يعوى بها الصديان^(٢)
وأرقني من بعد ما تمت نومة وعضب جملت عنه القيون يمان^(٣)
تصاحب ضيفي قفرة يدرقائها غراب وذئب دائم العسلان^(٤)
إذا حضراتي عند زادي لم أكن بخيلا ولا صبا إذ تركاني
إذا ابتدرا ما تطرح الكف فاته به ذو جناح كيس اللحظان
يباعده منه الجناح وتارة يواوح بين الخطو والحجلان

• • •

وقال يصف الحجر .

وشارب مرنج بالسكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار^(٥)
نازعته طيب الراح الشمول وقد
صاح الدجاج وحانت وقفة الساري^(٦)

(١) هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبي النهمري شاعر بني أمية وأمير
شمراتهم وثالث ثلاثة كان لهم زعامة الأموي :

(٢) الدوية : الصحراء ، والصديان : مثنى صد ، أي ظبان ، ويريد بهما
الذئب والغراب .

(٣) عضب مرفوع على الابتداء ، أي ومعى عضب ، والجملة حال .

(٤) العسلان : سرعة الحركة والسير .

(٥) الحصور . البخيل الضيق ، والسوار . المعربد الوثاب من السكر .

(٦) صياح الدجاج ، ووقفة الساري : كناية عن طلوع الفجر .

صهباء قد كلفت من طول ما عنست

في مخدع بين جنات وأنهار (١)
عذراء لم يجتل الخطاب بهجتها حتى اجتلاها عبادى بدينار (٢)
كأنما المسك نهي بين أرحلنا مما توضع من ناجودها الجارى (٣)

وقال العرجى وهو من ولد الخليفة عثمان بن عفان ومن شعراء الغزل
إذا حرم المرء الحياء فإنه بكل قبيح كان منه جدير
له فحة في كل شيء وسره مباح وخدناه خنا وغرور
يرى القتم مدحا والدنائة رفعة وللمع منه في العظمت نفور

وقال أبو صخر الهزلى (٤) وقد تقدم بعضها :

أما والذي أبكى واضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر
أقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منهما لا يروعهما الدهر (٥)
عجبت لسعى الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فياحبه أزدنى جوى كل ليلة ويأسلوة الأيام موعدك الحشر
ولمى لتعرونى لذكراك زوعة كما انتفض العصفور بالله القطر
ولمى لآتيها أريد عتابها وأوعدها بالهجر ما برق الفجر

(١) عنست الجارية : أى تأخرت عن الزواج زمنا طويلا ، وكلفت من
السكف ، وهو شدة الحب ، وذلك كناية عن صفرة لونها .

(٢) العبادى . نسبة إلى العباد وهم قبيلة نصرانية في الحيرة تحسن تعتيق الخمر

(٣) الناجود . أول ما يخرج من دن الخمر .

(٤) وهو شاعر إسلامى موال لبني مروان عتصب لهم

(٥) الذعر : الخوف .

فأهت لا عرف لدى ولا نكر (١)
وأنى الذى قد كنت فيه أتيتها
ويعنى من بعض إنكار ظلها
عخافة أنى قد علمت لئن بدا
على هجرها ما يصنعن بي الهجر
وقال ذو الرمة أحد شعراء الغزل فى عصر بنى أمية

أرأنى إذا هومت يامى زرتنى
لها جيد أم الحشف ريعت فأتلعت
وعين كعين الرمم فيها ملاحظة
وقال ذو الرمة :

خليلى عدا حاجتى من هواكما
ألمأ بهى قبل أن تطرح النوى
وإن لم يكن إلا تعلق ساعة
ومن ذا يواسى النفس الا خليلها ؟
بنا مطرحا أو قبل بين يريانها
قليلاً فانى نافع لى قليلها

وقال الخليل القينى (٣)

خليلى قد قست الأمور ورضتها
فلم أخف سوءا للصديق ولم أجد
من الناس إنسانان دينى عليهما
خليلى أما أم عمرو ففنيهما
بلينا بهجران ولم أر مثلنا
أشد مصافة وأبعد من قلى
بنفسى وبالفتيان كل زمان
خليليا ولا ذا البت يستويان
مليان لو شاءا لقد قضيانى
وأما عن الأخرى فلا تسلاى
من الناس إنسانين يهتجران
وأعصى لوأش حين يكتفیان

(١) أذهل لا عرف شيئا ولا أنكره

(٢) الألف فى فيا نعمتا منقلبة عن ياء المتكلم كما فى دياحسرتا ، ود يا أسفا ،

(٣) شاعر حجازى اسلامى أحد المتيمين المشهورين بالعشق .

تحدث طرفانا بما في صدورنا
فوالله ما أدري أكل ذوى الهوى
فلا تعجبا بما بي اليوم من هوى
وكنا كرمي معشر ضم بيننا
سلاه بأمر العمر من هي إذ بدا
فما زادنا بعد المدى تقض مرة
خليلي لا والله مالى بالذى
ولالى بالبين اعتلاء إذا نأت

وقال : ابن الطرية (١) :

عقيلية أما ملاث إزارها
تقيظ أكتاف الحى ويظلمها
أليس قليلا نظرة إن نظرتها
فياخلة النفس التى ليس دونها
ويامن كتمنا حبه لم يطع به
أما من مقام أشتكى غربة النوى
فديتك أعدائى كثير وشقتى
وكنت إذا ماجئت جئت بعلة
فما كل يوم لى بأرضك حاجة
صحائف عندى للعتاب طويتها
فلا تحملى ذنبي وأنت ضعيفة

فدعص وأما خصرها فبئيل
بنعمان من وادى الأراك مقبل
إليك وكلا ليس منك قليل
لنا من أخلاء الصفاء خليل
عدو ولم يؤمن عليه دخيل
وخوف العدا فيه إليك سنيل
بعيد وأشياعى لديك قليل
فأفئيت علاقى فكيف أقول
ولا كل يوم لى إليك رسول
ستنشر يوما ، والعتاب طويل
فحمل دمي يوم الحساب ثقيل

(١) هو يزيد بن الصبة أحد بنى سلمة الخير بن قشير ، والطرية أمه ، وهو شاعر إسلامي ، وكان جميل الوجه حسن الشعر حلوا الشمائل ، وكان يقول من أظم عند النساء فليشد من شعري ، وكان كثيرا ما يتحدث إلى النساء ، وقد قتله بنو حنيفه يوم الفلج ، وكان لبي عامر على بنى حنيفه . ولاخته زينب شعر جيد ترثيه به

وقال العباس بن مرداس السلمي^(١) :

ترى الرجل النخيف فتزدريه وفي أثوابه أسد مبرير^(٢)
ويعجبك الطير فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الطير^(٣)
فما عظم الرجال لهم بفخر ولكن نُفِرم ككرم وخير
بغاث الطير أكثرها فراخا وأم الصقر مقلات نزور^(٤)
ضعاف الطير أطولها جسوما ولم تطل البزاة ولا الصقور
لقد عظم البعير بغير لب فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجير^(٥)
وتضربه الوليدة بالهراري فلا غير لديه ولا نكير^(٦)
فإن أك في شراركم قليلا فاني في خيباركم كثير

وقال محمد^(٧) بن بشير :

إن الأمور إذا انسدت مسالكها فالصبر يفتق منها كل ما ارتجأ^(٨)
لا تياسن وإن طالت مطالبة إذا استغنت بصبر أن ترى فرجا

(١) العباس بن مرداس؛ شاعر من المخضرمين وهو من المؤلفات قلوبهم في الإسلام وكان فارسا مقداما .

(٢) المرير : القوي الشديد . من المرة وهي القوة ؛

(٣) الطير : الحسن المنظر ؛

(٤) بغاث الطير : ضعافها وما لا يصيد منها والمقلات : التي تلد واحدا ثم لاتلد بعده أو التي لا يعيش لها ولد والفعل من ذلك أقات : والنزور ، القليله الأولاد .

(٥) الجير . الحبل يجربه البعير .

(٦) الهراوى . جمع هرواة وهي العصا الغليظة .

(٧) محمد بن بشير . من عدوان شاعر فصيح حجازى من شعراء الدولة الأموية

(٨) ارتجأ : أغلق والرتاج . الباب الكبير يغلق وفيه باب صغير مفتوح

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا
قدر لرجلك قبل الخطو موضعها فن علازلقاً عن غرة زلجا
ولا يغرنك صفو أنت شاربه فربما كان بالتكدير بمتزجا

وقال كعب يرثي أخاه أبا المغوار

تقول سليمان ما لجسمك شاحبا كأنك يحميك الشراب طيب
فقلت نحول من خطوب تتابعت على كبار والزمان يريب
لعمري لئن كانت أصابت منية أخى فالمنايا للرجال شعوب
فاني لبأنيبه وإني لصادق عليه وبعض القائلين كذوب
أخى ما أخى لا فاحش عند ربية ولا ورع عند اللقاء هيوب
أخ كان يكفيني وكان يعينني على نائبات الدهر حين تنوب
هر العسل الماذى لينا وشيمة وليث إذا لاقى الرجال قطوب
كعالية الرمح الرديني لم يكن إذا ابتدر الخيل الرجال يخيب
وداع دعائيا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك يجيب
فقلت أدع أخرى وارفع الصوت ثانيا لعل أبا المغوار منك قريب
يجبك كما قد كان يفعل إنه بامثاله رحب الذراع أريب
وحد تمناني أنما الموت في القرى فكيف وهذى هضبة وكثيب
فلو كانت الموتى تباع اشتريته بمالم تكن عنه النفوس تطيب
بعيني أو يمني يدي وخلقتي أنا الغانم الجدلان حين أموب
لقد أفسد الموت الحياة وقد أتى على يومه عاق إلى حبيب
أتى دون حلو العيش حتى أمره خطوط على آثاره من نكوب
فوالله لا أنساه ماذر شارق وما اهتز من فرع الأراك قضيب

وقال آخر يرثي قيس بن عاصم المنقري :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ماشاء ان يترحمنا
تحيمة من البسته منك نعمة اذا زار عن شحط بلادك سلبا

فما كان قيس لها ملك واحد ولكنه بنيان قوم تهتما

∴

وانشد ابو محمد الليثي في يزيد بن يزيد

أحق أنه أودى يزيد
أحامي الملك والاسلام أودى
تأمل هل ترى الاسلام مالت
أما هدت لمصرعه نزار
وجل ضريحه اذ حبل فيه
أودى عصمة الباري يزيد
لقد رزأت نزار يوم أودى
فلو قبل الفداء فداء منا
ابعد يزيد نخترن البواكي
أما بالله لا تنفك عني
وان تجمد دموع لثيم قوم
وان يهلك يزيد فكل حي
فان يك عن خلود قد دعته
فما أودى أمرؤ أودى وأبقى
ألم تعلم أخى أن المنايا
ليبيك شاعر لم يبق دهر
أصيب المجد والاسلام لما
لقد عزى ربيعة أن يوما
ومثلك من قصدن له المنايا
فيا للدهر ما صنعت يدها
سقى جدنا أقام به يزيد
فان أجزع لها ملكه فاني

فبين ايها الناعي المشيد
فما للارض ويحك لاتبيد
دعائه وهل شاب الوليد
بلى وتقوض المجد المشيد
طريف المجد والمجد التليد
وسيف الله والغيث الحميد
عميدا ما يقاس به عميد
بمجهته المسود والمسود
دموعا أو تصان لها حدود
عليه بدمعها ابدأ تجود
فليس لدمع ذى حسب جمود
فريس للمنية أو طريد
مآثره فكان لها الخلود
لوارثه مسكارم لا تبيد
عدون به وهن له جنود
له نشبا وقد كسد القصيد
أصابتك بالردى سهم شديد
عليها مثل يومك لا يود
باسمها وهن له جنود
كأن الدهر منها مستفيد
من الوسمى بسام رعود
علي النسكبات اذ أودى جليلد

وقال عتبية المازني:

ومستنجح بات الصدى يستنجه (١)
فقلت لا هلى ما بغمام مطية
فقالوا غريب طارق طوحت به
فصمت ولم أجهم مكانى ولم تقم
وناديت شبلا فاستجاب وربما
فقام أبو ضيف كريم كأنه
إلى جذم مال قد نهكنا سواء (٢)
جعلناه دون الذم حتى كأنه
لما حمد أرباب المثين ولا

ولعبد الله بن جعفر الطالبي المتوفى سنة ٨٠ هـ

إذا كنت فى حاجة مرسلا
فأرسل حكما ولا توصه (٤)
وإن باب أمر عليك التوى (٥)
فشاور ليبيأ ولا تعصه
وإن ناصح منك يوما دنا
فلا تنأ عنه ولا تقصه (٦)

- (١) يستنجه يستفعل من تاه يتيه إذا ضل
- (٢) الجذم الأصل نهكنا سواءه أى اثرنا فى السائمة من المال بما عودناها من النحر من قوطم نهكه المرض إذا أضربه
- (٣) المنائح جمع منيحة وهى الناقة أو الشاه تدفع إلى الجار لينتفع بلبنها
- (٤) الحكيم العاقل الحازم الفاضل ومن رقة الانتقاد ما يروى أن أبا الأسود الدؤلى سمع رجلا ينشد هذا البيت فقل قد أساء القول أى علم الغيب إذا لم يوصه كيف يعلم ما فى نفسه
- (٥) يعنى إذا صععب عليك أمر من الأمور
- (٦) فلا تبعده عنه ولا تبعده

وذا الحق لا تنتقص حقه فان القطيعة في نقصه (١)
ولا تذكر الدهر في مجلس حديثا إذا أنت لم تحصه (٢)
ونص الحديث إلى أهله (٣) فان الأمانة في نصه
وكم من فقى عازب لبه وقد تعجب العين من شخصه (٤)
وأخر تحسبه أنوكا ويأتيك بالامر من فسه (٥)
وقال: شقران مولى سلمان من قضاة:

لو كنت مولى قيس عيلان لم تجد على لانسان من الناس درهما
ولكننى مولى قضاة كلها فليست أبالى ان أدين وتغرما
أولئك قومي بارك الله فيهم على كل حال ما عفف واكرما
ثمال الجفان والحلوم رحاهم رحا الماء يكتالون كيلا عندما
جفاة الحز لا يصيبون مفصلا ولا يأكلون اللحم الا تخذما
وقال النرى ويقال انها لرجل من باهلة:

وداع دعا بعد الهدو كأنما يقاتل أهوال السرى وتقاتله
دعا بانسأ شبه الجنون وما به جنون ولكن كيد أمر يحاوله
فلما سمعت الصوت ناديت نحوه بصوت كبريم الجد حلو شمائله
فأرزت نارى ثم أثقت ضوءها

وأخرجت كلبى وهو فى البيت داخله
فلما رآنى كبر الله وحده وبشر قلباً كان جماً بلابله

-
- (١) لا تنتقص حقه لا تنقصه والقطيعة الحجر والمعوق
(٢) إذا كنت لا تستظهره وتعرفه حق المعرفة
(٣) ارفع الكلام إلى المرفوع اليهم ولا تزد فيه ولا تنقص منه .
(٤) عازب لبه غائب عقله وتعجب العين من شخصه أى من حسن منظره
(٥) الأنوك الأحمق والانيان بالامر من فسه معناه الانيان بالخبر اليقين
المفصول فيه فلا يقبل المعارضة

فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا
وقمت الى برك هجان أعده
بأبيض خطت نعله حيث أدركت
لجال قليلا واتقاني بخيره
بقرم هجان مصعب كان لجلها
نغر وظيف القرم في نصف ساقه
بذلك أوصاني أبي وبمثله
ولمات معاوية بن أبي سفيان وي زيد غائب صلى عليه الضحاك بن قيس
الفهرى ثم قدم يزيد من يومه ذلك فلم يقدم أحسد على تعزيتة - حتى دخل عليه
عبد الله بن همام السلولى فقال :

اصبر يزيد فقد فارقت ذامقة
لارزه أعظم فى الأرقام قد علموا
أصبحت راعى أهل الأرض كلهم
وفى معاوية الباقى لنا خلف
فافتح الخطاب الكلام

وقال العباس بن الوليد بن عبد الملك لمسلمة بن عبد الملك :

ألا تقنى الحياء أبا سعيد
فلولا أن أصلك حين تنمى
وأنى إن زميتك هضت عظمى
لقد أنكرتني إنكار خوف
وتقصر عن ملاحاتى وعندى
وفرعك منتمى فرعى وأصلى
ونالتي إذا نالتك نبلى
يضم حشاك عن شتمى وأكلى
لقيس (١) حين خالف كل عدل
أريد حياته ويريد قتلى (٢)

(١) يريد عمرو بن معدى كرب وقيس بن مكشوح .

(٢) ١ / ١٤ الأمالى .

وقال الأحوص .

قالت وقلت نخرجي وصلى حبلي أمرى بوصولكم صب :
صاحب إذا بعلى فقلت لها الغدر شيء ليس من ضربى
ثنان لا أدنو لوصلهما عرس الخليل وجارة الجنب
أما الخليل فلست فأجسه والجار أو صانى به ربي
عوجا كذا نذكر لغانيه بعض الحديث مطيكم صحبي
ونقل لها فيم الصدود ولم نذنب بل أنت بدأت بالذنب
إن تقبلى تقبل ونزلكم منا بدار الود والرحب
أو تدبرى تكدر معيشتنا وتصدعى متلائم الشعب (١)
وقال القطامي يمدح زفر القيسى وكان قد أسره ثم عفا عنه :

ما للكواعب ! ودعن الحياة كما ودعنى واتخذن الشيب ميعادى (٢)
أبصارهن الى الشبان مائلة وقد أراهن عنى غير صداد (٣)
إذ باطلى لم تقشع جاهليته عنى ، ولم يترك الخلان تقوادى (٤)
كنية الحى من ذى الغضبة احتملوا مستحقين أسيراً ماله فادى (٥)
بانوا ، وكانت حياتى في اجتماعهم وفى تفرقهم قتلى وإقصادى (٦)

(١) ٤٦ ج ١ الأمالى .

- (٢) الكواعب : جمع كاعب ، وهى العتاة الناهدة . ميعادى ، وقت قطيعتى يدعو عليهن بالموت لما هجرته لخلول شبيهه : اتخذن معطوف على ودعنى .
(٣) صداد جمع صادة : المرضة .
(٤) الباطل : الضلال : تقشع تذهب . جاهليته . سفاهته . الخلان جمع خليل وهو الصديق . تقوادى : قيادتى الى اللهو .
(٥) كنية الحى متعلق بودعنى : أى كما ودعنى حتى كنت به كلفا ، النية : البعد والقصد . استحقب : ادخر . الأسير هو أو فؤاده . ذو الغضبة مكان .
(٦) بانوا : رحلوا . إقصادى : أهلاكى .

- أرمى قصيدهم طرفي، وقد سلكوا
بطن الجحيم فالروحاء فالوادي (١)
محمد بن لبرق صاب في خيم
وبالقصرية رادوه بسرود (٢)
يخفون طوراً وأطواراً إذا طلغوا
نجداً، بدالي من أجمالهم بادي (٣)
وفي الحدور غمامات برقن لنا
حتى تصيدتنا من كل مصطاد (٤)
يقتلنا بحديث ليس يعلمه
من يتقين ولا مكتومه بادي (٥)
فهن ينبذن من قول يصبن به
مواقع الماء من ذى الغلة الصادي (٦)

* * *

من مبلغ زفر القيسى مدحته من القطامي قولاً غير إفراد (٧)

- (١) القصيد: الناحية. الطرف النظر. الجحيم: أرض لفرارة. الروحاء: موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة. الوادي: منحرج ما بين جبال أو تلال أو آكام وهو اسم لعدة أماكن كوادى القرى وغيره.
(٢) محمد بن: ناظرين بحدة. صاب: انصب مطره. خيم: جمع خيمة. القرية بضم القاف وفتح الراء وتشديد الياء بموضع لظى. رادوه طلبوه. الرواد: جمع رائد وهو الرسول يبعثه القوم لينظر لهم مكاناً ينزلون فيه.
(٣) طوراً: مرة. النجد: المرتفع من الأرض. بدأ: ظهر. أجمال: جمع جمل.
(٤) الحدور جمع خدر. الهودج أو مسكن الجارية. غمامات: جمع غمامة السحابة البيضاء، والمراد المرأة الجميلة. برقن لنا: أطمعنا. مصطاد: مصيد اسم مفعول أو مكان.

(٥) يتقين: يخفنه. باد: ظاهر

- (٦) ينبذن: يرمين ويتكلمن. الغلة: حرارة العطش. الصادي: العطشان أى يقع كلامهن منا كوقع الماء من شديد العطش، فسكلاهما أحسن ما يكون وقعا
(٧) زفر القيسى رئيس قيس عدوة تغلب قبيلة الشاعر. وكان قد جفا عن القطامي وفك أسره لما هزم مع قومه في إحدى الوقائع فدحه بهذه القصيدة. الإفراد: الكذب.

أنى وان كان قومي ليس بينهم
من عليك بنا استبقيت معرفتى
فلن أتيبك بالنباه مشهـ تمة
فان هجـ وتك ماتمت مكارمتى
قتلت بكرا وكلبا واشتليت بنا
لولا كئائب من عمرو تصول بها
إذ لا ترى العين إلا كل سلهبة
إذ الفوارس من قيس بشكيتهم
إذ يعتريك رجال يسألون دمي
فقد نصيتهم والحرب مقبلة

وبين قومك الاضرية الهادى (١)
وقد تعرضت منى مقتل بادي (٢)
وان أبدل إحسانا بافساد
وان مدحت لقد أحسنت إصفادى (٣)
وقد أردت بأن يستجمع الوادى (٤)
أرديت ياخير من يندوله النادى (٥)
وسابح مثل سيد الردهة العادى (٦)
حولى شهود وما قومي بشهاد (٧)
ولو أطعتهم أبكيت عوادى (٨)
لا ، بل قدحت زنادا غير صلا (٩)

(١) الهادى : النصل .

(٢) من عليك : مادحك . بما استبقيت أى بابنائك على لمعرفتك . إباى .

تعرض : ظهوروا نكشف . مقتل : موضع أقتل منه

(٣) مكارمتى : مفاخرتى لك بالكرم . إصفادى : إعطائى . الصفد القيد

صفده قيده واصدده أعطاه

(٤) بكر وكتب : قبيلمان من عدنان اشتليت : تداركت وأتقتت . يستجمع

الوادى : يتم لك كل ما يسرك قبلنا :

(٥) الكئائب جمع كئيبية : القطعة من الجيش . تصول : تسطو . أرديت هلكت

يندو : يجتمع اليه للحديث والاستشارة . النادى : مجلس القوم :

(٦) سلهبة : فرس طويلة . السيد . الذئب . الردهة : الأكمة الخشنة . العادى

الهاجم يشبه الفرس بالذئب المتدى فى السرعة .

(٧) الشكة : السلاح . قيس : قبيلة الشاعر . شهود وشهاد : حضور .

(٨) يعتريك : يغشاك . يسألون دمي : يطلبون قتلى . عوادى جمع عائد : الزائر :

(٩) قدح الزند : حاول لإخراج النار منه . الزناد : جمع زند وهـ والورد

يقندح به النار . صلا لا يورى . والمعنى لقد أكرمت رجلا يحسن تقدير الجليل .

والصيد آل نفيل خير قومهم عند الشتاء إذا ما ضن بالزاد (١)
 المسانعون غداة الروح جارهم بالمشرقية من ماض ومناذ (٢)
 أيام قومي ، مكاني منصب لهم ولا يظنون إلا أني رادى (٣)
 فانتاشنى لك من غبراء مظلمة حبل تضمن إصدارى وإيرادى (٤)
 ولا كردك عنى بعد ما كربت تبدى الشنائة أعدائى وحسادى (٥)
 فان قدرت على يوم جزيت به والله يجعل أقواما بهرصاد (٦)
 نفسى فداه بنى أم هم خلطوا يوم العروبة أورادا بأوراد (٧)
 بيضا صوارم كالشهبان نعتفها فى البيض من مستقيمت ومناذ (٨)

- (١) الصيد جمع أصيد : الملك أو الرافع رأسه كبرا . آل نفيل . آل المدوح
 ضن بالزاد بخل به . فهم كرام وقت الشتاء حين يينخل الناس .
- (٢) المانعون : الخامون ، الروح : الفروع . الجرار : المجاور أو المستجير .
 المشرقية : السيوف المنسوبة إلى مشارف الشام ، وهى قرى عربية تدنو من ريفه .
 الماضى : السيف المستقيم القاطع . المناذ : الماوج .
- (٣) منصب : متعب يشق عليهم بلوغه . راد : هالك .
- (٤) انتاشنى : تداركنى . الغبراء : الداهية . حبل : عهد وذمة . الإصدار :
 الإرجاع عن الماء . الإبراد : إحصاره المورد والمعنى أن عهدك قام بحفظى وحراستى
- (٥) كربت : دنت . الشنائة البغض والشناتنه . أى ليس من الفعل ما يشبه
 ردك الشر عنى وقد كاد يشمت بى الأعداء لقرب ضياعى .
- (٦) قدرت على يوم : أى إذا قدرت عليك يوما عفوت عنك وقالوا : لما
 سمع زفر هذا قال . لا أقدرك الله . المرصاد : الطريق ومكان الرصد .
- (٧) يوم العروبة : يوم لتغلب على قيس . أوراد : جمع ورد . الجيش أو
 الجماعة أو السيف .
- (٨) بيضا صوارم . سيوفا قاطعة . الشهبان جمع شهاب : الكوكب أو المنقض
 منه . نعتف . نضرب على غير هدى ،

ثبيت قيسا على الحشاك قد نزلوا
في المجد والكرم العالى ذوى أمل
الضاربين عميراً عن بيوتهم
مناجى على الأضياف حشاد (١)
وفي الحياة وفي الأموال زهاد
بالتل يوم عمير ظالم عادى (٢)

(١) الحشاك . نهر بأرض الجزيرة بين دجلة والفرات . حشاد جمع حاشد :
المستند المتأهب . أى نزلت قيس علينا للحروب فوجدتنا مستعدين للقائنا وشبه
الاحتشاد للحرب بالاجتماع لإكرام الضيف بتزويل التضاد منزلة التناسب .
(٢) عمير بن الحباب القيسى ، قتل يوم الدروبه ، وهو يوم لتغلب على قيس .
ضربه عن بيته : صده عنه .

الشعر

في العصر الأموي

تمهيد :

١ — الشعر لغة الخيال الساحرة ، وأداة التعبير الرائع ؛ وديوان العرب
وبجمع نثرهم ، ومآثرهم الكبيرة الخالدة

نظموه في الجاهلية أناشييد سماوية تصور المشاعر والحواطف وخواطر
القلوب ، وخلجات النفوس ، يحفظون به كما يقول التبريزي ، المسكارم والمناسبات
ويقيمون به الأيام والمناقب ، ويخلدون به معالم الثناء ، وبقون به مواسم الهجاء ،
ويضمون به ذكر وقائعهم في أعيادهم ، ويستودعون به حفظ صنائعهم إلى أوليائهم ،
كما نظموه بعد الجاهلية حتى الآن قصائد رائعة تخطر في ثوب الخيال البديع
والمعاطفة الصادقة والمعنى الجميل والحكمة الرفيعة ، فأضافوا إلى حوليات زهير
واعتراريات النابغة وحماسيات عنتره أهاجي الخطيئة وهاشميات السكيت ونقائض
جرير وغزليات ابن أبي ربيعة وابن الأحنف وخرجات الأخطل وأبي نواس ونظريات
الفرزدق ومراثي أبي تمام ومدائح البحري وروضيات الصنوبري وإطائف كشاجم
واتخذوه صناعة فنية عالية ، واختاروا لنظمه الأوقات المناسبة حتى
قال الفرزدق : « من أسلس ما يسكون الشعر في أول الليل قبل الكرى وأول
النهار قبل الغداء وعند مناجاة النفس واجتماع الفسك ، وهذبوه كما كان زهير
يهدب حولياته التي كان ينظم القصيدة منها في ستة أشهر وينقحها في ستة أشهر »

٢ — ولقد لقي الشعر العربي الكثير من رعاية خلفاء بني أمية وعنايتهم
وإيتارهم ، وعقدوا المجالس لأنشاده ونقده ، وسمعوا الجوارى يغنين به في مجالس
السمر والرهو ، وأناهوا الشعراء عليه بسنى الجوائز وكريم العطاء

ولم لا؟ وهم عرب يهزم البيان، وتسحرهم البلاغة ويظربون للشعر، ويظيرون
عند سماع مدحة رائعة أو ثناء محبر

وإذا كانوا قد شملوا العلم والثقافة واللغة والأدب بالرعاية والبر، فلم لا يعنون
كذلك بالشعر وهو أداة التصوير الساحر، والتأثير الباهر والتعبير عن كل
ما يجيش بالنفس من خواطر وآراء ومعان وأفكار؟

ولم لا يسكرون الشعراء، وهم من هم عند العرب، نباهة شأن، وجلال مكانة
ورفعة منزلة، وعظمة جاه ونفوذ وسلطان؛ وهم الذى يتصرفون فى الأرواح
والقلوب والعواطف، ويمسكون مقادير الجماهير، ويدهم زمام البيان والبلاغة؟

وكيف لا نجد منهم ذلك التقدير للشعر، وهو سبيل لدعم ملكهم، وتأييد
سلطانهم، ووسيلة لامتلاك زمام القلوب الثائرة، والنفوس الساخطة؟

وستعلم من البحوث التالية مالى الشعر فى عصر بنى أمية من بر وإيثار

وتقدير وحب

مظاهر العناية بالشعر فى العصر الأموى وأسبابها:

١ - عنى الخلفاء والأمراء والولاة بالشعر عناية كبيرة:

أ - فأر سلوا وفودهم للشعراء التماساً للمدح والثناء، حتى أن سليمان بن عبد
الملك بعث إلى ابن أبي ربيعة فأناه، فقال له: لم تمدحنا، قال عمر: أنا لا أحسن
مدح الخلفاء والأمراء إنما أحسن مدح النساء، وكان الخلفاء يبعثون للشعراء فى
المناسبات الحافلة، يطلبون منهم لإنشاء المدائح والقصائد،

ب - واتخذ كل خليفة أو أمير لنفسه شاعراً يقربه ويؤثره ويهبه الأموال
الجزيلة والعطاء الجمم، فكان الأخطل شاعر يزيد بن معاوية ثم شاعر مروان بن
عبد الملك الخليفة الأموى العظيم.

ولم يشذ عن ذلك إلا عمر بن عبد العزيز الذى نغم على الشعراء عيبتهم
وهوهم وجونهم واتخاذهم الشعر أداة للمدح السكاذب والهجاء الذاحش والغزل
الصاخب الجذرم وأوعدهم وأنذرهم وهددهم بل نفي بعضهم من جزيرة العرب.

روى (١) أنه لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة لم تكن له همة إلا عمر بن أبي
والأحوص . فكتب إلى عامله على المدينة : « قد عرفت عمر والأحوص بالخبث
والشر ، فإذا أتاك كتابي هذا فاشدهما وأحملهما إلى » .

فلما أتاه الكتاب حملهما إليه : فأقبل على عمر فقال له : هيه !

فلم أر كالتجمير منظر ناظر ولا كلياى الحج أفلتن ذا هوى
وكم مالى عينيه من شيء غيره إذا راح نحو البجرة البيض كالدمى
فإذا لم يفلت الناس منك فى هذه الأيام فتى يفلتون ، أما والله لو أهتمت
بأمر حجرك لم تنظر إلى شيء غيرك ، نعم أمر بنفيه . فقال : يا أمير المؤمنين أو خير
من ذلك ؟ أعاهد الله ألا أعود إلى مثل هذا الشعر أبداً وأجدد توبة على يدك .
قال : أو تفعل ؟ قال نعم . فعاهد الله على توبة وخلاه . ثم دعا بالأحوص فقال : هيه
الله بينى وبين قيمها يهرب منى بها وأتبع

بل الله بين قيمها وبينك ائمم أمر بنفيه إلى دهمك (٢) فلم يزل بها .
فرحل إلى عمر عدة من الأنصار فكلموه فى أمره ، وسألوه أن يقدمه ،
وقالوا له : قد عرفت نسبه وقدمه وموضعه ، وقد أخرج إلى بلاد الشرك ،
فنطلب منك أن ترده إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار قومه . فقال
لهم عمر ، من الذى يقول :

فما هو إلا أن أراها فجأة . فأهبت حتى ما أكاد أحير

قالوا : الأحوص قال فمن الذى يقول .

أدور ولولا أن أن أرى أم جعفر بأبياتكم ما درت حيث أدور
وما كنت زواراً ولسكن ذا الهوى إذا لم يزر لا بد أن سيرور

(١) الأغانى ض ٦٤ ج ٩

(٢) دهمك : بلدة ضيقة حارة تجاه مصوع ، كان بنو أمية إذا سخطوا على

على أحد نفوه إليها .

قالوا: الأحوص . قال فن ذا الذي يقول .

كان لبني صبير (١) غادية أو دمية زينت بها البيع
الله بيني وبين قيما يهرب مني بها وأتبع
قالوا الأحوص ، قال . والله لا أردده ما كان لي سلطان .

فحكك هناك حتى مات عمر ، وولى الأمر من بعده يزيد بن عبد الملك ،
فغنته جميلة يوماً :

كريم قريش حين ينسب والذي أقرت له بالملك كهلا وأمردا
فطرب يزيد وقال : ويحك ، من كريم قريش هذا ، قالت : أنت يا أمير
المؤمنين ومن عسى أن يكون ذلك غيرك . قال . ومن قائل هذا الشعر في ؟
قالت : الأحوص وهو منفي .

فكتب برده وحمله إليه ، وأنفذ إليه صلوات سنية : فلما قدم إليه أدناه وقربه
وأكرمه ، وقال له يوماً في مجلس حافل . والله لو تمت إلينا بحق ولا صهر ولا
رحم إلا بقولك .

وإني لأستحييكم أن يقودني إلى غيركم من سائر الناس . مطمع
لكفالك ذلك عندنا .

ولم يزل ينادمه حتى مات

ج - وأخذ قواعلي الشعراء العطاء والأموال الجزيلة والهبات الضخمة ،
وعاش كثير من الشعراء في ترف ونعمه وثناء

روى عن دكين الراجز قال . (٢) امتدحت عمر بن عبد العزيز وهو والي
المدينة ، فأمر لي بخمس عشرة ناقة كرائم ، فكرهت أن أرمي بهن الفجاج ، ولم

(١) صبير : سحابة بيضاء .

(٢) الأغانى ص ٢٦١ ج ٩ ، العقد الفريد ص ٢٠٢ ج ١

تطب نفسي ببيعتهم . فقدمت علينا رفقة من مصر ، فسألتهم الصحبة ، فقالوا .
ذاك إليك ، ونحن نخرج الليلة .

فأتيته فودعته ، وعنده شيخان لا أعرفهما ، فقال لي : ياد كين ، إن لي نفساً
تواقفة ، فإن صرت إلى أكثر مما أنا فيه فأتني ولك الإحسان . قلت . أشهد لي
بذلك ، قال . أشهد الله به . قلت : ومن خلقه ؟ قال . هذين الشيخين ، فأقبلت
على أحدهما فقلت . من أنت أعرفك ؟ قال . سالم بن عبد الله بن عمر . وقلت
للآخر : من أنت ؟ قال . أبو يحيى مولى الأمير .

فخرجت إلى بلدي بهم ، فرمى الله في أذانهم بالبركة حتى اعتقدت (١) منهم
الإبل والعبيد ، فاني لبصحرأ فليج (٢) إذا ناع ينمي سليمان . قلت : فن القائم بعده؟
قال : عمر بن عبد العزيز .

فتوجهت نحوه ، فلقيني جرير منصرفاً من عنده ، فقلت : يا أبا حرزة ، من
أين ؟ فقال : من عند من يعطى الفقراء ، ويمنع الشعراء فانطلقت فاذا هو في عرصة
دار ، وقد أحاط الناس به ، فلم أخلص إليه ، فناديت .

يا عمر الخيرات والمسكارم وعمر الدسائع (٣) العظامم
إني امرؤ من قطن بن درام طلبت ديني من أخي مسكارم
إذ تتحى والليل غير نائم عند أبي يحيى وعند سالم

فقام أبو يحيى فقال : يا أمير المؤمنين ، لهذا البدوي عندي شهادة عليك ،
فقال : أعرفها ، أدن ياد كين ، أنا كما ذكرت لك ، إن نفسي لم تل شيئاً قط إلا
تاقت لها هو فوقه ، وقد نلت غاية الدنيا ، فنفسي تتوق إلى الآخرة ، والله
ما رزأت (٤) من أموال الناس شيئاً ، ولا عندي إلا ألف درهم ، فخذ نصفها .
قال دكين : فوالله ما رأيت ألفاً كان أعظم بركة منه .

(١) اعتقد الشيء ، اشتراه أو اقتناه
(٢) فليج . اسم واد
(٣) الدسائع : العطايا
(٤) رزأ من ماله شيئاً إذا أخذ

د - وعمدوا له المجالس الحافلة لأنشاده وسماعه ، وطربوا له واهتزوا أريحية
للشعراء الذين حبروه وأنشدوه

وعفوا عن خصومهم السياسيين لقول بليغ يصدر منهم ؛ أوييت رائع تنطق
به أسنثهم ، وموقف عبد الملك من الكمية مشهور

وروى أن معاوية لما ^(١) استعمل زياداً على العراق كتب إليه . أما بعد فانظر
عبد الله ^(٢) بن هاشم بن عتبة ، فشد يده إلى عنقه ، ثم أبعث به إلى

فجعله زياد من البصرة مقيداً مغلولاً إلى دمشق ، فأدخل على معاوية ، وعنده
عمرو بن العاص ، فقال معاوية لعمرو . هل تعرف هذا ؟ قال لا اقال . هذا
الذي يقول أبوه ^(٣) يوم صفين .

إني شريت ^(٤) النفس لما اعتلا وأكثرت اللوم وما أقفلا
أعور يعني أهل ^(٥) محلا قد عالج الحياة حتى ملا .
لا بد أن يقل ^(٦) أو يقلا يتلمم بذى السكوب ^(٧) تلا

(١) المسعودي ص ٥٧ ج ٢

(٢) كانت في نفس معاوية من يوم صفين إحن على هاشم بن عتبة وولده

عبد الله بن هاشم

(٣) جاء عمار بن ياسر إلى هاشم بن عتبة - وكان هاشم أعور - فقال .

يا هاشم ، أعورا وجبتاً ؟ أركب ، فركب ومضى معه وهو يرتجز ، إني شريت

النفس

(٤) شريت النفس . بعثتها في سبيل الله ، لما اعتل . رماني عمار بالجبن .

(٥) يعني أهله أى محل أهله ومصيرهم وهم الذين استشهدوا قبله .

(٦) يقل : يهزم

(٧) تله : صرعه ، وذو السكوب : الريح .

لاخير عندي في كريم ولي

فقال عمرو متمثلاً :

وقد يذبت المرعى على دمن^(١) الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا
دونك يا أمير ، الضب^(٢) الغضب ا فاشخب أوداجه^(٣) على أسباجه ،
فلا ترده إلى العراق ، فانه لا يصبر على النفاق ، وهم أهل غدر وشقاق ، وإن له
هوى سيوديه ، ورأيا سيطنيه ، وبطانة ستقويه ، وجزاء سيئة سيئة مثلها .
فقال عبد الله : يا عمرو ، إن قتل فرجل أسله قومه وأدركه يومه ، أفلا كان
هذا منك إذ تحيد عن القتال ، ونحن ندعوك إلى النزال ، فقال عمرو : أما والله
لقد وقعت ، ولا أحسبك منقلباً من مخالب أمير المؤمنين ا
فقال عبد الله . أما والله بآبن العاص ، إنك ، لبطر في الرخاء ، جبان عند
اللقاء ، غشوم إذا وليت هياب إذا لقيت ، أفلا كان هذا منك ، إذ غمرك
أقوام لم يعنفوا صغاراً ، ولم يرقوا كباراً ، لهم أيد شداد ، وألسنة حداد ..
فقال عمرو . أما والله لقد رأيت أباك يؤمئذ تخفق أحشاؤه ، وتبق^(٤)
أعماؤه . . . ا

فقال عبد الله : يا عمرو ، إنا قد بلوناك ومقاتلك ، فوجدنا لسانك كذوباً
غادراً ، خلوت بأقوام لا يبرفونك ، وجند لا يسأمونك ، ولورمت المنطق في غير
أهل الشام ليجفظ^(٥) إليه عقلك ولتاجلج لسانك ولاضطرب فخذاك اضطرب
القعود الذي أثقله حملة ا

(١) الدمن جمع دمنه وهي ما أسود من آثار النار .

(٢) الضب . حيوان يضرب بخداعه المثل فيقال : أخدع من ضب

(٣) الأودج . عروق في العنق ، وشخببت أوداج القتل دماً : جرى دمها ،

والإسباج . جمع سبجة وهي من القميص بذيقتة .

(٤) تبق . تخرج ، بق التبت بقوقاً : طلع .

(٥) جحظت العين ، إذا برزت مقلمها ، والمراد اضطرب عقلك وشرد ، ولم

يسلس لك قيساد التفكير

فقال معاوية لهما عنكما ، وأمر بأطلاق عبد الله ا فقال عمرو لمعاوية
أمرتك أمراً حازماً فعصيتني وكان من التوفيق قتل ابن هاشم
أليس أبوه ، يامعاوية ، الذي أعان علياً يوم حز الغلاصم (١)
فلم يثنى حتى جرت من دماننا بصفين أمثال البحور الخضارم (٢)
وهذا ابنه ، والمره يشبهه سنخه ويوشك أن يقرع (٣) به من نادم
فقال عبد الله يحميه

معاوى إن المره عمراً أبت له ضغينة صدر غشها غير تاشم
يرى لك قتلى يابن هند وإنما يرى ما يرى عمرو ملوك الأجم
على أنهم لا يقتلون أسيرهم إذا منعت منه عهد المسالم
وقد كان منا يوم صفين نمرة (٤) عليك جناها هاشم وابن هاشم
قضى ما انقضى منها وليس الذي مضى ولا ماجرى إلا كأضغاث حالم
فان تعف عنى تعف عن ذى قرابة وإن تر قتلى تستحل محارمى
فقال معاوية

أرى العفو عن علياً قريش وسيلة إلى الله فى اليوم العاصب القمطار (٥)
ولست أرى قتل العداة ابن هاشم بادراك تارى فى لوى وطامر
بل العفو عنه بعد ما بان جرمه وزلت به إحاي الجدود العوائر
فكان أبوه يوم صفين جمرة علينا فادته رماح نهابر (٦)

-
- (١) الغاصمة رأس الخلقوم
 - (٢) الخضرم البحر العظيم ، وبعيت الياه فى « يثنى ، للضرورة
 - (٣) قرع سنه ، حرقه ندماً ؛ أى سحقه حتى سمع له صريف ، وسكن الفعل للضرورة والسنخ ، الأصل من كل شيء
 - (٤) نعر القوم ، هاجرو واجتمعوا فى الحرب
 - (٥) يوم قاطر ؛ شديد
 - (٦) النهابر ؛ المهالك

٥ - ولما اتخذوا الشعر وسيلة لأذاعة مآثرهم وآرائهم ، كانت لكل حزب سياهي شاعر ينطق بلسانه ، ولكل فرقة أو طائفة دينية ساحر يشيد بزعيمها ويبرهن عن آرائها ومبادئها . فكان الأخطل شاعر بني أمية ، وابن قيس الرقيات شاعر الزبيريين ، والكميت شاعر العاويين ، وعمران بن حطان شاعر الخوارج وهكذا .

٢ - وكذلك عني به الناس فسموه وتأثروا به وأفتخرت كل قبيلة بشاعرها واعتزت به اعزازا كبيرا لأنه لسانها المدافع عن أحسابها والناطق بمفاخرها والذائد عنها خصومها وأعدائها ، فكان الأخطل شاعر تغلب ، والفرزدق شاعر قریش وهكذا .

٣ - كما اتخذ منه المغنون الخانا جميلة وأصواتا رائعة وأغاني عديدة ، يملؤون بها الدنيا غناء وطربا ومتعة وسرورا .

٤ - وعنى الشعراء كذلك بالشعر ، فأقبلوا عليه بحودونه وينتجونه ويهذبونه ويتنافسون فيه ، وينقد بعضهم البعض الآخر طلبا للكمال وحبا في التهذيب والتجويد والشواهد على ذلك كثيرة من الأدب الأموي ، وهي من السكينة بحيث تغنى الإشارة إليها عن الأفاضة في ذكرها

ولم يكونوا يقدرون للمال حسابا ؛ بل لم يكونوا يحسبون أنفسهم أصحاب فضل على الشعراء ، بل الشعراء هم أصحاب الفضل عليهم ، روي أن عبيد الله (١) بن العباس خرج مرة من المدينة يريد معاوية في الشام ، فأصابته سماء ، فنظر إلى نورية (٢) عن يمينه ، فقال اغلامه ، مل بنا إليها فلما أتياها إذا شيخ ذو هيئة رائة ، فقال له ، أخ ، انزل ، حيث أدخل

(١) عبيد الله بن العباس . كان مشهورا بالجلود ؛ معدودا من الأجواد ؛ وهو أول من فطر جبيرانه في رمضان ، وأول من وضع موازنه في الطرق توفي سنة ٨٧ هـ

(٢) تصغير نار

إلى منزله ، فقال لامراته ، هيئى شاتك أفضى بها ذمام (هذا الرجل ، فقد توسمت فيه الخير ، فان يكن من مضر فهو من بنى عبدالمطلب ، وإن يكن من اليمن فهو من بنى آكل المرار (٢) ، فقالت له ، قد عرفت حال صبيتي ، وأن معيشتهم منها ، وأخاف الموت عليهم إن فقدها . فقال . موتهم أحب إلى من اللؤم (٣) ؛ ثم قبض على الشاة ؛ فأخذ الشفرة وأنشد

قريبتي (٤) لا توقظى بنيه إن يوقظوا ينسحبوا عليه
وينزعوا الشفرة من يديه أبغض هذا أن يرى لديه
ثم ذبحها وكشط جلدها . وقطعها أرباعا ، وقذفها في القدر حتى إذا استوت
نرد (٥) في جفنة ، فمشاهم ثم غداهم

وأراد عبيد الله الرحيل ؛ فقال لغللامه ، أرم للشيخ ما معك من نفقة ؛ فقال ؛
ذبح لك الشاة فكا فمة بئمن عشرة أمثالها ؛ وهو لا يعرفك ا فقال ؛ ويحك إن
هذا لم يكن يملك من الدنيا غير هذه الشاة ، فجاد لنا بها ، وإن كان لا يعرفنا فأنا
أعرف نفسي ، ارم بها إليه ، فرماها إليه فكانت تسماناة دينار

ثم ارتحل عبيد الله ، فأنى معاوية ، فقضى حاجته ، ثم أقبل راجعا إلى المدينة
حتى إذا قرب من ذلك الشيخ قال لغللامه ، مل بنا ننظره في أى حالة هو ،
فانهبنا إليه ، فاذا برجل سرى عنده دخان عال ، ورماد كثير ، ولابل
وغنم ، ففرح بذلك ، وقال له الشيخ ، أنزل بالرحب والسعة ا فقال له عبيد الله ،
أتعرفنى ؟ فقال ؛ لا ، والله ، فن أنت ؟ فقال أنا نزيلك ليلة كذا وكذا ؛ فقام
إليه ، فقبل رأسه ويديه ورجليه ، وقال ؛ قد قلت أبياتا ، أسمعها منى ؟ فقال
هات فأنشد :

(١) الذمام . الحرمة

(٢) آكل المرار . جدي امرى القيس ، وبنو آكل المرار . هم ملوك اليمن

(٣) اللؤم . البخل (٤) القرية ذات القرابة

(٥) يقال نرد الخبز . أى فته

توسمته (١) لما رأيت مهابة عليه وقلت؛ المره من آل هاشم
وإلا فن آل المرار فانهم ملوك عظام من كرام أعظم
فقدت إلى عز بقيسة أعز لأذبحها فدل أمرى غير نادم
فمروضنى عنها غناى ولم تكن تساوى (٢) عنزى غير خمس دراهم
فقلت لأهلى فى الخلاء (٣) وصيبتى : أحقا أرى أم تلك أحلام نائم
فضحك عبيد الله وقال : أعطيتنا أكثر مما أخذت منا أخذت منا ، يا غلام
أعطه مثلها ا وبلغت فملته معاوية فقال . لله در عبيد الله : من أى بيضة خرج ا
وفى أى عش درج ا

ولهذه العناية الكبيرة بالشعر والشعراء أسباب كثيرة
١ - فالعصبة التى أحيها بنو أمية فى هذا العصر كانت عاملا كبيرا فى
فى رواج الشعر والعناية به ، واهتمام الخلفاء والولاة بالشعراء
٢ - واهتمام الرواة بالشعر و نقده جعل للشعر سوقا رائجة ، ودعا الشعراء
إلى تهذيبه وتجويده
٣ - والتنافس بين الشعراء له أثر كبير فى نهضة الشعر الفنية التى بلغها فى
العصر الأوى

٤ - وأثر الشعر فى الحياة الاجتماعية وأنه لسان المفاسخر والمثالب جعل
للشعر والشعراء مكانا مديوسا فى الحياة العربية فى هذا العصر ، فكان يرفع الوضع
ويضع الشريف ، حتى ان مدحة الشهاخ لعرابة التى منها .
رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الخيرات منقطع القرين .
إذا ماراية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمن

(١) توسمته ؛ تفرسته
(٢) تساوى ، بوضع الضمة على الياء للضرورة
(٣) الخلاء . الفضاء

كانت مثلاً سائراً وأثراً باقياً ومفخرة خالدة لعراة وكانت بنو نمير من أعظم العرب مكانة وأنبيهم : أنا فلما هجاهم جرير بقصيدته التي منها
فعض الطرف إنك من غير فلاكها بلغت ولا كلابا

صار اسم القبيلة لأفرادها سمة هوان وعيب وعار
ه — وأخذ الشعر أداة للغناء والألحان كذلك كان له أثر كبير في

هذه العناية الضخمة

يقول جورجى زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية. كان لبني أمية رغبة شديدة في أحياء لسان العرب وآدابه كما قدمنا . وكان الخلفاء أنفسهم من أهل الآداب نفوسهم شعرية حساسة . حدث معاوية عن نفسه قال : اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم فلقد رأيتني ليلة الحرير بصفين وقد أتيت بفرس اغر محجل بعيد البطن من الأرض وأنا أيداهرب لشدة البلوى فما حماني على الإقامة إلا آيات عمرو بن الاطنابة :

ابت لي همتي وأبي بلائي وأخذى المسد بالثمن الربيع
واقحامى على المسكروه نفسى وضربى هامة البطل المشيع
وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك محمدى او تستريحى
لادفع عن مآثر صالحات واحى بعدد عن عرض صحبح
وزيد بن عبد الملك رد الاحوص الشاعر من منفاه لبيت شعر له غنثه فيسه
جميلة المنية وهو قوله :

كريم قریش حين ينسب والذى اقرت له بالملك كهلا وامردا
فطرت يزيد وقاله ويحك من كريم قریش هذا ؟ قالت و انت وقد قاله
الاحوص وهو منقى ، فكاتب برده وانفذ له حللا سنية وادناه وقربه . وقال له
يوما : لو لم تمت الينا بحق ولا صهر ولا رحم الا بقولك :

وانى لاستحييكم ان يقودنى الى غيركم من سائر الناس مطمع
لكفناك ذلك عندنا ،

وقد غاب عبد الملك بن مروان عدوه ابن الزبير بالشعر واجابه ذاك بمثله

وكان عمال الامويين اصحاب شعر وخيال وحساسه مثلهم . فالهجاج وهو اشدهم وطأة جيء بالاسرى بين يديه بعد حرب الاشعث فاخذ في قتلهم بقسوة ذلك اليوم حتى صاح به رجل « والله يا هجاج لئن كنا قد أسأنا بالذنب فما احسنت بالعمو ولقد خالفت الله فينا وما اطعته ، فقال له « وكيف وملك ، قال ، لان الله تعالى يقول . فاذا لقيتم الدين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ، وقد قتلت فاثخنتم حتى تجاوزت الحد فأسر ولا تقتل « ثم قال « او منن ، فقال الهجاج « ويل لك الا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت ، ثم نادى برفع السيف وامن الناس .

وكان بنو امية يحفظون الشعر ويباحثون الشعراء ويتقدمونهم وكثيراً ما كانوا يجمعون طائفة منهم في مجلس يترحمون عليهم ان يصفوا شيئاً ويحيزون المجيد كما فعل هشام بن عبد الملك ، او يجمعونهم ليماخروا بين ايديهم كما فعل سليمان بن عبد الملك اذ جمع اليه الفرزدق وجريراً وكثيراً وابن الرقاع وقال لهم انشدونا من نحر كم شيئاً حسناً ففعلوا في حديث طويل .

وقد يخطر لاحدهم شعر لا يعرف قائله او يحتاج الى تفسير فيكتب الى الشاعر او الراوية فيستقدمه من العراق الى الشام على البريد كما فعل هشام المذكور اذ بعث برسالة من دمشق الى عاملة بالبصرة ان يشخص اليه حماد الراوية على البريد فتضى حماد اثنتي عشرة ليلة في الطريق وهو عائف ، من تلك الدعوة فاذا هو يقول له « بعثت اليك لبيت سخر بيالى لم ادر من قائله ،

فبدأ روعه وقال : وما هو؟ فقال :

فدعوا بالصبوح يوماً فجمادات تحينة في يمينها ابريق

فقال حماد ، هذا يقوله عدى بن زيد من قصيدة ، وانشده اياها

وكذلك كان يفعل عمالهم اذا علموا بوجود شاعر او اديب بارع بعثوا في

استقدامه مما يطول بنا ذكره

وكان من الخلفاء شعراء كالوليد بن يزيد فقد كان شاعراً بليغاً وينسبون الى
يزيد بن معاوية القصيدة المشهورة التي مطلعها :

نالت على يدها ما لم تنله يدي نقشاً على معصم او هت به جلدي
وربما كانت لغيره لكنته كان من اصحاب الشاعرية .

وكان لبعض خلفاتهم الدهاء شغف بالادب على الاجمال ونخص منهم ثلاثة
معاوية وعبد الملك وهشام حكم كل منهم اكثر من عشرين سنة وكانت لهم عناية
بالادباء وخصوصاً عبد الملك والادب لا ينمو ويوزق ويشمر الا في ظل محبيه من
الملوك او الامراء واذا تدبرت النهضات التي مر بها الادب رأيت لسلك نهضة اميراً
او ملكاً اخذ بنصرها واحيا الادب بتقديم اهله وتنشيطهم

فلا عجب اذا كان اكثر احاديث الناس في مجتمعاتهم ومنتدياتهم في الشعر
ومن هو اشهر شعراء الجاهلية او الاسلام . وكان المشورون من شعراء الجاهلية في
عصرهم أمراً القيس وزهيرا والناطقة يفضلوهم على سواهم ويفضلون جريراً
والفرزدق والاختل على سائر الشعراء المسادين في ايامهم لكنهم كانوا يتناقشون
في اى هؤلاء اشعرو كثيراً ما كانوا يتخاصمون وترتفع اصواتهم . وربما اهتم
الخليفة او الامير فيبحث الى بعض العلماء يسأله عن رأيه في اشعر الشعراء كما فعل
الحجاج اذ بعث الى قتيبة يسأله عن ذلك وقد يعثون من الشام الى العراق لمثل
هذا السؤال .

نهضة الشعر الفنية

في عصر نبي أمية

وبعد فقد نهض الشعر نهضة فنية عظيمة في هذا العصر ، وتعددت جوانب تجويده وتهذيبه وعكف عليه الشعراء تنقيحا وتصنيعا .
ولذلك أسباب كثيرة منها :

١ منزلة الشعر والشاعر الضخمة في العصر الأموي التي سبق أن حدثناك عنها بالتفصيل .

٢ — التنافس بين الشعراء على الشعر والحظ عند الأمراء والخلفاء

٣ — إحياء الشعر الجاهلي (١) واتخاذها نموذجا فنيا عاليا ينسج على منواله الشعراء

٤ — تعدد مجالس النقد والنقاد حول الشعر والشعراء وسلامة ملكة العربية في نفوسهم ، وعناية بني أمية بالشعر ورجالها

٥ — اتخاذ الشعر أداة للثناء فقد رقته الشعراء واختاروا له الأساليب العذبة والألفاظ الرقيقة والتماييز السمحة السهلة الواضحة

وسنحدثك بتفصيل عن مظاهر هذه النهضة الفنية العظيمة التي بلغها الشعر في هذا العصر في معاني الشعر وأسلوبه وألفاظه وأخيلته . وبعد فقد طفر الشعر في هذا العصر : رجزه وقصيده في سبيل التفنن فيه والاهتمام بشأنه أو التكسب به طفرة لم يتقهر عنها إلا بعد عدة قرون ، فطالت قصائده وأراجيزه وقلت عيوبه في الوزن والقافية ، وزادت فنونه ، ودقت معانيه ، ورق أسلوبه وألفاظه في الغزل والنسيب والعتاب رقة لم تمهد من قبل

(١) ويروي أن أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها هو حماد الراوية

[٢٣. طبقات الشعراء لابن سلام]

معاني الشعر الأموي :

وتتمتاز معاني الشعر في هذا العصر بما يأتي :

١ - العمق والترتيب والدقة التي تبدر في الآثار الفنية الشعرية في هذا العصر

وذلك ناشئ من ثقافتهم الواسعة العربية وغير العربية التي أفادوها وتأثروا بها ، وكثرة تجاربهم في الحياة وخبرتهم بها ، وتأثرهم بأدب السابقين ومعانيهم وبالقرآن الكريم والحديث الشريف ، ولأن من الشعراء من كانوا من عناصر أجنبية كزياد الأعجم وموسى شهوات وأبي العباس الأعمى الذين كانوا من عناصر فارسية وتأثروا بثقافات الفرس وعلومهم .

٢ - كثرة الحكم والأمثال في شعرهم كما في شعر معن والفرزدق وجرير والاختل و ابن أبي ربيعة وسواهم وذلك لتأثرهم بحكمة القرآن والحكم الفارسية واليونانية التي ذاعت في هذا العصر

٣ - وضوح الأفكار والمعاني وخلوها من التعقيد إلا قليلا كما نرى عند الفرزدق وبعض الشعراء

٤ - قلة المبالغة والتكلف والاغراق بما نراه في الشعر في العصر العباسي

٥ - إنسكاؤهم على معاني الشعراء الجاهليين واعتمادهم عليها وزيادتهم فيها بما اقتضته الحضارة والحياة العربية الجديدة في العصر الأموي

٦ - كثرة المعاني الجديدة في شعرهم بتأثير البيئة والعصر والتغيرات السياسية والاجتماعية الجديدة

أخيلة الشعر :

أما أخيلة الشعر في العصر الأموي فتمتاز غالبا بما يأتي

١ - قرب الخيال من الواقع والحس والعقل في التعبير

٢ - كثرة صور الخيال البديع من التشبيه الطريف والاستعارة الجيسلة

والسكناية الدقيقة مما هو أثر للحياة الجديدة

٣ — السحرم وروعة التأثير في الاخيلة التي ابكرها شعراء العصر الاموى مما يمكنك معرفتها والاهتمام اليها بالامعان في الشعر الاموى وقراءته

أسلوب الشعر الاموى :

ويمتاز أسلوب الشعر في هذا العصر بما يأتى .

١ . الحرص على الروعة والقوة وضخامة الاساليب وذلك لاتخاذ الشعر وسيلة للدعاية . السياسية

٢ — خلوه من الحوشية والغرابة النافرة والاسفاف وبقاء بلاغة الجاهلية وفصاحتها في الاسلوب .

٣ ظهور أثر القرآن والحياة الجديدة في الشعر الاموى واضحا جليا .

٤ . تمثيل الشعر للحياة الاجتماعية والسياسية والادبية تمثيلا واضحا .

٥ — تعدد مناهج الشعراء الفنية في الاسلوب بحسب بيئاتهم ونزعاتهم ، وتغافاتهم ، فالذين عاشوا في البادية وتأثروا بالحياة فيها كان أسلوبهم قريبا من الأسلوب الجاهلى في خصائصه وميزاته كذى الرمة والرماح وسواهما ، والذين عاشوا في الحواضر والامصار وراوا مظاهر العمران والحياة الجديدة كان على أسلوبهم طابع الخفة والعدوبة والرشاقة والسلاسة الممتعة والقوة المؤثرة .

ولا شك أن لاهياء الادب الجاهلى والقرآن وأثره الادبى وللحياة الجديدة كثير من الأثر في تعدد مناهج الشعراء في الاسلوب .

٦ — ظهور الأراجيز وكثرتها في عصر بنى أمية فقد عنوا بها عناية جعلتها تقرب من القصائد في أكثر خصائصها ، فبعد أن كان البدوى ينظم منها بضعة مشطورات يحدو بها الإبل أو يصفها أو يصف ظيبا أو ظليما أو ثور وحش نشأ في هذا العصر فحول من الرجازين طولوا الأراجيز ونحوها منحى القصائد ، فضمونها اغراضها من المدح والهجاء والفخر والثناء ، وصاروا يهدون لهذه

الأغراض بالنسيب وذكر الديار وآثارها والظمان وحدوجها ، ويقصدون بها الخلفاء والولاة واشتهر منهم أبو النجم العجلي والمعجاج وأبنة روبة .

٧ — ظهور الجزالة واضحة في شعر العصر الأموي

والجزول من الكلام هو الذي تعرفه العاصمة إذا سمعته ولا تستعمله في محاوراتها (١) ، وأجود الكلام ما يكون جزولا سهلا لا ينطلق معناه (٢) ويقول ابن الأثير : الألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ؛ ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه ، فالجزول منهما يستعمل في وصف مواقف الحروب وفي قوازع التهديد والتخويف وأشباه ذلك ، وأما الرقيقة فيستعمل في وصف الأشواق وذكر أيام البعاد وفي استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك ، ولست أعنى بالجزول من الألفاظ أن يكون وحشيا متوعرا عليه عنجبية البداوة بل أعنى به أن يكون متينا على عذوبته في الفم ولذاذته في السمع وكذلك لست أعنى بالرقيقة أن يكون ركيكا سفسفا وإنما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم المدلس كقول أبي تمام :

ناعمت الأطراف لو أنها تلبس أثنت عن الملاء الرقاق (٣)

ويقول : وأما البداوة في الألفاظ فتلك أمة قد خات وقد عيبت على مستعملها في ذلك الوقت فكيف الآن (٤) وقد عرف النقاد أمر الجزالة والرقة وشأنهما في الكلام وبحثها منهم كثيرون في تقديم ودراستهم فالفرزدق يقول في جرير ، ما أحوجني مع قسوق إلى رقة شعره ، وأحوجه مع عفافه إلى خشونة شعري (٥) فهو يرى أن الجزالة والرقة بحسب الشاعر والموضوع الذي ينظم فيه ، ويقول عبد الملك في الأعشى قاتله الله ما كان أعذب بجره وأصاب صخره (٦) ويقول

(٢) ٦٦ المرجع

(٤) ٦٨ المثل السائر

(١) ٦٤ الصناعتين

(٣) ٦٥ المثل السائر

(٥) ١٢٧ الشعر والشعراء

(٦) ٣٨ الجهرة

الأصمعي في شعر النابغة ، إن قامت أئين من الحرير صدقت وإن قلت أشد من الحديد صدقت (١) وقال أبو عبيدة في شعره ، له ديباجة إن شئت قلت شهد إن مسته ذاب وإن شئت قلت صخر لو رديت به الجبال لأزالها (٢)

وبحث الجرجاني في وساطته الجزالة والرقعة بتمصيل (٣) وذكر أثر نفس الشاعر وحياته وبيئته وعصره ولون مذهبته فيما ورأى أن الرقة إنما تأتيتك من قبل العاشق للتميم والغزل المتهاك ودعا إلى تنزيل الجزالة والرقعة منازلهما بحسب المعاني وللأغراض والموضوعات (٤) . وقد ذكر الجاحظ في البيان الجزالة والرقعة عرضا فراه يقول : ومن الكلام الجزل والسخيف والخفيف والثقيل وكل عربي وبكل قد تكلموا (٥) واذكر أن سخيف الألفاظ مشا كل لسخيف المعاني وأنه قد يحتاج إليه في بعض المواضع وربما أمتع كثيرا .

ويقول : وحاجة الكلام إلى الخلاوة كحاجته إلى الجزالة (٦) ويدعو إلى ترك الوحشي والسوقي في مواضع كثيرة من بيانه (٧) وعرض لهما ابن المدبر عرضا فقال : لا يمتد بالمعنى الجزل ما لم تلبسه لفظا جزلا (٨) وعرض لهما أرسطو في كتابه الخطابة فذكر أنه لا ينبغي أن تكون الألفاظ سفسافة ولا مجاوزة في المائة مبلغ الأمر الذي يدل عليه فلا تبلغ درجة العامية ولا تحوج تحوج إلى الكلفة المشنومة ، وذكر أنه لا ينبغي أن يلام بين اللفظ والمعنى فالمعنى الجزل يعبر عنه بالألفاظ جزلة والمعنى الرقيق يعبر عنه باللفظ رقيق (٩)

(١) ٣٨٠ / ٢ العقد

(٢) ٣٢ جمهرة أشعار العرب

(٣) ٢٢ وما بعدها من الوساطة

(٤) ١١٠ ج ١ البيان والتبيين

(٥) ٢٩ المرجع

(٦) ١٠٥ ر ١١٠ و ١٧٦ ج ١ المرجع

(٧) ٣٠ ج ١ البيان

(٨) ١١ الرسالة المدررا

(٩) راجع الفن الثامن من الخطابة في الشفاء لابن سينا مخطوط

ألفاظ الشعر .

وألفاظ الشعر في هذا العصر يظهر فيها أثر القرآن الكريم والحياة الجديدة
عذوبة وفصاحة وسلامة من اللحن والخطأ والعجمة والغرابة والوحشية والابتذال
فاذا ما فتشت في الشعر الأموي لا تجد ألفاظا تشبه ألفاظ امرئ القيس
أو طرفه أو لبيد مثلا في الغرابة . نعم قد تجسد لبعض الشعراء كالأخطل وجرير
والفرزدق في موطن الفخر والهجاء أو المناقضات بدس الغرابة في الألفاظ
ولكنها لا تبلغ هذا المبلغ الذي بلغته في ألفاظ الشعر الجاهلي
أغراض الشعر الأموي :

وأغراض الشعر الأموي كثيرة متعددة وهي لا تقتصر على أغراض شعر
الجاهليين أو شعر صدر الإسلام فحسب بل إن الحياة الجديدة الاجتماعية
والسياسية والأدبية قد أدت إلى خلق أغراض جديدة لم تكن ألوفة من قبل .
فقد احتفظ الشعر الأموي بالفنون القديمة التي كانت في الجاهلية من المدح والهجاء
والفخر والرثاء والوصف وإن كانت هذه الفنون تنهج نهجا جديدا أو كالجديد
وفق ظروف البيئة والعصر والحياة ، كما أضاف الشعر الأموي إلى هذه الفنون
والموضوعات أغراضا جديدة لم تكن من قبل

فقد استحدث الشعراء الأمويون الشعر السياسي والغزل العسكري والنسيب
القصصي ووصف البلاد المفتوحة والسكلام في بيان العقيدة أو في الزهد وتناول الحكمة
كما جاوروا الشعراء الذين سبقوهم في الفخر والرثاء والمدح والهجاء والوصف
وستكلم بنفصيل على أغراض الشعر الأموي الجديدة والقديمة على السواء
١ — الشعر السياسي وهو لون جديد من الشعر نراه في عصر بني أمية وقد
كانت نشأته ظاهرة طبيعية لحياة لامويين الجديدة

كان الشعر الجاهلي يصف الخلافات القبلية . ووصف شعر صدر الإسلام
ما كان حول الدعوة الجديدة من خلافات وخصومات اشتعلت ناراها بين
المشركين . والمسلمين

أما الشعر الأموي أو الشعر السياسي منه فيصف الخصومات السياسية بين

الأحزاب المختلفة في العصر الأموي من أمويين وزبيريين وشيعة وخوارج .
فكان شاعر بني أمية الأخطل وشاعر الشيعة السكيت الأسدي وشاعر الزبيريين عبد
بن قيس الرقيات وشاعر الخوارج وعمران بن حطان والطرامح بن حكيم . وكان كل
واحد من هؤلاء الشعراء يشيد بحزبه ودعاته وأبطاله ويهجو خصومهم السياسيين
ويرثي من يسقط شهيدا في معركة الدفاع عن الرأي والعتيدة وتجسد ذلك واضحا في
رائية الأخطل في عبد الملك أرفى همزية عبد الله بن قيس الرقيات التي يقول منها .

حبنا الديس حين قومي جميع لم تفرق أمورها الأهواء
قبل أن تطمع القبائل في ملك قریش وتشمتم الأعداء
أهبها المشتهمي فناء قریش بييد الله عمرها والفناء
إن تودع من السبلاد قریش لا يسكن بعدهم لحي بقاء

∴

نحن منا النبي الأمي والصدیق منا التقى والخلفاء
وقتل الأحزاب حمزة منسا أسد الله والسنا سناء
وعلى وجعفر ذو الجناحين هناك الوصي والشهداء
والزبير الذي أجاب رسول الله في الكرب والبلاء بلاء
والذي نخص ابن دومة مانو حتى الشياطين والسيوف ظمأ
فأباح العراق يضرهم بالسيف صلتنا وفي الضراب غلاء
غيبوا عن مواطن مفظعات ليس فيها إلا السوف رخاء

كما تجده في هاشميات السكيت وفي قصائد عمران وقطري .

ولهلك لا تجمل رائية الأخطل :

خف القطين فراحوا منك أوبكروا وأزعجتهم نوى في صرفها غير
ومنها في مدح بني أمية .
حشد على الحق عيافوا الخنا أنف إذا ألت بهم مكروهة صبروا
وإن تدججت على الافاق مظلمة كان لهم مخرج منها ومعتصر
أعطاهم الله جدا ينصرون به لاجد إلا صغير بعد مختقر

لم يأشروا فيه إذ كانوا مواليه ولو يسكون لثوم غيرهم أشروا
شمس العداوة حتى يستنقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا
ومن الشعر السياسي ما قاله مسكين الدارمي وقد أوعز إليه معاوية حينما
عزم على البيعة ليزيد ولسكنه تهيب ذلك لكثرة المرشحين ، وكان قد بليغ معاوية
ما كرمه من سعيد بن العاص ومروان بن الحسك وعبد الله بن عامر فلما اجتمعوا
عنده قال مسكين قصيدة طويلة منها :

ألليت شعري ما يقول ابن عامر
بني خلفاء الله مهلاً فأنما
إذا المنبر الغربي خلاه ربه
على الطائر الميمون والجد صاعد
فلازلت أعلى الناس كمها ولا تنزل
ولا زال بيت الملك فوقك عالياً
قدور ابن حرب كالجواني وتحتها
ومروان أم ماذا يقول سعيد .
يهوئها الرحمن حيث يريد
فإن أمسير المؤمنين يزيد
لكل أناس طائر وجدود
وفود تسامها اليك وفود
تشيد أطناب له وعمود
أناف كأمثال الرئال ركود

فلما انتهى منها قال معاوية ننظر فيما تأت يا مسكين واستخير الله . فلم يتسكّم
أحد بغير الموافقة

وقال كعب بن جعيل شاعر أهل الشام وتمثل به معاوية في رده على
كتاب لعل

أرى الشام تكره ملك العراق
وكلا لصاحبه مبخضاً
إذا ما رمينا رميناهم
فقالوا على أمام لنا
وقالوا نرى أن تدينوا له
ومن دون ذلك خرط القتاد
وأهل العراق لهم كارهينا
يرى كل ما كان من ذلك ديناً
ودناهم مثل ما يقرضونا
فقلنا رضينا ابن هند رضينا
فقلنا ألا لا نرى أن نديننا
وضرب وطعن يفض الشونا

وفي رد على عليه ذكر شعراً للنجاحشي أحد بني الحارث بن كعب من شعراء
أهل العراق ، منه :

دعاً يا معاوى ما ان يسكونا
فقد حقق الله ما تمحذرونا
أتاكم على باهل العراق
وأهل الحجاز فما تصنعونا
وقال جواس بن القمطل السكلي :

صبغت أمية بالدماء رماحننا
وطلت أمية دوننا دنياها
ألمى رب كتيبة مجرولة
صيد الحكمة عليكم دعواها
كننا ولاة طعانها وضرايبها
حتى تجلت عنكم غناها
فالله يجزى لا أمية سعيننا
وعلا شددنا بالرياح عراها
جشم من الحجز اليعيد نياطه
والشام تنسك كهلها وفتاها
إذ أقبلت قيس كأن عيونها
حدق السكلاب وأظهرت سبهاها

الغزل العذرى والنسيب القصصى : وأنت تعلم أن الغزل فن نجاهلى
قديم بدأ نه الشعراء قصائدهم ووصفوا فيه مشاعرهم وأكثروا منه إكثارا شديدا
ولكنه غزل كان يهدد المقصود من القصيدة ولم تكن القصيدة وفقا عليه ولا كان
نظمها من أجله فهو وإن لم يكن غزلا صناعيا إلا أنه كالصناعى فى كثير وقد
استمر هذا النوع من الغزل فى عصر صدر الإسلام والعصرى الاموى كما تجده
فى شعر جرير والفرزدق والاختل وفى شعر كثير عزة الشاعر المشهور

أما الغزل الذى نريده والذى استحدث فى عصر بنى أمية فهو نوع جديد
مستحدث لم يكن مألوفا من قبل ، ظهر فى هذا اللون من الغزل القصصى الذى
تجده فى شعر عمر بن أبى ربيعة وأضرابه ممن وصفوا الجمال وذكرىات الهوى
والحب والشباب فى قصائد قصصية جميلة طريفة . كما ظهر فى الغزل العذرى العفيف
البدوى الذى تجده عند جميل صاحب بثينة وقيس العامرى صاحب ليل
وسواهما

أما الغزل القصرى فقد نشأ فى مكة والمدينة بين المترفين من أبناء المهاجرين والانصار وأبناء
الغزاة الفاتحين الذين امتلأت أيديهم بالاموال والنعمة وأقاموا بمكة والمدينة لأسباب

سياسية وغير سياسية ينعمون ويطربون . وكان لهم بطانة من الشعراء والمغنين
والمغنيات والمضحكين ، رقلما يعجب أمثال هؤلاء من الشعر غير الغزل الذي
يطرب منه ويتغنى به . واشتهر من هؤلاء الأخص من الانصار وعمر بن أبي
ربيعه من قریش ، لكن عمر كان أصرح من الأخص في الغزل يذكر أسماء من
من يشبه بن ، ويقص قصصه مبهن أكثرها مسكوب مفتري . وله ديوان
كبير كله في هذا النوع من الغزل .

وأما الغزل العذري العفيف فقد نشأ في بادية الحجاز في بني عذرة وخراعة
بين الشباب المستضعفين المؤثرين التبدى على الهجرة والجهاد غزلا شريفا نزيها عن
الفحش ، وعن الكذب على الحسان بما لا يليق بشرف الفتاة البدوية المسلمة
لكن أكثر حبهم كان حتمية يا غير متصنع

وقد قيل في هذا الغزل قصائد مطولة بل دواوين من الشعر لم يؤثر لها شيء
لا عن الجاهلية ولا عن صدر الاسلام ، وإنما هو نوع نشأ بين شعراء أهل البدو
من الاسلاميين . وأشهر هؤلاء الغزليين جميل بن معمر ، وكان يحب بثينة حبا
صادقا ، والمجنون العامري صاحب ليلى وقيس بن ذريح صاحب لبنى وسواهم
فالغزل العذري إذن - ربيب العصر الاموي ، غذاه ورباه وسهر على نموه
وازدهاره ، قال جميل بثينة :

ولئن لأرضى من بثينة بالذي لو ابصره الواشي لغرت بلائله
بلا ، وبأن لا أستطيع ، وبالمني وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى أو اخره لا نلتقي وأوئله
ويقول جميل :

إذا قلت ما بي يا بثينه قاتلي من الحب قالت ثابت وي زيد
وإن قلت ردى بعض عتلى أعش به مع الناس قالت ذلك منك بعيد
قلد أنا مردود بما جئت طالبا ولا حبا فيما يبسد يبسد

ويقول مجنون ليلى :

ألا أيها البيت الذى لا أزوره وإن حله شخص إلى حبيب
هجرتك إشفاقا وزرتك خانقا وفيك على الدهر منك رقيب
سأستعتب الأيام فيك لعلها بيوم سرود في الزمان تثوب

ويقول وقد أخذه أبوه إلى السكبة ، وقال له : تعلق بها وقل اللهم أرخنى
من ليلى وحبا ، فلما تعلق بها قال :

يقر يعنى قربها ويزيدنى بها شغفاً من كان عندى يهيبها
وكم قائل قد قال تب فمصيته وتلك لعمري توبة لا أتوبها
فيا نفس صبرا لست والله فاعلى بأول نفس غاب عنها حبيبها
ويقول قيس بن ذريح في ليلى :

فان يحجبوها أو يحل دون وصلها مقالة واش أو وعيد أمير
يحجبوا عيني من دائم البكا ولن يذهبوا ماقد بجن ضميرى
إلى الله أشكو ما ألقى من الهوى ومن كرب تعادنى وزفير
وقال قيس لبي :
فان تك لبي قد اتى دون قربها

فان نسيم الجسو يجمع بيننا
وأرواحنا بالليل فى الحى تلتقى
وتجتمعنا الارض للقرار وفوقنا

ومن ذلك قوله أيضا

فان تسكن الدنيا بليلى تقلبت
لقد كان فيها للامانة موضع
وللحائم العطشان رى بريقها
كأنى لها ارجوحة بين أحبل

ومن جيد شعر قيس قوله :

أتبكي على لبني وأنت تركتها وكنت كآتي حنفة وهو طائع
فياقلب صسبرا واعترافا بنبها وياحبها قع بالذي أنت واقع
وياقلب خبرني إذا شطت النوى بلبني وبانت عنك ما أنت صانع
أتصبر للبين المشت مع الجوى أم أنت امرؤ ناسي الحياة فيجازع
كأن بلاد الله ما لم تكن بها وإن كان فيها الناس وحش بهلاقع
أقضى نهاري بالحديث وبالمنى ويجمعني والهم باليسل جامع
نهاري نهار الناس حتى إذا بدا لي الليل هزتي إليك المضامع
لقد رسخت في القلب منك مودة كما رسخت في راحتين الإصابع

أما شعر الغزلين القصاص : كإبن أبي ربيعة والاحوص وسواهما فهو كثير وقد خلقه الترف واللهو الذي كان عليه شباب الحجاز في مكة والمدينة .

يقول عمر بن أبي ربيعة . وقد تذكر الثريا يوما وهو نازح الدار مقم باليمن :

هيأت من أمة الوهاب منزلنا إذا حللنا بسيف البحر من عدن
واحتل أملك أجيادا فليس لنا إلا التذكر أو حظ من الحزن
لا داركم دارنا يا وهب إن نزحت نواك عنا ولا أوطانكم وطني
فلمست أملك إلا أنت أقول إذا ذكرت لا يبعدنك الله ياسكني
يا وهب إن يك قد شطت البعاد بكم وفرق الشمل منا صرف ذا الزمن
فسكم وكم من دلال قد شغفت به منكم متى يره ذو العقل يفتن
بل ما نسيت بطن الخيف موقفا وموقفي وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا يوم ذى خشب والدمع منها على الخدين ذوسنن
بالله قولي له في غير معتبة ما ذا أردت بطول المسك في يمن
إن كنت حاولت دنيا أرعمت بها فما أخذت بترك الحج من يمن

ويقول :

ثم قالت وسأحت بعد منع وأرتني كفا تزين السوارا

فتناولتها فالت كغصن حركته الريح عليه فارا
وأذقت بعد العلاج لذينا كجنى النحل شاب صرفا عقارا
ثم كانت دون اللحاف لمشغو ف معنى بها صبوت شعارا
واشتكت شدة الإزار من البهر وألقت عنها لدى الخارا
جبذا رجعها إليها يديها في يدي درءها تحمل الإزارا
ويقول :

فأهبت لها في خفية حين مال الليل واجتن القمر
فأذاقتني لذينا خلته ذوب نحل شيب بالماء الخضر^(١)
ومسدام عتقت في بابل مثل عين الديك أو نخر جدر^(٢)
فتقضت ليلى في نعمة مرة ألثمها غير خفر
وأفرى مر مطها عن مخطف ضامر الأحشاء نعم المؤنزر
فلهورنا لبنا حتى إذا طرب الديك وهاج المدكر
حركتني ثم قالت جزعا ودموع العين منها تبتدر
قم صفي النفس تفضحنى قد بدا الصبح وذا برد السحر
ورأيت مشهورة وستأني :

٣ - ومن الأغراض الجديدة الشعر الذى يذكر فيه مبادئ الدين وشعر
الحكمة ووصف البلاد المفتوحة ، وذلك كثير فى الشعر الأموى

وقال حندج بن حندج المرى يصف ليل صول :

فى ليل صول تنهى العرض والطول كأنما ليسله بالليل موصول
لافارق الصبح كفى إن ظفرت به وإن بدت غرة منه وتحمجيل
لساهر طال فى صول تملسه كأنه جية بالسوط مقتول

(١) الخضر : البارد :

(٢) المدام : الخمر كالمدامة : وسميت كذلك لطول دوامها فى الدن ، جدر : بلدة

بين حمص وسلمية .

متى أرى الصبح قد لاحت بخايله والليل قد مزقت عنه السراويل
ليل تحير ما ينحط في جهة كأنه فوق متن الأرض مشكول
نجومه ركذ ليست بزائلة كأنما هن في الجو القاديل
ويقول قطري :

فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز فيطوى عن أخى الخنوع اليراع
سبيل الموت غاية كل حى فداعيه لأهل الأرض داع
ومن لا يعتبط يسأم ويهرم وتسليه المنون الى انقطاع
وما للبره خبير في حياة اذا ما عدد من سقط المتاع
ويقول مسكين الدارمي :

اصحب الأختيار وارغب فيهم
رب من صاحبتة مثل الجرب
واصدق الناس إذا حسدتهم
ودع الكذب لمن شاء كذب
رب مهزول سمين عرضه
وسمين الجسم مهزول الحسب

ومن الشعر الدينى هذه الارجوزة الطريفة التى ذكرها صاحب الأغانى قال :
خرج الوليد بن يزيد (١) فقيل له : إن اليوم الجمعة ، فقال : والله لا أخطيئهم
اليوم بشعر ، فصعد المنبر فخطب فقال :

الحمد لله ولى الحمد
وهو الذى فى الكرب أستعين
أشهد فى الدنيا وما سواها
أحمده فى بسرنا والجهد
وهو الذى ليس له قرين
ان لا إله غيره إلها

(١) تولى الخلافة عام ١٢٥ هـ وقتل بعد نحو عام

ما إن له في خلقه شريك
أشهد أن الدين دين أحمد
وأنة رسول رب العرش
أرسله في خلقه نذيرا
ليظهر الله بذاك الدين
من يطع الله فقد أصابا
ثم القرآن والهدى السبيل
كانه لما بقى لديكم
إنكم من بعد إن نزلوا
لا تتركن نجس حتى فاني ناصح
من يتق الله يجد غب التقي
إن التقي أفضل شيء في العمل
خافوا الجحيم إخواني لديكم
قد قيل في الامثال لو علمتم
ما يزرع الزارع يوما يحصده
فاستغفروا ربكم وتوبوا

قد خضعت للملك الملوك
فليس من خالفه بهتد
القادر الفرد الشديد البطش
وبالكتاب واعظا بشيرا
وقد جعلنا قبل مشركينا
أو يعصه أو الرسول خابا
قد بقيا لما مضى الرسول
حتى صحيح لا يزال فيكم
عن قصده أو نهجه تضلوا
إن الطريق فاعلمن واضح
يوم الحساب صائرا إلى الهدى
أرى جماع البرية قد دخل
يوم اللقاء تعرفوا ما سرهم
فانتفخوا بذلك أن عقلم
وما يقدم من صلاح يحمد
قالوت منكم فاعلموا قريب

° ° °

أما أغراض الشعر الأموي التي كانت موجودة في فنون الشعر قبل عصر بني أمية فهي :

١ - الفخر ، وهو كثير في الشعر الأموي كشعر الفرزدق وجرير والأخطل وسواهم .

وقد سبقتم نماذج له ومنها قصيدة المقنع السكندی :

يماني في الدين قوی وإنما ديونی في أشياء تكسبهم حدا

٢ - شعر الحماة وهو كثير جدا في هذا العصر كثرة الحروب والثورات قال قطري بن الفجاءة :

أقول لها وقد طلرت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعى
فانك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لم تطاعى
فصبراً في مجال الموت صبراً فبسا نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حى فداعيه لأهل الأرض داع
وما للمرء خير في حياة إذا ما عد من سقط المتاع

٣ - الرثاء وهو كثير في الشعر الأموى ولا داعى لذكر مثله .

٤ - الوصف وقد تنوع بتنوع الحياة ومشاهدها ومناظرها في
البلاد المفتوحة :

قال الفرزدق يصف ذئبا صادفه أثناء سفره فأطمعه من زاده :
وأطلس عسال وما كان صاحباً دعوت لنارى . وهناً فأتانى
فلما أتى قلت ادن دونك لى وإياك فى زادى لمشركان
فبت أقدر الزاد بينى وبينه على ضوء نار مرة ودخان
وقلت له لما تكشر ضاحكاً وقثم سيفى من يدى بمكان
تعش فان عاهدتى لا تخونى تكن مثل من يا ذئب يصطحبان
وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما أخيين كانا أرضعا بلبان
ولو غيرنا نهبت تلتبس القرى رهاك يسهم أو شبة سنان

٥ - الهجاء وقد كان الهجاء فى العصر الجاهلى صادقا غير لاذع ولا
مفحش ، وجاء الاسلام فحرم الهجاء إلا ما كان فى المشركين .

فلما جاء عصر بنى أمية وكثرت الخلافات السياسية والدينية والأدبية اتسع
الهجاء وامتلاء بالفحش والافتداع .

وكثرت المهاجاه بين الشعراء . وتشعبت ألوان الهجاء فن هجاء سياسى بين
شعراء الاحزاب لى هجاء أدبى بين الفرزدق وجريز والأخطل وسواهم هجاء
بين القبائل والعصبيات العربية وبين العرب والشعوبيين ، يقول جورجى زيدان :

ولما افضى الامر الى معاوية اقتضت سياسته ومصاحته ان يحدد تلك الضغائن للجهل
يغري الشعراء على الطعن بالانصار لانهم اصحاب علي بن ابي طالب خصمه . وكان
يفعل ذلك تحت طي الخفاء - ومن الذي اغراهم على ذلك الطعن الاخطل الشاعر
التغلبى المشهور . فعظم ذلك على الانصار خصوصاً لانه نصراني واستعان به معاوية
على المسلمين . فغضب متكلم الانصار وشاعرهم وهو يومئذ النعمان بن بشير ودخل
على معاوية وانشده قصيده في الدفاع عن الانصار مطلعها :

معاوى الا تعطينا الحق تعترف لحي الازد مشدوداً عليها العمايم
ويشتمنا عبد الارقم خسلة وما ذا الذي تجدى عليك الارقم
فما نأر دون قطع لسانه فدونك من يرضيه منك الدراهم
ثم تخلص الى الفخر باعمال الانصار وانسابهم وختم القصيدة بالطعن على
خلافة معاوية الى ان قال :

وانى لاغضى عن امور كثيرة سترقى بها يوما اليك السلام
اصانع فيها عبد شمس وانى لتلك التي في النفس متى اكاثم
فما انت والامر الذي لست اهله ولكن ولى الحق والامر هاشم
فلما سمع معاوية تهديده اظهر ان الاخطل فعل ذلك من عند نفسه وامران
يدفع اليه ليقطع لسانه . وأرشدك ان يفعل لو لم يستجر الاخطل بزيد بن معاوية
فاجاره وارضى النعمان . وعرف الامويون هذا الفضل للاخطل فجعله عبد الملك
ابن مروان شاعر الدولة .

وتحولت المهاجاة بين الانصار والمهاجرين الى المشاتمة بين بنى هاشم وبنى امية
وانتشر ذلك في اطراف المملكة الاسلامية . فكان سديف الشاعر يخرج في
جماعة من موالى بنى هاشم في مكة وشييب يخرج في جماعة من موالى بنى امية
فيقتخرون ثم يتقاتلون ثم يتجالدون بالسيوف وكان يقال لهم السديفية والشيبية
وكان اهل مكة منقسمين بينهما في العصبية .

على ان النهاجى السياسى جر الى النهاجى بين الشعراء بقطع النظر عن الاحزاب
السياسية من قبيل المفاخرة أو المعاطلة ويختلف مسبب هذه المهاجاة باختلاف

الاحوال وقد يكون الغرض منها المقارنة لبيان المقدرة على الهجو ثم يتنافر المتأجبان الى من يحكم بينهما . كما تهاجى جميل الشاعر المقيم وجواس بن قطنه العذرى وتنافسوا في ايها افضل ابا وحسباً ثم تنافرا الى يهود تيماء (١)
واشهر ضروب المهاجاة في العصر الاموى المهاجاة بين جرير والفرزدق وبين جرير والاختل وغديره من الشعراء المعاصرين . والبادىء في ذلك كله جرير وكان لمهاجاته مع الفرزدق والاختل شهرة كبيرة حتى اصبح حديث القوم في مجالسهم وموضوع مناقشاتهم في اى الشعراء افضل . وانقسم الناس في ذلك حزينين نسب احدهما الى جرير وسمى جريريا والآخر الى الفرزدق وسمى فرزدقيا وكثيراً ما احتدم الجدل بين الادباء في المجالس حتى آل الى الخصام .

وهذه بعض نماذج للهجاء :

قال قنعب بن ضميرة :

إن يسمعوارية طاروا بها فرحاً منى وما سمعوا من صالح دفنوا
صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به وان ذكرت بشر عندهم أذنوا
جهلاً علينا وجبنا عن عدومهم لبئست الخلجان الجهل والجهن

وقال عبد الرحمن بن الحكم :

لحا الله قيساً قيساً عيلان لأنها أضاعت ثغور المسلمين وولت
فشاول بقيس في الطعان ولا تكن أحاها إذا ما المشرفية سلت

وقال مالك بن أسماء في الهجاء :

لو كنت أحل خمرأ يوم زرتكم لم ينكر السكب أنى صاحب الدار
لسكن أتيت وريح المسك يفتحنى وعنبر الهند أذكىه نلى النار
فأنكر السكب ريحى حين أبصرنى وكان يعرف ريح الرق والقار

وقال آخر :

أقول حين أرى كعباً ولحيته لا بارك الله في بضع وستين

من السنين تولوها بلا حسب ولا حياء ولا قدر ولا دين
وقال الطرماس يمجو بنى تميم :

تميم بطرق التوم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو أن برغوثا على ظهر نملة يكر على صفي تميم لولت
٦ - الطرديات :

وهو وصف الصيد وأدوات صيده وقد كان موجودا قليلا في العصر الجاهلي
ثم جاء الاسلام فامتنع الشعراء عن النظم فيه ثم أحياه شعراء بنى أمية ويوجد في
شعر قبيل من الشعراء كالعرجي والوليد بن يزيد وعمر بن أبي ربيعة وسواهم
٧ - وصف الخمر : وأنت تعلم أن ذلك الفن وجد في العصر الجاهلي في شعر
الأعشى وعمرو بن كلثوم وسواهما ، وإمام هذه الصناعة هو الأعشى ، فلما جاء
الاسلام حرم الخمر ووصفها .

وفي عهد بنى أمية أحيوا بعض الشعراء كالأخطل هذا الفن ونظموا فيه
يقول جورجي زيدان :

لم يتغن الشعراء وصف الخمر الا في العصر العباسي لكنهم بدأوا بذلك في العصر
الاموي على اثر انغماس الامويين في القصف والسكر باواخر الدولة وأول من
وصفها من المسلمين الوليد بن يزيد الخليفة الخليفة الخليفة السكير ، وقد ذكر الخمر في
الجاهلية عدى بن زيد والأعشى ثم ذكرها الاخطل ووصف الزجاجه بقوله .

وتظل تتحفنا بها قروية ابريقها برقاهه ملثوم
فاذا تعاورت الاكف زجاجها نفحت فشم رياحها المزكوم
ثم اجاد في وصفها الوليد بن يزيد بقصيدة قال منها :

من قهوة زانها تقادمها فهي مجوز تملو على الخقب
اشهى الى الشرب يوم جلوتها من الفتاة السكرية النسب

فقد تجلت، ورق جوهرها حتى تبدت في منظر عجب
فهى بغير المزاج من شرر وهى لدى المزج سائل الذهب
كانها في زجاجها قبس تذكرو ضياء في عين مرتقب

وله في وصف الخمر اشعار اخذها الشعراء في اشعارهم سلخوا معانيها ولا سيما
ابو نواس فانه سلخ معاني الوليد كلها وجعلها في شعره واخذ ابو نواس ايضا من
حسين بن الضحاك وكان معاصرآ له واخذ من والبة وكان استاذه .

٨ - المدح :

وهو من أغراض الشعر منذ الجاهلية الأولى إلا أنه لم يصر طريقا للتكسب
والمسألة به إلا في أواخرها . ولما جاء الإسلام ترخص النبي صلى الله عليه وسلم
في استماعه والاجازة عليه تأييدا لدعوته إذ كان جل ما يمدح به خاصا بعمل الرسالة
ولكنه صلى الله عليه وسلم نهى عن المدح لمجرد الإطراء والتقريظ وفي غير تأييد
الحق ، وتورع كثير من خلفائه الراشدين عن سماع المدح الباطل ، ففسدت
صناعة التكسب بالشعر

وجاء عصر بنى أمية فترخص معاوية في استماعه قليلا لتأييد دعوته ، وتوسع
في ذلك بنو مروان فاستمعوا له في حق وفي غير حق ، وأجازوا عليه الجوائز
السنية ولم يقصر عنهم كثير من ولاتهم ورؤساء الاحزاب في زمانهم ، وتسابق
الشعراء الى أبوابهم يمدحونهم في مبالغة .

وتكسب كثير من الشعراء بالمدح وقصدوا أبواب الخلفاء والأمراء والولاة
بالتناء ، وكان لكل خليفة أو أمير أو وال شاعر من الشعراء يمدحه ويتقرب إليه ويشيد
بمآثره لإشادة بالغة ، واصبح التكسب بالشعر عادة مألوفة ، وكان أكثر الشعراء يتجه
نحو بنى أمية أصحاب الطول والسلطان . وربما مدح احدهم بنى هاشم أو آل الزبير
أو غيرهم من اعداء الامويين ثم رغب عنهم الى هؤلاء التماسا لعطائهم أو خوفا
من غضبهم لان الامويين كانوا يفضنون على الشعراء اذا مدحوا سواهم ويتطرقون الى
الاتهام منهم بكل وسيلة . فلا غرو اذا راينا حتى شعراء الشيعة ينظمون المدائح
في الامويين . ومن الشعراء من مدح بنى هاشم وبنى أمية او ابن الزبير وبنى أمية

وقد كان للدح جوانب سياسية كبيرة ، فشعراء الأحزاب كثيرا ما كانوا
يقفون قضائهم على الأشادة بحق دعوتهم وبطولة دعواتهم

وكانت من شعراء بني أمية : الأختل م ٩٩ هـ وجرير م ١١١ هـ
والفرزدق م ١١٠ هـ ومسكين الدارمي م ٩٠ هـ والراعي وابوالنجم م ١٣٠ هـ الراجز
ومن شعراء العلويين : النعمان بن بشير م ٦٥ هـ وأبو الأسود الدؤلي م ٦٩ هـ
والسكيت م ١٢٦ هـ وأيمن بن خريم

ومن شعراء بني الزبير عبد الله بن قيس الرقيات م ٧٥ هـ

ومن شعراء الخوارج : عمران بن حطان والطرماح بن حكيم م ١٠٠ هـ
ومن شعراء بني المهلب زياد الأعجم م ١٠٠ هـ وحزرة بن بيض م ١٢٠ هـ وبهيس الجرمي
إلى غير هؤلاء من الشعراء

وقد كان بنو أمية : يبدلون المال بدون حساب على المدح ويقربون الشعراء
الذين يمدحونهم إليهم ، ويعفون على من يكون قد فرط منه هفوة في حقهم إلى
غير ذلك من مظاهر العناية ، بل كانوا يطلبون من الشعراء المديح

روى أن الفرزدق وأنصيا كانا عند سليمان بن عبد الملك ، فقال سليمان للفرزدق
أنشدني (وإنما أراد أن ينشده مدحا له) ، فأشده :

وركب كأن الريح تطاب عندهم هاترة من جذبها بالعصائب
سروا يحيطون الليل وهي تلفهم إلى شعب الأكوار من كل جانب
إذا آسوا نارا يقولون ليبتها وقد خصرت أيديهم نار غالب

فأعرض سليمان كالمغضب ، فقال نصيب يا أمير المؤمنين ، ألا أنشدك في
رويا ما لعله لا يتضح عنها ، فقال هات ، فأشده :

أقول لركب صادقين لقيتهم قفا ذات أوशल ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان إنني لمروفه من أهل ودان طالب
فماجروا فأنشروا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أننت عليك الخنائب

وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نصيب كيف تراه ؟ قال : هو أشعر أهل
جلدته ، ثم قام الفرزدق ، وهو يقول :

وخير الشعر أشرفه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد
٥٠

وبعد فهذا نهاية حديثنا عن أغراض الشعر الأموي وفنونه وموضوعاته
والله ولي التوفيق :

التكسب بالشعر :

وبعد فأنت في غنى عن أن أذكر لك ما تعرف وما سبق أن ذكرته من أن
الشعراء أخذوا في العصر الأموي يتكسبون بالشعر ، طلبا للمال أو طمعا في الجاه
أو رغبة في الانتصار على الخصوم والأعداء
وقتح الخلفاء وأبوابهم للشعراء ، وقربوهم منهم ، وقضوا مطالبهم ، وأغدقوا
عليهم العطاء

وتبعاً لذلك أكثر الشعر من مدحهم وغالوا في الثناء عليهم ، وامتلأت قصور
العظماء بمجالس الشعر والثناء
واتخذ كل خليفة أو أمير أو وال أو عظيم شاعرا له يمدحه ويكسوه
حلل الثناء

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا ، وقد سبق ما يغني عن كل بيان
طوائف الشعراء :

والشعراء الأمويون طوائف :

١ - أما الأولى فشعراء الغزل القصصي والعدري وقد علمت رجالها
وقرات الكثير من شعرهم ومن أشهرهم جميل م ٨٠ م وابن أبي ربيعة م ٩٣ م
وكانت أم أبي ربيعة نصرانية (١)

٢ - والثانية الشعراء السياسيون ومن أشهرهم جرير والفرزدق والاختل
والكميت وعبد الله بن قيس الرقيات ، وكان كل من هؤلاء ينتمى إلى حزب
سياسي يؤيده وينصره ويشيد بمبادئه

٣ - والثالثة الشعراء الهجاءون وقد علمت ما كان من أمر الهجاء في هذا العصر ، والمناقضات التي كانت بين جرير والفرزدق والأخطل وسواهم اتجاهات الشعراء الفنية :

والشعراء الامويون أيضا ينقسمون بحسب اتجاهاتهم الفنية إلى طوائف الاولى : شعراء البادية الذين لم يتأثروا بالحياة الجديدة تأثرا كبيرا ، فظلوا في نهجهم الفني على نمط الجاهليين في نظم القريض أسلوبا وألفاظا وخيالا ومعاني ومن هؤلاء ذو الرمة والرماح

سمع الفرزدق ذا الرمة ينشد فوقه عليه فقال : كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس ؟ قال : ما أحسن ما تقول ، قال : فما لي لا أذكر مع الفحول ؟ قال : قصر بك عن غياتهم بكائك في الدمن ووصف الأبعاد والعطن

والثانية : شعراء الامصار كسكة والمدينة ودمشق والبصرة والكوفة ممن كانوا عربا خلصا . وقد تأثر هؤلاء ببيتهم وعصرهم وبالقرآن الكريم وبالتقافات التي كانت بينهم فأتى شعرهم حضريا رائعا سلسا سهلا ومن هؤلاء أشهر الشعراء المشهورين والثالثة : الشعراء الموالى : كشصيبم ، ١٠٥٠ وعبد بنى الحساس وكانوا من عنصر حبشى ، وكرزاد الاعجم والبعيث (وأمه أصهبانية وأبى نخبسلة وموسى شهوات) وأصله من أذربيجان) وهم من أصل فارسي ، ولاشك أن عناصرهم الأجنبية كان لها أثر في شعرهم .

طبقات الشعراء الامويين

ويجعل ابن سلام الشعراء الامويين عشر طبقات :
فالاولى : جرير والفرزدق والاختل والراعي
والثانية : البعيث والقطامي وكثير وذو الرمة :
والثالثة : سحيم وكعب بن جعيل وعمرو بن احمر وأرس بن معز ،
والرابعة : نمشل وحيد بن ثور وعمرو بن لجأ والاشهب بن رميلة :
والخامسة : أبو زيد الطائي والعجيز السلولي وابن همام السلولي ونفيع بن لقيط
الاسدي :

والسادسة : ابن قيس الرقيات والأحوص وجميل ونصيب
والسابعة : المتوكل الليثي وعدى بن الرقاع وزيد الاعرج وابن مفرغ
والثامنة : عقيل المري وبشامة المري وشيب بن البرصاء وقراد بن حنش
والتاسعة : ابو النجم والأغلب والعجاج ورؤبة وهم من الرجاز
والعاشرة : مزاحم العقيلي وابن الطائفة والقحيف بن سليم العقيل وابو دؤاد
الرؤاسي .

الرواية والرواة

لم تكن العرب تدين شعرها في الجاهلية في ديوان أو سفر وإنما كان محفوظا
في الصدور ، تعيه حافظتهم وقلوبهم وأذواقهم وملكاتهم الأدبية الفطرية .
وقد تعجب مما تقرأ عن رواة العرب بعد الاسلام وكثرة ما كانوا يحفظون ،
ولكن لا عجب ، فملكات الذكاء والحفظ قوية عند العرب وكانت تعينهم على تخليد
الشعر العربي حتى لا يضيع .

ولقد كان الأصمعي يقول : ما بلغت الحلم حتى رويت أثنى عشرة ألف
أرجوزة ، وكان خلف اروي الناس للشعر واعلمهم بحيد ، وكان خلف مع روايته
وحفظه . يقول الشعر فيحسن وينحله الشعراء ويقال إن القمصيدة

إن بالشعب الذى دون سلع لقتيلا دمة ما يطل
لخلف الأجر نحلها ابن أخت تأبط شرا . وكذلك كان يفعل حماد يحقق الشعر
القديم ويقول . ما من شاعر إلا قد حقت في شعره أبياتا مجازت عنه إلا أعشى
بسكر فاني لم أزد في شعره غير بيت (١) . ويقول المفضل : سلط على الشعر من
حماد ما أفسده .

ورغم هذه الرواية والحفاظة القوية فقد ضاع الكثير من الشعر العربي الجاهلي
وغيره . حتى قال أبو عمرو بن العلاء « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو
جاءكم وأفرا لجاءكم علم وشعر كثير » (٢) .

وأصيب الشعر العربي مع الضياع بالافتراء والأختلاق عليه من بعض الرواة
لأسباب كثيرة منها العصبية أو الرغبة في تفادى الأخراج أو سوى ذلك .
ولكن النقاد اهتموا بتمييز الصحيح من المنحول رنهبوا على الكثير من
المختلف ، وألفوا كتبا كثيرة جمعوا فيها ما صح من الشعر الجاهلي والآثار
الأدبية الأخرى .

وكان لكل شاعر رواية يحفظ شعره وينشده ويأخذ من الشاعر فن
الشعر ومذهبه في القريض .

فكان امرؤ القيس رواية أبي دؤاد الأيادي . وزهير رواية أوس بن حجر
والأعشى رواية المسبب ، كما كان الخطيمية رواية زهير .

هذا وسياتى ذكر لكثير من رواية الشعر الجاهلي .

وقد اهتم الخلفاء الأمويون باحياء الأدب الجاهلي اهتماما كبيرا وأولوا
ذلك عنايتهم

وقد عنى الرواة برواية الشعر القديم ومن أشهر هؤلاء حماد الراوية م ١٥٦
وهو أول من جمع أشعار العرب وآدابها وأخبارها

وقرب الخلفاء الرواة إليهم ، واتخذوهم جلساءهم وسماهم وندمانهم ،
واستمعوا لرواياتهم وقصصهم
وكان لذلك كله أثر بعيد في إحياء الشعر الجاهلي وحفظه

رواة الشعر الجاهلي^(١)

- ١ - أبو عمرو ابن العلاء البصرى م ١٥٤ . ولم يترك مؤلفات^(٢)
- ٢ - حماد الرواية (٧٥ - ١٥٦ هـ) ، كوفي وليس له مؤلفات^(٣)
- ٣ - الخليل بن أحمد بصرى (١٠٠ - ١٧٤ هـ) ، وهو مخترع علم العروض .
- ٤ - خلف الأحمر بصرى م ١٨٠ هـ ، وليس له مؤلفات ، ونقل عن السيوطي أنه ألف كتاب والجمال وما فيها من شعر ، وله ديوان خاص ، وقيل أنه صاحب لامية العرب المنسوبة للشنفرى^(٤)
- ٥ - يونس بن حبيب البصرى م ١٨٢ هـ .
- ٦ - المفضل المكي م ١٨٩ هـ ، كوفي وهو أقدم من جمع المختار من شعر العرب في كتاب (المفضليات) . وأول من فسر الشعر بيتا بيتا ، ويقال أنه أول من جمع أشعار الجاهليين .
- ٧ - أبو عبيدة بصرى م ٢٠٩ هـ . وله مؤلفات في اللغة ، ومجاز القرآن والنقائض .

(١) راجع بغية الوعاة - طبقات الأدباء لابن الانبارى - معجم الأدباء
لياقوت - وفيات الأعيان - فوات الوفيات - الأغاني - الفهرست .

(٢) ٤٢ فهرست .

(٣) ١٣٤ فهرست . ويقول ابن سلام فيه : وكان أول من جمع أشعار
العرب وساق أحاديثها حماد الرواية وكان غير موثوق به (٢٣ طبقات الشعراء)

(٤) ٤ الصناعتين

المناقضات في العصر الاموي

١ - كان لاحياء العصبية وكثرة الخلافات الدينية والسياسية والاجتماعية والادبية أثر بعيد في احياء المعارضات في الشعر العربي في هذا العصر . وكانت المنافسة الادبية عاملا كذلك له اثره في هذا الميدان .

بدأ هذا العصر بالخلاف بين علي و معاوية وظهور الخوارج التي ظلت ذاتة ساخطة ، لا تريد حكماً ، ولا ترضى عن حاكم ، حتى استأصل شأفتها المهاب بن أبي صفرة في خلافة عبد الملك بن مروان . ثم قام ابن الزبير في مكة يدعو الى نفسه ويطلب الخلافة ، فكان له جند مناصرون . وهكذا انتثر العقد وانشقت العصا وانتمض الغزل أنسكأنا : وتفرق المسلمون شيعاً ، وتبددوا أحزاباً مخلصين أو غير مخلصين ، راغبين في عرض الحياة الدنيا أو غير راغبين ، فإنا نعتقد أن النفس الانسانية في هذا الزمان هي النفس الانسانية في كل زمان ، وأن اتجاه الناس الى الزعماء في ذلك الحين ، لم يكن كله خالصاً عن محض عقيدة أو اقتناع بمذهب وكما يقول القطامي .

والناس من يلقى خيراً فآثرون له ما يشتهي ولأم الخطفى المجل
كان لعلي شعراء ؛ ولعادية شعراء ، وللخوارج شعراء ، ثم للزبيريين بعد ذلك شعراء . وأشهر شعراء الشيعة السكيت ، وبرز من شعراء معاوية الأخطل وجريروان جعيل ، ومن شعراء الخوارج عمران بن حطان و أشاد بآل الزبير عبيد الله ابن قيس الرقيات .

وكان الأخطل لا يعنيه من أمر الخلافة الاسلامية شيء إلا ماتدره عليه من أموال . أما شعراء الشيعة فكانوا محبطين في غضبهم وبكائهم ، ولكن قلوب بعضهم كانت تضعف أمام سيطرة الأيوبيين ، وترجف فرقا من سيفهم المسمول . فقد كانوا إذا انزاق بهم اللسان مرة أو مرتين باتوا بليلة المسوع ، واعدوا العمدة للفرار . وإذا صح ما نسب إلى السكيت من رعبه من هشام بن عبد الملك ، وهربه من السجن بعد أن لبس ثياب زوجه ، وتركها خلفه

تلاقى من شياطين السجن ما تلاقى ، والتجائه الى قسبر معاوية بن هشام ، واستنقاذ
نفسه بمدح بنى أمية ؛ ثم استم ارضه في مدحهم الى آخر أيامه ، علمنا ما يفعل الخوف
بالعقائد ، وكيف تستل الغرائز شماعة الرجال ، يفولون إنه عمل بمذهب النقية
ولكننا لانفهم كيف تسباح هذه النقية الى آخر أئداس الخلية ؟ وقد حدث هذا
بعينه لعبيد الله بن قيس الرقيات شاعر آل الزبير حين أهدر عبد الملك بن مروان
دمه ، فتنقل مخنقياً في الأبياء والقبائل ، حتى استهـاذ ذليلاً بعبد الله بن جعفر
فسمى للعفو عنه ، فلما ظهر بالعفو انطلق يهدر بمدح الروائيين كأما أطلقت
سيلا حبساً !

وكان الفرزدق شيعياً ، ولكنه كان لا يتخذ من عقيدته حلية يعرضها على الناس
ولا يجعل من مذهبه شارة حتى يراها كل ناظر ، وله شعر كثير في
مدح بنى أمية ، والقصيدة المنسوبة إليه في مدح على بن الحسين غدير صحيحة
النسبة إليه

أما شعراء الخوارج ، فقد زهدوا في الدنيا وزخرفها ، وسخطوا على الحكم
ورجاله ، وانصرفوا الى عقيدتهم صحيحة أو فاسدة ، يغذونها بأرواحهم ويندودون
عنها بسيفوفهم وأستهم . وسيرة عمران بن حطان رأس شعرائهم سيرة الفوضى
المجاهد الذى باع نفسه لمذهبه
وشعر قطرى بن الفجاءة يصور الفدائية والذقة بالنفس والاستماتة بالموت في
أسلوب ساذج رصين :

وشاربة خدا كريما على فقى أغر نجيب الامهات كريم
أصيب بدولاب ولم تك موطننا له أرض دولاب ودير حميم
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الإله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم
٢ - وهكذا كانت حال الأحزاب ، وهكذا كانت حال شعرائها ، ولقد قيل شعر
كثير في نصره كل حزب ، ولكنه لم يكن شعرا ملتبها متأججا ، حتى إنه لكثيرا
ما كان يفر من الحديث عن الخوية الى حديث المديح والهجاء . ولم تكن

المناقضات في هذا الشعر السياسي شديدة أو كثيرة ، لتور نفوس الشعراء ، أو لأنهم كانوا مشتتين في الأقطار بين الشام والعراق والحجاز ، ولبعد الشقة بينهم وعسر الاتصال

والذي وعيناه من مناقضات الشعر السياسي ما ذكره المبرد من أن معاوية أرسل إلى علي كتابا كتب في آخره أبيتنا لكعب بن جميل هي :

أرى الشام تتكر ملك العراق وأهل العراق له كارهينا
و كلا لصاحبه مبغضا يرى كل ما كان في ذلك دينا
إذا ما رمونا رميناهم ودناهم مثلنا يقرضونا
فقالوا على إمامنا فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى أن تدينوا له فقلنا ألا نرى أن ندبنا
ومن دون ذلك خرط القتاد وضرب وطعن يقرر العيوننا
فكتب إليه علي جواب رسالته ، ثم دعا النجاشي أحد بني الحارث بن كعب فقال له : إن ابن جميل شاعر أهل الشام ، وأنت شاعر أهل العراق ، فأجب الرجل فقال : يا أمير المؤمنين أسمعني قوله ، قال : إذن أسمعك شعر شاعر ، فقال النجاشي بحميه :

دعا يا معاوي ما لا يكونا فقد حقق الله ما تحذرونا
أناكم على بأهل العراق وأهل الحجاز فما تصنعونا ؟
٣ - لا نجد كثيرا من المناقضات الروبة السياسية في هذا العهد ، ولنا نجد نوعا آخر طريفا ، ابتكره معاوية ، وجرى الخلفاء بعده على أثره ، فقد أحيوا العصبية بعد أن أخذ الإسلام نارها ، وأرثوا العداوة بين الشعراء ، وأثاروا بينهم ماصفة من التهاجي والإقذاع ، حتى يصر فوا الناس عما أحدثوه من أحداث ، وحتى يعيشوا روح الجاهلية الأولى ، التي كان لهم فيها مجد عريق ، وشرف ورياسة ، وقد كثرت المناقضات الشعرية في هذا النوع ، وطمى سيلها ، وهي التي نسميها بالمناقضات الهجائية ولا يقصد بها إلا المباراة في فنون الهجاء المقذع ، والتباهي بمجد الجاهلية وأحسابها وأيامها ، ونبش ما دفعه الإسلام من مثالب القبائل في عهد ما الأري .

كما يقول الجارم بك
فقد ثارت حرب الهجاء ضروساطاحنة بين جرير والفرزدق والبعيث المجاشعي
وسبب ذلك أن ناساً من يربوع يقال لهم بنو ذهيل سرقوا إبلًا للبعيث فقتل جرير
قصيداً طويلة يهجو بها البعيث أولها :

طاف الخيال وأين منك لما ما فارجح لزورك بالسلام سلاما
فثار البعيث وعارضه بشعر من الهجاء أوله :

أجرير أقصر لا تحن بك شقوة إن الشقى ترى له أعلاما
وكان الفرزدق في ذلك الحين ، قد قيد نفسه ، وحلف أن لا يطلق قيده حتى
يحفظ القرآن ، ولكن هجاء جرير للبعيث أقض مضجعه ، وأثار فيه نازعة النجدة
فلك قيوده ، وهب ينتصر للبعيث بقصيدة أولها :

ألا استهزأت مني هنيئة أن رأيت أسيرا يداني خطوة حلق الهجلى

وتبعه البعيث بأخرى يهجو جريراً :

أهاج عليك الشوق أطلال دمنة بناصفة الجوين أو جانب الهجلى

فأنبرى لها جوير بقصيدة مطلعها :

عوجى علينا واربعى ربة البعل ولا تقتلنى لا يحل لكم قتلى

ورماه بأخرى أولها :

ألا حى رهى ثم حى المطالبا فقد كان مأنوساً فأصبح خالبا

ويرى الباحث في هذه المعارضات أو النقائض أنها ابتدأت ببحر الكامل ،
ثم انتقلت إلى بحر الطويل ، والتزمت فيه قافية واحدة ، حتى نقلها الفرزدق إلى
قافية أخرى ، وهو ضرب يعتمد إليه المعسّز بفنّه في المباراة للبعث بالخصم
وإنجازته وتحديه . كما يقول الجارم بك

وكان من أسباب اشتعال المهاجاة ، وتأجج المعارضة بين الفرزدق وجرير
مارواه الرواة من أن الاخطل فضل الفرزدق على جرير أمام بشر بن مروان أمير
الكوفة ، وأرسل قصيدة طويلة يمان فيها هذا التفصيل أولها :

بكر العواذل يتدنن ملامتى والعالمون فكلمهم يلحسانى

وفيهما يقول :

قبيح الإله بنى كليب لإنهم لا يحفظون محارم الجيران
تاج الملوك ونخريهم في دارم أيام يربوع مع الرعيان
فأسرع الفرزدق يعاضده في هجاء جرير :

يا ابن المرانة والهجاء إذا التقت أعناقك وتمسك الخصمان
يا ابن المرانة إن تغلب وال رفعوا عناني فوق كل عنان
فصال عليهما جرير يقول :

لمن الديار بركة الروحان إذ لا نبيع زماننا بزمان
وفيهما يخاطب الأخطل :

أنسيت ويل أليك غدر مجاشع ويجر جهن ليلة السيدان ؟
ونسيت أعين والرباب وجاركم ونوار حيث تداصل الحجلان ا

يقول الأخطل : أنسيت غدر مجاشع ، وهي قبيلة الفرزدق ، بالزبير بن العوام
حين استجار بمجاشع بعد وقعة الجمل ، ثم يذكر بعد ذلك حادثة غريبة ، هي أن
غالباً أبا الفرزدق جاور طلبة بن قيس بالسيدان ، وكانت جعثن أخت الفرزدق
صديقه ظلمياء وكانت إذا أرادت لقاءها صدفقت لها بمجمل لتجيه إليها ، فاشتس
الفرزدق أن يلتقي بظلمياء ، وحدث أن شغلت أخته ليلة بأمر نفسها ، فأخذ حجلاً
وحركه فجاءت ظلمياء كمادتها ، فارتابت بالفرزدق وصاحت ، وعادت إلى رحلها
فلما علم فتیان الحى من أهلها أسرعوا فأخرجوا جعثن من خباتها ، ثم سبوا
ليشهرها بها .

وكان من ضروب إثارة المنافسة والمعارضة بين الشعراء ، مارواه أهل الأدب
من أن الفرزدق والأخطل وجريراً كانوا في حضرة عبد الملك بن مروان ، فأحضر
بين يديه كيساً فيه خمسين دينار ، ثم قال : ليقبل كل منكم بيتاً في مدح نفسه ،
فأيكم غلب فله الكيس ، فبدأ الفرزدق فقال :

أنا القطران والشعراء جري وفي القطران للجري شفاه

وقال الأخطل :

فان بك زق زاملة فاني أنا الطاعون ليس له دواء
وقال جرير :

أنا الموت الذي آتى عليكم فليس هارب مني نجاء
فقال عبد الملك : لعمري إن الموت يأتي على كل شيء ، وقضى له .

ويروون أن الفرزدق قال في هذا المجلس . النوار طالق إن لم أقل شعراً لا
يستطيع ابن المراغة أن ينقضه أبداً ، ولا يجد في الزيادة عليه مذنباً ، فقال عبد
الملك : ما هو ؟ فقال .

فاني أنا الموت الذي هو واقع بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله
وما أحد يا ابن الأتان بوانل من الموت إن الموت لاشك نائله
فأطرق جرير ثم قال : أم حزرة طالق نائلاً إن لم أكن نقضته ورددت
عليه ، فقال عبد الملك : هات فقد والله طلق أحديك لا محالة ، فقال .

أنا البدر يغشى نور عينيك فالتمس بكفنيك يا ابن العين هل أنت نائله ؟
أنا الدهر يقضى الموت والدهر خالد لجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله
فقال عبد الملك ، فضلك والله يا أبا فراس وطلق عليك :

٤ - ومعرفة الهجاء التي كانت بين الفرزدق وجرير والأخطل والتي استمرت
مدة كبيرة بتأثير العصبية والخلافات السياسية والأدبية أبلغ سبب من أسباب
المعارضات فما العصر الأموي .
وقد خلفت لنا هذه المعركة النقائض بين جرير والفرزدق التي جمعها أبو عبيد
المتوفى عام ٢٠٩ هـ في كتاب النقائض .

وكان لمعركة الهجاء هذه أثر في الأدب واللغة والشعر وكانت بواعثها السياسية
متشعبة وكان بعض الولاة الأمويين يذكي من حديثها ، وعلى أي حال فقد خلفت
لنا ميراثاً أدبياً ضخماً ورثناه مع ماورثناه عن العصر الأهوي
وقد سميت القصائد التي تبادلها الشاعران : الهجاء (النقائض) وشاع هذا النوع

من الشعر في العصر الأيوبي شيوعا شديدا ، وقد كان معروفا من قبل ولكنه لم يكن كثيرا مطردا ، والاصل في ذلك ، التزمه صاحبه من الوزن والقافية غالبا ، وكثيرا ما يعرض لنفس تلك المساوئ التي قصد اليها الشاعر فينفيا أو يفسدها بأى وجه من الوجوه ، وأول قصيدة عرض فيها الفرزدق لجرير بالهجاء بائته التي أولها :

ألم تراني يوم جرت بيوقفة بكيت فسادتي هنيئدة ماليا
فقلت لها إن البكاء راحة به يشتفي من ظن أن لاتلاقيا

ثم يعنى الشاعر في ذكر صاحبه ، وما يحمده من حب لها ولوعة لفرأقها ، حتى اذا فرغ من ذلك في أبيات قصيرة التفت الى البعيت الذي استعان به على جرير فهجاء هجاء مرا ووصفه بالضعف والجلن وسوء الذمب ، ثم ينتقل الى جرير نفسه فيشتهمه ، ويصفه بالبدلة والقلة وينخر عليه بحسبه ونسبه ، ولا يطيل في هذه المرة ، فرد عليه جرير ببائته التي أولها :

الاي رهبا مم حى المطالبا فقد كان ما نوسا فأصبح خاليا
وفها غزل طويل عذب رقيق ، يصلح للغناء ، ثم يعاتب أباه أو جده وأسرته الاذنين لكثرة ما يسيئون اليه ويخذلونه ، مع أنه لا يلقاهم الا بالود والمروءة ، الذود عنهم ، ويفرغ بعد ذلك لاسرة الفرزدق فيهبوها لانها أسرة صناع قيون لا شرف لهم ولا بلاء ، وينخر بقومه قليلا وبف نفسه كثيرا ، ويصف خصومه بالغدر واسلام الجار .

والهجاء بين جرير والفرزدق والأخطل وغيرهم من الشعراء كله على هذا النحو ، فيه نظر واشادة بفضائل الشاعر وقبيلته في الجاهلية والاسلام ، ثم فيه ذم وتشهير بالخصم وقبيله في القديم والحديث ، وفي هذا الشعر جنائيات منكرة على الاخلاق والأعراض والدين ، ولكنه على الرغم من هذا كله من أنفع المصادر التاريخية لحياة العرب في جاهليتهم وإسلامهم ، كما انه مرآة صادقة لأخلاق هذه البيئات من العرب في القرن الأول للهجرة ، وبفضل هذا الشعر حفظ أكثر اللغة من الضياع وقد جمع ابو عبيدة م ٢٠٩ هـ النقائض وشرحها في كتاب كبيره ضمنه الكثير من أخبار العرب وآيامها وآثرها ومثالبها .

الغناء في العصر الاموي

كان للغناء في العصرى الاموى شأن وأى شأن ، نبغ فيه كثير من المغنين كسهيد بن مسجع وسائب خاسر وجميلة ومعيد وعبد الله بن سريج وعزة الميلاء وسواهم وقد اقتبس هؤلاء كثيراً من الأناغم العارسية والرومية بتأثير الاختلاط وكثرة الموالى وانتشر الغناء وذاع في الحجاز حيث الترف واللهو والأموال الكثيرة المتدفقة

وقد أكرم خلفاء بنى أمية وفادة المغنين عليهم ، وأفندحوا مكاناً رحيماً للمغنين في قصورهم ، واتخذوا منهم ندماء وسماراً ، وأكروموم وأناهوم وأجزلوا لهم المنح والمسكافات ، وكان لهم معهم مواقف ونوادير لطيفة ، ومساجلات وميامرات طريفة ، وكتب الأدب والتاريخ العربى حافلة بأخبارهم ، دكالأغانى ، لأبى الفرج الأصفهائى ودهناية الأرب فى فنون العرب ، للنويرى وده العقدة الفريد ، لابن عبد ربه ، وغيرها ، مما يدل بوضوح على تأصل حب الغناء فى قلوبهم . فقد كان لكل خليفة وأمير ووزير وغنى جوار وقيان فى قصره ، يقضى بينهم أوقات فراغه فى السمر واللهو والشراب والغناء والعبث . وكن يحدقن فضلاً عن الغناء والعزف فنون الأدب من شعر ورواية وتاريخ .

ويقال إن أول من غنى من الخلفاء عمر بن عبد العزيز ، خلال حكمه بالحجاز إذ غنى بسبع أغان تغزل بها جميعها بسعاد . وكان يتمتع بصوت جميل ، وصنعة محكمة ، أداء حسن ، وتلحين متقن . ومن غنائه هذا الشعر وهو لجرير ،

أما صاحبي نزر سعاداً لوشك فراقها وذرا البعادا
أعمرك إن نفع سعاد عني اصروف ونفعي عن سعادا
إلى الفساروق ينتسب ابن ليلي ومروان الذي رفع العبادا
ومن غنائه فيها
علق القلب سعاداً عادت القلب فعدا

كلنا عـوتب فيـسا أو نهى عنـسا ممدى
وهـو مشغوف بسعدى قد عصى فيـسا وزاداً
ومن أغانيه هذا الشعر
باسعاد التي سبتي فؤادى ورقادى هي لعيني رقادى
ثم هذا الغناء

حظ عيني من سعاد أبدأ طول السهاد

ويكذب كثير من الباحثين هذه الرويات المتقولة عن عمر بن عبد العزيز .
ومن الخلفاء الأمويين الذين ولعوا بالغناء وتغزوا به ، يزيد بن عبد الملك .
فقد شغف بالمنية حباية ذات الصوت الساحر ، وكان ينظم الشعر ويلحنه ويغنيه
ومن أشهر أغانيه تغزلا بحباية ، هذان البيتان ، ولحنهما ثقيل أول :

أبلغ حباية أسقى ربها المطر ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر
إن سار صبحي لم أملل بذكركم أو عرسوا فهموم النفس والفكر

وقد تغنى يزيد بن عبد الملك بحباية ، بهذين البيتين عندما رآها لأول مرة
وهو نازح عن الحجاز ، فأعزم بها ولكنه لم يجرؤ على اتباعها خوفاً من أخيه
سليمان بن عبد الملك ، أو من أخيه عمر بن عبد العزيز ، فغناها بعده معبد ،
وحباية ، وغيرهما من مشاهير المغنين والمغنيات . ثم اشترى حباية ، بعد ذلك
وقضى معها زمناً يستمع بها وبصوتها الرخيم ، إلى أن كانت ذات يوم معه تقذف
حبة رمان إلى فيها فشرقت وماتت ، فحزن عليها حزناً شديداً .

وكان الوليد بن يزيد شغوفاً بالغناء كأبيه ، ذات صوت جميل وصنعة متقنة ،
وله مواقف فنية عديدة تدل على طريقة أهل الحجاز ، ومن أغانيه المشهورة هذان
البيتان وهما من نظمه وتلحينه

وصفراء في السكاس كالزعفران سبها التججي من عسقلان
ترك الغداة وعرض الانا مستر لها دون لمس البنان

أثر الغناء في الشعر

وللغناء في الشعر الأماوي أثر كبير :

- ١ - فقد ساعد الغناء على ذيوع الشعر وانتشاره كما ساعد على رواجه
- ٢ - وقد دفع الغناء الشعراء إلى تهذيب شعرهم حتى يصلح للغناء ويسهل حفظه وإنشاده وترديده ، ولذلك كثرت المقطعات الصغيرة والأوزان الخفيفة .
- ٣ - نشأت الرقة والسهولة والوضوح في الشعر بتأثير الغناء .
- ٤ - وقرب الغناء الشعر والشعراء إلى قصور الخلفاء والأمراء والولاة والأثرياء إلى غير ذلك من أثار الغناء في الشعر

ألوان من الغناء ومجالسه

— ١ —

وأول المغنين طويس المغنى المشهور فيما يقال :

ولما ولى أبان بن عثمان بن عفان المدينة لمعاوية فعمد في بهو له عظيم واصطف له الناس لجاء طويس المغنى وقد خضب يديه واشتمل على دفت له وعليه ملاءة مصقولة فسلم ثم قال بأبي وأمي يا أبان الحمد لله الذى أرانيك أميراً على المدينة انى نذرت لله فيك نذرا ان رأيتك أن أخضب يدي واشتمل على دفتي وآتى مجلس امارتك واغنيك صوتا قال : يا طويس ليس هذا موضع ذلك قال : بأبي أنت وأمي يا ابن اطيب أبجنى قال : هات يا طويس لخسر عن ذراعيه وألقى رداءه ومشى بين السباطين وغنى .

ما بال أهلك يا رباب خزرا كأنهم غضاب

فصفق أبان بيديه ثم قام عن مجلسه فاحتضنه وقبله بين عينيه

ويروى أن جميلة م ١٢٥ هـ خرجت. حاجة، فخرج معها من الرجال المغنين، والنساء والأشراف وغيرهم جماعة، وحبب معها من القيان مشيات لها ومعظمت لقسدرها ولحقها خمسون قينة، وجه بين مواليهن معها، وأعطوهن الفقات وحملوهن على

الإبل في الهوادج والقباب وغير ذلك ، فأبت جميلة أن تنفق واحدة منهن درهما فما فوقه حتى رجعن . وتخاير من خرج معها في اتخاذ أنواع اللباس العجيب الطريف والهوادج والقباب ، فلم ير أهل المدينة مثل ذلك الجتمع سفراً طيباً ، وحسناً وملاحة . ولما قاربوا مكة تلقاهم سويد بن مسجع وابن سريج والغريض وأبن عوز والمذليين ، وجماعة من المغنين من أهل مكة وقيان كثير ، ومن غير المغنين عمر بن أبي ربيعة ، والحارث بن مالك الخزومي والحريبي وجماعة من الأشراف فدخلت جميلة مكة وما بالحجاز مفن حاذق ولا مغنية إلا وهو معها وجماعة من الأشراف من سميان وغيرهم من الرجال والنساء . وخرج أبناء أهل مكة من الرجال والنساء ينظرون إلى جمعهم وحسن هيئةهم .

فلما قضت حجةها سألتها المكسيون أو تجعل لهم مجلساً . فقالت : للغناء أم للحديث ؟ قالوا : لهما جميعاً . قالت : ما كنت لأخلط جسداً بهزل ، وأبت أن تجلس للغناء فقال عمر بن أبي ربيعة : أقسمت على من كان في قلبه حب لاستماع غنائها إلا خرج معها إلى المدينة فاني خارج ، فعزم القوم كلهم على الخروج فخرجت في جمع أكثر من جمعها بالمدينة .

فلما قدمت المدينة تلقاها أهلها وائرأفهم من الرجال والنساء ، فدخلت بأحسن مما خرجت منها ، وخرج الرجال والنساء من بيوتهم فوقفوا على أبواب دورهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها فلما دخلت منزلها وتفرق الجمع إلى منازلهم ، ونزل أهل مكة على أقاربهم وأخوانهم أنهاها الناس سلبين . وما استنكف من ذلك كبير ولا صغير .

فلما مضى لقدمها عشرة أيام جلست للغناء ، فقالت لعمر بن ربيعة . إني جالسه لك ولاصحابك ، وإذا شئت فعد الناس لذلك اليوم ، فخصت الدار بالأشراف من الرجال والنساء ، فأبتدأت جميلة فغنت صوتاً بشعر عمر (١)

(١) كان الحارث بن أبي ربيعة ينهى أخاه عن قول الشعر فيأبى أن يقبل منه فأعطاه ألف دينار على ألا يقول شعراً ، فأخذ المال وخرج إلى أخواله يلحج وأبين مخافة أن يهبجه مقامه بمكة على قول الشعر . فطرب يوماً فقال هذا الشعر

ميهات من أمة الوهاب منزلنا
وأحتل أهلك أجيادا^(٢) وليس لنا
لو أنها أبصرت بالجزع عبرته
إذن رأت غير ماظنت بصاحبها
مائس لانس يوم الخيف^(٤) وقفها
وقولها للشريا وهي باكية
يا لله قولى له فى غير معتبة :
إن كنت حاولت دنيا أولعمت بها

فكلهم استحسن الغناء وضح القوم من حسن ما سمعوا . ودمعت عين عمر
حتى جرى الدمع على ثيابه ولحيته ؛ ثم أقبلت على ابن سريج فقالت : هات ، فاندفع
يقضى ورفع صوته بشعر عمر :

أليست بالتى قالت
أشيرى بالسلام له
وقولى فى ملاطفة
وهذا سحرك النسوا
لمولاة لها ظهرا
إذا هو نحونا نظرا
لزينب نولى عمرا
ن قد خبر نى الخبرا

فسمع من ابن سريج فى هذا اللحن من الحسن ما يقال إنه ما سمع مثله ثم
قالت اسعيد بن مسجح : هات يا أبا عثمان ، فاندفع فغنى :

قد قلت قبل البين لما خشيته
لك الخير هل من مصدر تصدوينه^(٦)
لتعقب ودا أر لتعلم ما عندى
يريح كما سهلت لى سبل الورد

(١) سيف البحر : ساحله .

(٢) أجيادا : موضع بمكة .

(٣) لحج . مخلاف باليمن .

(٤) الخيف . موضع بمنى .

(٥) ذو سين . ذو طرائق .

(٦) يقال : صدر هو وصدر غيره وأصدره

فلما شكوت الحب صدت كأنما شكوت الذى ألقى إلى حجر صلد
 فاستحسن ذلك منه وبرع فيه . ثم قالت : يا معبد هات ، فغنى :
 أحارب من ساربت من ذى عداوة وأحبس مالى إن غرمت فأعقل (١)
 وإلى أخوك الدائم العهد لم أحل إن أبراك (٢) خصم أو نبايك منزل
 ستنقطع فى الدنيا إذا ما قطعنى يمينك فانظر أى كف تبدل
 قالت جميلة : أحسنت يا معبد اختيار الشعر والغناء .

ثم قالت : هات يا بن عمرز ، فأنى لم أوخرك لحساسة بك ، ولا جهلا بالذى
 يجب فى الصناعة ، ولكننى رأيتك تحب من الأهور كلها أو سطها وأعدتها ،
 لجمالتك حيث تحب واسطة بين المسكين والمدنين . فغنى .
 ثم قالت للغريص : هات ، فاندفع يغنى بشعر عمرو بن شأس الأبيات وفى
 آخرها .

فواندمى على الشباب وواندم ندمت وبان اليوم منى بغير ذم
 وإذا إخرتى حولى وإذا أنا شائع وإذا لأجيب العاذلات من الصمم
 أرادت عراراً (٣) بالهوان ومن يرد عراراً لعمرى بالهوان فقد ظلم
 قالت جميلة . أحسن عمرو بن شأس ولم تحسن ، إذا أفسدت غناءك بالتعريض
 والله ما وضعناك إلا موضعك ولا نقصنا من حظك فيها إذا أهناك
 ثم أقبلت على الجماعة فقالت . يا هؤلاء ، اصدقوه وعرفوه نفسه ليقنع بمكانه
 فأقبل القوم عليه ، وتألوا له . قد أخطأت إن كنت عرضت . فقال : قد كان

-
- (١) يريد فأعقل عنه ، وعقل عنه : إذا غرم ما لزمه من دية
 (٢) لم أحل : لم أتغير ، أبراك خصم : قهرك ، والشعر المعن بن أوس وهو
 شاعر ثعلب من مخضرى الجاهلية والاسلام .
 (٣) هو عرار بن عمرو بن شأس وهو من أمة أمرو سوداء ، وكان بينه وبين
 زوج أبيه نزاع وخصام ، فقد كانت تؤذيه وتعيره وتشتمه ، وحاول عمرو أن
 يصلح ما بينهما فلم يفلح فطلقها .

ذلك ولست به مد . وقام إلى جميله فقبل طرف ثوبها واعتذر ، فقبلت عذرة ،
وقالت له . لا تعذ .

ثم أقبلت على ابن عائشة فقالت . يا أبا جعفر مات ، فتغنى بشعر النابغة
الذي فيه .

سقى الغيث قبرا بين بصرى^(١) وجاسم علقه من الوسمي جود ووايل
قالت جميله : حسن ما قلت يا أبا جعفر . ثم أقبلت على نافع وبيدح فقالت :
أحب أن تغنياني صوتاً واحداً فغنيا جميعاً بصوت واحد ولحن واحد :

ألا يا من يلوم على التصابي أفق شيئاً لتسمع من جواني
ككارت تلومني في الحب جهلاً وما في حب مثلي من معذب
مادة غير شك هوى متواصلين على أقستراب
ن . وستر من منعمة كعاب^(٢)

وغناكاً واحداً ، وأنتمما تنتما من بقية الكرم
ن طالب .

ل . غنوا صوتاً واحداً ، فاندفعوا فغنوا

بشعر غيره العباسي :

حييت من طلل تقادم عهدده أقوى واقفر بعد أم الهيثم
كيف المزار وقد تربع أهلها بعيزتين وأهلنا بالغميلم^(٣)
إن كنت أزمعت الفرق فأبما زمت^(٤) ركابكم بليل مظلم
فالت : ما رأيت شيئاً أشبه بغنائكم من اتفاق أرواحكم .

(١) بصرى وجاسم : موضعان بالشام .

(٢) ناهدة الندي .

(٣) عزيرتين ووضع ، والغلم . موضع في ديار بني عباس

(٤) زم البحر خطمه .

ثم أقبلت على نافع بن طنبورة فقالت . هات ياتقش الغضار ^(١) ويحسن
اللسان ، فاندفع يغنى .

ياطول ليلى وبت لم أنم وسادى الهم مبطن سقمى
أن قمت يوما على البلاط ^(٢) فأب صرت رقاشا وليت لم أقم
فقالت جميلة . حسن والله .

ثم قالت . يامالك هات ، فاني لم أؤخرك لأنك فى طبقة آخرهم ، وليكنى اردت
أن أختم بك يومنا تبركا بك ، وكى يكون أول مجلسنا كآخره ، ووسطه كطرفه ،
فانك عندى ومعبداً فى طريقة واحدة ومذهب واحد ، لا يدفع ذلك إلا ظالم ،
ولا ينكره إلا عاضل ^(٣) ، الحق أقول ، فن شاء فلينكر ، فسكت القوم كلهم إقراراً
لما قالت . واندفع يغنى .

عدو لمن عادت وسلم لسلها ومن قربت سلمى أحب وقربا
هيبنى امرأ إما بريئاً ظلمته وإما مسيئاً تاب بعد وأعتبا
أقول ... التماس العذر لما ظلمتني وحملتني ذنبا وما كنت مذنباً ؛
ليمنك إثمات العدو بهمجرنا وقطعتك حبل الوصل حتى تقضيا ^(٤)
قالت جميلة . ليت صوتك يامالك قد دام لاودمنا له اوقطعت المجلس وانصرف
فأما الناس وبقى خواصهم .
فلما كان اليوم الثانى حضر القوم جميعاً ، فقالت لطويس . هات ياأبا عبد العيم
فابتدا طويس فغنى .

قد طال ليلى وعاد لى طربى من حب خود ^(٥) كريمة الحسب
غراء مثل الهلال آنسة أو مثل تمثالا صورة الذهب

-
- (١) الغضار : الطين اللازج الاخضر وهو لقب له .
(٢) البلاط . الأرض ، وقيل الأرض المستوية الملساء .
(٣) العضل . المنع .
(٤) تقضب : تقطع
(٥) الخود . الحسنه الخلق الشابة .

صادت فؤادى بحميد مغزلة (١) ترعى رياضاً ملتفتة الشعب
فقالته جميلة . حسن والله يا أبا عبد النعيم .
مم قالت للدلال : هات يا أبا يزيد ، فاندفع فغنى .
قد كنت آمل فيكم أملاً والمرء ليس بمدرك أمله
حتى بدا لي منكم خلف فوجرت قلبي فارعوى جملة
ليس الفتى بمخلد أبداً حيا ، وليس بفات أمله
قالت : حسن والله يا أبا زيد . مم قالت لهيت . إنا نملك اليوم لكبر سنك
ورقة عظمك . قال : أجل .
ثم قالت لبرد الفؤاد ونومة الضحى . هاتيا جميعاً لحناً واحداً فغنينا .
إني تذكرت فلا تلحنى لؤلؤة مكنونة تنطق
فقالته جميلة : أحسنها .

ثم قالت لهند ورحمة وهبة الله . هاتوا جميعاً صوتاً واحداً فانكم متفقون في
الأضواء والألحان ؛ فاندفعوا فغنوا .

أشاقك من نحو العقيق بروق لوامع تخفى تارة وتشوق
وما لي لا أهوى جواري بربر وروحي إلى أرواحهن تنوق
لهن جمال فائق وملاحة ودل على النساء يفوق
وكان بربر حاضراً ، فقال . جواري والله على ما وصفتم ، فن شاء أقر ومن
شاء أنكر . فقالت جميلة . صدق ثم غنت جميلة بشعر الأعرشى

بانة سعاد وأمسى حبلمها انقطعا
واستكرتني وما كان الذي نكرت
تقول بنتي وقد قربت مرتحلا
وكان شيء إلى شيء فغيره
واحتلت الغور فالجدين (٢) فالفرعا
من الحوادث إلا الشيب والصلعا
يارب جنب أبى الأوصاب والوجعا
دهر ملح على تفريق ما جمعا (٣)

(١) المغزلة . الظبية ذات الغزال

(٢) الجدان والفرع . ووضعان

(٣) ٢٠٩ / ٨ / الأغاني ٤٣٠ / ٥ بلوغ الأدب

فلم يسمع شيء أحسن من ابتدائها بالأمس وختمها في اليوم الثاني ، وقلعت
المجلس ، فانصرف قوم وأقام آخرون .

فذا كان اليوم الثالث اجتمع الناس ، فضربت ستارة وأجلست الجوارى
كاهن فضربن وضربت ، فضربن على خمسين وترا ، فزلزلت الدار ، ثم غنت على
عودها ، وهن يضربن على ضربها بهذا الشعر :

فان خفيت كانت لعينك قرة وإن تبد يوما لم يعمدك (١) عارها
من الحفرات البيض لم تر غلظة وفي الحسب الضخم الرفيع نجارها
فاروصة بالحزن طيبة الثرى ينج الندى جشجائها (٢) وعرارها
بأطيب من فيها إذا جئت طارقا وقد أوقدت بالمدل الرطب نارها
فدمعت أعين كثير منهم حتى بلوا ثيابهم وتنفسوا الصعداء ، وقالوا بأنفسنا أنت
يا جميلة ! ثم قالت للجوارى : اكفنن فسكرنن ، وقالت يا عز غنى ، فغنت
بشعر لعمري :

تذكرت هذا وأعصارها (٣) ولم تقض نفسك أوطارها
تذكرت النفس ما قد مضى وما جت على العين عوارها (٤)
لتمنح رامة منا الهوى وترعى لرامة أسرارها
إذا لم نزرها حذار العدا حسدنا على الزور زوارها
فقلت جميلة : يا عز ، إنك لباقية على الدهر ، فهنيئا لك حسن هذا الصوت جمع
جودة هذا الغناء .

(١) لم يعمدك . لم يلحقك

(٢) الجشجات . من أحرار الحجر له زهرة صفراء طيبة ، والعرار نبت طيب
الريح وهو النرجس البري

(٣) الأعصار . جمع عصر ، يريد الأوقات التي يبتلع معها فيها

(٤) العوار . ما عار في العين من القذى والرمد فأوجعها .

ثم قالت للحياطة وسلامة : هاتيا لحننا واحدا ، فغنتا :
كفى حزنا أنى أغيب وتشمده وما نلتقى والقلب حران مقصد
ومن عجب أنى اذا الليل جنفى أقوم من الشوق الشديد وأقعد
أحن اليكم مثل ما حن تائق إلى الورد عطشان الفؤاد مصدر (١)
ولى كبدى حرى يعذبها الهوى ولى جسد يبلى ولا يتجدد
فاستحسن غناؤهما .

ثم أقبلت على خليدة فقالت لها : بنفى أنت غنى ، فغنت :
ألا يامن يلوم على التصابي أفق شيئا لتسمع من جوابي
بسكرت تلومنى فى الحب جهلا وما فى حب مثلى من معاب
أليس من السعادة غير شك هوى متواصلين على اقتراب
كريم ناك ودا فى عفاف وستر من منعمة كعاب
فاستحسن منها ما غنت . ثم قالت لعقيلة والشماسية : هاتيا فغنتا :
هجرت الحبيب اليوم فى غير ما اجترم وقطعت من ذى ودك الحبل فانصرم
أطعت الوشاة السكاشمين ومن يطع دقالة واش يقرع السن من ندم
ثم قالت لفرعة وبلبله ولذة العيش : هاتين فغنتين ، فاندفعن بصوت واحد .
لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى بنفى سقما إلى لذن لتسقيم
على دماء البدن إن كان حبا على النأى فى طول الزمان يريم
تسلم ملبات فينسين بعدها وينذكر منها العمد وهو قديم
فأقسم ما صافيت بعدك خلة (٢) ولالك عندى فى الفؤاد قسيم
قالت . أحسنتن وهو لعمري حسن .

وقالت لسعدة والزرقاء غنياً فغنتا ، فاستحسن غناؤهما .
ثم قالت للجماعة غنوا جميعاً ، فغنوا ، وانقض المجلس وعاد كل إنسان إلى
وطنه . فارتى مجلس ولا جمع أحسن من هذا الأيام الثلاثة ا

(١) التصريد سقى دون الرى .

(٢) الخلة . الخلية .

وقال أبو عبد الله : جلست جميلة يوماً وابست برنسا (١) طويلة ، وألبست من كان عندها برانس دون ذلك ، وكان في القوم ابن سريج ، وكان قبيح الصلح ، قد اتخذ وفرة (٢) شعر يضعها على رأسه ، وأحبت جميلة أن ترى صلته ، فلما بلغ البرنس إلى ابن سريج قال : دبرت على ورب الكعبة ، وكشف صلته ووضع القلنسبة (٣) على رأسه ، وضحك القوم من قبح صلته .

ثم قامت جميلة ورقصت وضربت بالعود وعلى رأسها البرنس الطويل ، وعلى عاتقها بردة يمانية ، وعلى القوم أمثالها ، وقام ابن سريج يرقص ومعبد والغريض وابن عائشة ومالك ، وفي يد كل واحد منهم عود يضرب به على ضرب جميلة ورقصها ، فغنت وغنى القوم على غنائها .

ذهب الشباب وليته لم يذهب وعلا المقازق وقع شيب مغرب (٤)
والغانيات يردن غيرك صاحباً ويعدنك الهجران بعسد تقرب
إني أقول مقالة بهجسارب حقاً ، ولم يخبرك مثل محرب
صاف الكريم يكن لعرضك صائناً وعن اللئيم ومثله فتنسكب
ثم دعت بثياب مصبغة ووفرة شعر مثل وفرة ابن سريج فوضعتها على رأسها
ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا ، ثم ضربت بالهود وتمشت وتمشى القوم خلفها ،
وغنت وغنوا بغنائها بصوت واحد :
يمشين مشى قطا البطاح تأردا (٥) قب (٦) البطون رواجح الأكلال

(١) البرنس قلنسوة طويلة ، أو كل ثوب رأسه منه ، دراعة كان أوجبة أو مطراً .

(٢) الوفرة . الشعر المجتمع على الرأس أو ماسال على الأذنين منه

(٣) القلنسبة : القلنسوة : ما يلبس في الرأس .

(٤) مغرب . أبيض (٥) تأرد الشيء : توج ، وتثنى

(٦) قب البطون : القباء الضامرة البطن .

فبين آنسة الحسديك حية ليست بفاحشة ولا متفال (١)
وتكون ريقتها (٢) إذا نهتها كالمسك فوق سلافة الجريال (٣)
جلسنا وجلسوا وخاموا ثيابهم ورجعوا إلى زيمهم ، وأذنت لمن كان يبابها
فدخلوا ، وانصرف المغنون وبقي عندها من يطارحها من الجوارى :

- ٤ -

وفود ابن مسجج على عبد الملك بن مروان (٤)
قال دحمان الأندلس : كنت عالما لعبد الملك بن مروان بمكة ، فمضى إليه أن
رجلا أسود يقال له : سعيد بن مسجج (٥) أفسد فتیان قریش وأنفقوا عليه أهوالهم
فكتب إلى : أن أقبض ماله وسيره ، ففعلت .
فتوجه ابن مسجج إلى الشام فصحبه رجل له جوار مغنيات في طريقه ،
فقال له : أين تريد ؟ فأخبره خبره ، وقال له : أريد الشام ، قال له : فتسكون
معي ؟ قال : نعم .

فصحبوه حتى بلغا دمشق ، فدخلوا مسججها ، فسألا : من أخص الناس بأمر
المؤمنين ؟ فقالوا : هؤلاء نفر من قریش وبنو عمه ، فوقف ابن مسجج عليهم وسلم
ثم قال : يا فتیان هل فيكم من يضيف رجلا غريبا من أهل الحجاز ؟ فنظر بعضهم
إلى بعض - وكان عليهم موعد أن يذهبوا إلى قينة يقال لها برق الأوق ، -
فتساقفوا به إلا فتى منهم تدمم (٦) . فقال : أنا أضيفك وقال لأصحابه : انطلقوا
أنتم ، وأنا أذهب مع ضيفي ، قالوا : لا ، بل نجى أنت وضيفك

(١) المتفال : المتغيرة الريح لترك التطيب .

(٢) الريق : ماء الفم غدوة قبل الأكل ويؤث في الشعر .

(٣) الجريال : من أسماء الخمر .

(٤) الأغاني ص ٢٨٢ ج ٣ ، وقصص العرب .

(٥) سعيد بن مسجج أحد المرالي ، مسكن أسود ، مغن ؛ متقدم ، كان أول

من غنى الغناء العربي بمكة ودو الذي علم ابن سريج والغريص

(٦) تدمم : خشى الدم واللوم .

فذهبوا جميعاً إلى بيت القينة ، فلما أتوا بالغداء قال لهم سعيد إنى إلى رجل
أسود ولعل فيكم من يقدرنى (١) فأنا أجاس وأكل ناحية وقام . فاستحيوا منه
وبعشوا إليه بسا أكل ، فلما صاروا إلى الشراب قال لهم مثل ذلك ، ففعلوا به كما
فعلوا فى المأكل ، وأخرجوا جاريتين جالستا على سرير قد وضع لهما ، ففتتا إلى
العشاء ، ثم دخلتا ، وخرجت جارية حسنة الوجوه والهيئة ، وهما معها ، جلست على
السرير وجلستا أسفل منها عن يمين السرير وشماله ، قال ابن مسجج . فتمثلت
هذا البيت .

فقلت أشمس أم مصاييح بيبة (٢) بدت لك خلف السجف (٣) أم أنت حالم

فغضبت الجارية ، وقالت : أ يضرب هذا الأسود فى الأمانال انظروا إلى
نظرا منكراً ، ولم يزالوا يسكنونها ، ثم غنيت صوتاً . فقلت : أحسنت والله ا
فغضبت مولايها ، وقال ، أمثل هذا الأ. ود يقدم على جاريتى ا فقال لى الرجل
الذى أنزلنى عنده . قم فانصرف إلى منزلى ، فقد نقلت على القوم ، فذهبت أقوم
فتدغم القوم ، وقالوا لى بل أقم وأحسن أدبك ، فأقمت وغنيت . فتمت . أخطأت
والله وأسأت ، ثم انذفت فغنيت الصوت ، فوثبت الجارية وقالت لمولايها . هذا
والله أبو عثمان سعيد بن مسجج ، فقلت . إنى والله أنا هو ، والله لا أقيم عندكم ،
فوثب القرشيون . فقال هذا : يكون عندى . وقال هذا : يكون عندى . وقال
هذا . بل عندى ا فقلت . والله لا أقيم إلا عند سيديكم - يعنى الرجل الذى
أنزله منهم :

ثم سألوه عما أقدمه ، فأخبرهم الخبر . فقال له صاحبه . إنى أسهر الليلة
مع أمير المؤمنين ، فهل تحسن أن تحددو ؟ قال . لا ، ولكنى أستعمل

(١) قدرت الشيء استقدرته وكرهته .

(٢) البيعة كنيسة النصرى

(٣) السجف بالفتح ويكسر ، الستر

سجده . قال : فان منزلي بهذا منزل أمير المؤمنين ، فان وافقت منه طيب نفس أرسلت إليك .

ومضى إلى عبد الملك ، فلما رآه طيب النفس أرسل إلى ابن مسجح ، وأخرج رأسه من وراء شرف القصر ، ثم حدا .

إنك يامهاذ يا بن الفضل إن زلزل الأقدام لم تزلزل
عن دين موسى والكتاب المنزل تقيم أصداع « القرون الميل
للحق حتى ينتجوا للأعدل

فقال عبد الملك للقرشي . من هذا ؟ قال . رجل حجازي قدم علي قال :
أحضره فأحضره وقال له . أحد مجدأ ، ثم قال له . هل تغني غناء الركبان ؟
قال . نعم . قال . غنه . فتغني . فقال له . فهل تغني الغناء المتقن . قال . نعم ، قال .
غنه . فتغني .

فاهتز عبد الملك طرباً . ثم قال له . أقسم إن لك في القوم لأسماء كثيرة ا
من أنت ويحك ا قال له . أنا المظلوم المقبوض ماله المسير عن وطنه سعيد بن
مسجح قبض مالي عامل الحجاز ونفاني . فتبسم عبد الملك . ثم قال له . قد وضع
عذر فتبان قريش في أن ينفقوا عليك أموالهم ، وأمنه ووصله ، وكتب إلى عامله
برد ماله عليه وألا يمرض له بسوء .

(١) الصدغ ما بين العين والأذن . والقرنان . جانباً الرأس ، أو الصدغ .
الميل ، ومنه لأقيمن صدغك ، أي ميلك .

النقد الأدبي

في العصر الأموي

- ١ -

علت ما كان من أمر النقد الأدبي في العصر الجاهلي و صدر الاسلام
أما العصر الأموي فقد كان لأحياء الأدب القديم والاهتمام بالشعر والشعراء
أثر بعيد في النقد الأدبي في هذا العصر

وكانت مجالس النقد كثيرة متشعبة : في قصور الخلفاء والأمراء والولاة ، وفي
مرابد البصرة وكناسة لكوفة ، وفي مجالس الشعراء والرواة ، وقد حفظت مصادر
الأدب الكثير من أخبار النقد في هذا العصر الجاهل

وكان الخلفاء أنفسهم يفهمون الشعر وينقدونه ويهتمون بالنقد الأدبي كثيرا
وخاصة عبد الملك بن مروان .

ويقول عبد الملك بن مروان :

إذا أردتم الشعر الجيد فعليكم برهط أعشى بكر وبالأوس والخزرج
وبهذيل (١)

وكان عبد الملك بن مروان عالما بالشعر ناقدًا له وتفويضًا بذكر أخباره في ذلك
كتب الأدب ، ونقده للشعراء كثير ، كنقده لابن الرقيات (٢) وللكثير (٣)
وفي آخر القرن الأول ازدهر الشعر وتعددت مذاهبه الأدبية واشتدت
العصبية وكثر التنافس بين الشعراء كثرة الموازنة بينهم وأحكام النقد الأدبي التي
يصدرونها على الشعر والشعراء الجاهليين والاسلاميين ، فقالوا : أشعر العرب

(١) ٣/٣٨١ المقد

(٢) ١/٤٠٠ المقد

(٣) ٣/ ٤٣٨ المقد

امرؤ القيس إذا ركب وزهير إذا رغب والنايعة إذا رهب والاعشى إذا طرب^(١) واختلفوا في الجاهليين فقال الفرزدق امرؤ القيس أشعر الناس وقال جرير : النايعة وقال الاختل : الاعشى ، وقال ابن مقبل : طرفه ، وقال الكمي : عمرو بن كلثوم وقال ابو عبيدة وأيده صاحب الجهرة : امرؤ القيس أم زهير والنايعة والاعشى ولييد وعمرو وطرفه^(٢) ، وكان جرير يشبه الاعشى^(٣) ؛ والفرزدق بزهير^(٤) ، والاختل بالنايعة^(٥) ، وقال الفرزدق لما سمع ابن أبي ربيعة : هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبسكت الديار^(٦) ، وورد مثل ذلك عن جرير^(٧) وقال جميل لعمر ، والله ما خاطب النساء مثل مخاطبتك أحد^(٨) ، وفضل ابن أبي عتيق عمر فقال : أشعر قريش من دق معناه ولطف مدخله وسهل مخرجه ومن حشوه وتعطف حواشيه وأنارت معانيه^(٩) ؛ وقال ينقده. أنت لم تنسب بالنساء وإنما تنسب بنفسك^(١٠) ، وقال نصيب : جميل إما منا وعمر أوصفنا للنساء وكثير أبكنا على الدمن وأمدحنا للبلوك^(١١) ، وقال ، أما أصدقنا في شعره فجميل وأما أكذبنا

(١) ١١١ حلبة الكمي ، وتروى بروايات مختلفة [٥١١ خزائن الادب ، ٥٨ ج ٩ الأغاني ، ٣٨٠ و ٤١٣ ج ٣ العقد ، ١٩٣ حضارة الاسلام في دار السلام] ؛ وهذه الرواية تروى عن كثير أو نصيب [٧٨ ج ١ العمدة] ، وعن ابن أبي طرفه مع حذف امرؤ القيس وزيادة وعنتره إذا كلب [٧٨ ج ١ العمدة] وعن الاصمعي [٣٣ ج ١ اشعار العرب]

(٢) ٤٥ الجهرة (٣) ١٨٠ الشعر والشعراء

(٤) ١٨٦ المرجع

(٥) ١٨٩ المرجع وراجع ٣٠ طبقات الشعراء لابن سلام

(٦) ٦٤ و ٣٤ ج ١ الأغاني وراجع ١٦ ج ٤ العقد

(٧) ٤٥ ج ١ الأغاني

(٨) ٤٩ و ١٢٩ ج ١ الأغاني (٩) ٤٦ ج ١ الأغاني

(١٠) ٤٦ ج ١ المرجع (١١) ١٢٧ ج ١ الأغاني

فعمير وأما أوسدنا للنساء فكثير^(١) ، ونقد قول السكيت و تكامل فيها الدل والشذب^(٢) ، كما نقد كثير عمرا والاحوص ونصيبا^(٣) ، وقال كثير في نسيب جميل ؛ هذا والله هو الشعر المطبوع وما كنت إلا راوية بليل ولقد أبقى للشعراء مثالا تحتذى عليه^(٤) ، ونقد جرير قول الاحوص و يقر بعيني ما يقر بعينها^(٥) ، وحسد الفرزدق ليلي الأخيلية على شعرها و مخرق عنه القميص الخ^(٦) ، وقال في جرير : ما أخرجني مع فسوق إلى رقة شعره وأحوجه مع عصفاه إلى صلابه شعري^(٧) ، ونقد الجعدي^(٨) ، وهكذا تناول النقد الشعر ومذاهبه وكثيرا مما يتصل به

ولكن النقد على أي حال لم يسكن له مناهج معروفة وكانوا ربما أخطأوا فيه كما أخطأ الفرزدق في نقد بيت جرير^(٩) .

يا حينذا جبل الريان من جبل وحينذا ساكن الريان من كانا

فقال . ولو كان ساكنه فردا ، فقال جرير : لو أردت هذا لقلت و ما كانا ، وكان لمربد البصرة مقام كبير في حركة النقد في هذه الفترة الحافلة ، وكان مألوف الأشراف^(١٠) ، ويقول الجارود : عليكم بالمربد فإنه يطرد الفسك ويحلو البصر ويجاب الخبز ويجمع بين ربيعة ومضر^(١١)

وابتداء القرن الثاني فازداد النقد فيه دقة وتحليلا وعمقا ، وكان أئمة اللغة

- | | |
|-------------------------------------|---------------------------|
| (١) ١٤١ ج ٢ المرجع | (٢) ٣٣٥ ج ١ الكامل للمبرد |
| (٣) ٣٣٢ و ٣٢٣ ج ١ الكامل | (٤) ١٦ ج ٤ العقد |
| (٥) ١١٣ ج ١ الأغاني | (٦) ١٢١ الكشكول |
| (٧) ٢٧ الشعر والشعراء ، ١٠٣ ج ٤ زهر | |
| (٨) ٤٣ طبقات الشعراء لابن سلام | (٩) ١٥٥ ج ١ اليتيمة |
| (١٠) ٢١٠ ج ٢ العقد | |
| (١١) ٢٢٣ ج ١ البيان والتهيين | |

وشيوخها يتعدون الشعر عن صناعة وتقيف ويحللون نصوصه من جميع نواحيها
طبعاً وبنية وتركيباً وفناً وأوزاناً وقوافي، ومنهم أبو عمرو ابن العلاء م ١٥٤،
وحامد الرواية م ١٥٦ هـ، وخلف م ١٨٢ هـ، والمفضل م ١٨٩ هـ، ويونس، وأبو
عمرو الشيباني، وأبو زيد الأنصاري م ٢٠٦ هـ، وأبو عبيدة م ٢٠٨ والأصمعي
م ٢١٦ هـ، وابن الأعرابي م ٢٠١ هـ، وكانوا جميعاً يروون اللغة والغريب والشعر
والنسب والأخبار والنوادر مع تفارقت في الميول^(١) والاتجاهات

(١) راجع ٢٢٤ ج ٣ البيان والتبيين

ألوان من النقد

في هذا العصر

- ١ -

وفد أعرابي من شعراء المجانين على نصر بن سيار بشعر نُغزل فيه بمائة بيت
ومدحه بيتين . فقال له نصر . والله ما تركت قافية لطيفة ولا معنى إلا شغلت
به نسيبك دون مدحك . ثم غدا عليه بعد ذلك بشعر يقول فيه :
هل تعرف الدار لأم العمر دع ذا وجر مدحة في نصر
فقال له نصر : لاذاك ولاذاك (١)

- ٢ -

وسمع عبد الله بن عمر قول الحطيئة .
مق تأته تشو إلى ضوء ناره تجدد خير نار عندها خير موقد
فقال ، ذلك رسول الله إعجاباً بالبيت (١)
وكان الناس يستحسنون قول الأعمى
تشب لمقرورين يصطلبانها وبات على النار الندى والمخلق
فلما قال الحطيئة .
مق تأته تشو إلى ضوء ناره تجدد خير نار عندها خير موقد
سقط بيت الأعمى (٣)

- ٣ -

وقال أبو عمرو بن العلاء :

(١) ٢٠٧ ج ٤ العقد الفريد

(٣) ٣٦ ج ٢ البيان

(٢) ٣٨٠ ج ٣ العقد

ختم الشعر بذي الرمة وفتح بامرئ القيس^(١)
وقال الأصمعي : ختم الشعر بالرماح^(٢)

وكان ذو الرمة فصيحاً بليغاً وكان عصمه بن مالك راويته^(٣) . والرماح
شاعر فصيح مقدم مخضرم من شعراء الدولتين وجملة ابن سلام في الطبقة
السابعة وقرن به عمر بن لجأ والقحيف العقيل والهجير السلولى^(٤) وحديث
ابو داود قال : سمعت شيخنا عالماً من غطفان يقول ان الرماح أشعر غطفان في
الجاهلية والاسلام وكان خيراً لقومه من النابغة لم يمدح غير قريش وقيس ،
وبنو ذبيان تزعم أن الرماح آخر الشعراء^(٥)
وأثنى أبو حاتم شعراً لفطرى وقال : هندا والله الشعر لا مايتعلمون به من
شعر الخنانيك^(٦)

واجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج ، فقال : من مدحنى منكاً بشعر يوجز
فيه ويحسن صفى فهذه الخلعة له ، فقال الفرزدق :
فن يأمن الحجاج - والطير تنقى عقوبته - إلا ضعيف العرائم
فقال جرير :

فن يأمن الحجاج : أما عقابه فر ، وأما عقده فوثيق
يسر لك البغضاء كل منافق كما كل ذى دين عليك شفيق
• فقال الحجاج للفرزدق : ما عملت سيئاً ؛ إن الطير تنقى الصبي والخشبة ، ودفع
الخلعة إلى جرير .

(١) ٣/٢٥٥ البيان ، ١/١٥١ البيان ايضاً .

(٢) ٣/١٩٧ المرجع .

(٣) ١٢٤ ذيل الامالى

(٤) ٢/٨٦ الاغانى (٥) ٢/٨٨ الاغانى

(٦) ٤/١٦٢ زهر

واجتمع جرير والفرزدق في مجلس عبد الملك بن مروان فقال الفرزدق :
النوار بنت مجاشع طالق ثلاثا إن لم أقل بيتا لا يستطيع ابن المراثة (١) أن يتقصه
أبدا ولا يجد في الريادة عليه مذهبها ، فقال عبد الملك . ما هو ؟ فقال .
فأني أما الموت الذي هو واقع بنفسك ، فانظر كيف أنت مواوله
وما أحد يابن الأتان بوائل من الموت ، إن الموت لاشك ناله (٢)
فاطرق جرير قليلا ثم قال . أم حوزة طالق منه ثلاثا إن لم أكن نفضته وزدت
عليه ، فقال عبد الملك . هات ، فقد والله طلق أحدا كما لا محالة ، فأشدد .
أنا البدر يغشى نور عينيك فالتمس بكفيك يابن القين هل أنت ناله (٣)
أنا الدر يفنى الموت والدهر خالد جئني بمثل الدهر شيئا يطاوله
فقال عبد الملك : فضلك والله يا أبا فراس وطلق عليك ، فقال الفرزدق :
فما يرى أمير المؤمنين ؟ فقال : وايم الله لا تريم (٤) حتى تكتب إلى النوار
بطلاقها ، فتأني ساعة ، فزجره عبد الملك ، فكتب بطلاقها وقال في ذلك :
ندمت ندامة الكسبي لما غدت مني مطلقا نوار (٥)

(١) المراثة : لقب أم جرير ، لقبها به الفرزدق ، وهو في الاصل الأتان .

(٢) وأل يثل : التجأ إلى موضع ونجاء .

(٣) القين . الحداد والجمع قيون ، جاء في الشعر والشعراء في ترجمة الفرزدق
وكان اصعصة (جد الفرزدق) قيون ، منهم جبير ووقبان وديسم ، فلذلك جعل
جرير مجاشعا (قوم الفرزدق) قيونا ، وكان جرير ينسب غالب بن صعصعة
(والد الفرزدق) إلى جبير .

(٤) رام المكان ، ورام منه . برحه .

(٥) من أمثال العرب ، أندم من الكسبي ، وهو غامدين الحرث الكسبي ،
وذلك أنه اتخذ قوساً وخمسة أسهم ، وقصد إلى مورد حمر وحشية وكن لها ،
فر به قطيع فرمى غيراً منها : فنفذ فيه السهم وجازه وأصاب الجبل وأورى

وكانت جنتي فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار (١)
ولو أتى ملكك إي ونفسى لسكان إلى للقسدر الخيار

- ٦ -

واجتمع جرير والفرزدق والأخطل في مجلس عبد الملك بن مروان، فأحضر
بين يديه كيساً فيه خمسمائة دينار وقال لهم : ليقل كل منكم بيتاً في مدح نفسه ،
فأيكم غلب فله الكيس ، فبدر الفرزدق فقال .

أنا القطران والشعراء جرير وفي القطران للجرير شفاء
فقال الأخطل .

فان تك زق زاملة فاني أنا الطاعون ليس له دواء (٢)
فقال جرير :

أنا الموت الذي أتى عليكم فليس هارب مني نجساء
فقال عبد الملك خذ الكيس ، فلعمرى إن الموت يأتي على كل شيء .

- ٧ -

وأخذوا على الفرزدق قوله :

إذا ألتقت الأبطال أبصرت وجهه مضئياً ، وأعناق السكاة خضوع (٣)
فقالوا . أساء القسمة وأخطأ الترتيب ، وإنما كان يجب أن يقول . أبصرتاه
سامياً وأعناق الملوك خضوع ، أو . أبصرت لونه مضئياً وألوان السكاة كاسفة ،

ناراً ، فلن أنه قد أخطأه ، فرمى ثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً ، وهو في كلها يظن
خطاه فعمد إلى قوسه فكسرها ، ثم بات فلها أصبح نظر فاذا الحمر مطرحة مصروعة
وأسمه بالدم مضرجة ، فندم وقطع لإبهامه .

(١) ضاره ضرارا ومضارة : خالفه .

(٢) الزق . السقاء ، والزاملة . الدابة التي يحمل عليها من الإبل وغيرها .

(٣) السكاة جمع كى كغنى . وهو الشجاع المتكئ في سلاحه أى المتعطى به

وعابوا على الأخطل قوله في عبد الملك بن مروان .
وقد جعل الله الخسلافه منهم لأبيض لا عارى الخوان ولا جدب (١)
فقالوا . لو مدح به حرسيا (٢) لعبد الملك لكان قد قصر به
وقال جرير يهجو الأخطل :
إن الذى حرم المسكارم تغلبا جعل الخسلافة والنبوة فينا
مضر أنى وأبو الملوك فهل لكم يا آل تغلب من أب كأبينا
هذا بن عمى فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلى قطينا (٣)
فلما بلغ عبد الملك بن مروان قول جرير قال : ما زاد ابن المراغة على أن جعلني
شرطيا . أما إنه لو قال . لو شاء ساقكم إلى قطينا ، لسقتم إليه كما قال .

وعابوا على الأحوص قوله لعبد الملك
وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذاق الحديث يقول ما لا يفعل (٤)
فقالوا . إن الملوك لا تمدح بما يلزمها فعله كما تمدح العامة ، وإنما تمدح
بالاغراق والتفضيل بما لا يتسع غيرهم لبذله

ودخل عبيد الله بن قيس الرقيات على عبد الملك بن مروان ، فأثدده قصيدة
يمدحه فيها حتى بلغ قوله :
يأتلق الساج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب (٥)

(١) الخوان . ما يؤكل عليه الطعام .

(٢) الحرسى . واحد حرس السلطان

(٣) القطين . الخدم والاتباع .

(٤) مذاق بمعنى يمدح ، من مذاقه كنصر . إذا خلطه .

(٥) أتلق البرق وتألنى . لمع .

فقال له عبد الملك : يا ابن قيس ، تمدحني بالتساج كأنى من العجم وتقول في مصعب بن الزبير :

إنما مصعب شهاب من اللد له تجلات عن وجهه الظالماء (١)
فأعطيته المدح بكشف الغم ، وجلاء الظلم ، وأعطيتى من المدح ما لا يخر
فيه ، وهو اعتدال التاج فوق جبينى الذى هو كالذهب فى المنضارة
قال قدامة بن جعفر فى كتابه « نقد الشعر » : ووجه عتب عبد الملك إنما هو
من أجل أن هذا المادح عدل به عن بعض الفضائل النفسية التى هى العقل والعفة
والعدل والشجاعة ، إلى ما يلبق بأوصاف الجسم فى البهاء والزينة .

- ١١ -

ودخل ذو الرمة على عبد الملك بن مروان فأنشده قصيدة مطلعها .
ما بال عينك منها الدمع ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب (٢)
وكان يعين عبد الملك رمش (٣) فهى تدمع أبدا ، فتوهم أنه خاطبه أو عرض به
فقال . وما سؤالك عن هذا يا جاهل ؟ ففقتنه وأمر بإخراجه .

- ١٢ -

وأنفذ عبد الملك قول نصيب
أهيم بد عندما حبيت فان أمت فواحرنا من ذابهم بها بعدى
فقال بعض من حضر : أساء القول ، أيحزن لمن يهيم بها بعده ؟ فقال عبد الملك
الجيد أن يقول :

أهيم بدعد ما حبيت فان أمت فلا صلحت دعدلذى نخلة بعدى (١)

-
- (١) الشهاب . شعلة من نار ساطعة ، والماضى فى الأمر .
(٢) كلى جمع كلية أو كلوة بضم الكاف فهما ، مفرية . مشدوقة ، من فراء
يفريه إذا شقة ، وسرب الماء كفرح . سال ، فهو سرب .
(٣) الرمش تغفل فى الشعر وحررة فى الجفون مع ماء يسيل
(٤) الخلة . الصداقة لا تخلل فيها

وقال كثير عزة :

أريد لأنسى ذكرها فسكانها تمثل لي ليلى بكل سبيل
فقال بعض الناس : إن كان يحبها فلماذا ينسى ذكرها ؟ ألا قال كما قال مجنون

بني عامر :

فلا خفف الرحمن ما بي من الهوى ولا قطع الرحمن عن حبها حوى

فما سرني أني نخلي من الهوى ولو أن لي ما بين شرق إلى غرب

وأشدد عدى بن الرقاع الوليد بن عبد الملك قصيدته التي أولها .

عرف الديار أوهما فاعتادها من بعد ما شمل البلى أبلادها (١)

وعنده كثير - وقد كان يبلغه عن عدى أنه يطعن على شعره ويقول : هذا

شعر حجازي مقررور إنا أصابه قر الشام (٢) جدد وهلك - فأشده إياها حتى

أنى على قوله

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها (٣)

فقال له كثير : لو كنت مطبوخاً أو فصيحاً أو عالماً لم تأت فيها بهيل ولا سناد

فتحتاج إلى أن تقومها ، ثم أنشد :

أنظر المنقف في كعبوب قناته حتى يقيم ثقافته منأدها (٤)

فقال له كثير : لا جرم (٥) إن الأمام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء ، ولأن

تسكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها ، ثم أنشد :

(١) اعتادها . أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى لدروسها ، حتى عرفها ، وأبلاد

جمع بلد بالتجريك وهو الأثر .

(٢) القمر البرد . (٣) السناد عيب من ديوب الثقافية .

(٤) الثغاف . ما تعدل به الرماح ، وثقف الريح . عدله ، والكعبوب جمع

كعب وهو ما بين الأنزوبين من القصب ، والمئاد . المعوج .

(٥) لا جرم ، قال الفراء . هي كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ، ولا محالة

فجرت . على ذلك وكثرت حتى تحولت إلى معنى القسم وصارت بمنزلة حقاً .

وعلمت حتى ما أسائل واحدا عن علم واحدة لكي أزدادها
فقال كثير: كذبت ورب البيت الحرام، فليمتحنك أمير المؤمنين بان
يسالك عن صفات الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك، وما كنت قط أحق
منك الآن حيث تظن هذا بنفسك، فضحك الوايد ومن حضر، وقطع بعدي
ابن الرقاع حتى ما نطق.

وقال رجل كان يديم الأسفار، سافرت مرة إلى الشام على طريق البر،
فجملت أتمثل بقول القطامي.

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
ومع أعرابي قد استاجرت منه مركبي، فقال، ما زاد قائل هذا الشعر على
أن يبط الناس عن الحزم، فهلا قال بعد قوله هذا.

وربما ضر بعض الناس بطؤهم وكان خيرا لهم لو أنهم عجلوا (١)
والقطامي أخذ معنى بيته هذا من قول عدي بن زيد العبادي .
قد يدرك المبطل من حظه والحين قد يسبق جهنم الحريص
وعدي نظر إلى قول جماعة الجهفي .

مستعجل والمكث أدنى لرشده ولم يدر في استعجاله ما يبادر

وأخذوا على السكيت قوله يمدح النبي صلى الله عليه وسلم .
إلى السراج المنير أحمد، لا تعسدل بي رغبة ولا رهب
عنه إلى غيره، ولو رفع الناس إلى العيون وارتقبوا
وقيل أفرطت، بل قصدت ولو عتفتي القساثلون أو نلبوا (٢)

(١) وروى .

وربما فات قوما جل أمرهم من التأني وكان الحزم لو عجلوا
(٢) نلبه كضربه: صرح بالعييب فيه وتقصه .

إليك يا خير من تضمنت الـ أرض ولو عاب قولِي العيب (١)
لج بتفضيلك اللسان ولو أكثر فيك الضجاج والصخب (٢)

فقالوا ، من هذا الذي يقول له في مدح النبي صلى الله عليه وسلم أفرطت أو
يعنقه أو يثلبه أو يعيبه حتى يكسر عليه فيه الضجاج والصخب ؟ وهو كله خطأ منه
وجهل بموقع المدح ، وهذا لو كان قاله بين المشركين وفي صدر الاسلام لعل العذر
كان يتسع له فيه .

وقد اعتذر له معتذر واحتج محتج بأن قال : لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم
خاصة بهذا الخطاب . وإنما أراد أهل بيته ، لأنه قال فيهم من الشعر ما قال ولأن
بنى أمية كانت تعنف من يمدحهم وتنكر أشد الإنكار على من يفرق في وصفهم
والثناء عليهم .

و يقال إن أمجى بيت قاله شاعر قول الأخطل في بنى ربوع رهط جرير .
قوم إذا استنبح الأضياف كلهم قالوا لا مهم بولى على النار
لأنه قد جمع فيه ضرباً من الهجاء ، فنسبهم إلى البخل بوقود النيران لئلا
يبتدى بها الضيفان ، ثم البخل بإيقادها إلى السائر والسابلة ، ورماهم بالبخل
بالخطب ، وأخبر عن قلبها ، وأن بولة تطفئها ، وجعلها بولة عجوز وهي أقل من
بولة الشابة ، ووصفهم بامتمان أمهم وابتذالها في مثل هذا الخذل ، يدل بذلك على
العقوق والاستخفاف ، وعلى أن لا خادم لهم ، وأخبر في أضعاف ذلك ببخلهم بالماء

(١) العيب جمع عيوب كصبور .

(٢) ضاجه مضاجعة وضجاجا بالكسر : جادله وشاره وشاغبه ، والاسم

الضجاج بالفتح .

وقال الاصمعي : أغزل بيت قول امرئ القيس :

وما ذرفت عينك إلا لتضربي بسمييك في أعشار قلب مقتل (١)
وحكى عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك أنه قال : لم تقل العرب بيتا أغزل من

قول جميل بن معمر .

لكل حديث يذنب بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد
وفضلته بهذا البيت سكينه بذت الحسين بن علي رضوان الله عليهم ، وأثابته به
دون جماعة من حضر من الشعراء (٢) ،

وقال بعضهم . الأحوص من أغزل الناس بقوله .

إذا قلت إن مشنتف بلقاءها وحم التلاقي بيننا زاذى سقما (٣)
وقال غيره . بل جميل بقوله .

يموت الهوى منى إذا ما لقيتها ويحيا إذا فارقتا فيعود
وقال آخر : بل جرير بقوله

فلما التقى الحيان ألقيت بالعصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتلة
والأحوص عندهم أغزلهم في هذه الأبيات الثلاثة لزيادته سقما إذا التقى بالمحوب
وقال الخاقاني : أغزل ما قالته العرب قول أبي صخر الهذلي :

فياحبها زدني جرى كل ليسلة وباسلوة الأيام موعدك الحشر

- ١٥ -

وقال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده : إذا رويتهم شعراً فلا تروهم إلا

مثل قول العجير السلولي :

(١) ذرفت العين . سال دمهها ، بسمييك . مستعار له ينيها ، ويقال قلب أعشار ، وقدر
أعشار : أي مكسرة عشرة جمع عشر بالكسر وهو القطعة التي تكسر منها ، أراد أرقله
كسر ثم شعب كما تشعب القدر ، وهناك معنى آخر ، وهو : أنه أراد بسميها هنا
سهمي قداح الميسر وهما المعلل والرقيب ، فللمعلل سبعة أنصباء ، وللرقيب ثلاثة ،
فاذا فاز الرجل بهما غلب على جزور الميسر كلها وأعشار على هذا جمع عشر
بالضم . والمقتل : المذلل غاية التذليل

(٢) انظر الخبر في الأغاني ج ١٤ ص ١٦٦ (٣) حم بقدر

بين الجسار حين يبين عني ولم تأنس إلى كلاب جارني
وتظمن جارق من جنب بيتي ولم تستر بستر من جداري
وتأمن أن أطلع حين آتي عليها وهي واضعة الخمار
كذلك هدى آبائي قديما توارته النجار عن النجار

وقال يوما في مجمع من الشعراء . يا معشر الشعراء ، تشبهونا بالأسد الأبحر
والجبل الريعر ، والملح الأجاج ، الأقليم كما قال كعب الأشقري .

فقل للجيم بالبكر بن وائل مقالة من يلحى أخاه ومن يزرى
فـ لو كنتم حيا صميا نقيين بخيلكم بالرغم منه وبالصفر
ولكنكم يا آل بكر بن وائل بسودكم من كان في المسال ذا وفر
هو المانع السكاب النبأح ، وضيغه خميص الحشائر عى الهجوم طالق تسرى

وكان عبد الملك إذا جلس للتقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه ينشده .
إنا إذا مالت دواعي الهوى وأنصت السامع للقاتل
وأصطرع القوم بالبابهم نقضى بحكم عادل فاصل
لا نجد الباطل حقا ولا نلفظ دون الحق بالباطل (١)
نخاف أن تسفه أحلامنا فتخمل الدهر مع الخامل

وكان يتمثل في الحروب عند كل لقاء بقول شبيب بن البرصاء .
دعاني حصن للفرار فسأني مواطن أن يثني علي فاشتما

(١) نلفظ : نلح ونحمد ونتشدد .

فقلت لحسن نبح^(١) نفسك إنما يزود الفتى عن حوضه أن يهدما
تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتهدما
سيكفنيك أطراف الأسننة فارس إذا ربيع نادى بالجوار وبالبحى
إذا المرء لم يغش المكاره أو شكت جبال الهوينى بالفنى أن تجهدما^(٢)

- ١٩ -

ولما لاذت به زوجته عاتكة بذت يزيد حين خرج لحرب مصعب، تريد منعه
فأبى فبكت وبكت معها جوارها، جلس وقال: قاتل الله كثيرا، والله لكأنه يرانى
ويراك يا عاتكة حيث يقول.

إذا ما أراد الغزو لم تثن همه حصان عليها عقد در يزونها^(٣)
نفته فلدا لم تر النهى عاقه بكت فبكى مما شجاها قطينها^(٤)
ثم نهض، فسكان فى خروجه قتل مصعب

وعيب على أبى محجن الثقفى قوله فى وصف قبيلة^(٥)
وترفع الصوت أحيانا وتخفضه

كما بطن ذباب الروضة الفرد^(٦)

- ٢٠ -

وقال عبد الملك بن مروان: ما هجاني أحد بأوجع من بيت هجاني به الزبير وهو
فان تصبك من الأيام جائحة لم نبك منك على دنيا ولادين
وقال بلال بن جرير: سألت أبى أى شىء هجيت به أشد عليك قال قول البعيث

(١) نبح: أبعده.

(٢) تجهدم: أصله تجهدم، أى تنقطع.

(٣) الحصان: العفيفة.

(٤) القطين: الخدم، من قطنه بمعنى خدمه.

(٥) الجارية المغنية

(٦) ذباب الروضة هو النحل

وكل كليلي تخيفة وجهه أذل لأقدام الرجال من النمل

- ٢١ -

وقدم عمر بن أبي ربيعة المدينة فأقبل إليه الأحوص ونصيب ، فجملوا يتحدثون
ثم سألهما عمر عن كثير عزة فقالا : هو ههنا قريب ، فقاموا نحوه فألفوه جالسا
في خيمة له ؛ فتحدثوا مليا وأفاضوا في ذكر الشعراء ، فأقبل كثير على عمر فقال له
إنك لشاعر لولا أنك تشبب بالمرأة ثم تدعها وتشبب بنفسك ، أخبرني يا هذا
عن قولك .

ثم اسبطرت تشتد في أترى تسال أهل الطواف عن عمر (١)
أتراك لو وصفت بهذا هرة أهلك ألم تكن قد قبحت وأسات وقلت الهجر (٢) ؟
لأنما توصف الحرة بالحياة والاباء والبخل والامتناع ؛ ألا قلت كما قال هذا يعني
الأحوص .

أدور ولولا أن أرى أم جعفر باياتسكم مادرت حيث أدور
وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى وإن لم يزر لأبد أن سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفر ولاني إلى معروفها لفقير
فأنكسرت نخوة عمر بن أبي ربيعة ، ودخلت الأحوص أمة وعرفت الخيسلاء
فيه ، فلما استبان كثير ذلك فيه ، قال : أبطل آخرك أولك ، أخبرني عن قولك .
فان تصلى أصلك وإن تبينى بهجر بعد وصلك لأبالي
أما والله لو كنت حزا لبليت ولو كسر أنفك ، ألا قلت كما قال هذا الأسود
وأشار إلى نصيب .

بزئب ألم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب
فأنكسر الأحوص ودخلت نصيبا زهوة ، فلما نظر أن الكبريات قد دخلته
التفت إليه وقال . وأنت يا ابن السوداء أخبرني عن قولك .

(١) اسبطرت . أسرع ، تشتد . تعدو .

(٢) الهجر : التقيح من الكلام .

أهيم بعده ماحييت فان أمت فواكبدى من ذا يهيم بها بعدى
أهمك - ونحك - من يهيم بها بعدك ؛ فلما أمسك كثير أقبل عليه عمر ،
فقال له : قد أنصتنا لك فاسمع ، أخبرنى عن تخيرك لنفسك وتخيرك لمن تحب
• بيت تقول .

ألا ليتنا يا عزم غير ربية بعير ان نرعى في الخلاء ونعزب^(١)
كلانا به عرفن يرنا يقل على حسن اجرباء تمدى وأجرب^(٢)
إذا ما بردنا مهلا صاح أهله علينا فما ننفك نرمى ونعزب
وددت (وبيت الله) أنك بكرة هجان وأنى مصعب ثم نهرب^(٣)
تكون بعيرى ذى غنى فيضيئنا فلا هو برعانا ولا نحن نطلب
فقد تمثيت لها ولنفسك الرق والجرب والرمى والطرد والمسوخ ، فأى مكروه
لم تمن لها ولنفسك ؟ لقد اصابها منك قول القائل : ماداة عاقل خير من مودة
أحق ، لجعل يخلج جسده كله ، وقام القوم يضحكون .

أما الموازنات الأدبية فقد سبق ذكر الكثير منها مما وقع بين الشعراء وفى
مجالس الخلفاء وسأنى موازنات كثيرة بين شعراء الغزل وبين الفرزدق وجبرير
والأخطل

ومن أشهر الأدباء النقاد فى هذا العصر : سكينه بنت الحسين ، وعبد الملك بن
مروان ، ولهما مجالس كثيرة فى النقد وتفضيل الشعراء
وسنقرده عبد الملك بالأناليف فى كتاب مستنقل سيصدر قريباً ان شاء الله

(١) نعزب : نبعذ فى المراعى .

(٢) العر بالفتح والضم : الجرب ، وداء يتمعط منه وبر الإبل .

٣٠. البكر : الناقة الفتية ، وناقة هجان : بيضاء كريهة ، والمصعب : الفحل

الذى يترك فلا يركب

شعراء الحماسة

الأمويون

قمنب - حريث النهاني - شميث - جواس - عبد الرحمن بن الحكم -
زياد الأجم - ليلى الأخيلية - الحزين - أعشى بن أبي ريومة - السكيت - الأخطل
طلخيم الأدي - أبو عطاء السندی - سعد بن ناشب - قطري ابن
الفجاء - سوار بن المضرب السعدي - زفر بن الحارث الكلابي - نابض -
القتال الكلابي - الإحوص - الطرماح - زيادة الحارثي - حريث بن عتاب النهاني -
عريف القوافي الفزاري - بشير بن المغيرة - أبو صخر الهذلي - أرطاة بن سبهية -
عقيل بن علفة المري - أبو الأبيض العبسي - هذبة بن الخشرم - قوال الطائي -
وصاح العين - الفرزدق - العدیل العجلي - محمد بن بشير - الشمردل - أرطاة بن
سبهية - المعجير السلولي - عيد الله بن الزبير - منقذ الهلال - الأيبرد - شبيب بن
البرصاء - عبد الله بن همام السلولي - المقنع الكندي - عبد الله بن معاوية بن
عبد الله بن جعفر - المتوكل الليثي - يزيد بن الحكم - الصلتان العبدي - الصمة بن
عبد الله - ابن الدمينة الخثعمي - ابن أذينة - العرجي - ابن المسور - عمر بن أبي
ريبعة - الحارث المخزومي - كثير - نصيب - الحكم الخضري - أبو جميل
راوي هذبة وروى كثير جميل - عملس - زميل - منقذ الهلال - أبو الفول
الطهوي - مضر بن ربيع - طريح

أوائل الكتب المؤلفة في الشعر والشعراء

ولقد عنى العلماء منذ مطلع القرن الثالث الهجرى بالتأليف في الشعر والشعراء ، وأخرجوا في ذلك الكثير من المؤلفات ، فقد ألف في الشعر والشعراء ، وطبقاتهم وفي دراسات أشعارهم كثير من العلماء الذين أخرجوا أنفسهم المؤلفات في هذه الناحية ، ويمكننا أن نعرض عليك أسماء هذه المؤلفات الان التي لم يحاول أحد معرفتها أو الإلمام بها من قبل وها هي ذى :

١ - كتاب الأربعة في أخبار الشعراء ، وكتاب صناعة الشعر لأبي هفان المهزبي م ١٩٥ هـ (١) .

٢ - كتاب الشعر والشعراء لأبي دهممة العبسي أحد من انقطع إلى البرامكة (٢) .

٣ - كتاب الشعر والشعراء لأبي عبيدة م ٢٠٩ هـ (٣) .

٤ - طبقات الشعراء لأبي المنعم (٤) .

٥ - كتاب الشعراء لعبيد الله بن أبي سعيد الوراق (٥) .

٦ - كتاب الشعر للأصمعي م ٢١٦ هـ (٥) ، وله كتاب معاني الشعر (٦) ،

ولابن اخته عبد الرحمن كتاب معاني الشعر (٧) ، وللفضل كتاب معاني الشعر (٨) ،

وكذلك لابن كناسة م ٢٠٧ هـ (٩) ، وابن الأعرابي م ٢٣١ هـ (١٠) ،

والأشيناى م ٢٥٧ هـ (١١) ،

(١) ٢٠٧ فهرست ، ٢٨٨ / ٤ معجم الأدباء .

(٢) ٧١ فهرست .

(٣) ٧٩ فهرست .

(٤) ١٥٨ فهرست .

(٥) ٢٢١ الوسيط .

(٦) ٨٢ فهرست (٧) ٨٣ فهرست (٨) ١٠٢ فهرست :

(٩) ١٠٥ فهرست : (١٠) ١٠٢ فهرست .

(١١) ١٢٣ و ٨٩ فهرست :

- وكذلك ابن السكيت (١) م ٢٤٤ هـ ، وابن قتيبة [١١٥ فهرست] :
٧ - أخبار الشعراء للبدائي م ٢٢٥ هـ (٢) .
٨ - طبقات الشعراء الجاهليين ، وطبقات الشعراء الاسلاميين لمحمد
بن سلام الجهمي م ٢٣١ هـ (٣) :
٩ - طبقات الشعراء لاسماعيل بن يحيى بن المبارك اليزيدي (٤) .
١٠ - كتاب طبقات الشعراء وكتاب ألقاب الشعراء لأبي حسان اليربوعي
م ٢٤٣ هـ (٥) :
١١ - كتاب الشعراء وأنسابهم وكتاب الشعراء وطبقاتهم لأبي جعفر
محمد بن حبيب م ٢٤٤ هـ (٦) .
١٢ - طبقات الشعراء لدعبل م ٢٤٦ هـ (٧) .
١٣ - الشعر والشعراء لمحمد بن عبد الله الخثعمي (٨) ، وهو شاعر عاصر
البيهقي ، وله كتاب أدب الشعر (٩) .
١٤ - كتاب الشعراء للقياسم بن سلام (١٠) .
١٥ - عدد رسائل في أخبار الشعراء للزبير بن بكار م ٢٥٦ هـ (١١) .

-
- (١) ١٠٨ : فهرست (٢) ٣١٦ ج ٥ : معجم الأدباء
(٣) راجع ٦٥ فهرست .
(٤) ٦٦ : فهرست ، ووالده يحيى م ٢٠٢ هـ وأستاذ المأمون .
(٥) ١٦٠ : فهرست ، ١٤٥ ج ٣ : معجم الأدباء .
(٦) ١٥٥ : فهرست ، ٤٧٦ ج ٦ : معجم الأدباء . وله كتاب معاني جرير
[١٥٩ : فهرست] (٧) ٢٢٨ : فهرست ، ١٩٧ ج ٤ : معجم الأدباء .
(٨) ١٥٩ : فهرست . (٩) ٢٤٣ : فهرست .
(١٠) ١٠٦ : فهرست .
(١١) ١٦١ : فهرست ، وميلاد الزبير عام ٢١٨ هـ .

- ١٦ - عدة رسائل في الشعر والشعراء لمعاد بن إسحاق الموصلي و١،
١٧ - كتاب الشعر والشعراء لابن المرزبان^(٢)،
١٨ - كتاب الشعر والشعراء وكتاب طبقات الشعراء، وكتاب الاغانى لعمر
ابن شبة (١٧٢ - ٢٦٢ هـ^(٣))
١٩ - كتاب الشعر والشعراء لأبي جعفر محمد بن أحمد البرقي م ٢٧٤ هـ (٤)
٢٠ - كتاب الشعر والشعراء لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
(٢١٣ - ٢٧٦ هـ^(٥))
٢١ - كتاب أخبار الشعراء لابن أبي خيثمة م ٢٧٩ هـ (٦)
٢٢ - كتاب الشعراء القدماء والاشعـلامية لأبي الحسن علي بن يحيى المنجم
٢٧٥ هـ^(٧)
٢٣ - أخبار الشعراء لمحمد بن يحيى بن أبي منصور المنجم (٨) وهو أخو علي
ابن يحيى المنجم .
٢٤ - الجامع في الشعر وأخبارهم لأحمد بن أبي طاهر طيفور (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ^(٩))
٢٥ - الشعر والشعراء لأبي حنيفة الدينوري م ٢٨٢ هـ^(١٠)
٢٦ - الروضة ، والكامل : وقواعد الشعر : والبلاغة ، للبرد (٢١٠ -
٢٨٥ هـ^(١١))

-
- (١) ٢٠٤ فهرست . (٢) ٢١٤ فهرست .
(٣) ١٦٣ فهرست ، ٤/١٩٤ معجم الأدباء .
(٤) ٢/٣١ معجم الأدباء (٥) ١١٦ فهرست . (٦) ٣٢١ فهرست .
(٧) ٢٠٥ فهرست : ٤٥٩ ج ٥ معجم الادباء ٥٩ ج ٣ وفيات .
(٨) ٢٠٥ فهرست . (٩) ٢١٠ فهرست ١/١٥٥ معجم الأدباء
(١٠) ١١٦ فهرست ، ١٢٧ ج ٩ معجم الأدباء
(١١) ٨٨ فهرست ، وقد جمع في الروضة أشعارا للمحدثين من أبي نواس إلى
من عاصرهم المبرد [راجع ١٢٢ المثل السائر] ، وينقد صاحب العقد اختياراته في
هذا الكتاب [١٤١ - ٤ العقد] .

- ٢٧ - معاني الشعر: للبحرئيم ٢٨٤ هـ، ولثعلب م ٢٩١ هـ. ولثعلب د قواعد الشعر، أيضا (١).
- ٣٨ - كتاب البارع وهو اختيار شعر المحدثين، وكتاب اختيار الشعراء الكبير لأبي عبد الله هارون بن علي المنجم (٢٥١ - ٢٨٨ هـ) (٢).
- ٩ - طبقات الشعراء لابن نجيم (٣).
- ٣٠ - الشعر والشعراء لعلي بن مرشد (٤).
- ٣١ - الشعر والشعراء لمحمد بن أحمد بن الحرون، وله كتاب المطابق والتجنيس أيضا (٥).
- ٣٢ طبقات الشعراء المحدثين وكتاب أثمار الملوك لابن المعتز م ٢٩٦ هـ (٦) وله رسالة في نقد أبي تمام (٧).
- ٣٣ - الشعر والشعراء وكتاب الأربعة وكتات الورقة وكتاب من سمى من الشعراء عمرا، لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراج (٢٤٣ - ٢٩٦ هـ) (٨).

(١) ١٠ و ١١ فهرست .

(٢) ٢٠٦ فهرست، ٤٨٥ معجم الشعراء، ٢٣٥ ج ٦ معجم الأدباء، ١/١٣١ وفيات . (٣) ص ١ طبقات ابن المعتز

(٤) ٧١ فهرست . (٥) ٢/٢١٢ فهرست، ٢٧٩ ج ٦ معجم الأدباء

(٦) ١٦٩ فهرست و ٢٢١ ج ٣ شذرات، ٤٦٢ ج ١ وفيات .

(٧) ٣٠٧ - ٣١٩ الموشح، و مقدمة كتاب الرد على ابن المعتز فيما خطأ فيه

أبا تمام [٢٠٤ ج ٦ معجم الأدباء]

(٨) ١٨٦ فهرست، وورد اسم كتاب الورقة في الموازنة للامدي كثيرا

[٦١٠، ١٨٥] وكان ابن داود من عملاء الكتاب فاضلا عارفا بالايام والأخبار

[٢٥٥ ج ٥ تاريخ بغداد، ١٨٥ فهرست]، والده صاحب الزمام في عهد الممتوكل

[٤٣ ج ١ الفرج بعد الشدة]

- ٣٤ - كتاب الباهر في أخبار شعراء مخصري الدولتين ليحيى بن علي المنجم
[٢٤١ - ٣٠٠ هـ (١)] . رلأته أحمد ذيل عليه (٢) .
- ٣٥ - كتاب الإشهار في أخبار الشعراء لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر
[٢٢٢ - ٣٠٠ هـ (٣)] .
- ٣٦ طبقات الشعراء الجاهليين لأبي خليفة الفضل بن الحباب الجهمي م ٣٠٥ هـ (٤)
- ٣٧ - مناقضات الشعراء لابن بسام م ٣٠٢ هـ (٥) .
- ٣٨ - الشعر والشعراء وكتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي م ٣٢٢ هـ (٦) .
- ٣٩ - كتاب صناعة الشعر الأدب لأبي زيد البلخي م ٣٢٢ هـ (٧)
- ٤٠ - الشعر والشعراء لابن السراج م ٣١٠ هـ (٨) .
- ٤١ - الباهر في الاختيار من أشعار المحدثين عارض به روضة المبرد، والشعر
والشعراء (لم يتم) ، ومحاسن أشعار المحدثين لجعفر بن حمدان الموصلي (٩٠) - ٢٤٠ -
٣٢٣ هـ (٩)
- ٤٢ - أخطاء أبي تمام لأبي العباس الثقفى أحمد بن عبيد الله بن عثمان القطريلي
الكتاب المعروف بالفريد ، أبان فيه أخطاء أبي تمام وما في شعره من هجين اللفظ
وبعيد الاستعارة (١٠) ، ونقده الأمدى (١١) في كتاب مستقل (١٢) ألحقه بالموازنة ،
وتوفي ابن عثمان عام ٣١٤ هـ (١٣)

(١) ٢٠٦ فهرست ، ٢٨٨ ج ٧ مجمع الأدباء ، ٢٠٨ ج ٣ وفيات .

(٢) ٢٠٦ فهرست . (٣) ١٧٠ فهرست .

(٤) ١٦٥ فهرست . (٥) ٢١٤ فهرست ، ٤٥ ج ٢ وفيات .

(٦) ١٩٦ فهرست . والآمدى م ٣٧١ هـ كتاب ما في عيار الشعر لابن

طباطبا من الخطأ وكتاب تبيين غلط قدامة في نقب الشعر [٥١ ج ٣

مجمع الأدباء] . (٧) ١٩٨ فهرست (٨) ٩٣ فهرست

(٩) ٢١٣ فهرست ، ٤١٩ ج ٢ مجمع الأدباء (١٠) ٦٢ الموازنة

(١١) ٦٢ - ٦٩ من الموازنة

(١٢) ٥٨ ج ٣ مجمع الأدباء ، ١٢٥ الموازنة ، ٢٢١ فهرست .

(٣) راجع ترجمته في ٢٤٢ - ٢٥٣ ج ٤ تاريخ بغداد

٤٣ - كتاب طبقات الشعراء بالاندلس لعثمان بن ربيعة الاندلسي ذكره
الحيدى قريبا من سنة ٣٩٠ هـ (١) .
وسوى ذلك من شتى المؤلفات في هذا الباب .

دواوين الشعراء

ولشعراء صدر الاسلام وعصر بني أمية دواوين كثيرة مطبوعة ، ومنها
دواوين طبعت عدة مرات .
وسأذكر هنا الطبقات القديمة لبعض هذه الدواوين .
فمنها ديوان للابام علي بن أبي طالب وقد طبع مرارا وهو مرتب على حروف
المعجم وطبع ببولاق عام ١٢٥١ هـ
وديوان أبي محمد النقي الصحابي وشرحه لأبي هلال الحسن بن سهل وقد
طبع في مدينة ليدن سنة ١٣٠٢ للهجرة من ضمن المجموعة المسماة بالطرف العربية
وديوان مختارات شعراء العرب وبه خمسون قصيدة وهو مطبوع
بمطبعة أبي زيد بمصر سنة ١٢٠٦ وديوان عمر بن أبي ربيعة المتوفى سنة ٩٢ . وجميع
شعره في النسيب ولم يمدح أحدا ولذا قال له سليمان بن عبد الملك لم لا تمدحنا
فقال إنما أمدح النساء لا الرجال وقد طبع هذا الديوان بمصر سنة ١١٣١ .
وديوان الفرزدق المتوفى بالبصرة سنة ١١٠ بعد أن عاش نحو مائة سنة وقد تم
طبعه بمدينة باريس سنة ١٨٧٥ للميلاد وطبع بمصر عدة طبعات . وديوان
جرير المتوفى سنة ١١١ باليمامة وقد طبع بمصر . وديوان مجنون ليلى وهو
شاعر إسلامي وقد طبع سنة ١٢٩٤ بمطبعة بولاق . وديوان ذى الرمة المتوفى
سنة ١١٧ للهجرة . وديوان العجاج وديوان ابنه روية المتوفى سنة ١٤٥ وليس
فيهما إلا اراجيز . والمفضليات وهي أشعار مختارة جمعها للبهدي المفضل الضبي
وقد طبعت بمدينة ليبسيك طنة ١٨٨٥ للميلاد :

وديوان الحماسة وهو ديوان جمع فيه أبو تمام ما اختاره من أشعار العرب ورتبه على عشرة أبواب: الحماسة والمرائى والادب والنسيب والهجاء والاضافات والصفات والسير والملح ومذمة النساء وهو مطبوع مع شرحه لأبى زكريا يحيى الشهرى بالخطيب التبريزى سنة ١٢٩٦ بمطبعة بولاق في سفين وطبع عدة طبعات أخرى وطبع مختصر له مع شرح مناسب

بعض أشهر كتب الادب والتراجم

- الاغاني لأبى الفرج ٨٣٥٦ - حماسة أبى تمام ٨٢٣١
شعراء النصرانية وهو قسمان كل قسم أجزاء جاهلى وأسلامى .
مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ٨٣٥١ مخطوط بمكتبة تيمور باشا
نزهة الالباب فى طبقات الأدباللابارى م ٥٧٧ . الهلة لابن بشكوال م ٥٧٨
دمية القصر للباخرزى م ٤٦٧
خريدة القصر لعماد الدين الاصفهاني م ٥٩٦
تاريخ بغداد ١٤ مجلدا للخطيب البغدادي م ٤٦٢
الالباب فى شرح أمالى القالى للبكرى م ٤٨٧
قلائد المعيان لابن خاقان م ٥٣٥
تاريخ دمشق لابن عساكر منه سبع وثلاثون مجلد بدار الكتب مخطوطة
معجم الأدباء لياقوت م ٦٢٦ هـ . عشرون جزء
شرح مقامات الحريرى للشريشى م ٦١٩
أخبار العلماء باخبار الحسب للقنطلى م ٦٤٦
اللباب فى معرفة الانساب لابن الاثير م ٦٢٠ صاحب السكامل فى التاريخ
تهذيب الاسماء واللغات للنورى م ٦٧٦
خلاصة اسماء رجال الحديث للخزرجى من علماء القرن العاشر
وفيات الاعيان لابن خلسكن م ٦٨١
الوفى بالوفيات للصفدى م ٧٦٤
شرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون بنجال الدين بن نباته المصرى م ٧٦٨

- الطبقات الكبرى للشافعية لابن السبكي م ٧٩٩ هـ
الدرر السكامة في أعيان المائة الثامنة للعسقلاني م ٨٥٢ هـ
الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي من علماء القرن التاسع
حياة الحيوان للدميري م ٨٠٨ هـ
خزانة الأدب للبغدادى م ١٠٩٣ هـ تليد الشهاب الخفاجى م ١٠٦٩
معاهد التنصيص للعباسى م ٩٦٠
فتح الطيب للمقرى م بعد ١٠٤١ هـ
شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد سنة ١٠٨٩
خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر للمحجى م ١١١٢ هـ
نخبايا الزوايا للشهاب الخفاجى م ١٠٦٩ هـ
سلافة العصر لابن معصوم م ١١٠٤ هـ
طبقات الصحابة - أسد الغابة - لابن الأثير
ومن الكتب الحديثة عن الشعراء ومختارات شعرهم :
مختارات البارودى الشاعر الكبير

كتاب شعراء النصرانية جمعه وصححه الاب لويس شيخو اليسوعى .
اربعة اقسام فى شعراء الجاهلية مطبوع فى بيروت سنة ١٨٩٠ للميلاد . وقد
جمع السيد توفيق البكرى كتابا جليلا فى المختار من اراجيز العرب مفسر اللغريب
وشارحا للمعاني ومبيناً للمعاصد طبعه سنة ١٣١٣ للهجرة : وقد صنف ايضا
كتابا نافعا سماه محول البلاغة قال فى اوله : وهذا سفر وضمنه فى المختار من شعر
مهمانية من محول الشعراء وأتمه البلاغة وامراء الكلام وهم مسلم بن الوليد صريع
العوانى و ابو نواس الحسن بن هانئ و أبو تمام حبيب بن أوس الطائى و أبو عبادة
البحترى و ابن الرومى على بن عباس و ابن المعتز و ابو الطيب احمد المتنبى و ابو العلاء
المعرى ، وقد طبعه بالمطبعة الاميرية سنة ١٣٠٣ للهجرة

الرجز في العصر الاموي

١ - كان الشعر الجاهلي قبل أن ينتقل إلى النهضة الفنية الواسعة على يد مهمليل وامرئ القيس كان كله رجزا ، ينطق الشاعر بالبيت أو البيتين فيما يعرض له من شئون الحياية ، كالأبيات التي تؤثر عن دريد بن زيد والعنبر بن عمرو بن تميم وأعصر بن سعد والمتنوع بن ربيعة وسواهم^(١) ولكن هذا الرجز كان غالبا من آثار التهذيب ، ونخل شأنه بيده النهضة الفنية في الشعر على يد امرئ القيس وسواه

٢ - ثم جاء الأغلب العجلي ، فاتخذ الرجز صناعة فنية ونظم وأجاد فيه فكان الأغلب أول من طول شعر الرجز ، ويرى بعض النقاد كالجحى وغيره أنه أول من رجز ، وينفى ذلك ابن رشيق لأن الأغلب أدرك عصر الرسول (ص) وليس بقديم جدا مع ان الرجز كان قبله . ويذكر أبو عبيدة أن المعجاج هو أول من أطال الرجز وقصده وشب فيه وذكر الديار واستوقف الصحاب عليها واستوصف ما فيها وبكى على الشباب ووصف الراحلة ، كما فعلت الشعراء بالقصيدة فكان في الرجاز كامرئ القيس في الشعراء وارجوزته وقد جهر الدين الاله لجبر ، نحو من مائة بيت وهي موقوفة مقيدة^(٢) ، ويؤيد ابن قتيبة أن الأغلب هو أول من أطال الرجز^(٣) وهو الصحيح . وأما المعجاج فقد انتقل بالرجز خطوة جديدة فسار فيه على نهج الشعراء في القصيدة

٣ - واشتهر بعد الأغلب من الرجاز : المعجاج وابنه رؤبه ، وأبو نخيلة ، وأبو النجم ، ودكين ، والأغلب

(١) ٢٩٤ و ٢٩٥ ج ٢ المزه ، ١٨ - ٢١ طبقات الشعراء .

(٢) راجع في ذلك كله ص ٢/٢٠١ المزه ، ٢٤٥ وما بعدها طبقات الشعراء

(٣) ٢٣٥ الشعر والشعراء

ومن الرجا زين في العصر الاموي : العجاج ، ورؤبة م ١٤٥ هـ ؛ وأبو النجم
العجلى وكانت بالكوفة وراجز العجاج وأرجوزته الحمد لله الرهوب المجول ،
أجود أرجوزة للعرب كما يقول ابن قتيبة (١) ومدح هشام بن عبد الملك ، وتوفي
عام ١٣٠ هـ

ومن الرجاز : دكين ومدح عمر بن عبد العزيز وهو وال على المدينة
والاغلب الراجز أشهرهم وهو من الخضر ميين وأول من أطال الرجز وكان
الرجل قبله يقول البيت والبتيين إذا فاخر أو شاتم كما يقول ابن قتيبة (٢)

(١) الشعر والشعراء ٢٣٢

(٢) الشعر والشعراء ٢٣٥

خاتمة

وبعد فهذا هو نهاية كتابنا الجديد ، والحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام ،
وسنتبهه بكتاب ثان عنرانه و أعلام الأدب في عصر بني أمية ، نحلل فيه حياة
وأدب جميع الشعراء والكتتاب والخطباء والأدباء الأويين وأثارهم الفنية
وشخصائهم ومنزلتهم الأدبية بين أعلام الأذب والشعر في هذا العصر العظيم .
وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

١١ ربيع الأول ١٣٦٩ - أول يناير ١٩٥٠

محمد عبد المنعم هفاجي
الاستاذ في كلية اللغة العربية

تقدير ملكي كريم

كان المؤلف قد رفع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم حفظه الله نسخة من كتابه « ابن المعز وتراثه في الأدب والنقد والبيان » ، فتلقى من معالي كبير الأئمة الخطاب الآتي :

ديوان كبير الأئمة .

حضرة المحترم الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي
أتشرف بإبلاغ حضرتكم أني رفعت إلى السدة العلية الملكية للنسخة التي
قدمتموها لحضرة صاحب الجلالة الملك من مؤلفكم « ابن المعز وتراثه في الأدب
والنقد والبيان » ،
فتفضل أعزه الله فأولاهها حسن القبول ، وإني أتشرف بإبلاغ حضرتكم ذلك
مع الشكر السامى .

وتفضلوا حضرتكم بقبول وافر الاحترام .
تحريراً في ٢١ يوليو ١٩٤٩
عبد اللطيف طلعت
(إمضاء)

وإني لا أتهم هذه الفرصة فأرفع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الفاروق
المفدى حفظه الله أصدق آيات الولاء وأعرق شعائر الاجلال والاخلاص والوفاء
مع الدعاء لجلالته بأن يحفظ الله عرشه ويؤيد ملكه ويكلاه ويرعاه لمجد الوطن
والعروبة والشرق والاسلام ، وأن يديه ملاذاً للثقافة والعلم والحضارة ؟

محمد عبد المنعم خفاجي
الاستاذ بكلية اللغة العربية

مطبوعات المؤلف

- ١ - شرح البديع لابن المعتز نشر مطبعة الحلبي ١٩٤٥ - ١٣٦ صفحة
- ٢ - رسائل ابن المعتز في النقد والأدب والاجتماع نشر مصطفى الحلبي ١٩٤٦ - ١٤٤ صفحة
- ٣ - قواعد الشعر لعلي بن شريح المؤلف ونشر مصطفى الحلبي ١٩٤٨
- ٤ - التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي ط ١٩٤٨ المطبعة الفاروقية
- ٥ - الشعر العربي أوزانه وقوافيه نشر مصطفى الحلبي ١٩٤٨ - ١٣ صفحة
- ٦ - فن الشعر: دراسات في العروض نشر مطبعة محمود صبيح بالأزهر ط ١٩٤٩ - جزمان
- ٧ - فصيح ثعلب والشروح التي عليه ط ١٩٤٩ - مكتبة التوحيد بدمرب الجاميز - ٤٠٠ صفحة
- ٨ - الحياة الأدبية في العصر الجاهلي نشر محمود توفيق ١٩٤٩ - ٢٧٦ صفحة
- ٩ - أعلام الشعر الجاهلي - مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩ - بالاشتراك مع استاذ - ١٣٥ صفحة
- ١٠ - ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان - مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩ - ٤٠٠ صفحة
- ١١ - الشعراء الجاهليون - مكتبة الحسين التجارية ط ١٩٤٩ - ٢٠٠ صفحة
- ١٢ - أحلام الشباب ديوان شعر - دار الانوار ط ١٩٤٩
- ١٣ - شرح متن التلخيص - مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩
- ١٤ - حكومة القاضي الجرساني في النقد الادبي - ط صبيح ١٩٤٩
- ١٥ - شرح الايضاح في علوم البلاغة - ٦ أجزاء - نشر مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩
- ١٦ - الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام - نشر مكتبة الحسين ١٩٤٩ - ٦٠٠ صفحة
- ١٧ - مرشد البيان في البلاغة - دار الانوار ١٩٤٩
- ١٨ - توبة شاعر البطولة - دار الانوار ١٩٤٩
- ١٩ - وحي العاطفة ديوان شعر ط ١٩٣٦
- ٢٠ - نشيد الصحراء ط ١٩٤٧

تحت الطبع:

- ١ - أعلام الادب في عصر بني أمية - ٤٠٠ صفحة
- ٢ - التجديد في الشعر العربي - ٣٠٠ صفحة
- ٣ - مختارات من الادب الحديث - خمسة أجزاء
- ٤ - الشاعر الخالد ابن هاني شاعر المعز الفاطمي .
- ٥ - اعلام الادب العباسي - بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور حسن جاد المدرس بكلية اللغة العربية - ٦٠٠ صفحة
- ٦ - عبد الملك بن مروان الخليفة الأديب الناقد - بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور حسن جاد .

ابن المعتمز

وترائه في الأدب والنقد والبيان
تأليف محمد عبد المنعم خفاجي

نشرت جريدة المصرى كلمة عن هذا الكتاب جاء فيها
هذا سفر جديد ، ألفه محمد عبد المنعم خفاجي الأستاذ بكلية اللغة العربية ،
ونشرته مكتبة الحسين التجارية لصاحبها عمود توفيق بالقاهرة ، في أربعمائة صحيفة
من الحجم الكبير على ورق أبيض مصقول .
تناول مؤلفه فيه ابن المعتمز الخليفة العباسى الشاعر الأديب الكاتب والناقد
العالم المؤلف المتوفى ٢٩٦ هـ ، وحياته وشعره وأدبه وآثاره في النقد والبيان
بالدراسة والتحليل والنقد .
وهو أول كتاب يؤلف وينشر في الأدب العربى عن ابن المعتمز وآثاره
الفنية والأدبية والعلمية .
ويمتاز بدقة البحث ؛ وعمق الدراسة وتنوعها ، وتمدد ألوان التجديد في مناهج
النقد الأدبى ، وبكثرة المصادر المخطوطة والمطبوعة .
وقد صدره مؤلفه بكلمة عن الفاروق ، وفيض رعايته وتشجيعه
وعطفه على النهضة الفكرية والعلمية والأدبية .
ولاشك أنه جهد كبير يستحق مؤلفه عليه التناء والتقدير .

الشعراء الجاهليون

هذا كتاب جديد حقاً، جديد في بابه وفنه ومنهجه وموضوعه، ولست أقصد بذلك أن المؤلف قد خلق موضوعه من عند نفسه أو ابتكر مادة الكتاب من خياله، فالكتاب هو عرض شيق، ودراسات واسعة للشعراء الجاهليين ولاشهر القصائد الجاهلية. وقد كتبها المؤلف ونشرها لتكون مرجعاً من مراجع البحث الأدبي في العصر الجاهلي، وهي مرجع حقاً ولكنها مع ذلك شيء آخر نحن أحوج إليه. لا يكاد القارئ يبدأ فيه حتى يستغرقه جماله وفنه وبهجه، ويستأثر بعقله وقلبه جميعاً. سهولة في تأليف الألفاظ، وتلسيق الجمل، وقوة وبراعة في ترتيب الموضوعات وشرح المسائل ومناقشة الآراء والنظريات المختلفة، تجدها كلها مؤلفة في هذا الكتاب تأليفاً يوافق طبعك وسليقتك، ويشعرك الحاجة إلى دراسة الأدب العربي وإلى الإنتاج فيه ويورثك الرغبة الدافعة إلى قراءة الأدب وانوقوف على آثاره .

وكنت مازلت اعتقد أن الكتاب الحقيقي بهذا الاسم والجدير بالعناية والاحتفال هو الذي يعملنا من الدرس ما يشعر قلوبنا حب الأدب ويبتس فينا روحه، ويحملنا على العناية بتأريخنا الأدبي وحضارة أسلافنا الأدبية والعقلية؛ وروح المؤلف وشخصيته الخصبية التي يمتاز بها تضيء على الكتاب هذا اللون وتطبعه بهذا الطابع وترفعه إلى مقام الجودة بين النلة النادرة التي تظفر بها المكتبة العربية بين حين وحين .

وهذا هو ميزة المؤلف في كل ما ينشره من البحوث والموضوعات فمهما يكن شأن الموضوع الذي يكتب فيه والفن الذي يعالجه فإن عقله المبتكر وتفكيره الطبع يعنفيان عليه من طابع الجودة والأناقة ما يميزه عن كل ما هناك من البحوث والموضوعات .

ولست في حاجة إلى التذليل على شيء مما أقول فإن هذا الكتاب يسرني
أن أقدمه لقراء العربية جميعا
لقد قرأت الكتاب فشعرت شعورا قويا بحاجة المكتبة العربية لآل إليه
وحده بل إلى دراسات الاستاذ المؤلف للعصور الأدبية كلها، والبيئات العربية المختلفة
فالاستاذ عبد المنعم خلفي هو في رأيي خير من يناط الأمل به في درس هذه العصور
والبيئات وآثارها الأدبية وخصائصها البيانية أسأل الله أن يطيل أجله ويبارك ثمره
وينفع به الطلاب جميعا ؟ محمد علي هدية - مدرس

دراسة وتحليل لكتاب:

التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي

١ - هذا كتاب جديد في النقد والموازنة ، وهو بحث طريف في الأدب ، طريف في بابه وفنه ومنهجه وموضوعه . ومولفه الفاضل الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي أديب معروف بعمق نظره ، وقوة ملاحظته ، ورسوخ قدمه في العلم ، وبسعة إطلاعه وبراعته الفائقة في تحليل المعاني ، وقدرته على التعبير الواضح البليغ ، وهو مع ذلك شديد الحياة جم الأدب موفور الكرامة غنى بعلمه وفضله عن المجد الكاذب والشهرة الزائفة ، وتقرأ الجملة الأولى من المقدمة فتشعر بهذه الميزات كلها تبرز بروزاً واضحاً لا غموض فيه ، أسأله أن يودع صدورنا نور الحكمة ، ويشعر قلوبنا عن الحق ، وأعوذ به من العجب بما أحسن ، كما أعوذ به من التكلف لما لا أحسن . وأسأله من التوفيق ما يعصمنا من الخيرة ، ويهدينا سواء السبيل .

٢ - وعبد الله بن المعتز خليفة أدركته حرفة الأدب منذ صغره . وشعره صورة صادقة لنفسه ، وصورة صادقة لعصره ، وصورة صادقة للفن الخالص والأدب العالي ، وهو من مراجع الأدب والسياسة والإجتماع ، فوق أنه ثروة فنية عظيمة . والمؤلف قد جلى الناحية الفنية في شعره في كتابه : التشبيه ، وأفاض في شرحها إفاضة الباحث الموهوب .

٣ - ونحن بازاء لخل آخر من حول الشعر والأدب لم يكن كصاحبه ذا نعمة وجاه وترف ، بل عاش طول حياته على الكفاف لا يكاد يجد حاجته الضرورية ولم يكن حظه من الدهر إلا هذه الموهبة الفنية التي لا تغنى عن الفقر شيئاً ، وإن أبدعت للتاريخ والفلسفة والأدب قصيداً خالداً عميقاً ، لا يزال مجالاً للبحث واختلاف الرأي ؛ إلى يومنا هذا.

ذلك هو ابن الرومي وقد أنصفه المؤلف في كتابه، وهو عندي خليق بذلك ولم يزل في حاجة إلى مزيد من الانصاف. ولا شك أن هذه الدراسة الفنية لشعر ابن الرومي جديدة كل الجودة عميقة كل العمق .

والكتاب آية من آيات المؤلف ، وطرفه نادرة من طرفه ، لا سبيل إلى الشك في عمقها وجدتها وحسن عرضها، وأنا أسأل الله له التوفيق ؛ ولطلا به حسن الإلتفاع به ، محمد هدية — مدرس

فهرست

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
النثر الفني	٦٩ - ١٨٢	الكلمة الأولى	٣
نماذج	٦٩ - ٩٢	منهج الدراسة	٤
بين الزبرقان وابن الأهم	٦٩	الحياة الأدبية في صدر الإسلام	٧ - ٣١٩
من حكم الرسول	٧٠	عصر صدر الإسلام	٨
تأبين أبي بكر للرسول	٧١	الجاهليون والمخضرمون	١٠
تأبين عائشة لأبيها	٧١	الإسلام وأثره في الحياة الاجتماعية	١٢
الأحنف وعمر	٧٢	وفي الحياة العقلية	١٣
إسلام أبي ذر	٧٣	وفي الحياة السياسية	١٤
وفاة النبي	٧٤	وفي الحياة الأدبية	١٥
وصف عمر وعلي	٧٦	أثره في اللغة العربية	١٦
للحسن وللإمام علي	٧٧	القرآن الكريم	٢٠ - ٥٣
من حكم الرسول	٧٠	نزوله	٢١
من حكم أبي بكر	٧٩	موضوعات السور	٢٣
من حكم عمر	٨٠	أسلوب القرآن	٢٤
من حكم عثمان وعلي	٨٠	جمع القرآن	٢٧
استمناح أعرابي لعلي	٨١	رواية القرآن وقرائمه	٣١
بين أبي بكر وعمر وعلي	٨٢	أثره في اللغة والأدب	٤٠
كتاب علي إلى الأشرار	٩٠	خصائصه	٤٢٠
النثر وميزاته	٩٣ -	إنجاز القرآن	٤٤
تمهيد	٩٣	أحاديث رسول الله	٥٤ - ٦٨
شبهة للمستشرقين	٩٦	البلاغة النبوية	٥٤
وصف النثر الفني	٩٨	جوامع كلمه (ص)	٥٨
موضوعات النثر	٩٩	خصائص البلاغة النبوية	٦١
معانيه وأسلوبه	١٠٠	أثر الحديث واللغة والأدب	٦٢
موازنة	١٠١	الرسول والشعر	٦٣

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
نشأته	١٣٠	الخطابه	١٠٢ - ١٦٥
ألوان من حياته	١٣١	نماذج	١٠٢ - ١٢٤
نهج البلاغة	١٣٢	خطب لرسول الله	١٠٢
بلاغة علي	١٣٤	الخطبة المدنية الأولى	١٠٣
بعض آثار لعلي	١٣٥	خطبة الوداع	١٠٤
الخطبة الشقشقية	١٣٧	خطبة ابي بكر يوم السقيفة	١٠٦
من حكم علي	١٤٠	وصية أبي بكر ليزيد	١٠٧
علي والشعر	١٤٥	خطبة لعمر	١٠٩
عمر ١٦٥ - ١٤٧	١٤٧	خطب له	١١٠
حياته	١٤٧	خطبة لعثمان	١١١
بلاغته	١٤٨	خطبة ام الخير	١١١
عمر والشعراء	١٥١	خطبة علي بعد التحكيم	١١٥
عمر وأبو كلاب	١٥١	خطب لعلي	١١٦
عمر وأبو محجن	١٥٣	خطب لأبي بكر ولعثمان	١١٨
عمر والخطيئة	١٥٥	خطبة لفاطمة الزهراء	١٢٠
عمر والشعر	١٦١	خطبة لأبي بكر بعد الردة	١٢١
آثار لعمر	١٦١	خطبة لعلي	١٢٢
رسائله في القضاء	١٦٣	خطبة لعائشة	١٢٣
الكتابة الفنية	١٦٦	١٢٥ - ١٢٨ وصف الخطابة	١٢٥
نماذج ١٧٦ - ١٦٦	١٦٦	تمهيد	١٢٥
كتب للرسول	١٦٦	أسباب رقى الخطابة	١٢٥
لأبي بكر	١٦٩	أغراضها	١٢٦
كتب لعمر	١٧١	أسلوبها وألفاظها	١٢٧
بين علي ومعاوية	١٧٤	معانيها	١٢٨
وصية ابي بكر لعمر	١٧٥	أعلام الخطباء	١٢٩
كتاب عمر إلى أبي موسى	١٧٥	١٢٩ - ١٤٦ علي بن أبي طالب	١٢٩
كتاب لعلي	١٧٦	أسرته	١٢٩

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
حسان	٢٤٥ - ٢٩٧	١٧٧ - ١٨١ وصف الكتابة	
تمهيد	٢٤٥	١٧٧ تمهيد	
أسرته	٢٤٥	١٧٧ الكتابة في عصر النبوة	
نشأته	٢٤٦	١٧٨ الكتابة بعد عهد النبوة	
حياة في الاسلام	٢٤٧	١٧٩ بواعث الكتابة	
شعر حسان	٢٥١	١٧٩ تدوين الدراوين	
آراء النقاد	٢٥١	١٨٠ أسلوب الكتابة	
وصف شعره	٢٥٥	١٨٢ التوقيعات	
أسلوب شعره	٢٥٨	١٨٣ - ٢١٢ الشعر في صدر الاسلام	
معاني شعره	٢٥٨	١٨٣ - ٢٠٣ نماذج	
روائع حسان	٢٥٩	٢٠٤ - ٢١٢ اشعر وما طرأ عليه	
نقد النايفة له	٢٥٩	٢٠٤ تمهيد	
حسان والنعمان	٢٦١	٢٠٤ الشعر في صدر الاسلام	
حسان النعمان	٢٦١	٢٠٨ أغراضه	
حسان وعمرو	٢٦١	٢١٠ معانيه وأسلوبه	
نماذج من شعره	٢٦٥	٢١٢ المعاطة	
مع شروح ودراسات		٢١٣ - ٣١٢ المختصرمون	
الجمدى	٢٩٨	٢١٣ ابن رواحة	
معن بن أوس	٣٠٤	٢١٧ كعب بن مالك	
مالك بن الربيع	٣٠٨	٢١٨ كعب بن زهير	
النقد في صدر الاسلام	٣١٣	٢٢٠ - ٣٤: الخنساء	
أشهر الشعراء المختصرمين	٣١٨	٢٢٥ الخنساء لدى عائشه	
شعراء الحماسة المختصرمون	٣١٨	٢٢٦ الخنساء تعاطف بمصاحبها	
الحياة الأدبية في العصر الأموي	٣٢٠	٢٢٧ مرثى الخنساء	
تمهيد	٢٢٠	٢٣٤ رأى النقاد فيها	
سياسة الدولة الجديدة	٢٢٢	٢٢٤ أبو محجن	
الموالى في الدولة الأموية	٢٢٧	٢٣٨ أبو ذؤيب	
انتشار اللغة	٢٢٩	٢٤٠ الخطيبية	

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
خطبة أبي حمزة	٤٠٠	طروء اللحن	٣٣٢
خطبة قطري	٤٠٢	وضع النحو	٣٣٢
نصيحة رجل لشام	٤٠٤	وضع الشكل	٣٣٨
نصيحة أعرابي لسليمان	٤٠٥	وضع النقط	٣٤٠
خطبة للحسين	٤٠٥	بدء تدوين العلوم	٣٤١
وصف الخطابة	٤٠٧	العلوم المدونة	٣٤٢
٤١٠ - ٤٢١ الكتابة الفنية		اشهر مجامع العلم والادب	٣٤٥
٤١٠ - ٤١٤ نماذج		المرید	٣٤٧
٤١٥ وصف الكتابة		عناية الخلفاء باللغة والادب	٣٥٤
٤١٧ تحول الكتابة		نماذج اعنائهم بالادب	٣٥٥
الى صناعه فنية		تأثر الادب بالحياة الجديدة	٣٧٧
٤٢٤ - ٤٤٦ الاجوبة والمحاورات		٣٨٠ - ٤٤٦ النثر الفني	
٤٢٤ - ٤٤٥ نماذج		نماذج	٣٨٠
٤٢٤ ابو الأسود وزوجه		صفة الامام العادل	٣٨٠
٤٢٧ صعصعة ومعاوية		طارق	٣٨٢
٤٢٩ عبد الملك وجاساؤه		الاشحنف ولعمرو بن العاص	٣٨٤
٤٣١ عبد الملك ومعبد		وصف النثر الفني	٣٨٥
٤٣٢ عبد الملك وسعدى		٣٨٨ - ٤٠٩ الخطابة	
٤٣٣ معاوية وعقيل		٣٨٨ - ٤٠٦ نماذج	
٤٣٣ معاوية وابن عباس		خطبة لمعاوية	٣٨٨
٤٣٥ عبد الملك وخالد		وصية لمعاوية	٣٨٩
٤٣٥ عبد الملك وابن اسيد		خطبة ابن الزبير	٣٩٠
٤٣٦ عبد الملك وأحد عماله		خطبة عبد الملك	٣٩٢
٤٣٧ عبد الملك والعماج		خطبة عمرو بن سعيد	٣٩٣
٤٣٧ الحجاج وكنعب		وصية لعبد الملك	٣٩٤
٤٣٨ هشام وابن أبي الجهم		وصية لثنية	٣٩٥
٤٤٠ هشام وابن أذينة		خطبة زياد البتره	٣٩٥
		خطبة الحجاج بالبصرة	٣٩٩

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
المناقضات في الشعر الأموي	٥١٣	هشام و أبو العجم	٤٤١
الغناء في العصر الأموي	٥٢٠	أياس	٤٤٤
ألوان من الغناء وبجاليه	٥٢٢	خاتمة السكلام على المحاورات	٤٤٦
النقد الأدبي	٥٢٥	٤٤٧ - ٥١٩ الشعر الأموي	
ألوان من النقد الأدبي	٥٢٩	٤٧٢ نماذج	٤٤٧
شعراء الحماسة	٥٥٣	٥١٩ الشعر في العصر الأموي	٤٧٣
أوائل كتب الشعر	٥٥٤	تمهيد	٤٧٣
دواوين الشعراء	٥٥٩	مظاهر العناية بالشعر	٤٧٤
أشهر كتب الأدب	٥٦٠	أسباب العناية بالشعر	٤٨٣
الرجز في العصر الأموي	٥٦٣	نهضة الشعر الفنية	٤٨٧
خاتمة	٥٦٤	معاني الشعر الأموي	٤٨٨
تقدير ملكي كريم		أسلوبه	٤٨٩
كتاب التشبيه		ألفاظه وأغراضه	٤٩٢
الشعراء الجاهليون		الشعر السياسي	٤٩٣
مطبوعات		الغزل العذري والقصصى	٤٩٥
ابن المعتز		شعر الحكمة والدين	٤٩٩
فهرست الكتاب		الإغراض القديمة	٥٠١
استدراك	٥٨٠	التسكيب بالشعر	٥٠٨
		طوائف الشعراء	٥٠٨
		طبقات الشعراء	٥١٠
		الرواية والرواة	٥١٠
		رواة الشعر	٥١٢

الايضاح في علوم البلاغة

لاخطيب القزويني [٦٦٦-٧٣٩] ٥

كتاب الخطيب : د الايضاح ، أم كتب البلاغة ، وأحفلها بالبحوث والدراسات والآراء والمذاهب

وهو فوق ذلك أمثل كتب البلاغة أسلوبا ، وأجملها بيانا ، وأوفاهما بحثا ، وقد جمع فيه المؤلف كثيرا من آراء ونظريات المتقدمين في البلاغة ، وخاصة : عبد القاهر الجرجاني أمام البلاغة م ١٩٧٤ ، والسكاكي فيلسوفها المتوفى عام ٦٢٦ هـ وكتاب الايضاح هو الكتاب الدراسي المقرر في شتى كليات اللغة والأدب في الشرق العربي

وقد قام محمد عبد المنعم خفاجي الأستاذ بكلية اللغة بعمل جليل ، هو شرح الكتاب شرحا جديدا ضافيا ، في ستة أجزاء كبيرة

وقد حرص في شرحه على تلخيص آراء المتقدمين وتوضيحها ودراستها ونقدتها وأعظم عمل في هذا الكتاب فوق ذلك هو ذكر جميع المصادر والمراجع وشرح الشواهد وذكر مصادرهما وموضع الشاهد فيها ، فوق ما فيه من تحقيقات علمية واسعة وتعليقات في غاية الأهمية لعلماء البلاغة ودراسيها وفي آخر كل جزء من أجزاء هذا الشرح بحوث ضافية ودراسات جديدة في البلاغة ومؤلفاتها وعلاقتها ، مما لم يسبق إليه أحد

وقد ظهر من الكتاب جزآن وسيظهر الجزء الثالث بعد أسبوع
أما الثلاثة الأجزاء الباقية فستظهر خلال شهر واحد إن شاء الله .

ومن الله التوفيق والعون والسداد

٧ يناير ١٩٥٠

يظهر قريبا للمؤلف:

- ١- التجديد في الشعر العربي
- ٢- أعلام الأدب في عصر بني أمية
- ٣- الجزء الثالث من شرح الأيضاح

نشر

مكتبة الحسين التجارية

اصحابها

محمود توفيق

الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤
سنة ١٣٧٤ هـ
سنة ١٩٥٤ م

استمرادك

تذكر هنا بعض أخطاء مطبعية وتترك باقيها اعتيادا على فطنة القارى. وثقته

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها	الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
٤	١٧	واحد	أثنين	١٤٠	١٤	يكفيك	يكفك
١١	١٧	كراعة	كراع	١٤٩	١١	أيها	أيها الناس
١١	١٤	له	لله	١٥٣	١٦	أباك	أبويك
١٣	٢	متباين	متجاين	١٥٤	١٢	مصمتا	مصمتا
١٥	١٢	اقتبسبه	اقتبه	١٥٤	٢٢	وقاس	وقاص
٢٢	١٠	وهم	وهم	١٦٩	١٧	فان	أفان
٢٢	١١	لدى	الذى	١٧٣	١٣	أحد	أحدا
٣١	٢	التجارى	البخارى	١٧٤	١٠	اطلحة	على طلحة
٤٥	٢	شيئا	شييا	١٧٤	١١	أهل على	أهل
٤٦	٣	قدر	قدروا	١٧١	١٠	يدا	يد
٥٣	٨	أنزل	نزل	١٧٨	١٤	إلا	إلى
٥٨	٣	السفد	السفلى	١٨١	٧	محمد	محمد
٦٠	٩	بالقواوير	بالقوارير	١٨٧	٦	علم	ظلم
٦٩	٢	تمازج	تمازج	١٨٧	١٨	فمندا	فمندا
٨٠	٧	مايزع	ولعثمان مايزع	١٨٩	١	إذ	إذا
١٢٩	٨	محمد	محمد	١٨٩	٦	فتردريه	فتردريه
١٣٠	٣	الهمجرة	البعثة	١٩١	٣	ينسينى	ينسينى
١٣٠	٨	وأنا واحد	وأنا واحدا	١٩٥	٢١	درائه	ردائه
١٣٣	١٤	ريب	ريب فيه	٢٠٠	٢	الدناء	الرتاء
١٣٣	١٨	على	على	٢٠١	١٦	والحمد	والحمد
١٣٤	١٤	الحديث	الحكيم	٢٠٧	٥	البرجى	البرجى
١٣٤	٢٠	ظهرت	ظهر	٢٠٨	٩	أسبابها	أسبابها
١٣٨	١	رتى	أرتى	٢٠٩	١٨	ذلك	وغير ذلك
١٣٩	٤	واعنى	واعنى	٢١١	١	كثير	كثير
١٣٩	١٤	هذه	هذه	٢١١	١١	عرض	عن عرض

الصفحة	الكتاب	الكلمة	صحتها	الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
٢١٧	١	الإخلاف	الإخلاف	٢٩٦	٥	غيب	غيب
٢١٧	١٣	يببشته	يببشته	٣٠٠	١١	وكان	وكان
٢١٩	٩	الوصف	الوصف	٣٠١	٣	أجادوا	أجادوا
٢٢٠	١٢	وفد	وفد	٣٠٩	٤	أجادوا	أجادوا
٢٢٩	٨	الزمار	الزمار	٣٠٢	١٣	بمالي	بمالي
٢٢٩	١٢	كذلك	كذلك	٣٠٣	٢٠	وقال	وقال
٢٣٤	٢١	الجنج	الجنج	٣٠٥	١٦	فيؤذنها	فيؤذنها
٢٣٥	٤	يتمدحو	يتمدحو	٣٠٩	٨	الله	الله
٢٣٥	١٣	قلت	قلت	٣٠٩	١٤	محبوك	محبوك
٢٣٨	١٦	ومثلي	ومثلي	٣٢٩	١٣	هذا	هذا
٢٤٣	٦	فاستعدى	فاستعدى	٣٣١	١٩	غير	غير
٢٤٣	١٢	هم	هم	٣٣٣	٦	اللحن	اللحن
٢٤٥	١٩	منهلا	منهلا	٣٣٣	١١	صوتا	صوتا
٢٤٧	١٠	ينسى - متصرا	ينسى - متصرا	٣٣٦	١٦	ثمته	ثمته
٢٥٤	٩	بمسبق	بمسبق	٣٣٩	٧	وأذن	وأذن
٢٥٦	٣	المشركين	المشركين	٣٤٨	١٩	البرية في	البرية في
٢٦٠	٦	إن	إن	٣٤٨	٢٠	ويتناشدوا	ويتناشدوا
٢٦٠	١٦	أكثرهم	أكثرهم	٣٤٩	١٢	المالك	المالك
٢٦٨	٧	كان هجاتهم	كان هجاتهم	٣٥٠	٢	الأمويين	الأمويين
٢٧١	١٥	ينجد	ينجد	٣٥٠	٢٠	يتهاجيا	يتهاجيا
٢٧٤	١	قولى	قولى	٣٥٢	١١	والمهاجاة	والمهاجاة
٢٧٤	٤	يهدر	يهدر	٣٥٣	٤	والتحوين	والتحوين
٢٧٦	١١	يلبس	يلبس	٣٥٤	٥	لغاتهم	لغاتهم
٢٧٨	١٠	ذراعها	ذراعها	٣٥٤	٦	ويكون	ويكون
٢٨٠	١٣	والعود	والعود	٣٥٥	٢٠	عن	عن
٢٨١	١٢	حق	حق	٣٥٣	٢١	وفيان	وفيان
٢٨٢	٢	ببشة	ببشة	٣٥٥	٢٢	في الأدب	في الأدب
٢٨٩	٤	وإذا	وإذا	٣٧٣	١٥	سكتوا	سكتوا

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها	الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
٢٧٥	١	سائل	سأل	٤٥٠	٩	أبي	بني أبي
٣٧٨	٨	الفجر	الفجر	٤٥٥	٢٠	ضرا	ضر
٣٧٨	١٣	العرب	العربي	٤٥٨	٥	إذا	إذا
٣٨٦	٩	للاحتياط	للاختلاط	٤٥٩	١٠	منها	منها
٣٨٧	٨	لأنكم	لأنكم	٤٦١	٨	بالبين	بالبين
٣٨٩	١١	وانظر	وانظر	٤٧٤	٩	يزم	يزم
٣٩٣	٩	والهو	والهو	٤٧٥	١	أبي ربيعة	أبي ربيعة
٣٩٨	١١	فاستجروا	فاستجروا	٤٧٦	٣	قيما	قيما
٤٠٠	١	تضيق	تضيق	٤٧٦	١٢	تمت	لم تمت
٤٠٤	١٨	بها	بهذا	٤٨٠	١٤	القماطر	القماطر
٤٠٦	٤	عليه	عليها	٤٨٩	١	السحرم	السحرم
٤١٠	١٢	ضائعا	ضالعا	٤٩١	٣	مسته	مسته
٤١٦	١٤	كان	كانت	٤٩٣	٢	عبد	عبيد الله
٤٢٠	١٠	لغته	فلغته	٥١٠	٢٢	بجيد	بجيده
٤٢١	٢	تابت	ثابتة	٥٢٠	١٩	ذات	ذا
٤٢٢	١٦	بن	بن أبي وقاص	٥٢٣	١٠	أو	أن
٤٢٣	٨	أدراك	أدراك	٣٢٣	٢٠	ربيعة	أبي ربيعة
٤٢٣	٢٣	شكل	شكى	٥٢٦	١٨	الفرق	الفرق
٤٢٧	١٠	الملك	الملك بن	٥٢٧	١٤	لمنك	لمنك
٤٣٩	٨	هاتها	قال : هاتها	٥٢٩	١٦	أما	إذا
٤٤٣	٢	دنت إليها	دنت	٥٣٢	١٢	فصحبه	فصحبه
٤٤٧	١١	ذاك	أن	٥١٢	٤	الجاهلي	الجاهلي والاسلامي

ملحق للكتاب
موازنات أدبية:
بين قصيدتين
من عيون الشعر الجاهلي

١ - أما الأولى فهي معلقة عمرو بن كلثوم (٥٠٠ - ٦٠٠ م) المشهورة :
ألهي بصحنك فاصبحينا ولا تبقى نخور الأندرينا
وأما الثانية فهي مجهرة أمية بن أبي الصلت (٥٥٠ - ٦٢٤)

عرفت الدار قد أقوت سنينا لزئيب إذ تجل بها قطينا

٢ - والقصيدة الأولى ملحمة تاريخية تصور المجد القديم لتغلب قبله الشاعر
وملاحمها الحربية التي انتصرت فيها على أعدائها ، وهي فريدة في نوعها فهي جديدة
حقا بأن تسمى ملحمة ، وهي تصور قوى رائع لمجد القبيلة ومفاخرها وأيامها
ومنها يوم خزا ، وإشادة بنفوذها ومسكاتها وتهديد لأعدائها وتذية للملك عمرو بن
هند حتى لا يطيع بهم الوشاة ويتحيز لبكر شقيقة تغلب ومزاحمتها في النفوذ والمجد
والسلطان ، وقد بداها الشاعر بوصف الخمر بما يعد ميزة فريدة لها ، ثم انتقل الى
موضع القصيدة وهو الفخر ، وختمها بقوله :

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
ملا لنا البر حتى ضاق عنا ونحن البحر نملؤه سفينا
إذا بلغ الرضيع لنا فطاما تخر له الجبار ساجدينا
وأنت تعلم أن عمرو بن كلثوم ارتجل بعضها أمام الملك عمرو بن هند وهو الجزء
الذي هدد فيه أعداء تغلب وحذر الملك من الاستماع للوشاة والميل معهم على
تغلب ، ومنه :

أما هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا
بأننا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قد رويننا
ثم أكمل القصيدة كلها ، وأنشدها في سوق عكاظ وقد عدتها تغلب مجدا لها
وملحمة تاريخية تصور تاريخها فاعتزت بها اعتزازاً كثيراً ويقال إنها أضافت

لأبيها الكثير حتى بلغت أبياتها نحو الألف بيت حتى قال بعض البكرين فيها:
ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفأخرون بها مذكان أولهم يا للرجال لشعر غير مسوم
وأما المجهرة فقد تحدث فيها أمية عن مجد قبيلة نعيم وهي من أمهات القبائل
العربية وصاحبة النفود والسيادة في الطائف، وافتخر بها وصور مكائنها وورائتها
لمجد الآباء والأجداد، ولم يبدأها بوصف الخمر كما فعل عمرو بن كلثوم بل بدأها كما
يبدأ الشعراء قصائدهم فوصف في مطلعها أطلال محبوبته زينب، وعغامها
واعب الرياح المصبرات بها، ثم انتقل إلى موضوع القصيدة نفسها من الفخر
بمجد القبيلة وشرف الآباء فقال فيما قال:

ورثنا المجد عن كبرى نزار فأورثنا ماثرنا البنيان
وكنا حبيبا علمت معد أقنا حيث ساروا هارينا
وتخبرك القبائل من معد إذا عدوا سماية أولينا
بأننا السازلون بكل شجر وأنا الضاربون إذا لقينا

إلى آخر ما ذكره من الفخر بأسرته وقومه وبجدهم ومنابتهم وما أرسده
لريب الدهر من الخيل والرماح والسيوف والشيب والشبان وورائتهم للجد
عن كبرى نزار إلى غير ذلك من مظاهر الكبرياء والعزة والسيادة التي أضافها
أمية إلى قومه. ولا ندرى شيئاً عن التاريخ الأدبي للقصيدة وإن كنا نرجح أن
الشاعر نظمها في مفاخرة من المفاخرات التي تحدث كثيراً بين القبائل العربية وخاصة
في العصر الجاهلي.

٣ - وتتفق القصيدتان في كثير من وجوه الشعر والشاعرية:

تتفقان في الموضوع وفي الوزن والقافية. كما تتفقان في خيالهما والمبالغة
الواضحة فيهما.

وتتفقان فوق ذلك في هذه السهولة الواضحة الغالبة عليهما وخاصة عند ما ينتقل
الشاعران إلى الغرض الأصلي من قصيدتهما وهو الفخر، وليست هذه السهولة
الفنية بغريبة على الشاعرين: فأرنجال عمرو لقصيدته ومقام الفخر يقتضيان
السهولة، ونشأة أمية في الطائف وحياته فيها بين الزرع والغاكة والجو الجليل

والهواء الطلق وتمتله بين الشام واليمن ومكة والمدينة كل ذلك جعله يعيش في ظلال
قسط من الحضارة صقلت مواهبه الأدبية وطيبينه الفنية فظهر أثر ذلك في شعره
وضوحاً وسهولة وإسجاحاً وصفلا فنياً رائعاً .

وتتفق القصيدتان فوق ذلك في كثير من معاني الشعر وأساليبه ، ومن مظاهر
هذا التشابه هذه المعاني والآيات :

أ- قال عمرو :

ورثنا المجد قد علمت معد نطاعن دونه حتى بيننا (١)
وقال : ورثنا مجد علقمة بن سيف :

وقال :

ورثناهن (٢) عن آباء صدق ونورها إذا متنا بيننا
فقال أمية :

ورثنا المجد عن كبرى نزار فأورثنا مآثرنا البيننا

وتستطيع أن توازن بين البيتين الأخيرين إذا علمت أن وراثته المجد في بيت
أمية أبلغ في الفخر من وراثته الخبول في بيت عمرو ، وإن كانت وراثته الخبول من
أسباب المجد لأن الخليل وركوبها واتخاذها عتادا دليل الشجاعة والبطولة وحب
النضال ، وقول أمية : فأورثنا مآثرنا البيننا ، أبلغ من قول عمرو : ونورها إذا
متنا البيننا ، لأن أمية ذكروا أن أبناءهم ورثوا هذا المجد عن آباؤهم سواء كان الآباء
قد ماتوا أم لا يزالون أحياء ؛ فهم قد ورثوه فعلاً ، أما عمرو فقال إن الأبناء
يرثون الخليل بعد موت الآباء فهم لم يرثوه في حياتهم فكأنهم لا يعرفون بالشجاعة
إلا بعد موت الآباء وهذا قصور في الفخر . وقال أمية : ، البيننا ، وقال عمرو
وبيننا ، فشرهم أميناً بان عن ضرهم وقال عمرو : صدق ، فدل على شجاعتهم
أو وضوح نسبهم وهي زيادة لانظير لها في قول أمية .

(١) أي حتى يظهر الشرف لنا .

(٢) الضمير يعود إلى الأفراس في بيت سابق .

وقد أخذ أمية لفظ ، قد علمت معه ، من قول عمرو فقال :
وكنا حينما علمت معه أقننا حيث ساروا هاربيننا
ب - ويقول عمرو : « وأنا المملكون إذا ابتلينا ، أى نملك أعداءنا ونبيد
إذا اخترنا بقتالهم فيقول أمية : وأنا الضاربون إذا التقينا . فتجد قول عمرو
أبلغ حيث نص على إهلاك الأعداء ولم يذكر أمية إلا الضرب وإن كان يكنى به
عن الشجاعة والأقدام والعزيمة والجد في طلب الأعداء ولكنه على أى حال لم
يصور نتيجة الحرب كما صورها عمرو بقوله : « المملكون ،
ج - ويقول عمر : « وأنا المانعون لما أردنا ، « ويروى « الحاكون بما أردنا ،
فيقول أمية « وأنا المانعون اذا أردنا ، .

د - ويقول عمرو :
ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا
ويروى من الجمهرة :
وأنا الشاربون الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا
ويقول عمرو :
بفتيان يرون القتل مجدا وشيب في الحروب مجربينا
وقد روى من الجمهرة :

وفتيانا يرون القتل مجدا وشيبا في الحروب مجربينا
٤ - وتمتاز المعلقة : بتنوع أعضائها ، وبطولها ، وسهولتها وأنها ملحمة
تاريخية وتصوير لجد تغلب القومى والحربى ، وبما فيها من وصف للخمر ، وهى
على أى حال وباعتراف نقاد الأدب القديم من أشهر القصائد الجاهلية ، ولذلك
وضعوها مع المملقات ، وقال ابن قتيبة فيها « وهى من جيد شعر العرب ، .
أما قصيدة أمية فقد وضعها في منزلة أدبية بعد منزلة المملقات حيث رتبها
في الجمهرات . والجمهرات سبع قصائد من الشعر الجاهلى رواها أبو زيد
الانبارى في الجمهرة وأصحهاها هم .

- أ - عبيد بن الأبرص وبجهرته مشهورة ومطلعها :
أقفر من أهله ملحوب فالتقطيات فالذنوب
أو : عينك دمعها سروب (١) كأن شأنهما شعيب
وتشتهر باختلاف رزنها واضطرابه ، وهي قاصرة على الحكمة ومنها :
والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب
من يسأل الناس يحرمه وسائل الله لا يخيب
ويغلب عليها صبغة التدين وروح الإيمان :
- ب - عدى بن زيد ، ومطلع بجهرته :
أتعرف رسم الدار من أم معبد نعم ورمالك الشوق قبل التجلد
وتشبه معلقة طرفه في وزنها وفاقتها وروح الحكمة السارية فيها كما تتفق معها
في بعض الأبيات ، ويغلب عليها روح التدين ، ومنها :
فنفسك فاحفظها عن الغى والردى متى تغوها يغو الذي بك يقتدى
عن المرء لانسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمتقارن يقتدى
والبيت الأخير نجده في معلقة طرفه أيضا .
- ج - النمر بن تولب ، ومطلع بجهرته :
تأبد من أطلال عمرة مأسل :
وتغلب عليها روح الحكمة ، ومنها :
يود الفتى طول الس... لامة والغنى فكيف ترى طول السلامة يفعل
دعاني الغواني عمهم وخلاتي لي اسم فما أدعى به وهو اول
د - أمية بن أبي الصلت ، وبجهرته معروفة
وهي وقف على الفخر
- ه - بشر بن أبي خازم : وبجهرته في الفخر بقومه وبطولتهم وعزهم ، ومطلعها
لمن الديار غشيتها بالانعم تعدو معالمها كلون الأرقم

(١) سروب كثيرة الجريان . الشعيب : المادة

و — خدّاش بن زهير ، ومجهرته في الفخر بقومه أيضا ومطلعها :

أمن رسم أطلال بتوضيح كالسطر

ز عنزة وقصيدته :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعدد توهم
يعدّها البعض من المملقات والآخرون من المجمرات وهي على أي حال في
الفخر حيث وصف فيها الثمار بطولته وشخصيته بوضوح.. وهذه القصائد السبع :
ا — من الناحية التاريخية نجد أن أصحابها لم يعيشوا في عصر واحد، فعدي
توفي نحو عام ٥٦٥ م وعبيد عام ٥٥٥ م وأمية عام ٦٢٤ وعنزة عام ٦١٥ م الخ
مما يؤكد لنا أنه لم تلاحظ الناحية التاريخية في ترتيبها

ب — ومن ناحية موضوع هذه القصائد نجد أن ثلاثا منها في الحكمة وأربعا
في الفخر ، مما يؤكد أنها لم ترتب ، بحسب موضوعاتها .

ج — فلم يبق إلا أنها رتب بحسب جودتها الفنية ومنزلتها الأدبية ، ومن غير
شك فإن شاعرية هؤلاء الشعراء وخصائص الشاعرية في هذه القصائد تكاد تكون
في منزلة واحدة مما يبدو بوضوح للناقد الدارس .

فهذه القصائد السبع يشبه بعضها بعضا في النواحي الفنية والقيمة الأدبية
وتكاد تكون متساوية في حكم النقد الأدبي السليم ، وهي لا تحتل الذروة بين
قصائد العصر الجاهلي وإنما تلي هذه القصائد السبع الجياد المشهورة والمملقات ،
ويأتيها كثير من القصائد التي لا تبلغ منزلة المجمرات الأدبية .

د — ومن الغريب أن تخلو مجهرة أمية من هذه الصبغة الدينية التي اشتهر
بها أمية ، ويبدو أنه نظمها في أوائل عهده بالشعر وفي عصر الشباب مما يتضح من
تقليده فيها لعمر بن كلثوم ومعلقته

وقد يكون السبب الذي جعل أمية ينظم بمجهرته محتذيا فيها عمرا هو إعجابها
بمعلقته وروايته لها أو تأثره بعمر وخاصة من بين الشعراء الجاهليين
ومعلقة عمرو يرى فيها الدكتور طه حسين في كتابه « الأدب الجاهلي »
أنه لا يمكن أن تكون هي أو أكثرها جاهلية

ويذكر أن الرواة قد شكوا في بعضها وإن عمرا نفسه قد أحيط بطائفة من الأساطير ويرجع انتقال المعلنة وهي ومعلقة الحارث بن حلزة .

والمعلقة نفسها خير رد على هذا الرأي فهي صورة لحياة جاهلية لاشك فيها وتمثل حياة عمرو نفسه تمام التمثيل ، والشخصية الفنية في المعلقة شبيهة تمام الشبه بالآثار الفنية القليلة التي ثبتت صحتها لعمرو بما ورد في الحماسة وسواها .

٦ - وبعد فاستطيع أخيرا أن نقول أن أمية نظم بجمهرته متأثرا فيها بعمرو ومعلته ، وأنه قد عمرا تقليدا فنيا واضحا لا لبس فيه ، والتقليد الفني ليس ببعيد على الشعر الجاهلي ولا بغير فيه ؛ وكما قد الشعراء المحدثون من تقدمهم من أمية الشعر العربي فقد كان الشاعر الجاهلي يقلد من سبقه من الشعراء وسنسط حديث التقليد والتجديد في الشعر الجاهلي في بحث آخر .

الطبع والصنعة

في الشعر الجاهلي

بين القدامى والمحدثين من النقاد خلاف كبير في تحديد معنى الطبع والصنعة: يرى الأولون أن التهذيب الفني للأسلوب هو الصنعة ، فالمصنوع هو المثقف المهذب من الشعر أما الطبع فهو خلو الأثر الأدبي من آثار التجويد والتفتيح ، ويرى الآخرون أن شعور الشاعر بنفسه حدين الطبع والصنعة ، فإذا كان الشعر صادقا مؤثرا فهو من شعر الطبع ، وإلا فهو مصنوع متكاف ، والأديب المطبوع عندهم من كان غير مقلد في معناه أو في لفظه ، وكان صاحب موهبة في نفسه وعقله لاني لسانه فقط

ورأى المحدثين المعاصرين من النقاد اصطلاح جديد في معنى الطبع والصنعة. وأرى أن الأولى في تحديد معناها أن نجمع بين الرأيين الذين يتلاقيان ولا يتناقضان ، فالطبع هو الملائكة القادرة في نفس الشاعر والأديب التي توحى إليه بفننه وأدبه وحى الفطرة والطبيعة واستجابة لمواطنه ومشاعره دون تكلف وتعب في الصوغ أو استجداء لترف الأسلوب والصناعة ، أما الصنعة فهي إحساس

الشاعر أو الأديب بآثار الجمال الفني وترف الأداء وزخرف الاسلوب ، وحبسه لهذا الجمال والترف والزخرف ؛ وهيامه الفني بها ، وقصده إليها ، وتعنده لها في شعره ، حتى ليطلب الفن للفن ، ويستلهم الجمال للجمال ، ويستوحى الشعر من ملكاته الفنية التي استهدت بها هذه النزعة ، مما يطفى على نفس الشاعر وشعوره وعواطفه وإحساسه بالحياة .

ويجمع جمهور النقاد في القديم والحديث على عيب الصنعة والتصنيع .

وسموا المصنعين من الشعراء في العصر الجاهلي عبيد الشعر ، رعابوا الشعرهم ، قال الأصمعي الأديب الراوي الناقد ٢١٦ هـ : زهير والنايفة وأشباههما عبيد الشعر ، وقال : الخطيب وهو شاعر إسلامي مشهور عبد الشعر ، قال الجاحظ إمام الأدباء والنقاد ٢٥٥ هـ : عاب الأصمعي شعره حين وجده كله متعدياً مستويا لمسكان الصنعة والتسكك والقيام عليه ، وكان الأصمعي يستحسن التفاوت في الشعرية لأنه مظهر الطبع وخلو الشعر من آثار الصناعة ، وعلى هذا الرأي يسير بعض المحققين ، يرى أن التفاوت في شعر الشاعر دليل على عبقرية وطبعه ، ويعدده النقاد الآية الناطقة على شاعرية المتنبي وعظيم مكانته في الشعر

ولقد كان الشعر العربي أثرا للفطرة والبديهة ، واستجابة لمشاعر الشاعر وشعوره بالحياة في الجاهلية وكان أكثره ارتجالا أو ما يشبه الارتجال ، ينظمه الشاعر على البديهة ، ويأتي به عفواً خاطر ، ترد إلى ذهنه المعاني وتتابع ، فتنتال عليه الألفاظ وتأتيه الأساليب شعرا وشعورا وسحرا وجمالا : كل ذلك في سهولة وتدفق وفطرة دون تنقيف وتهذيب وتمسيح ، حتى قال الجاحظ : وكل شيء للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام ، وليس هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجمالة فسكرة ، وإنما هو أن يسرف وهمه إلى الكلام وإلى جملة المذهب والعمود الذي إليه يقصد ، فتأتيه المعاني أرسالا وتنتال عليه الألفاظ اثليا ،

وفي العصر الجاهلي بدأ لون جديد من ألوان التهذيب والصنعة في الشعر على يد أوس وزهير وتلاميذهما .

كان أوس بن حجر من أصحاب التثقيف وكان يسمى مجبرا لحسن شعره ، وتتلذذ عليه زهير ، وكان طفيل الغنوى كذلك ، وكان النمر بن تواب من أصحاب التثقيف والتهديب ، وكان أبو عمرو بن العلاء الناقد الراوية م ١٥٤ هـ يسميه الكيس لحدقه بالشعر ، والنقاد يمدون النابغة الذبياني أيضا من المصنمين ، ويقول أنصار الصناعة إن امرأ القيس أيضا كان يتقف شعره ويعيد النظر فيه فيسقط رديته ويثبث جيده ، وكان امرؤ القيس راوية أبي دؤاد الأيادي وكان يلوذ به في شعره ويتوكأ على معانيه كثيرا ، ولكن شعر امرئ القيس ينفي عنه الصناعة والتصنيع ، وفرق بين أن يجيء عفوا في شعره بعض آثار الصناعة الفنية وأن يكون مصنعا ينحت فنه كما ينحت الفنانون تماثيلهم

وأبرز رجال هذه المدرسة على أي حال هو زهير ، قال بعض النقاد : عمل سبع قصائد في سبع سنين وكان يسميها الحوليات ، كان زهير يصنع الحوليات على وجه التثقيف والتهديب ، يصنع القصيدة ثم يسكرر نظره فيها - خوفا من النقد والنقاد - بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة ، وقيل كان ينظم القصيدة في شهر ثم لا يزال يهذبها حتى يمر عليها الحول ، وقيل : بل كان يعمل القصيدة في ستة أشهر ويهذبها في ستة أشهر ، وقال الجاحظ : كان زهير يسمى كبار قصائد الحوليات . وقد سار تلامذة زهير على نهج أتادهم كالحطيمه الشاعر الاسلامى وسواه

وكان هذا المذهب الفني في الشعر الجاهلي - مذهب الصناعة والتصنيع - أثر الانافس بين الشعراء وقيام الأسواق الأدبية كعكاظ وسواه بالحكومة الأدبية بينهم وكان النابغة تقام له قبة في عكاظ ويتحاكم إليه الشعراء ، كما كان أثر التلكسب بالشعر واتخاذها وسيلة للشراء وعكوف الشعراء المصنمين على تجويد مدائحهم ليستخرجوا بها سنى الهدايا والاطاف من مدوحهم ، وكان ارتباط الشعر الجاهلي بالغناء ورغبة بعض الشعراء في التجويد والتجديد في المعاني من أسباب نشأة هذا المذهب الفني أيضا وإذا نظرنا إلى الشعر الجاهلي نفسه وجدنا الفرق كبيرا بين آثار أصحاب الطبع والبدية كطرفه وامرئ القيس ومهلل وآثار الشعراء المصنمين والمعلقات السبع وهي من أشهر القصائد الجاهلية في البلاغة الأدبية وأحفلها

بمواهب الشعاعرية والفن والخيال وخصب المملكات ، كلها من آثار الطبع الأدبي الموهوب ، وليس فيها شيء من مظاهر الصناعة الفنية ، فمعلقة امرئ القيس أروع صورة لحياة الشاعر وترفه ولهوه ، ومعلقة عمرو بن كلثوم ملحمة تاريخية تصور التاريخ القومي والحربي والسياسي لقبيلة الشاعر ، تغلب ، ومعلقة عنتره حديث عذب جميل بين الحب والحرب والبطولة ، ومعلقة زهير دعوة للسلام ووصف لأهوال الحرب . وقسوتها على الناس والبشرية ، ويكاد يكون زهير فيها أشبه شيء بالمطبوع ، ويكاد أسلوبه فيها يبعد عن الصنعة وآثارها الفنية .

ويشتان بين معلقة زهير هذه وبين قصيدة النابغة :

كلبني لهم يا أميمة ناصب وليل أفاسية بطيء الكواكب

أو قصيدة أخرى لزهير نفسه هي :

صحا القلب عن سلبى وأقصير باطله وعرى أفراس الصبا ورواحله

لبعد ما بين الأثر المطبوع والأثر المصنوع ؟

